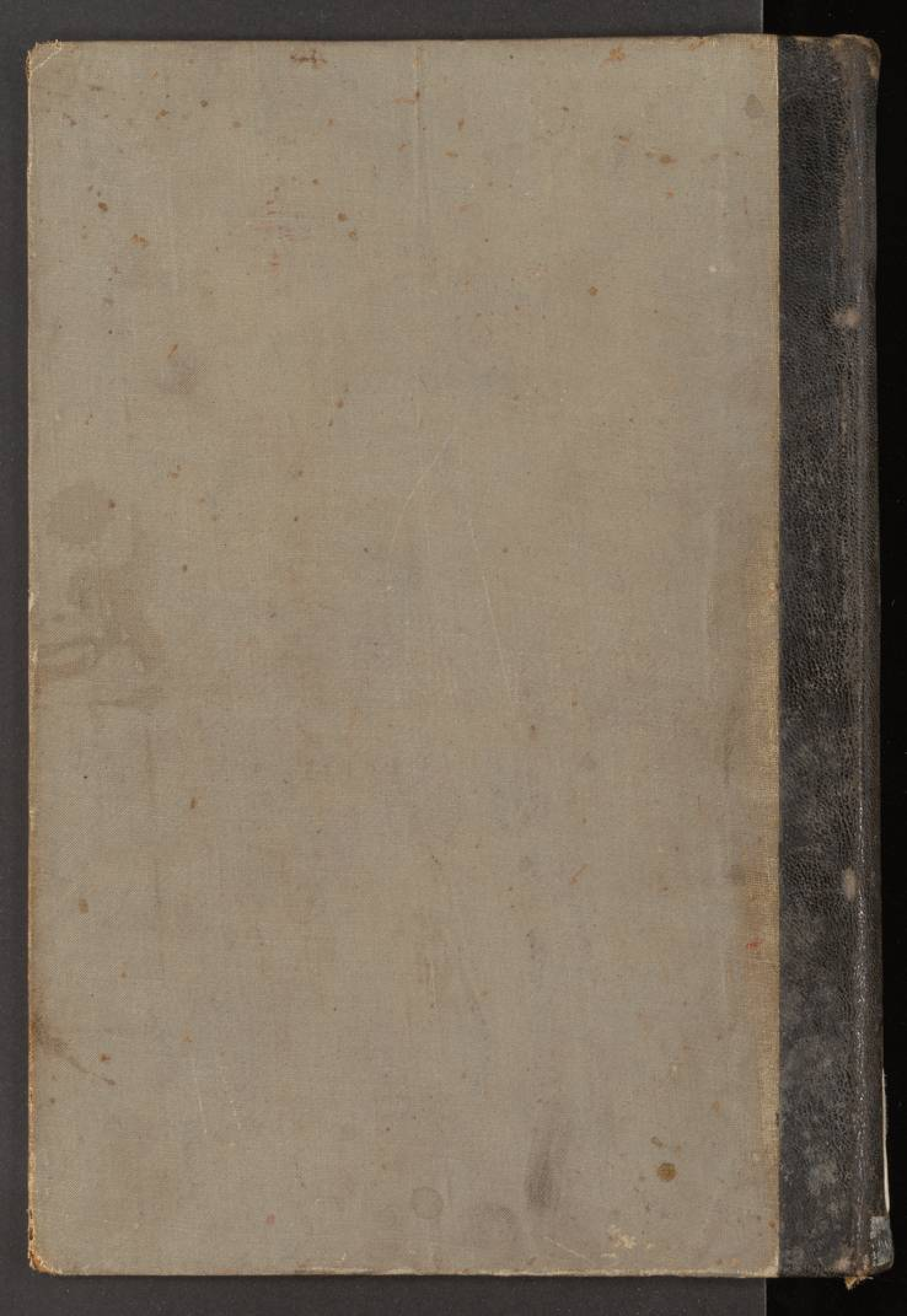
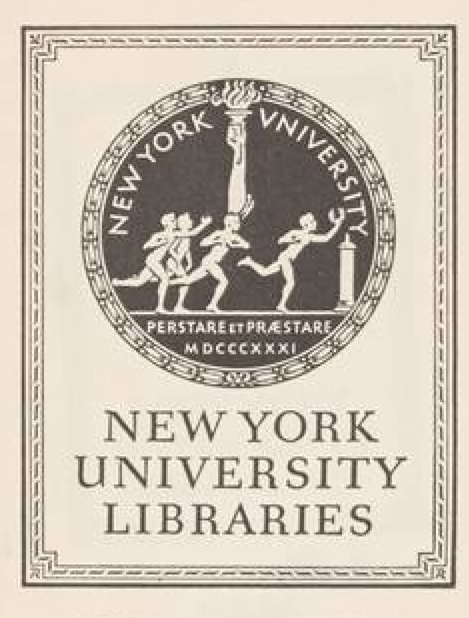
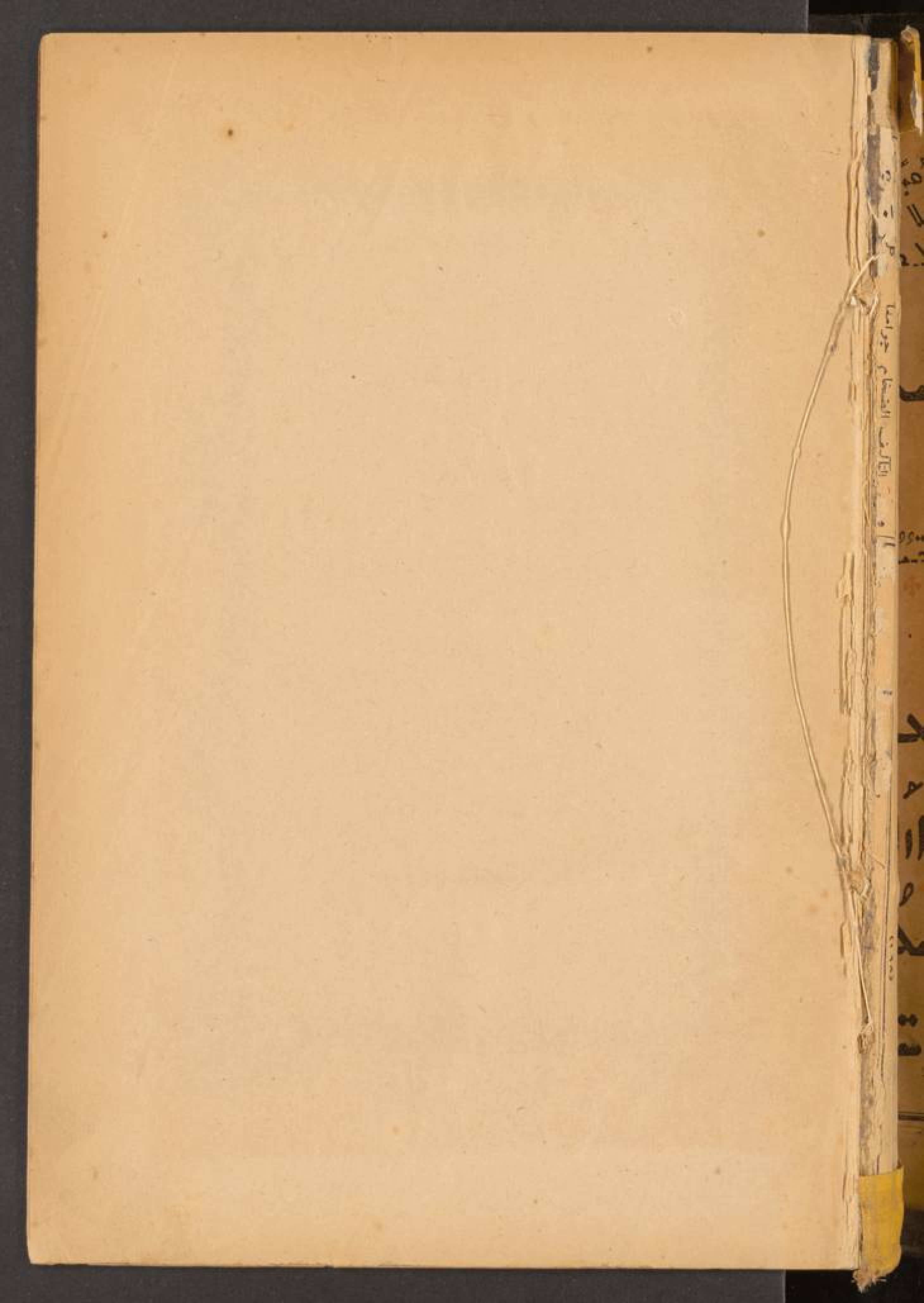
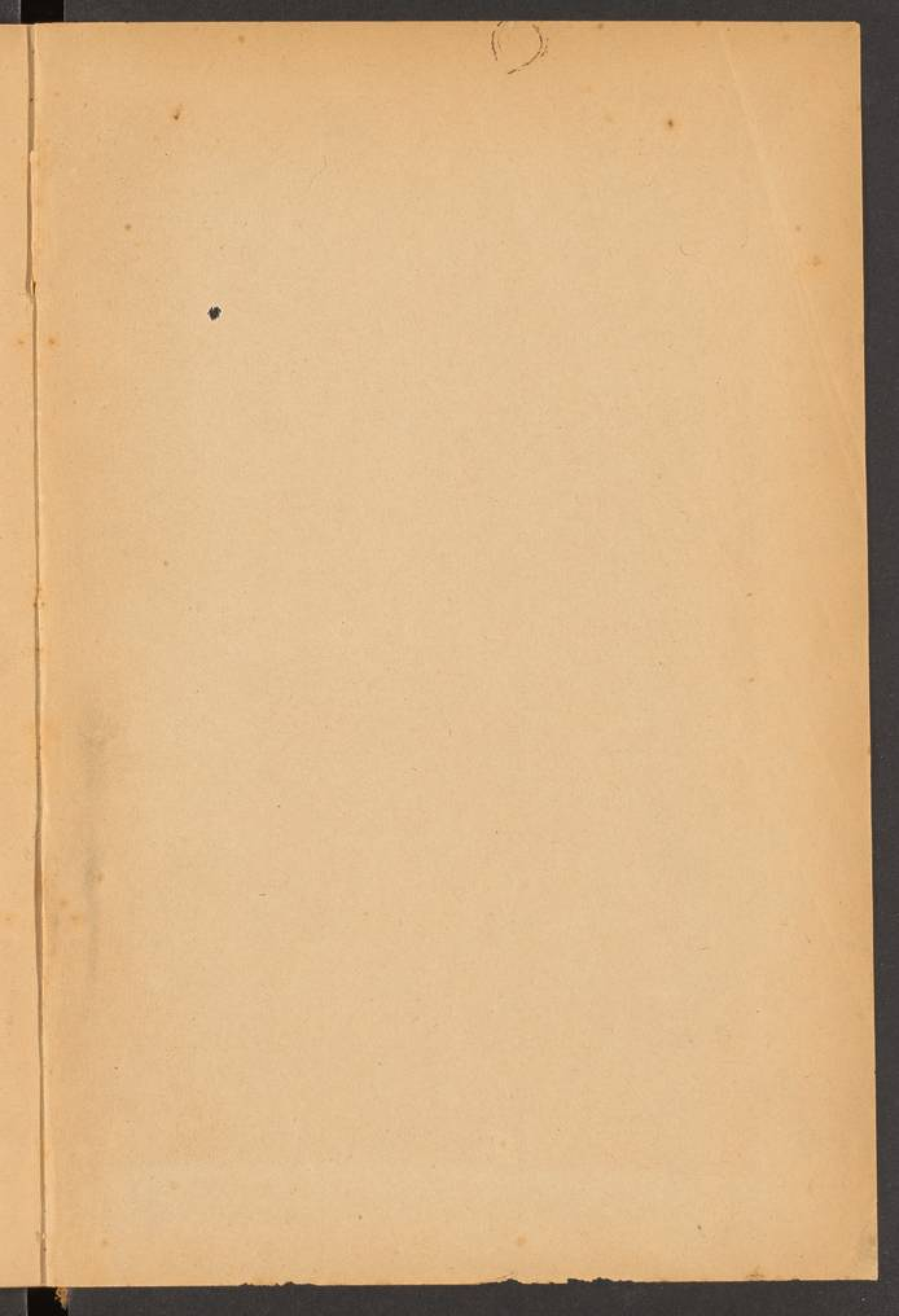
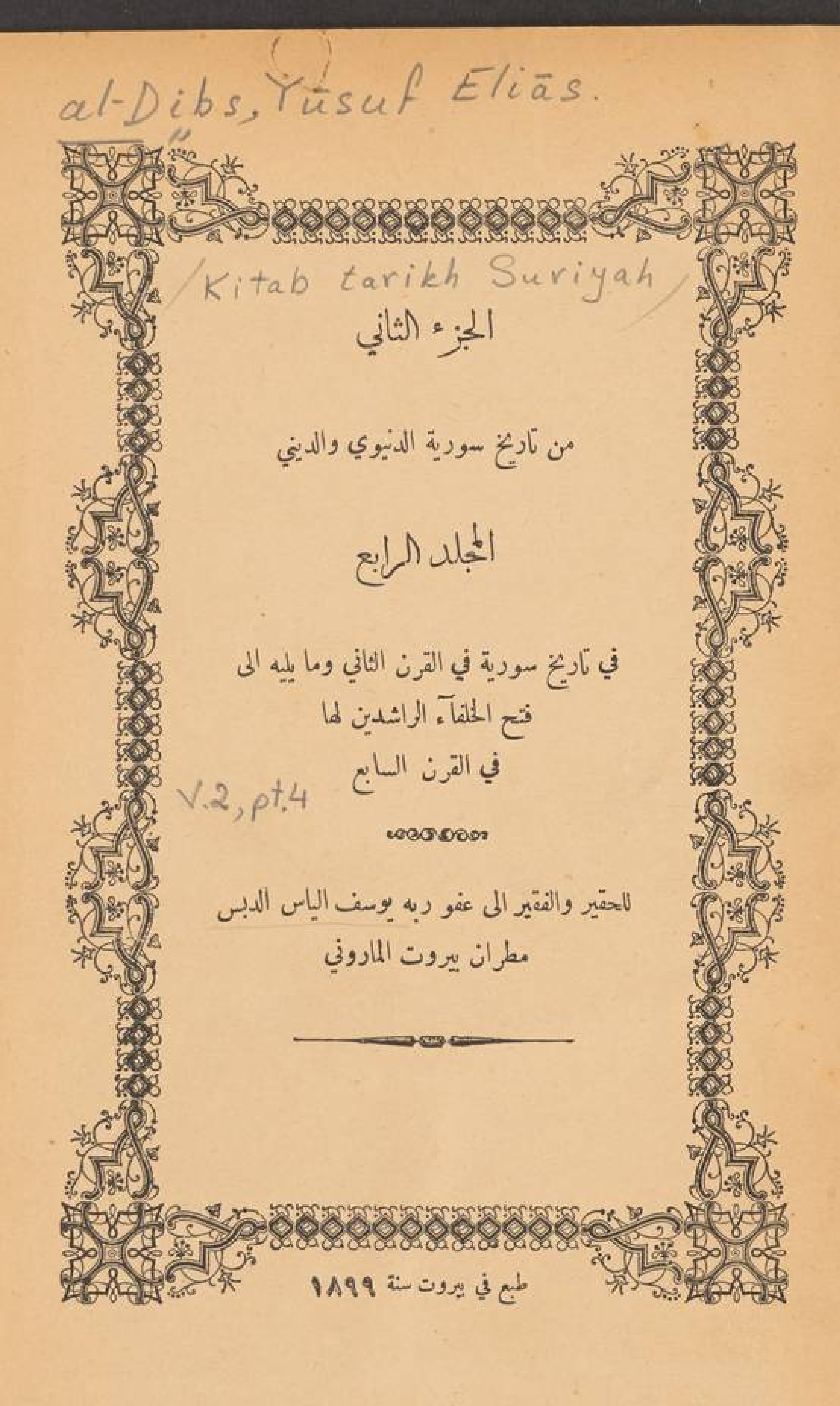



BOBST LIBRARY
3 1142 02824 5283


NEW YORK UNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES







الجزء الثاني

من تاريخ سورية الدنيوي والديني

المجلد الرابع

في تاريخ سورية في القرن الثاني وما يليه الى
فتح الخلفآء الراشدين لها
في القرن السابع

للحقير والفقير الى عفو ربه يوسف الياس الدبس
مطران بيروت الماروني

طبع في بيروت سنة ١٨٩٩

الباب الثالث

في تاريخ سورية في القرن الثالث

القسم الاول

في تاريخها الدنيوي

عد ٥٤١

(تمهيد في ذكر الملوك الرومانيين الذين كانوا في هذا القرن)

مرّ في اول الباب السابق ان سبتيموس ساويروس استوى على منصة الملك سنة ١٩٣ واستمر عليها الى السنة ٢١١ التي فيها خلفه ابناه كركلا المسمى مرقس اورليوس انطونينوس باسيانوس وجيتا فكركلا ولد لسبتيموس في ليون سنة ١٨٨ من امرأته يولية دُمنة ابنة كاهن حمص ويقال انه عجل موت ابيه وما لبث اذ تسنم اريكة الملك ان قتل اخاه جيتا في حضن امه والحق به كل من كان لائذًا بعقوته ولم يبقِ على ذلك الفقيه الشهير بابينيان البيروتي وامر بنهب الاسكندرية لمجرد الوشاية له بان اهلها لم يكونوا ممالئين له وكان يعظم قدر اسكندر الكبير ويحب ان يقتدي به فاتخذ رجلاً اسمه فستوس كما كان افيستون عند اسكندر ثم اماته مسمماً ليبكيه كما بكى اسكندر نديمه ولقب نفسه الجرماني والبرتي لانه حارب الجرمانيين والبرتيين مع ان محاربته لهم عادت بالعار والوبال

عليه الى ان قتله مكرين رئيس الحرس سنة ٢١٧ واراح المملكة منه وقد ذكر وادنيكتون خطين عثر عليهما في عثيل في حوران عد ٢٣٧٤ ينبي اولهما باقامة نصب تكرمة للملكين كركلا وجيتا يلزم ان يكون اقيم في المدة الوجيزة التي كانت بين وفاة سبتيموس ساويروس ومقتل جيتا والثاني حوى اسم كركلا وحده فكانه نقش بعد قتل اخيه ووجد خط اخر في الجرين في حوران عد ٢٤٥٥ مؤذن بان اهل هذا المحل اقاموا أثراً تكرمة للملك كركلا واخر في اذرع عد ٢٤٧٩ دال على اقامة اثر هناك ايضاً لسلامة هذا الملك وانتصاره الا ان هذا الاثر قد يكون تكرمة لمرقس اوريليوس فان الفاظه غير صريحة وعثر رنان على خط في فتقا بكسروان كتب عليه باليونانية ما مؤداه « في السنة الاولى للقيصرين مرقس انطونيوس وجيتا مولينا اقيم في هذا الهيكل الناووس والمذبح » ويلزم ان يكون هذا الخط كتب سنة ٢١١ اذلم يملك الملكان معاً الا سنة واحدة

وخلف كركلا مكرين المذكور وسمي مرقس اوريليوس مكرينوس ولد سنة ١٦٤ في قيصرية نوميديا وبعد قتله كركلا او معاونة القاتلين على قتله نادى به الجنود ملكاً على ان صرامته المفرطة لم تلبث ان اثارت الجنود عليه واقام الفيلق الذي كان في حمص اليوكبل عاهلاً وقتل مكرين في الكبادوك سنة ٢١٨ اما اليوكبل هذا فسمي فاريوس افيتوس باسيانوس اليوكبل وحسبه بعضهم ابناً لكركلا من سومياس ابنة خالته وكان كاهناً لاليوكبل (وتأويله الهالجبل او الاله الجابل اي الخالق) وهوحجر اسود كان اهل حمص في سورية يعبدونه ويريدون به الشمس وبعدان سمي اليوكبل عاهلاً سنة ٢١٨ انتصر على عسكر مكرين في تلك السنة وامنت في ايامه تخوم المملكة من جهة الجرمانيين والبرتيين لكنه اقدم في رومة على فظائع وغرائب منها انه اخذ من حمص الحجر الاسود واقام له هيكلاً في رومة وقدمه على سائر الهتهم وانشأ ندوة من النساء وجعل امه رئيسة عليها وكان

يتزيا احياناً بزي النساء ويبذر خزينة الملك على معاصيه ورغب اليه بعض ذويه ان يتبنى نسيبه اسكندر ساويروس فهم ان يهلكه حسداً منه فاثر بعض عماله ان يقتلوا اليوكبل ويخلفوا اسكندر له فكان كذلك سنة ٢٢٠

اما اسكندر ساويروس هذا (وفضل بعضهم ان يسميه ساويروس اسكندر) فسمي بعدملكه مرقس اورليوس ساويروس اسكندر وكان ولد في فونيقي (ويقال في عرقا) سنة ٢٠٩ وكانت امه يولية مماًا اخت سومياس المذكورة فكان نسيباً لاليوكبل ولما اقيم عاهلاً كان عمره اربع عشرة سنة واختار رئيساً للحرس اوليان الفقيه الشهير البيروتي واصلح بعض العادات السيئة وعنى بتقديم العلوم واظهر الانعطاف الى المسيحيين ووضع صورة ابراهيم ويسوع بجانب تماثيل الهة الوثنيين وجيش على ارتحشستا ملك الفرس ولكن لم تكن لحملته عليه عائدة تذكر وعزم ان يحارب الجرمانيين فثار عليه جنوده وقتلوه بدسيسة مكسيمينس الذي خلفه في منصة الملك سنة ٢٣٥ وسنأتي على ترجمة ساويروس باكثر تفصيل لانه سوري

اما مكسيمينس فسمي بعد ان تبوأ سرير الملك غايوس يوليوس فاروس مكسيمينس ولد في تراسه وبعد مقتل الجنود اسكندر ساويروس نادوا به ملكاً في معسكر جرمانيا واقام جنود الفيلق الذي في افريقية كورديان الاول واشترك في الملك مع ابنه كورديان الثاني فقتل مكسيمينس كليهما وفي رواية ان كورديان الاب انتحر عندما بلغه ان قائد جيش مكسيمينس ظهر على ابنه في قرطجنة واقامت الندوة حينئذ بابيان وبلبان فزحف مكسيمينس بجيوشه لمحاربتهما فقتله جنوده على اسوار اكولايا التي كان محاصراً لها سنة ٢٣٧ وعثر وديكتون على خط عدد ٢٣٩٩ في كفرلحى في حوران مؤداه ان اهل المحل المذكور اقاموا اثراً تكرمة للملك مكسيمينس وابنه مكسيموس واما بابيان وبلبان فلم يملكا الا بعض اشهر وقتلهما روساء الحرس سنة ٢٣٨ واقاموا مكانهما كورديان الثالث ابن

بنت كورديان الاول وعمره ثلاث عشرة سنة وربعت المملكة في ايامه بالراحة والامن وتزوج سنة ٢٤١ ابنة ميزيتا قائد الجيش وانتصر على الالبنين (شعب من التتر) والغطط (شعب من البربر اصله من سكنديناقية انتصروا على البندالة واقاموا نحو القرن الثالث في جنوبي روسيا وسموا استروكوت اي الغطط الشرقيين وفيزيكوت اي الغطط الغربيين بالنظر الى موقع اقامتهم في البلاد التي حلوها ويسميهم المؤرخون العرب القوط) سنة ٢٤٢ على انه قضى سنة ٢٤٣ متسمماً على ما يقال بسعي نائبه فيلبوس العربي وقد عثر ودينكتون على خط في بترا عد ١٩٠٨ مؤداه ان اهل هذه المدينة اقاموا نصباً لسلامة الملك مرقس انطونيوس كورديان في سنة ١٣٤ في تاريخ بترا يوافق سنة ٢٣٩ وقد كان ملك سنة ٢٣٨ كما رأيت وقد وجد أثر آخر لتكرمته عند ينبوع ماء في قرية عيون بحوران خط ١٩٦٨ ووجد خط في عطنى احدى قرى دمشق منبىء باقامة اثر نذراً لسلامة الملكة سابينا اغوسطا قرينة الملك كورديان (خط ٢٥٦٢ من خطوط ودينكتون)

اما فيلبس العربي هذا فسمي مرقس يوليوس فيلبس وكان مولده بصرى بلاد حوران التي كان الرومانيون جعلوها قصبة الاقليم العربي فهو سوري ان ودينكتون عند ذكره خط ١٩٠٧ الذي عثر عليه في كنيسة بصرى حاوياً اسم فرونتو وكان والياً في العربية في النصف الاول من القرن الثاني استطرد الى الكلام في تاريخ بصرى فكتب فيه فصلاً مشبعاً نلخصه هنا قال. ان صورة هذا الاسم السامية قد خطت في بعض الخطوط التي عثر دي فوكوي عليها في تدمر مطابقة لاسمها بالعربية بصرى او بصرا كما سماها ابو الفدا في تاريخه على ان البحث عما اذا كانت بصرى هذه وباصر او بصر المذكورة في الكتاب واحدة انشأ خلافاً في اقوال العلماء فذهب اوسابيوس والقديس ايرونيموس (في كلمة

باصر) ان بصرى في بلاد العرب هي باصر مدينة الالجا في شرقي الاردن في نصيب سبط رأوبين ويرد على هذا القول بان نصيب سبط رأوبين لم يكن ممتدًا الى الشمال حتى يشمل بصرى لان نصيب رأوبين كان فيه ميدبا وحشبون ونصيب جاد ومنسى لم يكونا يتجاوزان بحيرة طبرية والجولان وبصرى بعيدة عن هذه المواقع

ثم ان بصرى الوارد ذكرها في نبوة ارميا (فصل ٤٨ عد ٢٤) بقوله « قريوت وبصرة وسائر مدن ارض مواب » لا يمكن ان تكون بصرى هذه لان ارض ادوم ومواب لم تكن تمتد شمالاً حتى تدخل فيها بصرى وكذلك قل في بصرة وباصر الوارد ذكرهما في سفر المكابيين الاول (فصل ٥ عد ٢٦ وغيره) بقوله « ان كثيرين منهم قد حصروا في بصرة وباصر » لان الكتاب صرح هناك ان هاتين المدينتين كانتا في جلعاد اي في الجبال الممتدة في شرقي الاردن لا في السهول كما هي بصرى وصرح ايضاً ان يهوذا المكابي كان حليفاً وصديقاً للنبطيين فلا يأخذ مدينة تخصهم واختتم وديكتون كلامه بانه لا يظن ان بصرى كانت في ايام بني اسرائيل بل هي احدث عصرًا منهم وان اقدم مؤلف ذكرها انما هو شيشرون الذي ذكر في سنة ٥٤ ق م ان شخصاً من بصرى راسل الرومانيين وربما كان ذلك في ايام غزوة بمبايوس وان هذه المدينة بناها النبطيون وهي في حوران وانه وجد هناك خطوطاً كثيرة نبطية وكثيرًا من سكة الملوك النبطيين من نحاس وان هذه المدينة اخذها كورنيليوس بالما قائد جيش ترايان واقام فيها والي هذا الاقليم من المملكة وقد جاءها هذا الملك بابنة وسماها في بعض سكاته بصرى الحديثة الترايانية وجعلها اسكندر ساويروس جالية رومانية وكان منها الملك فيلبس المذكور وبريل اسقفها الاتي ذكره وعقد فيها المجمع الذي شهده اوريجانس كما سترى على ان كون الملك فيلبس ولد في بصرى غير مجمع عليه فربما يكون

ولد في شهبة التي حقق ودينكتون في خط ٢٠٧٢ انها فيلبيون القديمة في اللجا وقال ان فيلبس ولد فيها او في قرية اخرى من اللجا قريبة منها ولذلك جعلها مدينة وسماها باسمه وخولها حق الجاليات الرماوية ويظهر من الخط المذكور ان اباه كان يسمى مارينوس وعن الخط ٢٠٧٧ انه كان له اخ اسمه برسيكوس قد اقامه فيلبس اميرًا على جنود المشرق ولكن يظهر من خط في رومة انه كان في عهد هذا الملك رئيس للحرس يسمى برسيكوس وكان قبلاً والياً على ما بين النهرين فيحتمل ان برسيكوس اخا فيلبس سماه اخوه بعد تسنمه اريكة الملك رئيساً للحرس بعد ان كان والياً في ما بين النهرين كما يظهر من الخط ٢٠٧٧ في شهبة ويظهر من خط عثر عليه في دمر عد ٢٥٦٢ ان فيلبس كان له ابن سمي قيصر وتاريخ هذا الخط سنة ٢٤٥ وحقق ودينكتون في كلامه في الخط ٢٤٦٣ ان تاريخ بصرى يبتدي سنة ١٠٥ اذ فتح كرنيليوس بلما هذه البلاد وقرض دولة النبطيين وبقي التعامل بهذا التاريخ الى ما بعد ظهور الاسلام

وترقى فيلبس بشجاعته الى المناصب الاولى في الجندية واشتهر ببسالته في حرب الرومانيين مع الفرس وبعد مقتل كورديان في ما بين النهرين لقب عاهلاً سنة ٢٤٤ وصالح الفرس تاركاً لهم ما بين النهرين وعاد الى رومة سنة ٢٤٧ ليحتفل بمعظم الحفاوة بعيد الالف سنة لتأسيس رومة وثار بعض المزاحمين له منهم يوتيان في سودية وباكتيان في فرنسة وماريوس في ميسيا من اسيا الصغرى فارسل فيلبس داشيوس لمحاربة ماريوس فسماه جنوده ملكاً وعاد على فيلبس فقتله في فرونا (بايطاليا) سنة ٢٤٩ ويظن ان هذا الملك كان مسيحياً وكتب العالم اوب مقالة في ان الملك فيلبس كان مسيحياً وقال اوسابيوس في الكرونيكون في تاريخ سنة ٢٤٦ انه اول من صار مسيحياً من جميع الملوك الرومانيين وجاء في تاريخ دوهربخر في كلامه في القديس ايبوليطس . انه كتب رسالة او ارشادًا

الى الملكة ساويرا ويظن بصواب انها امرأة الملك فيلبس وفي هذه الرسالة على ما يظهر من فقرة منها ذكرها تاودوريطس يتكلم ايبوليطس في سر التجسد وقيامة الموتى فجاء ذلك مثبتاً ما رواه بعض القدماء ان الملك فيلبس واسرته كانوا مسيحيين . اما داشيوس فسمي ماسيوس كوينوس ترايانوس وكان ولد سنة ٢٠١ في اسيا الصغرى وصار والياً على ميسيا وارتقى المناصب في طريقة الجندية واقامه الجنود ملكاً سنة ٢٤٩ واقر الرومانيون بملكه بعد قتله الملك فيلبس واشتهر بانتصاراته على الغطط الذين كانوا دخلوا المملكة الرومانية واكثروا فيها من المضار وظل الى ان قتل في حرب اخير معهم في تراسة سنة ٢٥١ واشتهر باثارته الاضطهاد على المسيحيين وقد ابتدأ به في السنة الاولى لملكه

وخلفه غلوس وكان قائداً للجيش في ميسيا ويقال انه هو الذي غدر بالملك داشيوس وقتله في حربه مع الغطط وجعل الجنود يسمونه ملكاً في سنة ٢٥١ المذكورة واشترك في الملك معه اولاً اوسيليان بن داشيوس لكنه ما لبث ان قتله واشترك مع ابنه فوليسيان في الملك وابتاع من الغطط صلحاً مذلاً ومعيباً له وزاحمه اميليان في الملك فساق جنوده عليه فقلبوا لملكهم المجن وقتلوه في اميريا في ايطاليا ٢٥٤ وخلفه اميليان المذكور وسمي اميليوس اميليانوس وكان مولده في موريتانيا سنة ٢٠٦ ونصب والياً على ميسيا في ايام غلوس سنة ٢٥٣ فلم تقر له الندوة بالملك بل اقرت به لفالريان فانقلب عليه الجنود وقتلوه سنة ٢٥٤

اما فالريان فسمي ليشينيوس فالريانوس وكان قد ولد سنة ١٩٠ وتقلب في مناصب الجندية واقامه جيش افرنسة وجرمانيا ملكاً بعد مقتل غلوس سنة ٢٥٣ وشارك ابنه غاليان في الملك وانتصر على الغطط وعلى اذينة ملك تدمر وزحف لمحاربة سابور ملك الفرس وبعد استظهاره عليه انكسرت جنوده في جانب الرها بخيانة مكريان احد المقربين اليه سنة ٢٦٠ وارغم ان يستسلم الى سابور فاماته

بعد ان عذبه سنين عديدة وفالريان من جملة الذين اثاروا الاضطهاد على المسيحيين سنة ٢٥٧ وبعد وفاة فالريان خلفه ابنه غاليان وسمي ليشينيوس اغناطيوس غاليان وكان ولد سنة ٢٣٠ وشاركه ابوه في الملك سنة٢٥١ ولما اسر سابور اباه سنة ٢٦٠ لم يحفل بنجاة ابيه من الاسر بل صرف جهده ليقر له بالملك فاقر به كل اقليم لواليه فكان حينئذٍ ما يسميه المؤرخون حكومة الثلاثين مستبداً وحاول غاليان على ضعفه وانكبابه على ملاذه ان يخضعهم لسلطته فانتصر على انجانوس في ايليريا وعلى بسطون في افرنسة ولكن قتله احد المتآمرين عليه اذ كان محاصرًا اوروليس في ميلان سنة ٢٦٠ وقد كان الفرنك سنة ٢٥٥ حملوا على المملكة فاضطر الى مناصبتهم وان يدفع الغطط عن داشيا واما الثلاثون مستبداً المار ذكرهم فالمعروف من اسمائهم سبعة عشر ولكن سماهم المؤرخ ترابليوس يوليوس ثلاثين فاخذوا عنه تسميتهم كذلك واخضعهم الملوك على التعاقب وعند موت غاليان نادى الجنود بكلود الثاني ملكاً سنة ٢٦٨ وسمي مرقس اورليوس كلود ولقب بالغطي لانتصاره على الغطط وكان ولد في دلماسيا سنة ٢١٥ واخضع بعض المستبدين المذكورين وطرد الالمانيين من تخوم ايطاليا وظهر على الغطط سنة ٢٦٩ ثم مات بالوباء بعد ان ملك سنتين فقط ولقب بترايان الثاني لشجاعته وعدله وحلمه

وخلف كلود الثاني كنتلوس اخوه وسمي مرقس اورليوس كلود اقامه الجيش الذي كان يقوده في اكويلايا عند وفاة اخيه ولكن انقلبوا عنه عندما عرفوا بانتخاب اورليان في رومة فانتحر هو ولم يملك الا سبعة عشر يوماً

وكان كلود الثاني عين اورليان للخلافة له فخلفه سنة ٢٧٠ وسمي لوشيوس دوميسيوس اورليان وكان ولد في اسيا الصغرى سنة ٢١٢ وابوه من عامة القوم فتراقى بحذاقته في المناصب حتى سماه فالريان قنصلاً سنة ٢٥٨ واستظهر على الغطط والبندالة وغيرهم وقهر زينوبية اي زبيدة ملكة تدمر سنة٢٧٣ واخذها

اسيرة الى رومة واخضع سنة ٢٧٤ ايضاً تتريكوس الذي كان قد استبد في حكومة افرنسة سنين عديدة وقوبل بحفلة الانتصار عند عوده واستتب له الامر وجمل رومة ببعض البنايات وحط من الاموال الاميرية واجرى اصلاحات نافعة وسن شرائع محكمة الى ان غدر به احد معتقيه سنة ٢٧٥

وخلف اورليان تاسيت وسمى مرقس كلود تاسيت اجبرته الندوة على قبول الملك في سنة ٢٧٥ وعمره سبعون سنة فنجح وافلح ودفع حملات الغطط والالانيين وانتصر على الفرس وهمّ بان ينظم الجندية ولكن فاجاه غادر فقتله في نيسان سنة ٢٧٦ وكان يدعي انه من نسل تاسيت المؤرخ واقام تمثاله وتآليفه في المكاتب وبعد مقتله خلفه فلوريان وكان اخا تاسيت لامه وسمى مرقس انطيونيوس فلوريان واقرت له الندوة بالملك على انه لم يملك الا شهرين وهاج عليه جنوده فقتلوه اذ كان زاحفاً الى بروبس الذي اقامه الفيلق الذي في سورية ملكاً

ان الجنود المخيمين في سورية لما بلغهم خبر مقتل تاسيت اقاموا بروبس ملكا وسمى مرقس اورليوس فالريوس بروبس وكان قد ولد في اسيا الصغرى سنة ٢٣٢ وترقى بشجاعته في المناصب في ايام اورليان وتاسيت وبعد ان استوى على اريكة الملك دفع الصرمطيين (قوم منشأهم البلاد الواقعة بين البلتيك وبحر قزوين في جوار التتر) وامن مصر ونجى افرنسة من غزوات الجرمانيين فيها وذلل ساتورنينوس وبونوزوس وبروكولس من المستبدين المذكورين ودخل الى رومة بحفلات النصر سنة ٢٨١ وكان يشغل الجنود بالاشغال النافعة للجمهور ليقيهم سوء غائلة البطالة فجفف بعض المستنقعات وافتتح طرقات واقنية وكان يناظر بنفسه على تلك الاعمال وحسب الجنود تلك الاعمال حاطّة من قدرهم فثاروا عليه وقتلوه سنة ٢٨٢ واستحق ان يلقب بروبس اي التقي او الفاضل واجرى اصلاحات عديدة

وخلف بروبس في الملك كاروس وسمي مرقس اوريليوس كارس وكان رئيس الحرس وولي القضاء في ايام بروبس فاختاره الجنود خليفة له بعد مقتله واسترد ما بين النهرين من الفرس مع سلوقية وقطيسفون لكن عاجلته المنية في هذه المدينة سنة ٢٨٣ قال بعضهم ان صاعقة انقضت عليه وقال غيرهم ان بعض الخونة اغتاله وخلفه بعد موته كاران ونمريان ابناه اللذان كان قد سماهما قيصرين فاقتسما الملك بينهما وكان نصيب كاران ايطاليا وايليرية وافرنسة واسبانيا وافريقية وكان قاسياً لكنه شجيع فاستظهر على يوليانس الذي كان قد استبد في حكومة بنونيا وظفر اولاً على ديوكلتيان لكن تغلب ديوكلتيان عليه في ميسيا وبعد انكسار جيشه فتك به احد ذويه سنة ٢٨٥ واما نمريان اخوه فقتله ابر صهره بعد ثمانية اشهر من ملكه فقتل ديوكلتيان ابر المذكور

اما ديوكلتيان المذكور فولد في ديوكلية في دلماسيا سنة ٢٤٥ ويقال انه كان ابن رق فدخل الجندية وسمي في ايام بروبس قائداً لجيش ميسيا ثم سمي قنصلاً سنة ٢٨٣ وسماه نمريان رئيس خدمة القصر سنة ٢٨٤ وقتل بيده قاتل نمريان كما مر ونودي به ملكاً في نيكوميديا جبرًا على معارضة كاران اخي نمريان وبعد مقتل كاران استتب له الملك واستبد به الى ان شارك فيه سنة ٢٨٦ مكسيميان هرقل وامره على الجيش في المغرب فامن بريطانية التي كانت ثائرة وراى ديوكلتيان الملك فسيح الارجاء منبسطاً فعول ان يقسمه بين اربعة امراء ففي سنة ٢٩٣ سمي كالر وقسطنس قيصرين بعد ان تبناهما وزوج كالر ابنته وسمى نفسه ومكسيميان عاهلين وحفظ دوكلتيان لنفسه تراسة واسيا ومصر وجعل نيكوميدية عاصمة له وقد ذكر ودينكتون خطاً عثر عليه في تدمر ٢٦٢٦ كتب فيه لمصلحي العالم المدافعين عن النوع البشري مولينا ديوكلتيان ومكسيميان العاهلين الظافرين وقسطنس ومكسيميان (كانه لقب كالر) القيصرين الشريفين بنيت هذه القلعة بعناية

سوسيانس هيادكاتيوس الوالي ، وقد حارب ديوكلتيان الفرس وانتصر عليهم بمعاونة كالر له سنة ٢٩٤ واخذ منهم بلاد ما بين النهرين العليا واخضع مصر الثائرة عليه واراد ان يغير نظام المملكة وادخل فيها عادات الملوك الشرقيين من وضع تاج على راسه وحظره ان لا يكلمه احد الا وهو جاثٍ ولا يكلمه الا بضمير الغيبة وفصل بين المناصب الجندية والمناصب الملكية وجعل رئاسة الحرس لاربعة روساء وزاد عدد الاقاليم من سبعة وثمانين الى مئة وعشرين اقليماً وكان ديوكلتيان يأنف من الاضطهاد ومع ذلك حمله كالر على ابراز منشور سنة ٣٠٣ نهى به المسيحيين عن الاجتماعات العامة وكان يعاقب المخالفين بالموت واضغطت المشاق ديوكلتيان فاعتزل الملك سنة ٣٠٥ ومات في سالون بدلماسيا وكانت اطلال قصره فيها باقية الى القرن السادس عشر

الفصل الاول

في ماكان في سورية من الاحداث في ايام هولاء الملوك

عد ٥٤٢

في ما كان فيها من الاحداث في ايام كركلا وماكرين واليوكبل

لم نعثر الى الان على شيء من الاحداث التي كانت في سورية على عهد كركلا الا تكميله ابنية ابيه في بعلبك فهو الذي انشأ الرواق والعرصة امام هيكل المشتري على ما روى دوري في تاريخ الرومانيين عن ديون كاسيوس المعاصر لهذا الملك

اما ماكرين فكان قد شخص الى المشرق ليكت ملك الفرس الذي كان استحوذ على ما بين النهرين فلم يستطع ازاحته عن هذه البلاد بل صالحه واطلق الاسرى الذين كان قد اخذهم من جنوده ودفع اليه خمسة عشر مليوناً من الدراهم فارتضى بها ارتابان ملك الفرس وتخلى عن البلاد وذل ماكرين ايضاً لملك الارمن المسمى تريدان وردعليه امه التي كان كركلا قد سباها وتخلى له عن بعض الارضين في الكبادوك واتى ماكرين يقيم في انطاكية وكتب منها الى ذويه في رومة يقول انه لم يقم في انطاكية ليشاهد الراقصين ويسمع المغنين بل ليرد الجنود من المشرق الذي امنه الى المحال التي استوتوا منها

وكان من وغادة هذا الملك انه بعد وفاة دمنة الحمصية امرأة سبتيموس ساويروس وام كركلا نفى الى حمص اختها ميزا وبنتيها سومياس ام افيتوس باسيانوس وهو اليوكبل ومما ام اسكندر الذي صير بعد عاهلاً وسمي اسكندر ساويروس وكانت هولاء النسوة ذكيات ماكرات وكنّ على جانب كبير من

الثروة ولم يكن يذخرن المال في سبيل نيل المراتب وكانت سومياس بديعة الجمال غير ضنينة بشرفها وكان اتصال نسبهن بالاسرة الملكية معاوناً لهن على الفوز برغائبهن ولم يكن باقياً من اسرة باسيانوس كاهن هيكل حمص الا هولاء النسوة الثلاث والابنان المار ذكرهما وسومياس ومما ارملتان وكن مجاورات هيكل الشمس في حمص وكان السوريون يجلون هذا الهيكل عظيم الاجلال ويقرون له بحق الملجا بمعنى ان من لجأ اليه لم يمسسه احد بضر فاستودعن مالهن وانفسهن لهذا المعبد وارسل ماكرين بوغادته فرقة من الجنود تقيم حذاء هذا الهيكل ومفاتيحه بيد ميزا وابنتيها اللاتي تعمدن حط العاهل وتنصيب غيره واتمن اكبر الابنين وهو افيتوس كاهناً في هيكل حمص وارثاً لاسرة باسيانس وختنه عملا بعادة البلاد ومنعنه من تناول لحم الخنزير وتظاهرن بالتقوى والورع حتى وجد خط قديم يسمي « ميزا الكلية القداسة » ووجدت مسكوكات تمثل سومياس بالزهرة الكوكب المعروف ومما كانت تراسل اوريجانس الشهير على ما روى اوسابيوس (ك ٦ من تاريخه فصل ٢١) وكان لافيتوس باسيانس حينئذ من العمر اربع عشرة سنة وكان جميل المنظر يتشح ببرفير معلم بالذهب ويخرج وعلى راسه اكليل مرصع بالحجار الكريمة واذا شخص الى الهيكل ليكمل الخدم الكهنوتية شخصت الابصار اليه وتطاولت الاعناق وازدحمت الاقدام لرؤيته وكان الجنود المخيمون في جانب المدينة يأتون ويعجبون بالحبر الشاب ويجلونه وكانت العامة تسميه اليوكبل باسم معبودهم ويدعوه بعض الحشم في قصر امه ابن كركلا ووجد اسمه كذلك في احد خطوطه فما كانت هولاء النسوة يبذرنه من المال ويبدينه من المواعد حمل كل راغب في نفعه على التصديق وكانت ميزا توثر التاج الملكي على كل مال وفي حكم سومياس ان البرفير يغطي كل عيب والجنود يؤثرون نفعهم المالي على شان مملكتهم .

وهذا مثال لمّا ام اسكندر ساويروس ماخوذًا عن تمثالها في متحف اللوفر



فغي ذات ليلة اتى اليوكبل الى معسكر حمص ومن ورائه مركبات تقل اكياساً من الذهب ولم يسفر النهار الا ونودي به ملكاً وسمي مرقس اورليوس انطونينوس اليوكبل وكان ذلك في السادس عشر من ايار سنة ٢١٨ وكان اوليوس يوليانس احد الحرس الملكي في جوار حمص فاسرع مع بعض الفرسان الى المعسكر وحاول ان يفتح ابوابه فدفع وهاجم ثانية فلم ينل بغية ولما رأى جنود يوليانس ارفاقهم يرونهم من اعلى الاسوار من يسمونه ابن كركلا واكياس الذهب التي اتت بها ميزا قلبوا ظهر المجن لقائدهم وقتلوا روساهم وضموا الى جيش اليوكبل وخفقت اعلام العسكرين معاً

اما مكرين فلم يعتد لاول وهلة هذه الثورة الا حركة نساء يسر له

تخميدها دون تكلف واذ وافاه رسول من معسكر حمص قائلاً ابشر فقد آتيتك
براس اليوكبل وطرح الراس امامه فاذا هو راس يوليانس قائده فاقلقت مكرين
جسارة الثائرين عليه بارسال هذا الراس ودهش ببسالة هذا الجندي الذي احضره
ولجأ الى الوسيلة الكبرى للنجاة وهو الذهب فوعد كلا من جنوده بخمسة الاف
درهم ينقد كلاً منهم الفاً منها معجلاً بحجة انه يريد ان يمنح ابنه لقب اغوسطس
فلم ينجع بالجنود هذا السخاء الناشيء عن الخوف بل اخذ بعضهم في كل يوم
يغادرون محلاتهم ويأتون معسكر حمص وكانت فرقة في ايامبا فاتت برمتها
وانضمت الى عسكر اليوكبل حتى اصبح جيشه يطمع بالاستظهار على مكرين والتقى
الجيشان على تخوم سورية وفونيقي وكان خصي لمما اسمه كانيس امرته على جيش
اليوكبل فاخذ استحكامات حصينة للحرب وتقدمت ميزا وسومياس واليوكبل في
طلائع جيشهم ليزيدوه شجاعة فتولى الرعب مكرين وروعه الصراخ والهتاف
وخيانة بعض جنوده فانهزم تاركاً روساء الجيش في الوقيمة يدافعون عن شرف
جيشهم الى انهم لما رأوا نذالة ملكهم وسمعوا مواعيد اليوكبل بانه يبقي كلاً منهم
على مقامه وشرفه غادروا سلاحهم واستسلموا اليه فاصبح كاهن هيكل الشمس
عاهلا للرومانيين في ٨ حزيران سنة ٢١٨ ويقال ان اليوكبل بنى ذكراً لانتصاره
هذا مدينة شيتوبولي في فلسطين في محل عمواص على ما روى اوسابيوس في
الكرونيكون (في تاريخ سنة ٢٢٤)

اما مكرين فارسل مبشراً الى انطاكية بانتصاره ولدى وصوله الى ضواحيها
جز شعره وحلق لحيته وتنكر وجد مسرعاً في طريق بيزنطية واوروبا فجاوز اسيا
الصغرى ولم يعارضه احد على ان مشقة السفر واحتياجه الى المال اجبراه ان يتوقف
في احدى ضواحي خلكيدونية وكتب رقعة الى عمال الخزينة ليمده بمال فعُرف
وقبض عليه ودفع الى جنود اليوكبل الذين كانوا يتتبعون خطاه منذ فراره من

انطاكية وكان قد كاف بعض الامناء له ان يأخذوا ابنه الى الفرس الذين كان قد حالفهم حديثاً فادرك فرسان اليوكبل الشاب قبل ان يجتاز الفرات فقتلوه وبلغ الاب خبر مقتل ابنه وهو مسوق الى الظافر فطرح نفسه من مركبته فانحطمت كتفه فاكمل الجنود قتله وكان له من العمر اربع وخمسون سنة ومن الملك اربعة عشر شهراً ولا يعرف لمكرين اثر الا قوس انتصار اقامه له اهل مدينة زانا في الجري لانه كان من تلك الانحاء وعثر على خط في تلك المدينة مؤذن بذلك

ومن بعد ظفر اليوكبل هذا اتخذ لنفسه كل الالقاب الملكية دون ان ينتظر ان تقره الندوة في الملك كما كانت العادة وسافر من حمص مصحباً معه الحجر الاسود الذي كان يعبد فيها كغيره من الحجارة في مدن اخرى في المشرق واتى انطاكية واراد ان يجعل ما فيها غنيمة لجنوده فافتدى الاهلون نفوسهم واموالهم بدفعهم لكل جندي خمس مية دينار وارسل من هناك وسائل الى رومة يعد بها انه يدبر الحكم كمرقس اورليوس ويهدد كلاً من رجال الندوة اذا تشيعوا لسلالة مكرين

ودخل اليوكبل رومه متشحاً بثوب من البرفير معلماً بالذهب وبجيده عقد من جواهر كريمة ووجهه مخضب على عادة الشرقيين وميزا وبنتاها من ورائه مع غيرهن من النساء ومن اعماله في رومة انه اقام ندوة للنساء وجعل امه رئيسة لهذه الندوة التي كان من خصائصها ان تعين الازياء ومقدار الذهب والحجار الكريمة التي تتحلى بها كل امرأة بحسب حالها وكيفية زين الخيل والمركبات الى غير ذلك واما مما ام اسكندر فكانت معتزلة مهتمة بتربية ابنها وكان لهذا الملك خلاعات وفظائع تحط من شرفه وقدره على ان اخلاص الجنود له في الطاعة وبعض بواكير اعماله اكسبته هيبة وسلطة وانبسط الامن في المملكة وتهيبه الجرمانيون فلم يتخطوا حدود المملكة وكان للفرس مشاغل تصدهم عن السطو

على الرومانيين واما سكان رومة فكانوا يشمئزون من فظائع اليوكبل ويأنفون من تقديم الحجر الاسود على الهتهم وكان الملك يبني له في كل سنة هيكلاً في ضواحي رومة ينقله اليه بمعظم الاحتفاء وكان يأذن لاصحاب كل مذهب ان يصنعوا طقوس مذهبهم في هيكل الهه يهوداً كانوا او سامريين او مسيحيين ايضاً قاصداً ان يعرف كهنة اليوكبل سر كل مذهب وزاد على ذلك انه دفع اعظم مناصب المملكة الى سفلة القوم

اما ميزا جدته فكانت ترى عاقبة تصرفه وخيمة تعود عليه بالوبال فحملته على العزم بان يسمي اسكندر ابن خالته قيصر ويتخذه ابناً له فيعاونه في اعياده وفي خدمة الالهة وتدبير المملكة ولم يكن لاسكندر حينئذٍ من العمر الا اثنتا عشرة سنة لكنه كان ذكياً لين العريكة طلق الوجه حزوماً حتى كانت جدته وامه تتوقعان منه نجاح اسرتهما واقامت له امه مؤدبين يلزمونه دائماً ويصونونه من كل فساد ورذيلة واكثرت من عطاياها وهداياها الى الحرس فمال الجمهور اليه وسخط عليه اليوكبل واخذ يبحث عن ذريعة يهلكه بها وكانت مما يقظة على سلامته تمنعه من كل طعام ارسله الملك اليه واقامت له خداماً تثق بخلوصهم فاشاع يوماً ما سنة ٢٢٠ خبر موت اسكندر ليعلم ما يعمله الجنود اذا قتله وعرفوا ان الخبر غير صادق فصاحوا طالبين ان يروه واستدعوا الحرس الذين كانوا يرسلونه كل يوم الى القصر واقاموا في معسكرهم مهددين فاضطر اليوكبل تخميداً لثورتهم ان يمضي مع اسكندر ليروه وتبعتهما امه ومما ام اسكندر تمير كل منهما الجنود على واحد منهما فعلا الهتاف واتصل الحشد الى العراك فقتل الجنود اصدقاء اليوكبل ووزراءه وسومياس امه نفسها واضطر اليوكبل ان يختفي في مرحاض المعسكر فقتل هناك وجرت جثته في الاسواق ثم طرحت في نهر التيبر والحقوا به الهه اي الحجر الاسود وكان ذلك في ١١ اذار سنة ٢٢٢ ونادى الجيش بابن خالته اسكندر ملكاً وسمي مرقس

اورليوس اسكندر وزاد الجنود عليه اسم ساويروس ذكرًا لمن كان بعضهم يظنه جدًا له فكان هذا الملك الشهير من سورية ايضاً انتهى ملخصاً عن فيكتور دوري في تاريخ الرومانيين عن ديون كاسيوس وهروديان وغيرهما ومن الآثار الخط الذي عثر عليه ودينكتون في قنوات بحوران عد ٢٣٣٢ مؤذن باقامة اثر لسلامة الملك اليوكبل وجدته يولية ميزا وقال ودينكتون ان اسم ميزا كتب غالباً في الآثار مع اسم اليوكبل حفيدها

واليك مثالا للملك اليوكبل ماخوذًا عن احد متاحف افرنسة



﴿ عد ٥٤٣ ﴾

❊ في ما كان من الاحداث في ايام اسكندر ساويروس ❊

قلّ ما كان من الاحداث في سورية في عهد هذا الملك على انا نطيل الكلام فيه لانه سوري ونرى السوريين دبروا شؤون المملكة في ذلك العصر نيفاً واربعين سنة متتالية فكل ضليع بالتاريخ يعلم ما كان لدمنه ابنة كاهن حمص عقيلة الملك سبتيموس ساويروس من الكلمة النافذة بل من السلطة القاطعة عند هذا الملك وما كان لها

من الاجتماعات بالفلاسفة واعيان المملكة حتى كان لها منتدى خاص لذلك وان بابينيان البيروتي واوليان الصوري او البيروتي ويوليوس بولس الصودي كانوا روساء الحرس عند هذا الملك وكان لهذا المنصب المقام الاول في المملكة بعد الملك اذ كان من خصائصه الرياسة على اخص الجنود المقربين الى الملك وحرسه والقضاء في جميع الدعاوي الجزائية والمدنية ايضاً وبعد وفاة سبتيموس ساويروس وخلافة كركلا وجيتا ابنيه له كان لامهما دمنه النفوذ الكبير في تدبير المملكة وبقي بعض الروساء المذكورين على رياسة الحرس في ايام كركلا وان نفى اليوكبل بعضهم فقد استرجع اسكندر ساويروس المنفين دون ابطاء كما ذكرنا وفي ايام اليوكبل كان تدبير المملكة بيد ميزا جدته اخت دمنه وبيد امه سومياس وخالته مما بنتي ميزا ولما استوى اسكندر على اريكة الملك كانت امه مما مدبرة له وللملك يساعدها في ذلك اوليان البيروتي رئيس الحرس واستمرت الحال على ذلك الى وفاة هذا الملك سنة ٢٣٥ وقد رأيت ان سبتيموس ساويروس ملك سنة ١٩٣ فتكون هذه المدة سنة ٤٢ تخللها مدة ملك مكرين ١٤ شهراً وفي النيف والاربعين سنة كان تدبير المملكة بيد السوريين

وكانت ميزا جدة الملك اسكندر معروفة بالحكمة والسداد وامه مما مشهورة بعلو المدارك وحسن الاداب فاقامت لابنها افقه المعلمين وافضلهم حتي قال هروديان (ك ٦ فصل ١) انه كان لهذا الملك عند استوائه على العرش كل ما يليق بملك من وزراء وحاشية وحشم لكن كان مدار تدبير المملكة موكولاً الى الاميرتين جدته وامه وصرفتا قصارى جهدهما في العود الى الخصال الممدوحة والرصانة القديمة فانتخبتا من رجال الندوة ستة عشر رجلاً ممن حنكهم الدهر وشهدت لهم العامة بالفضل والتقا منهم ديوان مشورة للملك فلم يكن امر ينفذ الا برأيهم فسر الشعب والجنود والندوة بهيئة هذه الحكومة وحظرت مما ان يدخل قصر ابنها كل من كان

معروفاً بالسفه او سؤ الخصال لتقيه التلطخ بالرذايل وركب مطية الغرور خيفة ان تسوقه الى ذلك السلطة المطلقة واراغة الشبيبة وعشرة هولاء وفي الجملة لم تأل جهدًا في جعل ابنها صالحاً للملك واستدعت اليها اوليان ابن وطنها الفقيه الشهير واقامته رئيساً على الحرس متولياً القضاء وكان هذا المنصب يجعله الثاني بعد الملك ولكن كان المقام الاول لاوليان بالنسبة الى سن الملك فلم يكن احد يقابل الملك بغير حضرته وهو كان يرفع اليه دعاوي الناس ويلقنه كيف يتصرف بها وعليه فكان اوليان مدبرًا امور الملك بجملتها فانبسطت العدالة وعم الامن والراحة وكان كل من اثقل الشعب او اعتسف او جار في القضاء لقي جزاء عمله وعوقب بما جنت يداه فلم يكن من يهضم حقه او يحكم عليه دون مرافعة دقيقة واصلح كثيرًا من الشرائع وعدل بعضها وفاز بتمام الحرية كل من عرف من الرعية بالطاعة وحسن السريرة واقام لجنة مؤلفة من اربعة عشر قنصلاً تقضي مع والي رومة في جميع الدعاوي في الاربعة عشر حياً من المدينة فكان ذلك مجلساً بلدياً لعاصمة الملك مانعاً من استبداد واليها الى غير ذلك من الرسوم العائدة لخير المملكة وتحبيب الملك الى الشعب وقد قال كاتب ترجمة هذا الملك انه كان من اقل الملوك تمسكاً بالوثنية وكانه مسيحي بما كان يبديه من حميد سجاياه وحسن ادابه والاقتصاد في عيشته وملبسه حتى كان نافعاً بمثله اكثر من نفعه بسننه وقد كتب على باب قصره ما ورد في الانجيل • لا تصنع بغيرك ما لا تريد ان يصنعه غيرك بك • وكان يمضي في كل يوم الى المحل المقامة فيه صور من كان يسميهم المحسنين الى الانسانية من امراء وفلاسفة ومنشئي ممالك او ديانة وكان يكثر المطالعة في كتاب افلاطون في الجمهورية ومقالات شيشرون في الفروض ورسائل اوراس ليقتبس منها قواعد يستسير بموجبها وكان كل سبعة ايام يمضي الى الكبيتول ويزور معابد المدينة ولم يكن يكثر من التقادم اليها بل كان يقول ان الالهة يسرون بممارسة الفضائل ولا يحتاجون الى

الذهب لكنه كان جوادًا على الفقراء واصدقائه ومن اتم فروضه من عماله وزاد الضرائب على مصنوعات البدخ وعلى صانعي الحلى الذهبيـة والفضيـة والافرية وحط من الخراج على غيرها وكان يتأوه لو امكن الغاء الاموال الاميرية برمتها ومنع المتمولين من ان يقرضوا مالهم باكثر من ثلاثة في المئـة ووضع نظاماً على الازياء وعلى ملابس الصيف والشتاء ليكتفي كل من الرعايا بما تمكنه منه حالته ولما كان هذا يشتم منه رائحة الصبوة اوقف اوليان وبولس مدبراه بعض هذه المراسيم وكان اذا اراد ان ينصب عاملا اذاع اسمه وكاف الاهلين ان يعلموه بما اذا كان من اختاره ارتكب جناية او اقدم على ما يجعله غير اهل للمنصب وان من افترى كذباً على احد هولاء يعاقب شديد العقاب ان لم يثبت شكواه بالبينة القاطعة وقد مرَّ انه وضع صورة المسيح وصورة ابراهيم بين صور الهة الوثنيين ومشاهيرهم على ان بعض المؤرخين يشكون هذا الملك بانه لم يكن شديد العزيمة قوي البـأس على ان لمبريد قال في ترجمة هذا الملك . ان الجنود سموه ساويروس اي صارماً او قاسياً لصرامته على الجنود ومما اورده من الادلة على ذلك ان الشعب كانوا عند ممر الجنود في الاسواق يتراكضون لرؤيتهم لتهيبهم الجنود كانهم رجال الندوة ومما قاله ان احد رجال الندوة اتى يوماً يحيي الملك وهو في الاسطبل فصاح به بقول شيشرون في كاتلينا . يا للزمان ويا لسؤ الخصال ايحيي أو ياتي الى الندوة . ومن الآثار الدالة عليه في سورية الخط ٢١١٤ الذي عثر عليه ودينكتون في العيت في البثنية وقد كتب فيه . في سنة ١٣ لاسكندر ساويروس بني ادوروس وفاروس هذا الصرح وكان الوالي اركايتوس . ومن التاريخ بسني الملك كسائر خطوط البثنية وحوران في القرن الثاني وبعض الثالث يظهر ان تاريخ بصرى لم يكن استعماله حينئذٍ عاماً

وحصلت بعض ثورات في ما بين النهرين وفي المغرب فتداركها بحكمة ومن

هولاء ثائر في رومة استدعاه الملك واخذه الى الندوة واشغله باعمال فيها ثم الى المعسكر وعهد اليه باشغال اخرى فلم تمض ايام حتى اعياه التعب واضرب عما كان يرغب فيه وسال الملك ان يعود الى بيته ليعيش مستريحاً غفلا واتى سورية لمحاربة الفرس الساسانيين وكانت امه ممامعه واختلفت الروايات في ماكانت نتيجة الحرب فمن قائل ان الحرب كانت سجالاً فلم يظفر احد الفريقين بالاخر حق الظفر والظاهر من خطبته في الندوة في ٢٥ ايلول سنة ٢٣٣ انه انتصر على الفرس واخذ منهم ثلاث مئة فيل وقتل ميئتي فيل واتى الى رومة بثمانية عشر فيلاً منها وانه استظهر على مئة وعشرين الف فارس وقتل عشرة الاف منهم واخذ كثيرين من الاسرى وباعهم وانه استرد كل البلاد الواقعة بين النهرين وانه هزم ارتحشستا ملكهم الى اخر ما ذكره في خطابه من اخبار ظفره الذي عيد الرومانيون له في اليوم التالي واقاموا الملاعب

وثار الجرمانيون وقطعوا الطريق المودية الى افرنسة وتهددوا المملكة بالحملة عليها ففي سنة ٢٣٤ سار بجيشه الى افرنسة تصحبه امه وخيم في مينس على الران وعنى اولاً بان يتنكب الحرب ويسترضي الثائرين بمال وهدايا فعز على الجنود الرومانيين ان يعطي غيرهم هذا المال وكان من قوادهم رجل اسمه مكسيمينوس من تراسة حمل الجنود على الانقلاب على الملك عائثاً بينهم بان مدة ملكه طالت وانه استفرغ خزينته في نفقات الحرب الاخيرة وان امه البخيلة لا تترك مفتاح ما بقي من المال فاتى الجنود اليه ذات يوم البرنير الملكي وساروا به متدججين بسلاحهم نحو محلة الملك فامر الحرس بالقبض عليهم ثم اضرب عن ذلك وقال دعوهم يدخلوا فدخلوا وفتكوا به وبامه في ١٩ اذار سنة ٢٣٥

فملك اسكندر ١٣ سنة ولكن لم يبلغ من العمر الا ستاً وعشرين واعتباره للمسيح وابراهيم ومراسلات امه واوريجانس وقت اليهود والمسيحيين في ايامه من

كل اضطهاد وكان خصام في ايامه بين كنيسة رومة وبين بعض الخمّادين على ارض فقضى للمسيحيين بها قائلاً الاولى ان تكون هذه الارض محلاً للصلوة من ان تكون محلاً للدعارة وقال لمبريد انه عزم ان يبني هيكلاً للمسيح ليقيمه في مصاف الالهة فصرفه عن عزمه الكهنة عالمين ان ذلك يؤول الى هجر باقي المعابد وزعم بعضهم ان امه مماكانت مسيحية وانكر ذلك غيرهم وقالوا بل كانت هائمة فقط بان تقف على اسرار هذا الدين الحديث كما كان ابنها وكثيرون في ذلك العصر انتهى ملخصاً عن تاريخ فيكتور دوري عن ديون ولمبريد وغيرهم من المعاصرين لهذا الملك او القريبين من عصره

دونك مثالاً للعاهل اسكندر ساويروس ماخوذاً عن تمثاله في متحف الواتيكان



عد ٥٤٤

استحواذ سابور ملك الفرس على سورية وانتصار اذينة امير تدمر عليه في ايام فالريان

ان سابور الاول ملك الفرس هو ابن ارتحشستا الاول تسنم اريكة الملك سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧١ وقد استحوذ اولاً على ما بين النهرين سنة ٢٤٢ الى ان ظهر عليه كرديان ملك الرومانيين على انه ارسل بعض اعوانه فقتل كسرى ملك ارمينية وعاد الى محاربة الرومانيين في ايام فالريان الملك فاسترد ما بين النهرين واستمر الرومانيون في مدينة الرها يصدون الفرس عن التقدم الى اسيا الصغرى وسورية واتى فالريان الى انطاكية وسار بجيشه الى الرها التي كان الفرس يحاصرونها فوجد ان الوباء اتلف كثيرين من جنوده واستظهر عليه سابور في وقعة فعمد الى طلب الصلح وابى سابور مقابلة رسله طالباً ان يشافها فاغتر فالريان ووافاه بقليل من الجند فقبض عليه فرسان سابور في طريقه واشخصوه الى ملكهم اسيراً سنة ٢٦٠ واقام فالريان في اسره ست سنين يقاسي مر التبريح والتذليل هذا ما رواه زوزيموس (ك ١ فصل ٣) وعن زونارا (ك ١٢ فصل ٢٢) انه اسر في اثر وقعة دارت بها عليه الدوائر وثار جنوده عليه فاستسلم الى سابور فاذله حتى كان يطاء على ظهره ليتسلق على جواده ثم اماته مسلوخاً . وبعد ان قبض سابور على فالريان زحف الى سورية ففتح انطاكية وانتهبها جنوده وعم الرعب باقي الاعمال فدانت له وقال بعضهم ان حمص وقاها الهها من فظائع جنود سابور وهذا محمول اما على انه لم يطرق حمص الا شرذمة من الجنود الذين كان معظمهم في الشمال اما على ان سابور احترم هيكل حمص سياسة لاجلال السوريين له . ثم انصرف سابور الى اسيا الصغرى فافتتح كيليكية واخذ قيصرية عاصمة الكبادوك وغيرها

وبعد انصراف سابور عن سورية جمع مرقيان نائب الملك فالريان وباليستا الذي كان رئيس الحرس الملكي من بقي من جيش الرها وتحصنا في سميساط ومضى

باليستا الى قبرس فالب بعض الجنود واركبهم بعض السفن وكان يشن الغارة بهم على سواحل كيليكية ظافرًا على ان المعين الاقوى للرومانيين اتاهم من حيث لم يكونوا يتوقعونه فقد كان التدمريون في حاجة كبرى الى مصادقة سابور لرواج تجارتهم فارسلوا اليه عند استحواذه على سورية وفودًا وهدايا نفيسة راغبين في موالاته فالقى سابور الهدايا في النهر ومزق الرسالة التي دفعها الوفد اليه وقال انه لا يريد موالاة بل خضوعاً مطلقاً لسلطته وكان امير تدمر حينئذٍ سبتيموس اذينة الذي مر ذكره فاستشاط من معاملة سابور لوفده وبث بين قومه ان الحرب ضربة لازب لاصلاح شانهم والحام ثلمة شرفهم واستدعى شيوخ العرب وذكرهم بتخريب سابور عطره مدينتهم وافصح لهم في بيان ضياع حريتهم وثروتهم ان قوي سابور على تقلص سلطة الرومانيين عن سورية وللعرب مزيتان التشبث بالدين والنخوة فالبوه وتألبوا اليه وتضافروا على حرب الفرس وكان في تدمر حامية رومانية فضمها اذينة الى رجاله والى جيش العرب ولحق بهم كل من فر من سورية حتى كان لاذينة جيش عرمرم زحف به نحو معسكر الفرس من جهة الجنوب وكان باليستا ومن بقي من حامية الرها يضايقون الفرس من جهة الشمال فوجس سابور وسار بجيشه نحو الفرات تاركاً وراءه حاميات ابادها اذينة بجحافله وبلغ جيش الفرس الفرات فقطع الطريق عليه جيش روماني معسكر في الرها فارغم الفرس ان يبتاعوا ممرهم بكل ما غنموه من سورية من ذهب وفضة ونفائس وكان اذينة مجدًا في لحاق الفرس والرجال من بدو وحضر يزدحمون اليه من كل فج رغبة في الغنيمة والفتك بالاعداء الى ان ضم باليستا اليه وسولت له نفسه ان يسترد ما بين النهرين فنال ما امل وتتبع اثار ترايان وسبتيموس ساويروس الى تطيسفون حيث كانت له وقعة مع الفرس استحوذ بها على جانب من خزائن سابور وسبى بعض حرمه على انه لم يستطع ان ينقذ فاليريان من الاسر لكنه اسر كثيرين من ولاة

الفرس وارسلهم الى رومة فسر بهم كاليان الذي كان متناسياً اباه واقام حفلات لهذا الظفر اجرى فيها معظم الاحتفاء به

وعاد اذينة من هذه الغزوة اعظم من ان يبقى اميرًا فسماه قومه والعرب ملكاً وسماه كاليان غازياً ورئيس الجيش الملكي في تلك الانحاء بغية ان يستمر خادماً نصوحاً نافعاً له وكان ذلك في اوائل سنة ٢٦٢ وبعد ان قام بعبء خدمات لدولته اقر له بلقب اغوسطوس هذا ما رواه بعض المؤرخين على ان دي فوكوى (في كتابه في الخطوط السامية صفحة ٢٩ وما يليها) ابان ان تسمية اذينة اغوسطوس انكرها كثيرون وهي مخالفة لنص الآثار وان الراجح ان العاهل الروماني سمى ملك تدمر امبراطورًا اي غازياً وقال ودينكتون (في كتابه في الخطوط السورية) ان كتاب تدمر لم يكونوا يحفلون بالتدقيق في ترجمة كلمات المناصب الرومانية ومن هذا القبيل تسميتهم زينب (زبيدة) في احد الخطوط اغوسطا بما انها كانت ارملة ملك سمي اغوسطوس وقد قضى اذينة هذا الثاني بهذا الاسم سنة ٢٦٦ او سنة ٢٦٧ على ما روى دي فوكوى في المحل المذكور طالع ما ذكرناه في عد ٥٢٨

﴿ عد ٥٤٥ ﴾

﴿ في زينب (زبيدة) ملكة تدمر ومحاربة اورليان لها ﴾

ان زينب او زبيدة كانت تدعي اتصال نسبها بالبطالسة ملوك مصر وانها من سلالة قلوبطرة وهي بنت امير عربي متوطن في مابين النهرين وقد عثر ودينكتون على خط في تدمر وهو ٢٥٩٨ من خطوطه كتب فيه على عمود اسم زينوبيوس وتجاهه عمود اخر كتب عليه اسم زينوبية فظهر ان العمودين اقيما تذكرة لهما وان اسم ابيها زنوبيوس ويقال انها كانت بديعة الجمال ذات عفة فان تطلبها المعالي والمجد اغفلها الملاذ البدنية وكانت تفقه جميع اللغات التي يتكلم بها اهل تدمر واثينا الى

غيرها من اللغات حتى اللاتينية وقال بعضهم انها الفت تاريخاً موجزاً لاسكندر والمشرق وكانت مولعة بمطالعة كتب اوميروس وافلاطون وكانت تباحث لنجين الفيلسوف في مباحث الفلسفة والفصاحة وتفاوض بولس السميساطي بطريرك انطاكية في المباحث اللاهوتية وقد تزوجت باذينة ملك تدمر المار ذكره وشاركته في ملكه وكانت مرافقة له في صيده وحربه وقهرت الفرس معه وحاولت ان تتولى مصر من دونه وقد شكاها بعضهم بانها مالأت على قتله وتلك تهمة لم يقم الشاكون عليها دليلاً بل تخالف الواقع فان اذينة قتله ابن اخيه مونيوس ليأخذ ملكه لا ليدفعه الى الملكة ومما ذكره زونارا ١ ك ١٢ فصل ٢٤) في ذلك ان مونيوس خرج يوماً مع عمه الملك الى الصيد ولما ابصرا قنيصاً رماه مونيوس بسهامه قبل الملك فقتله وكان ذلك يخالف احترامهم للملوك فانتهره الملك على ان رغبته في كسب الشهرة بالقنص حرمته الفطنة فلم يرعَ حرمة الملك بل عاود رمي سهامه قبله ولما كانت الاهانة مشتهرة لم يغض الملك عليها وانزله عن جواده وكان ذلك بمثابة حطه عن منصبه فحملت الشاب حدة الصباء أن يهدد الملك فالقاه في السجن ثم عفا عنه واكمن مونيوس الضغينة على الملك وتآمر عليه مع بعض الاشقياء الى ان فتك به وبابنه هيروديس في حفلة فلم يكن لزينب مدخل بهذه الفعلة بل اثارت الجنود على الغادرين وبعثهم على تسمية ابنها وهبلات ملكاً وتسمية ابنيها الاخرين قيصرين وعرضتهم على الشعب والجنود متشحين بالبرفير الروماني وحفظت انفسها حقيقة تدبير الملك مسماة ملكة وفي عرف التدمريين اغوسطا وكان يلذ لزينب ذكر فلوبطرة فتأتي بذكرها متواتراً وكانت اشبه بها في جمالها واقتدارها لكنها لم تضارعها في ابدآء بسالة الرجال في اخر ايامها فان فلوبطرة اثرت موتها على استسلامها الى خصمها وزينب تحملت اسر اورليان لها صاغرة وكانت هيئة حكومتها اشبه بهيئة الملوك الرومانيين فكانت تركب جوادها وتشمر عن ساعديها والخوذة براسها

وتخطب في جنودها بصوت جهير وتكر معهم تارة على جواد وطوراً مترجلة وقد نطق اورليان بالحق اذ قال فيها ، ان من يقولون اني انتصرت على امرأة لا يعلمون من كانت تلك المرأة ولا ما احكمها في آرائها واثبتها في احكامها وابسلها مع جنودها ولا ما احلمها واقساها بحسب ما تقتضيه ظروف احوالها فلولاها ما انتصر اذينة على الفرس ولم ينكف العرب والسراكسة والارمن عن اثارة الفتنة الاخيفة من بسالتها (رواه تريبليوس بوليون)

وقد عزمت زينب ان تضم الى ملكها مصر واسيا الصغرى فارسلت الى مصر جيشاً استحوذ على الاسكندرية وقد رغب اهل اسيا الصغرى الانضواء الى ولايتها ولم يأبها الا اهل بيتينيا فكان ذلك وبالاً عليها فان بيتينيا المجاورة للبسفور كانت ممراً للجنود من اوروبا الى اسيا فاستمرت هذه الطريق مفتوحة لاورليان وعن زوزيموس المؤرخ ان جيش زينب المرسل الى مصر كان سبعين الف رجل وانهم استحوذوا على هذه البلاد كلها ولا اقل من استيلائهم على الاعمال الشمالية منها وارسلت حكومة رومة جيشاً الى المشرق يقوده رجل اسمه بروبس فنزل في مصر السفلى وضم الى جنوده بعض المتطوعين وضرب جنود زينب فانتصروا عليه عند منف وقبضوا عليه فانتحر وظلت زينب تلي مصر السفلى وقد وجدت نقود مضروبة في الاسكندرية وعليها راسا اورليان وابن زينب كانهما قرينان في الولاية وآخر ما وجد منها مؤرخاً في السنة السابعة لوهبلات يظهر منه ان هذه الحال دامت الى سنة ٢٧٢

وفي ربيع السنة المذكورة زايل اورليان ايطاليا يصحبه جيش جرار لاصلاح شؤون اسيا وبلغ الى بيتينيا فقبله اهلها بالترحاب بمنزلة منقذ ثم توغل في البلاد الى كيليكية وبلغ انطاكية وكانت زينب هناك مع فريق من فرسانها واضطرمت نار الوغى بين الجيشين فافتتح جيش الرومانيين انطاكية فتقهقر التدمريون نحو كاشس

وهي قنسرين مدينة في الجنوب الغربي من انطاكية وخاف كثير من سكان انطاكية ان يعاملهم اورليان معاملة المتشيعين للملكةزينب فلحقوا بعسكرها فارسل الملك منادياً يؤمنهم على حياتهم واموالهم فعاد اكثرهم الى مواطنهم

وبعد ان دبر اورليان شؤون انطاكية جد في لحاق الاعداء فادرك ساقتهم (اي الخفر الاخير منهم) على مقربة من قنسرين فازاحهم عن راية كانوا عليها وسار التدمريون لا يلوون على محل الى اسوار حمص والبّت زينب هناك سبعين الف رجل واقامتهم في حصون وامامهم سهل فسيح يتسع به المجال للفرسان واتقدت نار الحرب بين الجيشين يدافع فيها الرومانيون عن مجدهم القديم والتدمريون عن مجدهم الحديث وكان اورليان وجساً لاول وهلة لانقراض اكثر فرسانه فحمل حملة شديدة على قلب جيش التدمريين فزحزحه من مواقفه واستبشر بالظفر لكنه خسر خسائر كبيرة حتى لم يستطع لحاق العدو ولدى حمي الوطيس في معمعان القتال نذر ان يبني هيكلاً للشمس وهي كانت اعظم معبودات التدمريين وحكى بعض المؤرخين الوثنيين انهم راوا الاله يبني بجمع صفوف الجند المتشتةدلالة على ان هذا المعبود ترك شعبه وقد كثرت مثل هذه الحكايات في تواريخهم

واما زينب فعقدت لجنة مشورة مع قادة جيشها في حمص فاجمعوا على الانصراف الى تدمر واهمين انه يعسر على الجيش الروماني اجتياز بلاد العطش متعرضاً لمقاومة الرحل له في طريقه ولكن خاب ظنهم فان الجيش الروماني سار في أثرهم الى عاصمة البرية التي كانت محصنة بخليج واسوار تتراكم عليها الات الحرب حتى لم يكن اورليان يحسب ان اعداءه يدافعون هذا الدفاع الشديد فكتب الى زينب رسالة هذه ترجمتها ٠ من اورليان عاهل العالم الروماني وغازي المشرق الى زينب ومن يلوذ بها انه كان يلزمكم ان تصنعوا من انفسكم ما انا امر به برسالتي هذه وامري لكم ان تستسلموا اليَّ وانا اعدكم بانني ابقيكم احياء واما انت يا زينب

فتنزلين مع اسرتك الى المحل الذي اعينه لك بعد مشورة رجال الندوة وتخلين الى خزينة رومة عما تملكينه من نفائس وذهب وفضة وحرير وخيل وجمال وتبقى للتدمريين حقوقهم سالمة » (ذكر هذه الرسالة فوبيسكوس في ترجمة اوردليان فصل ٢٦)

فاجابته زينب بما ترجمته «من زينب ملكة المشرق الى اوردليان اغوسطس لم يجسر احد ان يطلب ما طلبته برسالتك والحرب تقضي بيني وبينك في كل شيء فانت تريد ان استسلم اليك وكانك جاهل ان الملكة قلوبطرة اثرت الموت على ان يمن عليها ملك بالحياة واني اتوقع نجدة الفرس لي دون ابطاء وقد لاذ بي السراكسة والارمن واذا كان لصوص سورية انزلوا الوبال بجنودك فما تكون حالك يا اورليان اذا وافانا المدد الذي ننتظره من كل فج فلا جرم انك تستبدل حينئذ لهجة الصلف هذه التي بها تطلب خضوعي لك كان جنودك منتصرون في كل محل » (روى فوبيسكون هذه الرسالة في المحل المذكور فصل ٢٧)

ولم يبقَ بعد هذه الرسائل المهيجة الا اما افتتاح المدينة عنوة اما التضيق عليها ليستسلم اهلها لجوعهم فاحاط الجيش الروماني بالمدينة وكانت زينب تعتمد على الفرس وتتوقع انجادهم لها على ان هولاء كانوا في اسوأ حال من جري الاختلافات الاهلية بينهم حتى بدلوا في ثلاث سنوات ثلاثة ملوك واما العرب والسراكسة والارمن فتولاهم الرعب او رشاهم الرومانيون ليكفوا عن نجدة زينب فبقيت وحدها لا منجد لها من محالفيها وقد رأت ان الاقوات غير كافية لقومها مدة طويلة فيهلكون جوعاً فعزمت ان تفر الى بلاد فارس آملة ان تستحثهم على ارسال نجدة تعود بها لمعاونة جنودها الذين كانت ترجو ثباتهم زماناً فركبت الهجين مجدة في سيرها ولكن ادركها الفرسان الرومانيون عند الفرات فقبضوا عليها وبلغ الخبر الى تدمر فاوقع البلبال بين جنودها ورام بعضهم ان يواصل

الدفاع ويئس الاكثرون وتركوا سلاحهم وفتحوا ابواب المدينة فلم يغير اورليان شيئاً من الشروط التي كان عرضها عليهم وعامل الاهلين بالحلم والرقة وترك لهم حقوقهم واكتفى بان يأخذ خزينة زينب

وعاد اورليان الى حمص واقام محكمة للحكم على زينب ووزرائها ولدى سؤالها كيف جسرت ان تزري بعظمة الملوك الرومانيين اجابت اقر لك بانك عاهل روماني لانك تعلم ان تغلب وتقهر ولم يكن كاليان وغيره كذلك ولا يخفى ما في كلامها من التملق له وهي صادقة بتفضيله على سواه وقال بعضهم انها القت مسئولية الحرب على مستشاريها وتلك تهمة او حيلة اصطنعها اورليان ليعفو عن الملكة ويقتل بعض خدامها فقضي القضاة بقصر الجناية على اولئك الخدام فصدر الامر بقتلهم وكان بينهم لنجين وزيرها الفيلسوف الاتي ذكره وقد تقدم الى العقاب غير مضطرب ولا وجل وكان ذلك سنة ٢٧٣ واما زينب فارسلها اورليان الى رومة وعند الاحتفاء بانتصاره بدت مغلولة بقيود من ذهب واقامها في حديقة بديعة في تيفولي حيث ادركتها المنية وعن اوسابيوس في الكرونيكون انه كان في رومة في ايامه اسرة تسمى زينوبيا نسبة اليها • وينسب الى هذه الملكة آثار كثيرة في سورية ولبنان من جسور واقنية ماء وغيرها ولا يظهر ان مدة ملكها الوجيزة كانت كافية لانشأ مثل هذه الاثار • وروى بعض المؤرخين العرب انه بعض انقراض دونة زينب تولى قبائل العرب بعض ملوك او ولاة من ذرية امير اسمه ملك وذكر ودينكتون انه وجد في قرية في البثنية خطاً دالاً على اقامة العرب الرحل اثراً لادريان سعيد ملك خط ٢١٩٦ فكأن الجد سمي ادريان باسم الملك ادريان لانه كان في ايامه

ودونك مثالاً لزينب ماخوذاً عن تمثال لها في متحف الواتيكان



وقد كان اورليان ترك سورية عائداً الى رومة مطمئناً لكنه لم يبلغ تراسة الا وبلغه الخبر بان التدمريين ثاروا على حامية الرومانيين وقتلوهم واقاموا رجلاً اسمه انطيوكس ملكاً فارسل اورليان اليهم جيشاً وعن ممسن (في تاريخ الرومانيين) ان اورليان عاد اليهم هو بنفسه وقد وجد وديكتون في تدمر خطاً وهو ٢٥٨٥ من خطوطه يتبين منه ان انيساوس بعث التدمريين بعد اسر زينب على الثورة وتمليك انطيوكس ووجد ذكر انطيوكس هذا ايضاً في خط ٢٦٢٩ ويوصف بانه نسيب زينب ولم تبلغ الينا اخبار حملة اورليان هذه ولكن علمنا من احدى رسائله الى قائد اسمه شيونيوس باسوس ان الجنود فتكوا بالتدمريين فتكاً ذريعاً لانه يقول له لا يلزم ان يواصل الجنود العمل بسيوفهم فقد قتلوا كثيرين من التدمريين

فلم نشفق على امهات وقد قتلنا الاطفال وذبحنا الشيوخ وابدنا سكان القرى فالى من نترك البلاد ومن يسكن المدينة فيلزم استحياء العدد اليسير الذي بقي من السكان وقد اتعظوا بما اصابهم من العذاب واريد ان يجدد هيكل الشمس الذي انتهبه الجنود وعندك من خزينة زينب ثلث مئة ليبرا ذهب والف وثماني مئة ليبرا فضة من املاك التدمريين وعندك الجوهرات الملكية فاصرف كل هذه الاموال في زينة الهيكل فتصنع بذلك ما يرضي الاله ويرضيني وسا كتب الى الندوة لترسل حبرًا يدشن الهيكل ولم تنهض تدمر من خرابها الى هذا اليوم ومن الآثار في بلادنا لهذا الملك ما جاء في الخط ٢١٣٧ الذي نسخه ودينكتون عن حجر في قرية شقه (في البثنية) كتب فيه • ذوتيسيوس الى اورليان التقي السعيد اغوسطوس الجرماني العظيم (يريدون قاهر الجرمانيين) العطي العظيم ابي الوطن الملك القدير الحليم الظافر بالالمانيين ، وهذا مثال لاورليان الملك ماخوذًا عن تمثال له في متحف الواتيكان



عد ٥٤٦

في ملوك بني غسان في دمشق وما يليها

رأينا قبل الكلام في ملوك بني غسان في سورية ان نمهد له توفيراً للفائدة وبياناً لاصل هولاء ليعلم القاري من اية طبقة من العرب كانوا اجمع المؤرخون على قسمة العرب الى ثلاث طبقات العرب البائدة اي من باد ذكرهم الاخمس قبائل او ثلاث ذكرهم المؤرخون وهن عاد وثمود وطسم وحديس وجرهم فعاد هو ابن عوص بن ارام بن سام بن نوح وثمود بن عابر بن ارام بن نوح وطسم هو ابن لود بن ارام بن سام بن نوح وحديس هو ابن عابر اخو ثمود وجرهم ابنه ولم يذكر ابو الفداء من اباء العرب البائدة الا عاد وثمود وجرهم وذكر ابراهيم الحاقلي (في تاريخ العرب صفحة ١٥٠) اربع قبائل فقط وهن عاد وثمود وطسم وحديس وكانت مواطنهم في اليمامة في بلاد العرب الى ان انقرضوا وبادوا وذكر اربولوتيوس (في مكتبته الشرقية صفحة ١٢٠) علة انقراضهم وهي اما انتقام الله منهم لانه ارسل اليهم انبياء فلم يسمعوا لهم او طوفان محلي يسمونه سيل العرم (وهو نهر هناك اوسد له) كما عرض لطسم وحديس او عداوات اهلية بينهم على عادتهم وقد ذكر الجغرافي النوبي بقاء بقايا من عاد وثمود الى ايامه ووجدت قبيلة اخرى تسمى جرهم مواطنها العربية الحجرية حالفهم اسماعيل وتزوج امرأة منهم سماها الكتاب (تكوين فصل ٢١ عد ٢١) مصرية ونسبها المؤرخون المسلمون الى جرهم

واما العرب العاربة فارتأى كثير من المؤرخين ان اصلهم قحطان او يقطان بن عابر بن شالح وذكر بعض المؤرخين المسلمين ان اصلهم قحطان بن حميذة بن نبايوت بن اسماعيل بن ابراهيم كذا قال هشام بن كاب وشرف بن كتم على ما روى الحاقلي في كتابه المذكور صفحة ١٥٢ وقالوا ان قحطان هو من سماه القرآن هود وانه هو جد العرب الذين توطنوا في العربية البرية والحجرية المسمين بجرهم

واما قحطان الاخر ابن عابر فهو ابو العرب الذين يسكنون العربية السعيدة ويسمون يمنيين وهذا القول الاخير يوافق ما جاء في التوراة قال السمعاني لا اماري بانه وجد قحطان اخر ينسب الى اسماعيل ولكنه انكر ان قحطان وهودًا واحد ولا سيما لان المؤرخين العرب مجمعون ان العرب الذين اصلهم من اسماعيل او من قحطان حفيده هم غرباء عن العرب وبعدهم زمانا وهم المسمون العرب المستعربة

وقد ولد لقحطان بن عابر ثلاثة عشر ابناً هم اجداد العرب اليمنيين ومنهم سبا الذي كان جدًا لخمس فصائل من العرب اليمنيين وهن حمير وكهلان وعمرو واشعر وعاملة فحمير بكر سبا ابو الحميريين كان اصلاً لثلاث فصائل تبع وقضاعة وتسمى قضاعة وشعبان اما كهلان بن سبا الثاني فكان من ولده ازد وطي ومزحج وهمدان وكندة وازد ولد عمرًا والاوس والخزرج وخزاعة واربعة بنين اخرين ومن ولد عمرو بن ازد فصيلة غسان التي ظعنت من اليمن الى سورية في القرن الثاني للميلاد على ما يظن ونزلوا على ماء في الشام يسمى غسان نسبوا اليه ولذلك قال حسان ابن ثابت الانصاري

اما سالت فانا معشر نجب ، الازد نسبتنا والماء غسان ،

وظعن مع بني غسان بنو عاملة بن سبا مع سبعة احياء اخرى وتوطنوا في دمشق ونواحيها واقام بنو عاملة في جبل هناك يسمى الى الان بجبل عاملة واما العرب المستعربة فجدهم اسماعيل بن ابرهيم من امرأته هاجر وولد له بنون منهم بنت الذي يسميه الكتاب نبايوت جد النباطيين وقيدار الذي ذكره المؤرخون المسلمون وقد ورد في الكتاب مرات اسم قيدار ونبايوت وغيرهما من ولد اسماعيل وقد كان العرب بنو غسان الذين كلامنا فيهم مسيحيين (ملخص عن السمعاني في المكتبة الشرقية المجلد الرابع في مقالته في السريان الناطرة الصفحة ٥٧٠)

يظهر ان بلوغ بني غسان الى الشام كان في القرن الثاني للميلاد او بدء

القرن الثالث فان ودينكتون في كلامه في خط ٢٣٩٣ الذي عثر عليه في دير اللبن في حوران حيث ذكر بني ازد قال ان هولاء تركوا اليمن وانتجعوا سورية نحو سنة ٢٠٥ وكان رئيسهم جفنة والاوس وغيرهم ثم عاد بعضهم نحو سنة ٣٠٠ الى الحجاز وبقي الآخرون في سورية وهم المعروفون في التاريخ ببني غسان انتهى كلام ودينكتون ملخصاً وكان قبل غسان في سورية عرب يقال لهم الضجاعمة من بني سليح من بطون نذار وعدنان فاخرجوهم عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم وسمي قومهم روساءهم ملوكاً وكانوا عمالاً للملوك الرومانيين في دمشق والجولان والبلقا وعن ابي الفدا في تاريخه ان ابتداء ملكهم كان قبل الاسلام بما يزيد عن اربع مئة سنة وقيل اكثر من ذلك وعن ابن خلدون عن ابن سعيد عن صاحب تواريخ الامم ان جميع ملوك بني غسان اثنان وثلاثون ملكاً ومدتهم ستماية سنة وقد استمر ملكهم الى ايام خلافة عمر بن الخطاب وقالوا ان اول ملك عليهم كان يسمى جفنة بن عمر بن ثعلبة وعن ابي الفدا وغيره انه بني بالشام عدة مصانع (اي قرى وقصور وحصون) الى ان يقول انه خلفه ابنه عمرو وبنى بالشام عدة ديورة منها دير حالي ودير ايوب ودير هند وملك بعده ابنه ثعلبة وبني صرح الغدير في اطراف حوران ثم ملك الحارث ثم جبلة ابنه ثم الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقا فبنى بها الحفير ومصنعه اي قصره وكانت امه تسمى مارية ذات القرطين وكان يضرب بقرطيها المثل في التنافس وفيها وفيهم يقول حسان بن ثابت الانصاري

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الاول

اولاد جفنة حول قبر ابيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

والحارث هذا هو ابو المنذر الاكبر والنعمان وجبلة والايهم وعمر الذين تتابعوا على الملك بعده الى ان ملك جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر وهو الذي

احرق الحيرة فسموا ولده ال محرق ويقال ان اخاه النعمان الاصغر خلفه وانه تملك بعده النعمان بن عمر بن المنذر وهو الذي قال فيه

علي لعمر نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وبني النعمان قصراً يسمى قصر السويداء واخر يسمى قصر حارب ولا يمكن التوصل الى معرفة السنين التي ملك فيها كل من ملوك غسان وقد ذكر بعضهم شيئاً من ذلك ولكن لا يمكن القطع به وقد عثر ودينكتون على خط يوناني في قرية من قرى البثنية وهو ٢١١٠ بين خطوطه كتب فيه « بنى فلافيوس ألبانوس وابنه ألبانوس هذا الصرح من اسهِ الى اعلاه في ايام المنذر البطريق سنة ٤٧٣ » لتاريخ بصرى تبتدي هذه السنة في ٢٢ اذار سنة ٥٧٨ للميلاد وقال ودينكتون في أثر ذلك ما ملخصه ان المنذر هذا من آل غسان الذين حكموا في العرب في حوران وبرية سورية الى ظهور الاسلام وهو ابن الحارث الخامس الذي تولى على رواية كوسان دي برسفال (تاريخ العرب ك ٥ صفحة ٢٣٣) من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٧٢ وروى توافان ان الحارث هذا اتى الى القسطنطينية سنة ٥٦٣ ليقدم الى الملك يوستينانوس ابنه الذي سيخلفه في ولايته لكنه لم يذكر اسم الابن ولم نجد ذكراً للحارث بل روى ميناندر ان المنذر ابنه كان سنة ٥٦٧ ملكاً على العرب خاضعاً للملك القسطنطيني ويظهر من الخط الذي ذكرناه انه كان باقياً في ولايته سنة ٥٧٨ وقد ذكر المنذر هذا ابن العبري في تاريخه ويوحنا الافسي (في تاريخه الذي وجد عن قرب وطبع سنة ١٨٦٢) وقد لجأ بطريرك اليعاقبة ابان اضطهاد ملته الى المنذر هذا على ما روى ابن العبري ذكره السمعاني في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية في كلامه على ابن العبري . وقد حارب المنذر قابوس ملك الحيرة وظهر عليه فلم يحسن الملك يوستينوس جائزته فانقلب على الرومانيين وانقطع في البرية وترك عرب الحيرة يشنون الغارة على اقليم انطاكية ثلاث سنين ثم صالح

الرومانيين وغزا الحيرة ثانية واتفق مع موريق قائد جيش الرومانيين وحارب الفرس وانتصر عليهم وعلى العرب معاً انتصاراً بيناً بعد مبارحة موريق له (يوحنا الافسي ك ٦ فصل ٣ وما يليه) وكان ذلك في اواخر ملك يوستينوس الملك وبدي، ملك طيباريوس سنة ٥٧٨ او سنة ٥٧٩ وادركت الوفاة المنذر بعد ذلك وهو الذي كتب اسمه في خط ٢٥٦٢ من خطوط ودينكتون على برج في حوران حيث قيل ماملخصه : اقام المنذر هذا البرج وهو يشكر الله لذلك ، وخلفه الحارث السادس اخوه ومن بواكير اعماله محاربته المنذر الرابع ملك الحيرة وظهوره عليه سنة ٥٨٣ على ما روى كوسان دي برسفال (صفحة ٢٤٢) ولم يذكر المؤرخون العرب المنذر هذا بل نصوا على ان الحارث السادس خلف الحارث الخامس والخط المذكور يسد هذا الخلل ويوجب اضافة اسم المنذر هذا الى جدول ملوك غسان ولقب البطريق كان لابيه ايضاً وقد عثر على خط اخر على مقربة من بحيرة هجانة (على مسافة ست ساعات شرقاً من دمشق) انتهى كلام ودينكتون ملخصاً

وكان احد ملوك غسان في صدر الاسلام يسمى جبلة بن الايهم وهو الخامس بهذا الاسم وقد اسلم لما افتتح المسلمون الشام وهاجر الى المدينة واحسن عمر ابن الخطاب نزله واكرم وفادته حتى اذا كان يوم التطواف بالبيت وطئ رجل من بني فزارة طرف ازاره فانحل عنه فغضب جبلة ولطم الفزاري لطمة هشم انفه فشكاه الفزاري الى عمر فقال لجبلة دعه يلطمك كما لطمته فقال جبلة ايقاد في دينكم للسوقة من الملوك فقال عمر اجل وهما في الحق سواء وان ابيت ضربت عنقك فقال جبلة اذن ارجع عن دينكم وصبر الى الليل حتى اجتمع بغلمانه وخرج بهم حتى الشام ثم سار منها الى قيصر في القسطنطينية ولم يزل فيها حتى مات سنة عشرين من الهجرة (ملخص عن تاريخ ابن خلدون وتاريخ ابي الفداء) ويظهر ان

بني غسان كانوا ابدًا مخلصين في الطاعة للرومانيين فلم نعثر على خبر نفاد او حرب بينهم وبين مواليهم . الا ما رويناه عن المنذر

الفصل الثاني

﴿ في من نعرفهم من مشاهير سورية الدنيويين في القرن الثالث ﴾

﴿ عد ٥٤٧ ﴾

﴿ في برفير الفيلسوف الصوري ﴾

ولد برفير في صور سنة ٢٣٣ او سنة ٢٣٢ للميلاد وكان اسمه ملكو او ملك فسمى في اليونانية برفير ودرس الفصاحة في أثينا على لنجين الفيلسوف السوري ايضاً وانكب على درس الفلسفة في رومة على بلوتين الفيلسوف المصري وصحبه من سنة ٢٦٣ الى مماته سنة ٢٧٠ وكان برفير ضليعاً بجميع العلوم المعروفة في تلك الايام وكتب في اكثرها ممتازًا بسرعة الخاطر وسهولة الانشاء اكثر من تعميقه النظر في احكامه وبعد وفاة استاذه بلوتين علم الفلسفة والفصاحة في رومة وقد اثنى العلماء حتى الاباء القديسون على غزارة علمه وطول باعه فقد سماه القديس اغوسطينوس (في كتابه الموسوم بمدينة الله ك ١٩ فصل ٢٢) « اعلم الفلاسفة » ودعاه في محل اخر « الفيلسوف الوثني الشريف » ونفسه في تآليفه جلي منسجم لكنه يخلو غالباً من تحليته بضروب الفصاحة وقد ادركته المنية سنة ٣٠٥ وعلى رواية اخرى سنة ٣٠٤ في رومة وروي القديس ايرونيموس (في تفسيره نبوة حزقيال) انه توفي في صقلية وقد جمع العالم سميت في معجمه التاريخي في تراجم

اليونان والرومان كل مايقال في برفير وكتب اوساب من القدماء ترجمته في جملة تراجم الفلاسفة

اما تآليفه فكثيرة اتلفت غير الايام بعضها ومما بلغ الينا منها كتاب في ترجمة بلوتين استاذه ترجمه الى الافرنسية ليوسك دي بوريني ثم ترجمة بيتاغوروس حاوية تاريخاً فلسفياً في اربعة كتب اخر طبعاتها في لبسيك سنة ١٨١٣ ثم مقالة في القناعة والامتناع عن اكل اللحم كلامه فيها كلام زاهد ورع يردد صدى كلام الانجيل في عبارات عديدة فيحض الانسان ان يقتدي بالله قائلاً هذا هو الخير الحقيقي والوحيد وان الكمال قائم في قمع الاميال النفسانية وانه لا ينبغي الكلام بالفلسفة الا مع الفلاسفة ومع من يفقهون ان السعادة قائمة في التشبه بالله وهولاء يلزمهم ان يضحوا بكل شيء حتى حياتهم في سبيل اتمام فروضهم ومن اقواله قد رأينا كثيرين من السريان واليهود آثروا الموت على مخالفة سننهم فلِمَ لا نرى مثل هذه البسالة عند اليونان وهذه المقالة قد ترجمها الى الافرنسية ليوسك دي بوريني وطبعها سنة ١٧٤٧ ولبرفير ايضاً رسالة الى انيبون الكاهن المصري في الالهة والشياطين طبعت في اكسفرد سنة ١٦٧٨ وله كتاب على سبيل المقدمات لمقالات ارسطو يتبين منه آراء القدماء في ماهيات الكليات ترجمه برتلمي سان ايلار واذاعه مع منطق ارسطو وكتاب في مبادي المعقولات ضمنه خلاصة تعليم المدرسة الافلاطونية الحديثة اذاعه اولاً هولاستان في رومة سنة ١٦٣ ثم ترجمه الى الافرنسية العالم لافاك مع فقر اخرى كثيرة لبرفير وقد وجدت له رسالة لامرأته مرسلة نشرها العالم ماي في ميلان سنة ١٨٤٦

واما كتبه المفقودة فنها تنقيحه واذاعته تآليف استاذه بلوتين وكان هذا الكتاب منقسماً الى اربع وخمسين مقالة فجمعها برفير في ست مقالات ينطوي كل منها على تسعة فصول وسماها انياداس اي التسعية ومنها واشهرها كتابه الموسوم

يخطبه في رد مزاعم المسيحيين فهذا الكتاب قد الفه برفير في صقلية سنة ٢٩٠ الى سنة ٣٠٠ وقد فنده كثير من الاباء القديسين واحرقه الملك توادوسيوس الثاني فلم يصل الينا كتابه برمته ولم تبقِ لنا الايام على كل ما فنده به الاباء فجل ما اتصل بنا فقر من الكتاب ورده يظهر منها ان برفير كان عالماً بالكتاب المقدس في العهدين القديم والحديث وكان يحاول التنديد به احياء لمذهبه الوثني الذي كان يراه حينئذٍ على حافة وهدة الاضمحلال وقد ادعى ان يخطي اوريجانس في تفسيره بعض آيات الكتاب بالمعنى الرمزي وقال انه عرف في صبائه اوريجانس واثنى على تآليفه ذكر ذلك اوسابيوس (في ك ٦ من تاريخه فصل ١٩) وقد قسم تاليفه هذا الى خمسة عشر كتاباً وقد فنده من الاباء القديس متوديوس اسقف صور (الذي توفي سنة ٣١١) ولكن لم يبق لنا من كتابه الا فقرات رواها يوحنا الدمشقي ثم اوسابيوس في تاريخه وابولينار والقديسون اغوسطينس وايرونيموس وكيرلس الاورشليمي ثم توادوريطس وغيرهم وكان برفير يسلم كاستاذه بلوتين بنوع من الثالوث مقرّاً بان فيه ثلاثة اقانيم يسمى الاول منها اون وهو الله بنفسه دون صفاته والثاني نوس وهو الفهم او الحكمة والثالث بسوكي اي الروح ويقول ان اول هذه الاقانيم اكملها والاقنومين الاخرين منبثقان منه

عد ٥٤٨

في لنجين و يوليوس

هو كاسيوس لنجين وقد ذكر المؤرخون انه سوري وانه كان في القرن الثالث ولم نرَ منهم من ذكر مكان مولده ولا سنته وقد ذكره اوسابيوس في تاريخه (ك ٦ فصل ١٩) درس لنجين الفلسفة على بلوتين في الاسكندرية ثم افتتح مدرسة في اثينا يدرس فيها الفلسفة الافلاطونية وكان برفير من تلامذته وسمعت زينب (زبيدة ملكة تدمر) باخبار شهرته فاستقدمته اليها واقامته اولاً استاذاً في بلاطها ثم

استوزرته فكان كبير وزرائها . وعند افتتاح اورليان تدمر امر بقتله فتحمل العذاب المبرح باسلاً جلدًا لا يهزه وجل او ارتعاد كما مر وقد الف كتباً عديدة في الفصاحة والفلسفة لم يتوصل الينا منها الا مقالة في اسلوب الكلام السامي من احسن ما الف في انتقاد الكلام على ان بعضهم في هذه الايام يعزو هذه المقالة الى بلوترخ او الى ديونسيوس الاليكرناسي وقد طبعت هذه المقالة مرات ومن طبعاتها الاخيره طبعة وايسك في اوكسفرد سنة ١٨٢٠ وطبعة اجر في باريس سنة ١٨٣٧ وممن ترجموها الى الافرنسية العالم بوجولا سنة ١٨٥٣

اما يوليوس فولد وثنياً ثم تنصر وقد وصفه اوسابيوس (في الكتاب ٦ من تاريخه فصل ٣١) بالافريقي وتابعه على ذلك كثيرون من المؤرخين على ان اوسابيوس لم يذكر محل مولده ووصفه بالافريقي يتحمل المعنى ان اسرته كانت في افريقية ثم هاجر اجداده الى فلسطين وسموا فيها الافريقيين كما يسمى الان مثلاً البيروتي من ظعن اهله من بيروت واقاموا في طرابلس وقد قال اوسابيوس فيه في المحل المذكور انه الف كتباً عنونها بكلمة جستا معناها امور عديدة او متفرقات او لفيف وجاء في حواشي تاريخ اوسابيوس (في طبعة مين) ما ملخصه ان عبارته هذه يلزم اسقاطها اذ خلت عنها ترجمة روفينوس ولا ذكر لهذا الكتاب في تاليف ايرونيمس ولان الجستا كتاب في التطبب بالاعشاب والمعادن والرقوات وهذا يترفع عنه مؤلف مسيحي ولان يوليوس الافريقي الذي كتبه هو غير الافريقي المؤرخ فالاول ولد في ليبيا كما شهد سويدا وغيره والثاني ولد في فلسطين في قرية عمواص كما قال اوسابيوس في الكرونيكون وكان هذا مسيحياً والاول وثنياً كما يظهر من كتاب الجستا فهذه خلاصة ما جاء في الحواشي المذكورة وعليه فنود ان نحسب يوليوس الافريقي سورياً وان لم يكن سورياً مولدًا فلا جرم انه سوري موطناً لان المؤرخين الذين يعتدونه افريقياً يصرحون بسكناه في فلسطين والذي

رواه روهربخر وغيره انه كان من عمواص اما الكتب التي الفها يوليوس هذا فقد ذكرها اوسابيوس في المحل المذكور وغيره من المؤرخين وهي خمسة كتب في التاريخ ضمنها ذكر الاحداث التي كانت من بدء العالم الى مجي المسيح ثم خلاصة تاريخ كل ماكان من مولد المخلص الى ايام مكرين الملك ٠ وكتب رسالة الى اوريجانس في تاريخ سوسنة الذي كان يزعم انه غير قانوني لخلو النص العبراني عنه ولعدم مطابقته لهذا النص وروى اوسابيوس ان اوريجانس اجابه جواباً مشبعاً على هذه الرسالة وله ايضاً رسالة الى ارستيد يوفق بها بين نسبي المسيح اللذين ذكرهما متى ولوقا ويحل ما يرد على ذلك من الاعتراضات وقد اتبع القديس اغوسطانس اولاً قوله ان يوسف خطيب مريم كان ابناً طبيعياً ليعقوب وابناً شرعياً لهالي وعن نطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الثالث فصل ٤ جزء ثالث) انه لم يبق من تاليف يوليوس الافريقي الا رسالته الى اوريجانس وبعض فقر من باقيها رواها اوسابيوس في تاريخه والقديس ايرونيمس في كتابه في المشاهير اليعيين وقد كان يوليوس من العمدة التي ارسلها اهل عمواص الى الملك اليوكبل ووكل اليه هذا الملك تجديد مدينتهم التي كانت احرقت وسمى الرومانيون هذه المدينة نيكوبولي اي مدينة النصر هذا وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي يوليوس الافريقي هذا في قصيدته التي يعدد فيها المؤلفين ووصفه باسقف عمواص (ولم نرَ من وصفه بهذا الوصف غيره) واليك ترجمة قوله عن السريانية « للطوباوي الافريقي اسقف عمواص تفسيرات في العهد الجديد وكرونيكون (تاريخ) وقال العلامة السمعاني في حواشيه المعلقة على هذه القصيدة (مج ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ١٤ (« اشتهر الافريقي في عهد الملكين اليوكبل واسكندر ساويروس وعزا اليه موسى بركيفا في كتابه في الفردوس (كما رويت مجلد ٢ صفحة ١٢٩) كتاب تفسير بشارة يوحنا وذكر ذلك فبريشيوس ايضاً (في المكتبة اليونانية صفحة ٢٧٠)

وقد اخذ ديونسيوس بطريرك اليعاقبة اخبارًا كثيرة عن تاريخ الافريقي مما لم يجد له ذكرًا في كرونيكون اوسابيوس وله مقالة في تاريخ سوسنة مثبتة مع رسالة اوريجانس اليه في هذا الشان في الكتاب المخطوط اليوناني في المكتبة الواتيكانية واشرت الى هذا الكتاب في اخر المجلد الثاني من المكتبة الشرقية صفحة ٥١٣ انتهى قول السمعاني

مثال ليولية دمنة عن تمثال لها وجد في رومة وهو الان في متحف الواتيكان



القسم الثاني

﴿ في تاريخ سورية الديني في القرن الثالث ﴾

الفصل الاول

في بطاركة انطاكية واورشليم ومن نعرفهم من الاساقفة في سورية في هذا القرن

﴿ عد ٥٤٩ ﴾

﴿ في بطاركة انطاكية في القرن الثالث ﴾

قد مرّ في تاريخ القرن الثاني ان سرابيون رقي الى الكرسي الانطاكي في اواخر القرن المذكور وبعد وفاته خلفه اسكلابيادسنة ٢١٣ على ما روى اوسابيوس في الكرونيكون وجاء في كتاب ايليا النصيبيني انه ترقى الكرسي الانطاكي في السنة ٥٢٣ اليونانية الموافقة سنة ٢١١ او سنة ٢١٢ وقال فيه اوسابيوس (في تاريخه ك ٦ فصل ١١) . وبعد موت سرابيون في انطاكية رقي اسكلابياد الى اسقفية هذه المدينة وجاهر في الايمان في ابان الاضطهاد وفاز بمجد باذخ وقد ذكر ترقيته اسكندر الاورشليمي في رسالته الى الانطاكين قائلاً . من اسكندر عبد الله واسير يسوع المسيح الى كنيسة الانطاكين السعيدة السلام قد كان لي تعزية من الله في ايام رياستي اذ علمت ان اسكلابياد الرجل الكثير النفع للايمان قد رقي بالعناية الالهية الى اسقفية كنيستكم المقدسة . وقد ارسل اسكندر رسالته هذه اليهم مع كاهن اسمه اكليمنضس امتدحه كثيرًا بعلمه وتقواه وقد استمر اسكلابياد في الاسقفية الى سنة ٢١٨ على ما روى اوسابيوس في الكرونيكون

وخلف اسكلاياد في السنة المذكورة فيلبس كذا سماه اوسابيوس في الكرنيكون لكنه سماه في تاريخه (ك ٦ فصل ٢١) فيلانس وكذا سماه نيكوفورس (ك ٥ فصل ٢٦) واستمر في البطريركية الى سنة ٢٣٠ وخلفه زابينوس في تلك السنة ذكره اوسابيوس في الكرونيكون وفي تاريخه (ك ٦ فصل ٢٣) ولكن في كتاب ايليا النصيبيني ان ترقيه الى الاسقفيه كان السنة ٥٤٠ اليونانيـة الموافقة لسنة ٢٢٨ او لسنة ٢٢٩ للميلاد ولم يذكر اوسابيوس مدة بطريركيته ولكن قال نيكوفورس انه بقي فيها ثماني سنين ثم توفي وخلفه بابيلا ولم يذكر اوسابيوس في الكرونيكون اقامة بابيلا لكنه ذكر فيه استشهاده في تاريخ سنـة ٢٥٤ وقال فيه في تاريخه انه مات في السجن مغللاً بالقيود وقال فيه ابن العبري في تاريخه انه دبر البطريركية ثماني سنين وانه منع يوماً والي المدينة عن الدخول الى الكنيسة فخنق لذلك وقتل كثيرًا من المسيحيين والاسقف نفسـه مع ثلاثة احداث من تلامذته وروى لاكويان ان نيله اكايل الشهادة كان في السنة الثانية لداكيوس وهي عنده سنة ٢٥١ لكن الذي في الكرونيكون ان داكيوس استوى على منصة الملك سنة ٢٥٤ واستمر عليها سنة وثلاثة اشهر وذكر في تاريخ تلك السنة انه قام فيها في انطاكية فابيوس الى ان ذكر اقامة دمتريانوس في تاريخ سنـة ٢٥٨ والذي عليه المحققون الان ان داكيوس رقي اريكة الملك سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٢٥١ وروى ابن العبري في فابيوس انه نال اكايل الشهادة مع كثيرين في ايام داكيوس ولكن قال معلقو الحواشي على تاريخ ابن العبري انهم لا يعلمون ان احدًا غير ابن العبري قال باستشهاد فابيوس وان لاكويان لم يأتِ بذكر شيء من ذلك في المشرق المسيحي (مجلد ٢٠ صفحة ٧٥٠) وذكر القديس ايرونيمس (في جدول المشاهير البيعيين) فابيانس بدلاً من فابيوس وذكر اوسابيوس (في ك٦ من تاريخه فصل ٤٣) رسالة مطولة من كرنيليوس الحبر الروماني الى فابيوس هذا في شان من يجحـدون

الايمان في وقت الاضطهاد ثم يرعون ثابتين الى الكنيسة وانه لا يلزم نبذهم وينبه بما كانت نتيجة المجمع الذي عقده في رومة وما ورد من اساقفة العالم من الرسائل في هذا الشان ولم يبق فابيوس في البطريركية الا سنة وبعض اشهر على ما روى اوسابيوس في تاريخه في الفصل المذكور وخلفه ديمتريانس سنة ٢٥٨ على ما في الكرونيكون وذكره اوسابيوس في تاريخه ايضاً (ك ٦ فصل ٤٦) واقام في البطريركية الى سنة ٢٦٣ فتكون مدة اقامته على ذلك خمس سنوات وروى آخرون سبعاً وعن نيكوفورس انه اقام اربع سنين

وخلف ديمتريانس بولس السميساطي فهذا ولد في سميساط من والدين فقيرين واستباح التوسل الى الغنى بوسائل منهي عنها ولا يعلم باية ذريعة توصل الى ان يخلف ديمتريانس في الكرسي الانطاكي بين سنه ٢٦١ الى سنة ٢٦٣ على اختلاف الاقوال وبعد ان ارتقى الى البطريركية كان همه مصروفاً الى زيادة ثروته وغناه والى الانهماك بالملاذ وكان يصحب معه اين اقام او رحل امراتين جميلتين يقضي معهما اكثر اوقاته وكان شديد العناية بتعظيم نفسه فيوجه اكثر خطبه حتى ما يلقيه منها في الكنائس لمدح نفسه والتنديد بغيره من الروساء ويحض ذويه على الاطراء له في المحافل وادخل في الكنايس بعض اناشيد منظومة تقريظاً له وكانت له حظوة كبرى عند زينب (زبيدة) ملكة تدمر حتى وكانت اليه جباية الخراج في ولاية انطاكية وكان حرصه على القيام بفروض هذا المنصب اشد منه على اتمام فروضه البطريركية وامن بذلك من مقاومة اكليروس رعيته وشعبها له فتمادى بشره واعتسافه حتى اتصل الى ابداع بدعة زعم فيها ان ابن الله لم يكن من الازل ولم يكن قبل مريم بل حل فيه كلمة الله وحكمته عند ما ولد من العذراء وكان الحاصل من ذلك ضلاله الاخر انه كان في المسيح اقنومان وابنان لله احدهما بالطبيعة والاخر بالتبني وتابع بذلك سابيليوس المبتدع الاتي ذكره على انكار الثالوث

الاقدس كما يظهر من رسائل القديس ديونسيوس البطريرك الاسكندري اليه فان هذا القديس اذ بلغته اخبار ضلال السميساطي انفذ اليه رسائل عديدة يبين له غواياته ومخالفتها لنصوص الكتاب وشهادة الاباء وقد جاوبه بولس على بعض هذه الرسائل موارباً ومواريا ضلاله ثم اجتمع كثيرون من الاساقفة في انطاكية لافحامه وابكامه في ضلاله آملين ارعواءه عنه وكان من مشاهير هولاء الاساقفة القديس غريغوريوس اسقف قيصرية الجديدة واخوه اثينودورس وفرميليانس اسقف قيصرية بالكبادوك وهيلانس اسقف ترسيس ونيكوماس اسقف قونيه وهيمانس رئيس اساقفة اورشليم وتيوتانس اسقف قيصرية فلسطين ومكسيمينس اسقف بصرى ولم تمكن القديس ديونسيوس الاسكندري من ان يشهد هذا المجمع لمرضه وشيخوخته ولكنه كتب رسالة مشبعة يبين بها رأيه وغواية السميساطي وبعد ان تفحص الاباء عن الامر واكثروا من الجدال مع السميساطي ليذعن للحق فلم يفعل كتبوا رسالة الى البابا ديونسيوس الروماني والى مكسيمس البطريرك الاسكندري (الذي كان خلف ديونسيوس الذي توفي وقتئذٍ) واذاعوها في كل محل يبينون فيها معائب السميساطي واصراره على ضلاله واذ ما فتيء مصراً مراوغاً تارة بانه مستغيث من حكم هولاء الاساقفة وطوراً بانكاره ما يعزى اليه من الضلال عقد في انطاكية مجمع اخر حضره اساقفة اكثر عدداً من الاولين وحطوا السميساطي عن رتبته وخلعوه من البطريركية واقاموا مكانه دمنوس الاتي ذكره فاستعصى في دار البطريركية معتمداً على حماية زينب له فلجاء الاساقفة الى الملك اوريليان فحكم بان تكون الدار لمن يحكم بها حبر رومة واساقفة ايطاليا فكان ذلك شهادة من ملك وثني لرئاسة احبار رومة على الكنيسة كلها وكان ذلك لسنة ٢٧٠ وان قيل انه كان لسنة ٢٧٢ روى ما لخصناه هنا اوسابيوس في تاريخه (ك ٧ فصل ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠) وكثيرون من المحققين

خلف بولس السميساطي دمنوس كما يظهر من رسالة اباء المجمع الانطاكي الى البابا ديونيسيوس حيث ذكروا معائب السميساطي وفضائل دُمنوس وانتخابهم له والظاهر من الكرنيكون ان دُمنوس لم يتبوأ كرسي البطريركية الا اربع سنين او خمساً اذ روى اوسابيوس ثمه ان تيموتاوس خلفه سنة ٢٧٤ بعد ان ذكر انتخابه سنة ٢٧٠ وعن نيكوفورس انه استمر في البطريركية سنتين لعله لانه قال رقيها سنة ٢٧٢ وخلف دمنوس تيموتاوس ذكره اوسابيوس في تاريخه ايضاً (ك ٧ فصل ٣٢) اذ قال « وولي حينئذٍ تيموتاوس الكنيسة الانطاكية بعد دمنوس » ويظهر من الكرنيكون انه استمر في البطريركية ثماني سنين او تسعاً اذ روى اقامة خليفة له في تاريخ سنة ٢٨٢ وعن نيكوفورس ان مدة بطركيته عشر سنين وخلفه كيرلس على ما في الكرنيكون وفي التاريخ لاوسابيوس (ك ٧ ف ٣٢) حيث قال انه كان في ايامه دوروتاوس كاهن انطاكية العلامة (الذي سنأتي على ذكره) وان هذا البطريرك بقي حياً الى ايامه وانه استمر في الحبرية عشرين سنة اي الى سنة ٣٠٣ وعن نيكوفورس ان لم يبق بطريركاً الا خمس عشرة سنة .وقد ذكر ابن العبري جميع هولاء البطاركة على النمط الذي ذكرناهم به

عد ٥٥٠

في بطاركة اورشليم في القرن الثالث

قد مرّ عد ٥٣٣ ان نرسيس البطريرك الاورشليمي استمر في البطريركية الى سنة ٣١٢ والذي في الكرنيكون في تاريخ سنة ٢١٥ ان اسكندر اقيم وقتئذٍ اسقفاً على اورشليم ونرسيس حي مدبر الكنيسة معه وقال اوسابيوس في تاريخه ايضاً (ك ٦ فصل ١١) ان نرسيس لما اعجزه كبر سنه عن القيام باعباء الاسقفية اوحى الله الى اسكندر الذي كان اسقفاً في الكبادوك ان يأتي الى اورشليم ويعاون نرسيس في تدبير كنيستها فاتاها بغية التعبد وزيارة الاماكن المقدسة فاقامه

نرسيس معاوناً له في حياته وخلفاً بعد مماته وقد بقيت الى الان رسالة من اسكندر علق على اخرها . يقريكم السلام نرسيس الذي دبر هذه الكنيسة قبلي وهو متحد معي . وروى عنه اوسابيوس (في ك ٦ من تاريخه فصل ٢٠) انه انشأ مكتبة في اورشليم جمع فيها كثيرًا من كتب العلماء ورسائلهم وانه (اى اوسابيوس) اخذ عنها مادة غزيرة لتأليفه وقال فيه في الكتاب المذكور (فصل ٢٧) ان اسكندر اسقف اورشليم وتيوكتيستوس اسقف قيصرية كانا يكثران التردد الى اوريجانس ليسمعا كلامه وقد قلداه وحده تفسير الكتاب المقدس وشرح تعليم الكنيسة للشعب وقال في الكتاب المذكور (ف ٣٩) ان اسكندر اسقف اورشليم اقتيد مرة اخرى الى محكمة الوالي (في ايام داكيوس) فجاهر بالايمان بالمسيح غير وجل والقي في السجن في قيصرية حيث قضى حباً بالايمان وخلفه مازابان في اسقفية اورشليم روى اوسابيوس ايضاً (ك٦فصل١٣) ان اكليمنضس الاسكندري وجه اليه كتابه في دستور الكنيسة ردًا على من يستمسكون باضاليل اليهود وذكر له (في ك ٦ ف ١١) رسالته الى الانطاكيين التي مرَّ معنا ذكرها في عد ٥٤٨ في اسكلابياد بطريرك انطاكية وفي (فصل ١٩) رسالته الاخرى الى ديمتريوس الاسكندري في شان اوريجانس وذكر في محل اخر (فصل ١٤) رسالته الى اوريجانس ويتبين منها ان اسكندر كان صديقاً وعشيرًا لبنتانس الفيلسوف الشهير ولاكليمنضس الاسكندري . وقد دبر اسكندر الكنيسة الاورشليمية ثماني وثلاثين سنة من سنة ٢١٢ الى سنة ٢٥٠ على ما روى اوسابيوس وتعيد لذكره كنيسة الروم في ١٦ ايار وفي ٢٢ كانون الاول والكنيسة اللاتينية في ١٨ اذار على ما في المشرق المسيحي للكويان (ك ٧ فصل ٥) وخلف مازابان اسكندر سنة ٢٥٠ وقد ذكره اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) انه خلف اسكندر والذي في الكرنيكون ان استشهاد اسكندر وخلافة مازابان له كانا في سنة ٢٥٤ واستمر مازابان في البطريركية

ست عشرة سنة على ما روى ايرونيموس وتوفي سنة ٢٦٦ والذي في الكرنيكون لاوسابيوس ان هيميناوس صير بطريركاً على اورشليم سنة ٢٦٩

اما هيميناوس خليفة مازابان فقال فيه اوسابيوس (ك ٧ من تاريخه ف١٤) . وبعد وفاة مازابان رقي هيميناوس الى الكرسي الاورشليمي واشتهر في ايامنا بفضائله المستوجبة الثناء. وروى لاكويان في المشرق المسيحي انه قد شهد المجمعين اللذين عقدا في انطاكية كبتاً لبولس السميساطي الاول سنة ٢٦٥ والثاني سنة٢٧٢ ولا يتفق القول بحضوره في المجمع الاول سنة ٢٦٥ وهو اسقف مع القول بانه صير اسقفاً سنة ٢٦٦ الا بان حضر ذلك المجمع وهو كاهن او ان المجمع كان بعد سنة ٢٦٥ ويظهر انه استمر في البطريركية من سنة ٢٦٦ الى سنة ٢٩٨ اي اثنتين وثلاثين سنة على ما روى القديس ايرونيموس وعن لاكويان في المشرق المسيحي والذي في الكرنيكون لاوسابيوس ان خليفته زبدى او زبداس لم يرتقِ المقام البطريركي الا في سنة ٣٠٣ وقال القديس ايرونيمس في زبدى خليفة هيميناوس انه رقي الى الاسقفية سنة ٢٩٨ كما مر وعن نيكوفورس انه اقام في الاسقفية عشر سنين والذي رواه القديس ايرونيمس انه لم يقم فيها الا الى سنة ٣٠٢ اي اربع سنين والذي قاله اوسابيوس (في ك ٧ف٣٢) فهو. اما في اورشليم فبعد وفاة هيميناوس تولى تدبير هذه الكنيسة زبداس ومات بعد امد قليل وروى في الكرنيكون ان خليفته هرمون رُقي الى الاسقفية سنة ٣٠٦ .

عدد ٥٥١

في من نعرفهم من اساقفة سورية في القرن الثالث

ممن نعرفهم من اساقفة صور في هذا القرن الاول مارينس ذكره ديونسيوس البطريرك الاسكندري في رسالته الى اسطفانوس الحبر الروماني في جملة الاساقفة الذين تولاهم السرور بحصول كنائس المشرق على السلم والطمأنينة

بعد زوال الاضطهاد وتضارب الاراء بشان بدعة نوفاتوس وعادوا يرون رأياً واحداً قويماً شاكرين الله وقد روى هذه الرسالة اوسابيوس في تاريخه (ك ٧ فصل ٥)

والثاني تيرانيوس ذكره اوسابيوس (ك ٨ في تاريخه فصل ١٣) في عداد الشهداء الذين قاسوا اعذبة اليمة في اضطهاد ديوكاتيان حباً بالايمان المسيحي وان المعذبين طرحوا هذا الاسقف اخيراً في البحر ففاضت نفسه القدوسة ويعيد لذكره في السنكسارى الروماني في ٢٨ شباط

والثالث متوديوس كان اولاً اسقفاً في اولمبيا وباتارا ببلاد اليونان ثم نقل الى اسقفية صور وقد نفي بسعاية الاريوسيين الى ان نال اكاليل الشهادة سنة ٣١٢ وذكره القديس ايرونيمس في جدول المؤلفين البيعيين والف كتاباً في تفسير سفر التكوين ومقالة في الحرية وله قصائد نحو من عشرة آلاف بيت يرد فيها مزاعم برفير الصوري وغيره ولم يبقِ من تآليفه الا مقالة موسومة بعيد العذارى طبعت في باريس سنة ١٦٥٧ مع ترجمتها الى اللاتينية وبعض فقر جمعها الاب كمباليس وعلقها على آخر تأليف امفيكلوس وتعيد له الكنيسة الرومانية في ١٨ ايلول

والذين نعرفهم من اساقفة اللاذقية في هذا القرن اولهم تلميدرس فقد روى اوسابيوس (ك ٦ من تاريخه فصل ٤٦) ان ديونسيوس الاسكندرى كتب رسالة الى الاخوة الذين في اللاذقيـة وكان يتولى امرهم تلميدرس الاسقف • ثم ذكر اوسابيوس (ك٧ فصل ٥) رسالة اخرى بعثها ديونسيوس الى اسطفانوس الحبر الروماني ومما قاله فيها ان اليودورس خلف تلميدرس في اسقفية اللاذقيـة في هذا القرن والثالث منهم سقراط ذكره اوسابيوس (ك ٧ فصـل ٣٢) قائلاً • وكان في اللاذقية اوسابيوس بعد وفاة سقراط اسقفها • واما اوسابيوس المذكور وهو الرابع من اساقفة اللاذقية في هذا القرن فقال فيـه اوسابيوس في المحل

المذكور . انه كان من الاسكندرية وقد زايل موطنه آتياً الى سورية بداعي بدعة بولس السميساطي فامسكه من كانوا مغرمين بالامور السموية عن العود الى وطنه وصير اسقفاً على اللاذقية وكان على ما نتذكر كنزاً شهياً للدين كما يظهر من كلام ديونسيوس الاسكندرى وقد ذكر اوسابيوس (ك ٧ فصل ١١) كلام ديونسيوس من رسالة له الى دوميسيوس وديديموس حيث قال . واما اوسابيوس الذي قواه الله من بدء الاضطهاد وحمله على خدمة المعترفين الملقين في السجون وعلى تلافي شؤونهم فكان يدفن جثث الشهداء الطوباويين معرضاً نفسه لخطر قطع راسه . وعقب اوسابيوس ذلك بقوله ان اوسابيوس هذا الذي يسميه ديونسيوس شماساً قد اقيم بعيد ذلك اسقفاً على اللاذقية في سورية وذكر له (ك ٧ فصل ٢٢) مآثر مثل هذه في ابان الحرب بين الاسكندريين والجنود الرومانيين قائلاً ان اوسابيوس كان يتقبل جميع الجرحى كاب وطبيب ويبذل قصارى العناية في مداواتهم وسد اعوازهم . وقال اوسابيوس في الكرنيكون ان اوسابيوس هذا كان على عهد اورليان الملك وصير اسقفاً سنة ٢٧٦

الخامس اناطوليوس وكان من الاسكندرية ايضاً واتى الى سورية فرقاه تيوتكنوس اسقف قيصرية في فلسطين الى المقام الاسقفي ليكون خليفة له ثم اتى انطاكية ليشهد المجمع الذي عقد فيها لمقاومة بولس السميساطي ومر في اللاذقية وكان اوسابيوس اسقفها لقى ربه فامسكه المؤمنون فيها وجعلوه اسقفاً عليهم فكان خير خلف لخير سلف وقال فيه أوسابيوس (ك ٧ فصل ٣٢) انه كان له بلا مراء المحل الاول بين علماء عصرنا في الفلسفة والرياضيات وغيرهما وقد بلغ قمة الكمال في علوم الحساب والهندسة والفلك والفصاحة والطبيعيات وغيرها من العلوم والفنون ولذلك رغب اليه اهل مدينة الاسكندرية ان يجدد عندهم مدرسة

ارسطو وقد اجمعوا على تنويله اول رتبة بين اشرافهم وله بينهم مكرمة تذكر فتشكر اذ بعث ندوتهم بسديد برهانه على ان يتركوا العجز والنساء والاطفال ينحازون الى معسكر الرومانيين حين محاصرتهم الاسكندريين لينجو اولئك من الموت جوعاً او ابسالاً ويبقى زادهم قوتاً لرجال الحرب الى ان قال اوسابيوس في المحل المذكور وقد بقي لنا من تآليفه الدالة على فصاحته وطول باعه مقالة في الفصح ويوم التعييد له والمطابقة بين الحساب القمري والشمسي وله ايضاً عشرة كتب في الحساب والهندسة فضلاً عما له من الآثار في العلوم المقدسة هذا ملخص ما ذكره اوسابيوس في تاريخه ويظهر من كلامه في الكرنيكون انه صير اسقفاً على اللاذقية سنة ٢٨٠ ولم يبق الى ايامنا من تآليفه الا مقالة في الفصح طبعت في مجموعة بوغاريوس سنة ١٦٣٤ وبعض فقر وتعيد له الكنيسة الرومانية في ٣ تموز

السادس اسطفانوس خلف اناطوليوس وقال فيه اوسابيوس (ك ٧ ف ٣٢) انه صير اسقفاً على هذه الكنيسة قبل الاضطهاد (في ايام ديوكلتيان) وكانت له شهرة كبرى بعلم الفلسفة وفنون اليونان على انه لم يكن متمكناً كثيراً في الدين كما ظهر عند ثوران الاضطهاد لانه كان اذ ذاك وغداً جباناً لا فيلسوفاً حقيقياً ولكن لم تمس الكنيسة بجحوده وتدارك الله اصلاح شؤونها باقامة توادوطوس اسقفاً على هذه المدينة فكان توادوطس السابع من اساقفة اللاذقية في هذا القرن وقال فيه اوسابيوس في المحل المذكور انه قام حق القيام باعباء منصبه وبالمدافعة عن الحق وكان ابرع اطباء ايامه في مداواة امراض الجسد ايضاً ولم يكن له نظير في علاج ادواء النفوس وقد تفرد بمحبته الانسانية وخلوص الطوية ولين العريكة والرحمة والغيرة على اسعاف كل ذي حاجة وكان فقيهاً ضليعاً في العلوم الالهية هذا ملخص ما رواه اوسابيوس عنه وقيل في ترجمته في انسكسار الروماني في

الثاني من تشرين الثاني تواودوطس اسقف اللاذقية بسورية كان مجملاً بحلى الفصاحة والفضائل ولا نعلم متى كانا هذان الاسقفان افي اواخر القرن الثالث ام في مبادئ الرابع فلم يذكرهما اوسابيوس في الكرنيكون ولم نرَ في غيره ما نعتمده فى بيان مدة اسقفيتهما ولا شك فى انهما كانا في ايام ديوكلتيان وهو تبوأ منصة الملك في سنة ٢٨٤ الى سنة ٣٠٥

ومن اساقفة صيدا فى هذا القرن نعلم زينوبيوس فقد روى توافان ان زينوبيوس الذي نال اكليل الشهادة في ايام ديوكلتيان كان اسقفاً على صيدا ولكن قال اوسابيوس (ك ٨ فصل ١٣) ان اشهر الشهداء في فونيقي من دعاة القطيع المسيحي تيرانيوس اسقف صور وزينوبيوس الكاهن في صيدا

ومن اساقفة جبيل في هذا القرن نعلم اوتاليوس روى لاكويان (مجلد ٢ من المشرق المسيحي صفحة ٨٢٠) انه جاء في مناوون الروم وفي السنكساري الروماني في ١٣ من حزيران ذكر القديسة اكولينا التي نالت اكليل الشهادة في ايام ديوكلتيان وكان عمدها اوتاليوس اسقف جبيل كما ورد في ترجمتها في كتب البولانديين ونعلم من اساقفة عكا في هذا العصر يوحنا جاء ذكره في الكتاب الموسوم بسورية المقدسة انه كان في ايام البابا مرشيلنوس الذي استوى على السدة الرسولية من سنة ٢٩٥ الى سنة ٣٠٣

ومن اساقفة حمص في هذا القرن سلوانس الوارد ذكره في الكتاب المذكور انه كان اول اسقف على هذه المدينة وبعد تعذيبه اربعين يوماً مع بطلين من صناديد الايمان فى ايام مكسيميان طارت روحه مكللة باكليل الظفر الى مقر الراحة والمجد وقد ذكره اوسابيوس (ك ٩ من تاريخه فصل ٦) قائلاً ما ملخصه . انه كان فى جملة من نالوا اكليل الشهادة فى ايام مكسيميان ثلثة ابطال فى مدينة حمص فى فونيقي جاهروا بايمانهم فطرحوا فريسة للوحوش منهم سلوانس الاسقف الشيخ الذي

كان قد خدم فى المقام الكهنوتي اربعين سنة وذكره اوسابيوس ايضاً في كتابه فى شهداء فلسطين (فصل ٧) قائلاً انه كان كاهناً ومجاهدًا فى قيصرية فلسطين ورقي بعد ذلك الى الاسقفية الى ان لقى ربه شهيدًا مع بعض رفقائه بعد ان غلَّهم الوالي بالقيود ثم حكم بابسالهم

ومن اساقفة غزة في هذا القرن سلوانس ذكره اوسابيوس (فصل ١٣ من كتابه في شهداء فلسطين) قائلاً ما ملخصه ان والي فلسطين بعد ان قبض على جم غفير من المعترفين وقضى عليهم بالنفي والاشغال الشاقة في قبرس ولبنان عذب من اعجزهم سنهم او ضعفهم او مرضهم عن المسير الى المنفى واخص هولاء سلوانس اسقف غزة وكان رجلاً يقتدى بكماله وفضله في الدين المسيحى وقد عانى العذاب والتنكيل مذ اول يوم من الاضطهاد الى اخره فكان خاتمة جهاد المجاهدين في هذا الاضطهاد ونعلم من اساقفة قيصرية فلسطين تيوكتيستوس ذكره اوسابيوس (ك ٦ من تاريخه فصل ٢٧) قائلاً انه كان يسمع مع اسكندر اسقف اورشليم خطب اوريجانس متواترًا بمنزلة استاذ وانهما خصاه وحده بتفسير الاسفار المقدسة وشرح التعليم المسيحي للشعب وروى (في الكتاب المذكور فصل ٤٦) ان ديونيسيوس الاسكندري قال في رسالته الى كرنيليوس الحبر الروماني ان تيوكتيستوس اسقف قيصرية وغيره من الاساقفة استدعوه الى المجمع الانطاكي . وروى (ك ٧ فصل ٥) ان ديونيسيوس في رسالته الى اسطفانوس الحبر الروماني ذكر تيوكتيستوس في جملة الاساقفة الذين سروا باستحواذ الامن والسلم في الكنيسة وزوال الخلاف الذى كان بسبب بدعة نوفاتس . ثم ذكر اوسابيوس (ك ٧ فصل ١٤) وفاة هذا الاسقف فقال، واما فى قيصرية فبعد وفاة تيوكتيستوس خلفه دمنوس ، وقال فيه (ك ٦ فصل ١٩) انه كتب رسالة الى ديمتريوس اسقف الاسكندرية يعتذر بها عن الترخيص لاوريجانس بان يخطب فى الكنائس

بحضرة الاساقفة قبل ان يكون كاهناً وبين ان لا بأس في ذلك ويورد له امثلة من التواريخ واما دمنوس خليفته فلم نعثر له على خبر الا في قول اوسابيوس المار ذكره هنا ولعله لانه لم يعش الا قليلاً اذ عقب اوسابيوس قوله بقوله . وبعد زمن وجيز زايل هذه الدنيا وخلفه تيوتكنوس الذي بقي حياً الى ايامنا ويقال انه كان من تلامذة اوريجانس

وقد ذكر اوسابيوس (ك ٧ فصل ٢٨ وفصل ٣٠) تيوتكنوس بين مشاهير اساقفة المشرق في ذلك العصر وروى انه شهد المجمع الانطاكي الذي عقد لمناصبة بولس السميساطي وكان الرابع بين الستة عشر اسقفاً الذين كتبوا رسالة مجمعية الى ديونسيوس الحبر الروماني ومكسيمس اسقف الاسكندرية والى جميع اساقفة المسكونة وكهنتها وشمامستها يبينون فيها معايب السميساطي ورذلهم تعليمه وروى ايضاً (فصل ٣٢ من الكتاب المذكور) انه رقى اناطوليوس الى درجة الاسقفية ليكون معاوناً له في حياته وخليفته بعد مماته على ان اناطوليوس انتقل بعدئذ الى اسقفية اللاذقية كما مر

وخلف تيوتكنوس في قيصرية اغابيوس ذكره اوسابيوس (ك ٧ فصل ٣٢) قائلاً وبعد وفاة تيوتكنوس الذي دبر هذه الكنيسة بكل اجتهاد خلفه اغابيوس الذي اكثر من الجهاد والعناية بخير رعيته وتدارك جميعهم ولا سيما الفقراء بسخائه وجوده على ما نعلم

ابوليطس او هيبوليطس اختلف في مكان اسقفيته فمن قائل انه كان اسقفاً في في برتوس بروما على نهر التيبر ومن قائل انه كان اسقفاً على مدينة في بلاد العرب ويرجح عندنا هذا القول الثاني لشهادة اوسابيوس والبابا جيلاسيوس الاول الذي كان قريباً من عصره وقد ذكره اوسابيوس (ك ٦ ف ٢٠ من تاريخه) بعد ذكره بريل اسقف بصرى وذكر في فصل ٢٢ تآليف ابوليطس التي توصلت الى ايامه

قائلاً وفي هذا الزمان (اي زمان الملك اسكندر ساويروس) الف ايبوليطس كتابا في الفصح وهو من جملة الآثار الدالة على حذقه وضع فيه ضوابط ودستورًا لمعرفة يوم تعييد الفصح في مدة كل ست عشرة سنة وابتداء فيه من السنة الاولى لاسكندر ساويروس ومن باقي تآليفه بلغ علمنا الى كتابه في الستة الايام التي خلق الله العالم فيها وما صنعه بعدها وكتابه في رد مزاعم مركيون وتفسيره سفر نشيد الانشاد وبعض فصول من نبوة حزقيال وكتاب تفنيده جميع البدع وغيرها كثير وقد وصفه جيلاسيوس الاول الحبر الروماني في كتابه طبعي المسيح قائلاً « ايبوليطس الشهيد والاسقف في قصبة بلاد العرب » وهي بصرى حينئذٍ وقد نال اكاليل الشهادة سنة ٢٣٥ وتعيد له الكنيسة الرومانية في ٢١ اب ونشر فبريشيوس مؤلفاته في همبرج سنة ١٧١٦ وكتابه في تفنيد البدع عثر عليه في جبل اثوس سنة ١٨٤٢ وطبع في اكسفرد سنة ١٨٥٢ وفي لندره وباريس سنة ١٨٥١ وقد ذكره عبد يشوع الصوباوي في قصيدته قائلاً « القديس ايبوليطس الاسقف الشهيد الف كتاباً في سر التجسد وتفسيرًا لسفر دانيال الصغير (وهو المتضمن خبر سوسنة وصلوة عزريا وتسبحة الفتية الثلاثة وخبر بعل والتنين) ومقالات ردًا لمزاعم غايوس المبتدع ومدافعة عن صحة رؤيا يوحنا وانجيله » وصوب السمعاني في شرح هذه القصيدة (في مجلد ٣ صفحة ١٥) انه كان اسقفاً في بلاد العرب لا في ايطاليا وقال انه اشتهر سنة ٢٢٠ وان مكاريوس احد قسس دير القديس مكاريوس جمع ٢٤٠ قانوناً عربياً وعزاها الى ايبوليطس وانه عثر على ذلك في كتاب خط سنة ١٣٧٢ في المكتبة الواتيكانية وان ابا البركات ذكر هذه القوانين في كتابه في الفروض الالهية فصل ٧ وذكرها فبريشيوس ايضاً مع كتاب اخر له موسوم بتدبير الرسل وهذا الكتاب عثر عليه السمعاني في مجلد سرياني في المكتبة الواتيكانية واشار اليه في ذيل مج ٢ صفحة ٤٠٨ وعثر على مقالات له في المسيح الدجال وفي

مجي المسيح الثاني ونهاية العالم في كتاب مخطوط يوناني عد١٢ في المكتبة الواتيكانية وعلى تفسير لنشيد الانشاد في اليونانية وعلى كتاب في تراجم الرسل الاثني عشر والسبعين مبشرًا وعلى فقرات له في تفسير الحيوانات الاربعة التي ذكرها ارميا وفي الموالد الخمسة التي اضرب متي عن ذكرها في نسب المسيح واشار الى كل هذه الكتب في فهرست الكتب الواتيكانية الذي علقه في اخر كل مجلد من مكتبته الشرقية

وكان من اساقفة هذا القرن في سورية بريل اسقف بصرى وقد قال بعض العلماء اللاتينيين ان هذه المدينة في العربية والصحيح انها كانت قصبة بلاد ادوم وهي في حوران الان ثم جعلها الملك ترايان قصبة اقليم العربية وهذا مما حمل المؤلفين اللاتينيين على قولهم المذكور مع انها ضمن تخوم سورية وهي على مئة وثلاثين كيلو مترًا من دمشق جنوباً وقد اشتهرت بانها كانت مولد الملك فيلبس الروماني وكان فيها اساقفة منهم بريل المذكور في اواسط القرن الثالث فهذا الاسقف قال فيه اوسابيوس (ك ٦ فصل ٢٠) وعند كثير من المؤرخين انه كان اسقف بصرى وانه الف كتباً كثيرة شاهدة بحذقه وطول باعه خلا رسائله وشروحه العديدة . ثم قال فيه (فصل ٣) من كتابه المذكور انه خالف ايمان الكنيسة وابتدع تعليماً حديثاً مناقضاً المعتقد الكاثوليكي زاعماً انه لم يكن ليسوع المسيح قيام قبل ان يتجسد وانه ابتدأ يكون الهاً بعد ان ولدته العذراء ولم يكن الهاً الا لان الاب كان حالاً فيه حلوله في الانبياء فقاومه كثير من الاساقفة ليرعوى عن غوايته وظل مصرًا عليها فاستدعوا اليه اوريجانس وجامله ولاطفه الى ان استطلع كنه رأيه ثم اخذ يبين له متلطفاً ضلاله ويفند مذهبه بالحجج القاطعة والادلة الساطعة حتى الخمه وابكمه واقر بريل بخطائه وارعوى عنه معترفاً بالايمان القويم وكانت بينه وبين اوريجانس بعد ذلك مراسلات عديدة وقال اوسابيوس هناك ان جدال

اوريجانس مع بريل والمناقشات التي جرت بينهما في المجمع الذي عقد لهذا الداعي وحجج اوريجانس وبيناته وكل ما جرى حينئذٍ كانت محفوظة الى ايامه وعن نطاليس اسكندر ان هذا المجمع عقد في بصرى سنة ٢٤٧ او سنة ٢٤٩

الفصل الثاني

﴿ في المشاهير والشهداء في سورية بهذا القرن ﴾

﴿ عد ٥٥٢ ﴾

﴿ في اوريجانس ﴾

لم يكن اوريجانس سورياً مولدًا لانه ولد في الاسكندرية لكنه توطن سورية مدة متطاولة وصار كاهناً والف فيها كثيرًا من كتبه ومات في صور فقد ولد هذا النابغة في الاسكندرية سنة ١٨٥ وعن اوسابيوس (في الكرونيكون) سنة ١٨٤ وابوه لأنيد توفي شهيدًا في سنة ٢٠٢ وقد انكب اوريجانس على العلم مذ نعومة اظفاره وكان استاذه اكليمنضس الاسكندري في مدرسة الاسكندرية وخلف استاذه في تدبير هذه المدرسة الشهيرة وقد دون اوسابيوس ترجمته فى فصول عديدة من الكتاب السادس من تاريخه آخذًا بعضها عن رسائله وبعضها عن تلامذته الذين بقوا احياء الى ايام هذا المؤلف قال ان لانيد ابا اوريجانس اقام ابنه منذ حداثته فى مدرسة الاسكندرية وامره ان يدرس الاسفار المقدسة فعكف عليها حتى كان يقراها عن ظهر قلبه ويرددها كل يوم وكان اوريجانس يحسن طاعة ابيه فى ذلك فنشأ وقلبه مفعم بحب الدين والغيرة عليه وبه وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حباً بالمسيح حتى عرض نفسه مرات ليكون فى عداد الشهداء

في الاضطهاد الذي اثاره سبتيمس ساويروس على المسيحيين ولا سيما في الاسكندرية وكانت امه تمانعه من ذلك واتصلت ذات يوم اذكان ابوه في السجن لاجل الايمان ان تنزع عنه ثيابه لئلا يمضي فيشترك مع ابيه في العذاب ولما لم يتمكن من الذهاب كتب اليه رسالة يحضه فيها على الثبات ومما قاله فيها « حذار يا ابتِ ان يغير العذاب رائك في دعوانا » ثم لقي ابوه ربه تاركاً له امه وستة اخوة اصغر منه وضبطت الحكومة ما يملكون فامسى اوريجانس في اشد الفاقة فشفقت عليه امرأة غنية شريفة واقامته لديها ولكن كان في بيتها رجل اراتيكي تبته اسمه بولس وكان من انطاكية افرغ اوريجانس قصارى جده ليرده عن ضلاله فلم يقلع عنه ولم يطاوع اوريجانس في اقامة الصلوة معه فزايل دار المحسنة اليه

واذكان في الثامنة عشرة من سنه اقيم مدبرًا لمدرسة الاسكندرية وكانت الناس تتقاطر لسماع كلامه حتى الوثنيون وكان من هولاء بلوترخس الذي نصّره ثم قضى شهيدًا شهيرًا ثم اخوه هركلياس الذي رقي الكرسي الاسقفي في الاسكندرية بعد وفاة ديمتريوس اسقفها . وولي الاسكندرية رجل اسمه اكويلا فاكثر من الاضطهاد على المسيحيين وكان اوريجانس يتفانى في تشجيعهم وحضهم على الثبات وقضاء حاجاتهم فبالغ الوثنيون في السعاية به وحاولوا القبض عليه وانزال السوء به ولما كان يخطب في الاسكندرية كان الرجال والنساء من كل رتبة وسن يتسارعون لسماع كلامه وكان حريصاً على عفته وطهارة ذيله ويخشى ان يرشقه خصماؤه وحساده بنبال اغتيابهم فخصى نفسه مفسرًا كلمة خصوا من قول المخلص « خصيان خصوا نفوسهم من اجل ملكوت السماء » بمعناها الحقيقي وهي بالمعنى المجازي اي انقطعوا عن الملاذ البدنية متبتلين حباً بالله وقد تعجب ديمتريوس اسقفه من فعلته هذه ثم تذرع بها للاعتراض على ترقية تيوكتيسوس اسقف قيصرية

واسكندر اسقف اورشليم له الى المقام الكهنوتي كما سيجي ثم مضى اوريجانس الى رومة يزور سافرينس حبرها ثم عاد الى الاسكندرية وعاود التعليم في مدرستها بالحاح ديمتريوس الاسقف عليه لكن لم يرَ نفسه كفوًا وحده للتعليم فيها وادارة مهامها فاشرك تلميذه هركلاس في قسم منها وقلده تعليم الموعوظين والمعمدين حديثًا ونبغ في هذه المدرسة في ايامه علماء وشهداء كثيرون ذكرهم اوسابيوس في الفصل الرابع من كتابه المذكور وتعاظم غيظ الوثنيين وضغائنهم عليه حتى لم يرَ نفسه آمنًا في الاسكندرية فهاجرها الى فلسطين فقبله اسكندر اسقف اورشليم وتيوكتيستوس اسقف قيصرية مرحبين به لما كان بلغهما من شهرة علمه وكانا يسمعان خطبه وقلداه شرح التعليم المسيحي واصول ديانتنا للشعب فشق ذلك على ديمتريوس اسقف الاسكندرية وكتب اليهما عاتبًا كما مر ولما رأيا جهاده في خير الدين وتفرده بالعلم بين اهل عصره رقاه تيوكتيستوس في قيصرية الى درجة الكهنوت فاخذ ديمتريوس اسقف الاسكندرية يندد به ويبين انه لم يكن اهلاً للكهنوت لاسيما للجناية التي اقترفها بخصي نفسه واذاع هذا الامر في كل ناحية وبين المؤرخين خلاف في ما اذا كان حق لديمتريوس ان يعارض رسامة اوريجانس كاهنًا بحجة خصاء نفسه وهل خصاء الرجل نفسه مانع قانوني عن ترقيته الى درجة الكهنوت فاوجب ذلك بارونيوس وغيره سندًا الى انه جاء في سفر التثنية (فصل ٢٣) منع الخصيان من ان يكونوا كهنة والى انه جاء في القوانين المنسوبة الى الرسل مثل هذا المنع وانكر نطاليس اسكندر كون ذلك مانعًا لاوريجانس واسند قوله الى ما جاء في تاريخ اوسابيوس (ك ١ فصل ٨) من ان ديمتريوس لم يعب اوريجانس اولاً بخصاء نفسه بل زاد في كرامته واذا كان عابه به بعدًا فلحسد وحنق منه واستشهد نطاليس بالقديس ايرونيمس ايضًا (فصل ٦٥) في جدول الكتاب البيعين حيث يخطئ ديمتريوس باذاعة خصاء اوريجانس نفسه

ومعارضته له في كهنوته ورد ما يرد على ذلك في سفر التثنيـة بان وصايا السنَّة القديمة لا يلتزم بها اهل السنة المسيحية وبان القوانين المنسوبة الى الرسل ألفت بعد زمان اوريجانس

وقد انكب اوريجانس على درس الفلسفة في مذهب بيتاغورس وافلاطون ليستعين بذلك على رد مزاعم اولي البدع وعلى تفسير الكتاب وكان صديقاً لامونيوس الفيلسوف المسيحي اذ كان في الاسكندرية وقد ابكم بريل اسقف بصرى في المدافعة عن ضلاله حتى رده عنه ورد ايضاً بعض علماء العرب عن غواية كانوا استمسكوا بها وجعل رجلاً شريفاً غنياً اسمه امبروسيوس يقلع عن ضلال والنتيانوس (على ما روى اوسابيوس ك ٦ فصل ١٨) او عن ضلال مرقيون على ما روى ايرونيمس في كتابه المذكور فكان ايرونيمس هذا صديقاً صدوقاً لاوريجانس يجري الرزق عليه وينفق على ما يؤلفه من كتبه وزار اوريجانس المؤمنين في اخائيا (بلاد اليونان) يرشدهم ويثبتهم في الايمان ويحضهم على تحمل الاضطهاد من أجل المسيح بالصبر الجميل واتى الى انطاكية دعته اليها ممّا والدة الملك اسكندر ساويروس واجلته واكرمت مثواه واقام اياماً عندها وكتب الى الملك فيلبس (الذي يقال انه كان مسيحياً) والى والدته رسائل ذكرها القديس ايرونيمس

ولم ينجُ اوريجانس من الاضطهاد والعذاب من اجل المسيح فقد روى اوسابيوس (ك ٦ فصل ٣٩) انه قاسى في اضطهاد داكيوس اعذبة اليمة مبرحة فان ابليس افرغ قواه في اثارة الظالمين عليه ليقوض دعامة الايمان فالقى في السجن (في صور) وغلت رجلاه بالقيود وجرت عليه اعذبة متنوعة ولكن لم يقض عليه القاضي بالقتل ويتبين من خطبه ورسائله التي كتبها بعد ذلك كم احتمل وكم عانى من العذاب والضيق وجاء في كتاب القديس ايفان في البدع (بدعة ٦٤)

ان اوريجانس نجا من التعذيب بتقديمه بخورًا للاصنام واضطره الى ذلك الوالي بان ادخل عليه حبشياً يقسره على صنع الفحشاء ووضع في يده بخورًا وامامه مجمرة وخيره في صنع اي الامرين شاء وكان اوريجانس شديد الحرص على عفته فآثر ان يلقي البخور في المجمرة على اقتراف المنكر • على ان ابيفان لم يعين زمان سقوط اوريجانس ولا مكانه ولذلك قال كثيرون من المحققين منهم هوتيوس العالم الشهير ان هذا لم يكن في اضطهاد داكيوس الذي ذكر اوسابيوس تعذيب اوريجانس به لانه كان حينئذٍ في فلسطين بل كان في اضطهاد سبتيمس ساويروس اذ كان اوريجانس في الاسكندرية وبين مشاهير المؤرخين خلاف كبير في صحة هذا الخبر فانكره بارونيوس امام المؤرخين سندًا الى ان اعداء اوريجانس زادوا هذه الحكاية على كتاب ابيفان وانه يظهر من كلام ابيفان نفسه في كتابه في المكاييل والموازين ما يخالف تلك الرواية وانه لو صح ذلك في اوريجانس لما غفل ديمتريوس البطريرك الاسكندري عن ذكره في مقاومته لاوريجانس وتعييبه بخصاء نفسه كما مر ولما اهمل ذكره برفيريوس عدو المسيحيين الالد الذي نقب عن زلات كثيرين من علمائهم ولما صمت عنه اوسابيوس وغيره من الاباء والعلماء الامن اغتروا بالحكاية الواردة في كتاب ابيفان على ان نطاليس اسكندر افرغ جده في اثبات هذا الخبر مستمسكاً بقول ابيفان المذكور وبمقالة ليوستيناس في اغلاط اوريجانس ومستشهدًا لاونيتوس في كتابه في البدع ونيميسيوس الاسقف الفيلسوف في كتابه في الطبع البشري ونيقيطا في الكتاب الرابع من كنز الايمان وانسطاس صاحب المكتبة الى غير هولاء وتابع العلامة يوحنا منسي نطاليس على تأييد رأيه في حواشيه على تاريخه لكن غيره ممن علقوا الحواشي لهذا التاريخ فندوا زعمه وقالوا ان جميع من قالوا بسقوط اوريجانس اغتروا بما رواه ابيفان وان حجج بارونيوس هي اشد واسد وان ساغ لنا ان نبدي رأياً بين هولاء الفطاحل قلنا

يظهر لنا ان ادلة من كذبوا هذا الخبر اظهر واقوى وافضل وقال كثير من المؤرخين ان اوريجانس امسى بعد هذا التعذيب أكسح من قبل الجراح التي ازلتها القيود برجليه وانه عاش بعد ذلك نحواً من اربع سنين غير منكفٍ عن جهدهِ في التأليف والمكاتبات والخطب الى ان توفاه الله سنة ٢٥٦ وعن أوسابيوس في الكرنيكون سنة ٢٥٥ وعمره سبعون سنة وكانت وفاته ودفنه في مدينة صور

واما ما كتبه نادرة ذلك العصر فكثير نذكر جله عن أوسابيوس في الكتاب السادس من تاريخه كان جل عناية اوريجانس مصروفاً الى اثبات الاسفار المقدسة وتفسيرها فقد نشر الكتاب المقدس اولاً مؤلفاً من اربع ترجمات الاولى الترجمة السبعينية والثانية ترجمة اكويلا والثالثة ترجمة سيماخوس والرابعة ترجمة تيودوسيون قاسماً صفحات كتابه الى اربعة مقاطع واضعاً في كل مقطع ترجمة وسمى هذه النسخة الرباعية اي ذات المقاطع الاربعة ثم اذاع نسخة اخرى ذات ستة مقاطع سماها السداسية زاد فيها على الترجمات الاربع المذكورة ترجمة كانت وجدت في نيكوبولي ببلاد اليونان واخرى وجدت في محل اخر ثم اشتهر نسخة ذات ثمانية مقاطع زاد فيها على النسخة الثانية ترجمة كانت وجدت في اريحا في ايام الملك كركلا بن سبتيمس ساويروس واضاف في اولها النص العبراني ثم عكف على تفسير الاسفار المقدسة ففسر اكثرها واخصها ثلثة مجلدات في تفسير سفر التكوين وتسعة مجلدات في غيرها فضلاً عن خطبه في تفسير الزبور وله في العهد الجديد كتاب في تفسير بشارة متى وكتب في تفسير بشارة يوحنا وكتاب خطب في تفسير رسالة بولس الى العبرانيين

وله كتاب في المبادي وكتابان في القيامة وعشرة كتب في موضوعات مختلفة سماها اللفيف وثمانية كتب في رد مزاعم شلسيوس الفيلسوف الوثني وهي احسن ما الف في المدافعة عن المسيحيين والدين المسيحي وكتاب في الاستشهاد

ارسله الى امبروسيوس وبرتوكتانوس ورسائل لا تعد منها رسالة الى الملك فيلبس وساويرا الملكة ورسالة الى يوليوس الافريقي يبين بها صحة خبر سوسنة واعمال مجمع بصرى وجداله بريل واعمال المجمع الذي افحم به العلماء العرب الذين كانوا ينكرون خلود النفس وكتاب في ترجمة بمفيليوس واخر الى فابيوس الحبر الروماني وغيره من الاساقفة وتعزى اليه كتب اخرى لم يتفق المؤرخون في نسبتها اليه وكان امبروسيوس المذكور اقام له سبعة كتّاب يملي اوريجانس عليهم متعاقبين (لا يلقنهم معاً كما يتوهم البعض) ما خلا الناسخين والناسخات الذين كانوا يدونون بخطوط جميلة ما كتبه اولئك (رواه اوسابيوس ك ٦ فصل ٢٣) وقد بقي الى ايامنا كثير من تآليف اوريجانس طبعت مرات واخرها طبعة مين في باريس في مكتبة الاباء الذين كتبوا باليونانية

قل ما حاز رجل من الشهرة والاجلال بعلمه ما حاز اوريجانس في عصره وندر من لقي من المقاومة والتعنيف ما لقيه هذا النابغة في حياته وبعد مماته ففي حياته ناصبه كثيرون حتى ديمتريوس اسقفه مشنعاً له حتى في رسالته العامة اذ كان اساقفة فلسطين يحلونه ذرى المجد والجلال وبعد مماته انقسم العلماء حتى الاباء الى فريقين فبعضهم أثبت عليه الابتداع والضلال وبعضهم عظم قدره واجله وبسط عذراً عن اغلاطه مأولاً كلامه لمعانٍ تطابق الايمان القويم او مفترضاً ان اعداءه ادخلوا على كتبه ما يدل على ضلال فمن حكم عليه من القدماء ديمتريوس اسقف الاسكندرية وثاوفيلس اسقف انطاكية والقديسون ابيفان وايرونيمس وكيرلس الاسكندري وغيرهم وممن برأوه اوسابيوس اسقف قيصرية وروفينوس وغيرهما والذي عليه المعول ان بعض كتب اوريجانس تضمنت اغلاطاً مخالفة الايمان اخصها ما يأتي اولاً تعليمه ان النفوس خلقت قبل الاجساد ثم ترسل اليها تعاقباً لتسجن فيها لجرائم ارتكبتها ثانياً ان الشياطين والهالكين سينتفعون من آلام

المخلص بل ان المخلص سيصلب ثانية لاجل الشياطين ثالثاً ان عذاب الهالكين ليس ابدياً وسعادة الطوباويين ليست خالدة بل يمكن تبدل حال الفريقين رابعاً انه سلم بقيامة النفوس لفظاً فقط وانكر قيامة الاجساد قطعاً الى غير ذلك مما يعزى اليه من الاضاليل التي حرمها بعض الاحبار الاعظمين ولا سيما البابا انسطاسيوس ونبذت في بعض المجامع ولا سيما المجمع الخامس المسكوني الا ان شخص اوريجانس لم يحرم ولم تصدر الكنيسة حكماً باتاً اهالك هو ام خالص لانه كان يكتب ما كتبه مخضعاً اياه لسلطة الكنيسة ولقرائه من العلماء ولم ينبه في حياته الى ضلاله واصر عليه ولا تنبذ الكنيسة الكاثوليكية كتبه التي لا ضلال بها بل تنزلها منزلة رفيعة من الاجلال وتعتمد على شهادته بها ولا تعتد اراتيكياً من دافع عن اوريجانس بانه لم يكتب هذه الاضاليل او لم يقصد بها معنى مخالفاً الايمان بل تحسب اراتيكياً من استمسك بما في كتبه مما تحسبه الكنيسة ضلالاً وما برح الخلاف على اقوال اوريجانس بين العلماء الى هذه القرون الاخيرة فقد ضلله نطاليس اسكندر (في تاريخه) زاعماً انه انكر الثالوث الاقدس ولاهوت الابن ولزوم نعمة المسيح وبرأ ساحته من الضلال بها روهربخر في تاريخه البيعي مورداً من اقواله ما يدرأ عنه شبهة الضلال بها ونختم كلامنا بما كتبه القديس ايرونيمس (رسالة ٦٥) اذ كان يقاوم شديد المقاومة الاوريجانيين «وافقونا على ان اوريجانس انخدع في بعض المسائل فلا يبقى لي ما اقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض اغلاط له فليعلموا ان الخطاء من شيم كبار الرجال فلا تتشبثنّ بزلات من لا تستطيع مباراته في فضائله»

عد ٥٥٣

في بمفيل ودوروتاوس وملكيون

اما بمفيل فلم يذكر اوسابيوس من تاريخه الا ما صنعه بعد ان كان كاهناً في

قيصرية وقد عثرنا في تاريخ روهربخر (ك ٣٠) على ترجمة كاملة فقال انه ولد في بيروت من اسرة حسيبة وانكب على العلوم فيها منذ صبائه وصار حاكماً في بيروت ثم ترك كل شيء وانكب على درس الاسفار المقدسة ثم مضى الى الاسكندرية ويقال انه خلف اوريجانس في تدبير مدرستها ثم اتى قيصرية فلسطين وانشأ مدرسة فيها وكانه رقي ثم الى المقام الكهنوتي لان اوسابيوس يصرح بانه كان كاهناً اذ قال فيه (ك ٧ من تاريخه فصل ٣٢) وكان في هذا الزمان (اي اذ كان اغابيوس اسقفاً على قيصرية فلسطين) بمفيل الخطيب المصقع والفيلسوف الحقيقي في سيرته واعماله وقد ترقى المقام الكهنوتي في هذه الكنيسة ويجدر بنا ان نبين ماكان عليه هذا الرجل الكبير من الفضل والعلم الا انا افردنا كتاباً مخصوصاً للكلام في سيرته والمدرسة التي انشأها وما عاناه من جهاد البسلاء في ابان الاضطهاد وفوزه اخيرًا باكليل الشهادة · وعن القديس ايرونيمس في جدول المؤلفين ان اوسابيوس كتب ثلاثة كتب في ترجمة بمفيل وان بمفيل انشأ مكتبة في قيصرية وعن ايسيدورس الفرمي ان هذه المكتبة اشتملت على ثلاثين الف كتاب وان كثيرًا منها خطته يده وقد اشار اوسابيوس الى انشائه هذه المكتبة في الكتاب السادس من تاريخه (فصل ٣٢) وقال فيه في كتابه الثامن (فصل ١٣) متكلماً في بعض الشهداء · ولا ينبغي ان نغفل في تعداد هولاء عن ذكر فخر كنيسة قيصرية ومجدها الباذخ بمفيل الكاهن الذي اصبح لدى كل اهل عصرنا غرضاً للتعجب وسنأتي على ذكر بسالته واعماله المجيدة · وقال فيه في الفصل السابع من كتابه في شهداء فلسطين · وكان في جملة هولاء الشهداء الذين عذبهم الوالي والقاهم في السجن بمفيل اعز رفقائه اليّ من احرز قصبات السبق على جميع شهداء عصرنا بما ابداه من البسالة الغريبة وبما ناله من الفخر والثناء

وذكر (في الفصل ١١ من هذا الكتاب) خبر استشهاده مع اثني عشر شهيدًا

مفصلاً وهاك ملخص ما قال ٠ قد حان لنا ان نتكلم في ذلك المشهد المفجع المشهور الذي نال فيه اكليل الشهادة بمفيل الذي يعز عليّ ذكره مع رفقائه الاثني عشر الذين كان هو امامهم وكان وحده كاهناً بينهم وكان قد صرف حياته كلها مثابرًا على ممارسة كل نوع من الفضائل كهربه من مجد العالم واحتقاره له وجوده على الفقراء واستخفافه بالكرامات الدنيوية التي كان على غاية الاهلية لها وعيشته الفلسفية المنزهة عن كل سعة وولوعه في مطالعة الاسفار المقدسة اكثر من اهل عصرنا طرًا وعزيمته الشديدة وجده الذي لا يكل في كل ما ينوى ان يبديه من الاعمال الصالحة وغوثه كل من لجأ اليه في اي الامور كان وقد كتبنا ترجمته في ثلاثة كتب ابنا فيها فضائله واعماله الخطيرة التي تقصر عنها خطبة ولو مسهبة ٠ فمن احب زيادة اسهاب فليطالع كتبنا المذكورة (لم نظفر بمطالعتها) ثم وصف كلاً من رفقائه على حدة الى ان قال ان الوالي المسمى فيرميليانوس بعد ان سجنهم مدة طويلة واجرى عليهم اعذبة متنوعة ورآهم مبتهجين بما قاسوه من اجل ايمانهم استحضرهم اليه وسألهم قائلاً اما تطيعون بعد كل هذا العقاب امر الملك فلم يسمع منهم الا كلمة ايثارهم الموت على مخالفة ايمانهم فامر بقتلهم وقد علقوا بمفيل على خشبة واضرموا النار عليه فبش وهش وكل ما سمع من كلامه ٠ يا يسوع ابن الله كن معيني واسلم روحه القدوسة ٠ وكان ذلك في ايام الملك مكسيمينس بعد ان اقام في السجن سنتين اي من سنة ٣٠٧ الى سنة ٣٠٩ والكنيسة الرومانية تعيد لذكره في اليوم الاول من حزيران وقد خلف من التآليف نسخة في الكتاب المقدس وكتاباً في تفسير كتاب اعمال الرسل وكتاباً في المدافعة عن اوريجانس الفه بالاشتراك مع اوسابيوس كما ذكر هذا في الكتاب السادس من تا[...] (فصل ٣٣) حيث قال في اوريجانس ان من يرغبون في الوقوف على حق[...] عليهم ان يطالعوا كتاب المدافعة الذي وضعته مع شهيد عصرنا [...] ٠

محاماة عنه مما يعتابه به بعض الشاكين الاردياء •

اما دوروتاوس فقال فيه اوسابيوس (ك ٧ من تاريخه فصل ٣٢) وخلف في كرسي انطاكية كيرلس تيماوس وقد عرفنا في ايامه دوروتاوس كاهن كنيسة انطاكية العلامة وكان ضليعاً جداً في الاسفار المقدسة وتعلم اللغة العبرانية ومهر فيها وقد جمله الله بعقل ثاقب وكان فقيهاً في العلوم الدنيوية بارعاً فيها وولد خصياً وتعرف الملك به واستغرب خصاءه من حشا امه كاعجوبة وقربه اليه واقامه قهرماناً على املاك له في جهة صور وقد سمعناه يفسر الاسفار المقدسة في الكنيسة تفسيراً فصيحاً بليغاً • وكان في صور كاهن اسمه دوروتاوس ايضاً قضى شهيداً وتعيد له الكنيسة الرومانية في الخامس من حزيران وقد حسب بارونيوس (في حواشيه المعلقة على السنكسار الروماني) دوروتاوس الانطاكي ودوروتاوس الصوري واحداً وتعقبه بلوندلس في مدافعته عن رأي ايرونيس وقال محشي تاريخ اوسابيوس (في المحل المذكور) خطأ بلوندلس بارونيوس فوقع في خطأ اكبر اذ حسب دوروتاوس الكاهن الانطاكي الذي تكلم اوسابيوس فيه هنا دوروتاوس خصي الملك ديوكاتيان الذي ذكر اوسابيوس استشهاده في الكتاب الثامن واحداً ولا امترى في انهما اثنان لادلة واضحة منها ان دوروتاوس الكاهن الانطاكي لم ينل اكليل الشهادة اذ لم يذكر ذلك اوسابيوس هنا ولا في كتابه الثامن حيث عدد الشهداء واتى بذكر لوشيانس الكاهن الانطاكي لا دوروتاوس ولا محل ليغفل عنه وكان استاذاً للوشيانس ومنها ان دوروتاوس الكاهن كان من اشراف القوم وتقلب في مناصب الحكومة قبل ان يكون كاهناً ودوروتاوس خصي الملك كان [illegible]سفلة القوم كعادة الخصيان ومنها ان دوروتاوس الكاهن كان في ايام كيراس [illegible]ك الانطاكي الذي استوى على هذا الكرسي في السنة الرابعة للملك بروبوس [illegible] الى السنة السابعة عشرة لديوكاتيان فاذا كان دوروتاوس كاهناً في

ايام ديوكلتيان فلا يمكن ان يكون خصياً له او خادماً في مخدعه وهو كاهن والمتحصل مما مرَّ ان دوروتاوس الكاهن غير دوروتاوس المخصي الشهيد وهذا مما لا ارى وجهاً للريبة فيه واما هل دوروتاوس الكاهن الصوري الشهيد غير دوروتاوس الكاهن الانطاكي خلافاً لما رواه بارونيوس امام المؤرخين فهذا عندي فيه نظر ولا سيما لان اوسابيوس ذكر ان دوروتاوس الانطاكي جعله الملك قيماً على ملكه في ناحية صور فقد يمكن ان يكون قضى هناك شهيداً وسماه بعضهم صورياً فتلقى بارونيوس هذه التسمية عنهم

واما ملكيون فكان عالماً بارعاً وخطيباً مصقعاً في انطاكية وكان رئيساً لمدرسة الجدليين فيها ولاستمساكه الشديد بعروة الايمان الوثقى رقي الى المقام الكهنوتي في انطاكية واعظم ما اشتهر فيه جداله بولس السميساطي بحضرة الاساقفة المجتمعين في المجمع الانطاكي حيث افحم هذا المبتدع وابكمه وفاق الجميع بالكشف عن عمق افكاره ومخادعاته ومواربابه وتزييف اقواله ذكره اوسابيوس (ك ٧ من تاريخه فصل ٢٩) وقال ان نص هذا الجدال الذي دونه كتبة المجمع باقٍ الى الان واستشهد لاونتيوس (في ك ١ من رد مزاعم نسطور) بفقرة منه وقال تاودوريطس (ك ٢ في حكايات الاراطقة) ان ملكيون فاز بفخر ومجد عظيمين من تفنيده ضلال بولس السميساطي حتى استحق ان يعيد له في ميناوون الروم في اليوم الثامن والعشرين من تشرين الاول

عد ٥٥٤

(في من عاصر هولاء المشاهير في سورية من الاباء والعلماء في غيرها)

انَّا رغبة في توفير الفوائد نذكر من كان في هذا القرن من مشاهير الاباء والعلماء في غير سورية ايضاً على انا نؤثر الايجاز في كلامنا على هولاء لخروجهم عن دائرة غرضنا واولهم القديس كبريانوس ولد في قرطاجنة في مبادئ القرن

الثالث من والدين حسيبين غنيين وكان فصيحاً علم الفصاحة مدة متطاولة وكان اولاً وثنياً فرده الى الايمان المسيحي كاهن من مواطنيه اسمه شيتيليوس ثم انتدب اسقفاً على قرطاجنة سنة ٢٤٨ وقد لقي مر الاضطهاد في ايام الملك داكيوس حتى ارغم ان يزايل قرطاجنة الا انه عاد اليها بعد امد وجيز ليخمد جذوة شقاق ثار فيها في ابان غيبته وكان بينه وبين البابا اسطفانوس الحبر الروماني جدال عنيف في صحة تعميد المبتدعين والمشاقين وكان كبريانوس يرى ان تعميدهم باطل وانهم اذا عادوا الى الكنيسة لزم تعميدهم ثانية ويخالفه الحبر الروماني مثبتاً ان تعميدهم صحيح ثابت واتسع نطاق هذا المبحث الى كثير من اساقفة المشرق والمغرب الى ان اذعن كبريانوس ومحازبوه من الشرقيين لرأي الحبر الروماني ثم نفي كبريانوس من كرسيه سنة ٢٥٨ وبعد امد قليل نال اكليل الشهادة وكتب لانتيوس شماسه ورفيقه في منفاه الى يوم استشهاده ترجمته وخبر موته وتعيد لذكره الكنيسة الرومانية في ١٦ ايلول واخص مؤلفاته كتابه في من جحدوا الايمان في اضطهاد داكيوس وكتابه في وحدة الكنيسة وكتابه في الصلوة الربية واحدى عشرة خطبة واحدى وثمانون رسالة وكتابه في اليهود الذين صلبوا المسيح وقد عزا اليه بعضهم كتباً اخرى عديدة ولم يتحقق انها له وقد طبعت مؤلفاته مرات واخرها طبعة مين في مكتبة الاباء اللاتينيين وقد ترجم بعض كتبه الى الافرنسية

ومن هولاء ايضاً مونيوس الفيلسوف المسيحي الاسكندري استاذ بلوتين واوريجانس ولنجين وغيرهم في مدرسة الاسكندرية وقد تشبث بعرى الدين المسيحي خلافاً لما زعمه برفير من انه جحد ايمانه وقد برأ ساحته من هذه التهمة اوسابيوس في الكتاب السادس من تاريخه (فصل ١٣) والقديس ايرونيمس في كتابه في المشاهير (فصل ٥٥) قائلاً فيه . ان من الاثار العديدة التي خلفها دالة

على حذقه وطول باعه كتاباً الفه في التوفيق بين موسى والمسيح وكتاباً في القوانين الانجيلية اتبعه فيه بعد ذلك اوسابيوس القيصري وقد اتهمه برفير انه جحد ايمان المسيح وصار وثنياً ولا مراء في انه ظل متشبثاً بعرى الدين المسيحي الى وفاته،وله ايضاً في توفيق الاناجيل كتاب ولتاسيان السرياني كتاب بهذا العنوان فلم يميز بعضهم بين الكتابين والمؤلفين فعزوا كتاب تاسيان الى امونيوس وكتاب امونيوس الى تاسيان وادركت الوفاة امونيوس سنة ٢٤١

ومنهم ايضاً القديس غريغوريوس الملقب بصانع العجائب لكثرة ما صنع الله على يده من المعجزات وقال فيه القديس ايرونيمس في كتابه في المشاهير (ف ٦٥) انه اذ كان شاباً شخص من الكبادوك الى بيروت طالباً العلوم اليونانية واللاتينية ثم مضى الى قيصرية فلسطين مع اخ له يسمى اتادوروس وكان اوريجانس فيها فرأى فيهما ملامح الذكاء والحذاقة واغراهما بدرس الفلسفة فلازماه خمس عشرة سنة واكسبهما العلم واعتناق الدين المسيحي وعادا الى وطنهما وانتدب غريغوريوس الى اسقفية قيصرية الحديثة في بنطوس سنة ٢٤٠ ويروى انه لم يكن في قيصرية حين ارتقائه الى الاسقفية الا سبعة عشر مسيحياً ولم يبقَ فيها عند موته الا سبعة عشر وثنياً وقد شهد المجمع الانطاكي الذي نبذ تعاليم بولس السميساطي وقد عانى عذاباً اليماً في اضطهاد داكيوس لكن الله نجاه من الموت باعجوبة وقد لقي ربه في ١٧ ت ٢ سنة ٢٦٥ وفي رواية اخرى سنة ٢٧٠ وكتب ترجمته القديس غريغوريوس النيصصي وذكره اوسابيوس في تاريخه (ك ٦ فصل ٣٠) والقديس باسيليوس في كتابه في الروح القدس (فصل ٢٩) وقد ألف كتاباً في شرح عقائد الايمان روى النيصصي في ترجمته انه كتبه بوحي العذراء مريم ويوحنا الانجيلي وقد وصف القديس ايرونيمس (في كتابه بالمشاهير ف ٦٥) هذا الكتاب بانه موجز لكنه كثير الفائدة وقال ان له عدة رسائل اخرى يعرفها الجمهور ومقالة في المدافعة

عن اوريجانس تلاها على حشد من الناس بحضرته وذكر له القديس باسيليوس (في رسالة ٦٤ الى اهل قيصرية المذكورة) مقالة اخرى في شرح الايمان تذرع السابيليون بفقرة منها ليزعموا انه كان يري رأيهم فأثبت القديس باسيليوس ان لكلام غريغوريوس معنى غير ما تحملوه له وقال آخرون ان هذه المقالة ليست له بل عزاها السابيليون اليه او حرفوها واثبت نطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الثالث) ان له رسالة مشتملة على قوانين في نوع التصرف مع من يأكلون من الذبائح المقدمة للاوثان او يقترفون اثماً اخر باغراء الوثنيين وقال اجمع الشرقيون والغربيون على صحة نسبة هذه الرسالة الى غريغوريوس

ومن هولاء ايضاً القديس ديونيسيوس الاسكندري ذكره القديس ايرونيمس بين المشاهير (فصل ٦٩) وقال انه اشهر تلاميذ اوريجانس وانه دبر مدرسة التعليم المسيحي في الاسكندرية في ايام هرقل سالفه في الاسقفية ثم ارتقى المقام الاسقفي في الكنيسة الاسكندرية واستمر فيه من سنة ٢٤٨ الى سنة ٢٦٥ وقد ذكره اوسابيوس في فصول عديدة من الكتاب السادس من تاريخه وكان ممالئاً القديس كبريانوس ومجمعه الافريقي في لزوم اعادة تعميد الاراطقة رواه القديس ايرونيمس في الفصل المذكور وقال انه انفذ رسائل عديدة الى كثيرين في هذه المسألة وغيرها وان هذه الرسائل كانت باقية في ايامه منها رسالة الى فابيوس اسقف انطاكية في التوبة ورسالة الى الرومانيين انفذها بيد ايبوليطس كاهنه ورسالتين الى فوستوس الذي خلف البابا اسطفانوس ورسالتين الى فيلومان وديونيسيوس كاهني الكنيسة الرومانية ورسالة الى ديونيسيوس هذا بعد ان رقي الى عرش الحبرية وكتب رسالة الى نوفاسيانوس (في تاريخ اوسابيوس الى نوفاتوس وصحح بعضهم رواية ايرونيمس) الذي كان احدث شقاقاً في رومة يونبه فيها ويبين له بطلان اعتذاره بان يفعل ما يفعل مجبرًا من محازبيه وله عدا هذه الرسائل وغيرها مقالة في الفصح واخرى

في السبت وكتابان في ردّ مزاعم نيبوتي الاسقف الذي زعم ان المسيح سيملك ملكاً جسدياً الف سنة بعد القيامة واربعة كتب رفعها الى ديونيسيوس الحبر الروماني الى غير ذلك من الكتب والمقالات والرسائل التي ذكرها القديس ايرونيمس في المحل المذكور وقد قبض عليه في الاضطهاد الذي أثاره داكيوس وقص ما عرض له حينئذٍ من الضنك في رسالته ردًا على جرمانوس وروى كلامه فيها اوسابيوس (في ك ٦ من تاريخه فصل ١١) وتوفي ديونيسيوس سنة ٢٦٥ وفي رواية اخرى سنة ٢٦٤ وكان في هذا القرن ايضاً القديس ديونيسيوس الحبر الروماني وله رسالة في تفنيد ضلال السابيليين لم يبقَ منها الا فقرة ذكرها القديس اثناسيوس في كتابه في رسوم المجمع النيقوي وتعزى اليه رسالتان اخريان الاولى الى اوربانس الوالي والثانية الى ساويروس الاسقف وليستا له حقيقة (عن نطاليس اسكندر في تاريخ القرن الثالث)

وكان ايضاً في هذا القرن القديس كرنيليوس الحبر الروماني قال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٦٦) ان القديس كبريانوس كتب اليه ثماني رسائل وكتب هو رسالة الى فابيوس (وفي رواية اخرى فابيانوس) اسقف انطاكية في ما كان في المجامع الروماني والايطالي والافريقي (في شان اعادة عماد المبتدعين) وانفذ اليه رسالة ثانية في شأن نوفسيانوس ومن جحدوا في زمان الاضطهاد ووجه اليه رسالة ثالثة في ما كان في المجمع الروماني (سنة ٢٥١) ورسالة رابعة مسهبة تشتمل على ما حمل نوفاسيانوس على ابداع بدعة وعلى طعنه بالحرم وقد دبر الكنيسة سنتين وقضى شهيدًا (سنة ٢٥٢ او سنة ٢٥٣) في عهد الملكين غلوس وفولوسيان انتهى كلام ايرونيمس وقد روى اوسابيوس (ك ٦ من تاريخه فصل ٤٣) قسماً كبيرًا من رسالة كرنيليوس الرابعة الى فابيوس الانطاكي

وكان ايضاً حينئذٍ مينوشيوس فليكس وكان من مشاهير محامي الدعاوى في رومة وله محاماة عن ايمان المسيح على طريقة جدلية بين مسيحي ووثني ذكره القديس ايرونيمس (في فصل ٥٨ من كتابه في المشاهير) وكان ايضاً غايوس كاهن الكنيسة الرومانية في عهد البابا زافيرينوس ثم اقيم اسقفاً على الامم ولم تعين له ابرشية خاصة وله محاورة مشبعة في تفنيد مزاعم بركاس احد اتباع منتانس ذكره اوسابيوس (في ك ٢ من تاريخه فصل ٢٤ وفي محال اخرى) والقديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٥٥)

عد ٥٥٥

في الشهداء في سورية في القرن الثالث واوائل الرابع

لا جرم ان الشهداء من افضل المشاهير فان اشتهر العلماء باتعابهم في تآليفهم فقد اشتهر الشهداء بسفك دمهم حبًّا بدينهم على ان توفر عدد الشهداء في سورية في هذا القرن يقضي علينا بان نوجز الكلام في اخبارهم ٠ قد ذكرنا في عد ٥٣٨ من الاضطهادات التي اثارها الملوك الرومانيون على المؤمنين الى الاضطهاد السادس والان نقول ان الاضطهاد السابع اثاره الملك سبتيمس ساويروس في اواخر ملكه سنة ٢٠٤ وفي جملة الشهداء في هذا الاضطهاد لاونيد ابو اوريجانس والاضطهاد الثامن اثاره الملك مكسيمينس سنة ٢٣٧ بغضاً لآل الملك اسكندر ساويروس الذين كان من رجال دولتهم كثيرون من المسيحيين والتاسع اثاره الملك داكيوس نحو سنة ٢٥٠ وممن نالوا اكليل الشهادة فيه القديس فابيانس الحبر الروماني واستمر هذا الاضطهاد في ايام الملك غلّوس وفولوسيان وممن استشهدوا فيه القديس كرنيليوس الحبر الروماني والعاشر اثاره الملكان فاليريان وكايان سنة ٢٥٩ وممن نالوا اكليل الشهادة فيه القديسان اسطفانوس وسيستوس الحبران الرومانيان والحادي عشر اثاره الملك اورليان سنة ٢٧٢ (على رواية بارونيوس)

وقد استشهد فيه كثيرون وان قال اوسابيوس (ك ٧ فصل ٢٤) انه كف عن هذا الاضطهاد اذ ايبس الله يد كاتبه حين كان يدون امره باضطهاد المسيحيين والثاني عشر هو اقساها واطولها زماناً وقد اجراه الملكان ديوكاتيان ومكسيميان سنة ٣٠٢ او سنة ٣٠٣ وفيه هدمت الكنائس واحرقت الاسفار المقدسة وتوفر عداد الشهداء على ان اوسابيوس في الكرنيكون وغيره لا يعدون من هذه الاضطهادات الا عشرة لاسقاطهم الاضطهادين الاولين اللذين كانا في ايام الرسل

ان الشهداء والشهيدات في سورية في هذه الاضطهادات اكثر من ان يحصوا فنجتزئ بذكر بعضهم ذكر منهم مؤلف الكتاب الموسوم بسورية المقدسة في صيدا زنوبيوس الكاهن في ايام الملك مكسيميان وفي باناياس نيكوستراتس وانطيوخس ورفقاؤهما وتوادوسيا ام بروكوبيوس الشهيد مع اثنتي عشرة امرأة من اعيان هذه المدينة في عهد ديوكاتيان وفي اطرابلس نال اكاليل الشهادة اولاً لاونتيوس في ايام ادريان وروى بروكوب ان الملك يوستنيانس انشأ فيها على اسمه كنيسة بديعة وصحبه في استشهاده ايباتيوس وتريبونس وتوادولس واستشهد فيها في ايام ديوكاتيان لوشيان ومتروبيوس وبولس وزينوبيوس وتباتينس ودورسس وفي ابامية على العاصي استشهد في ايام انطونينوس القديسان اسكندر وغايوس وفي اضطهاد ديوكاتيان القديس مكسيمس من اعيان هذه المدينة . وفي دمشق فاز باكاليل الشهادة في ايام داكيوس القديسون ساينس ويوليانس ومكسيمس ومكريبوس وكاسيوس وبولس مع عشرة اخرين من ابطال الدين المسيحي وفي حمص استشهد القديس سلوانس اسقفها كما مرَّ في الكلام عليه ونال الاكاليل معه صنديدان من ابطال الايمان في مدينته ومن بيروت القديسة مرشيانا فازت باكاليل الشهادة في قيصرية في اضطهاد ديوكاتيان وكان في ايام الملك يوستنيانس

كنيسة بديعة في بيروت تكرم بها ذخيرة من عظام القديس كوارنس اسقفها الاول واخرى من عظام القديسة مرشيانا هذه

وفي انطاكية نال اكليل الشهادة في هذا القرن القديس ايبوليطس كاهن هذه المدينة الذي كان يدافع عن الايمان مخالفاً النوفاسيانيين وكان استشهاده في اضطهاد داكيوس سنة ٢٥٠ وتبعه القديس نيكوفورنس بموته حباً بالايمان في اضطهاد فاليريان سنة ٢٦٠ والقديسان نيقيا وبواس ونجا والي انطاكية على قسوته فرفعهما ضحية لله سنة ٢٨٥ والقديس بارولا سأله الوالي وهو حدث عن معتقده فاجابه انه لا يعبد الا اله المسيحيين فقطع رأسه غير مراعٍ حداثة سنه والقديسون انطونيوس الكاهن ويوليانس وانسطاس وشلسس ومرشيونيلا واخوتها السبعة وباسيليا العذراء اريق دمهم حباً بالله في اضطهاد ديوكليتيان سنة ٣٠٢ الى غير هولاء في انطاكية

وقد خلف لنا اوسابيوس القيصري كتاباً برمته في شهداء فلسطين ينطوي على ثلاثة عشر فصلاً قال في فاتحته في السنة التاسعة عشرة لملك ديوكليتيان في شهر نيسان اذاع افلايانس والي فلسطين امراً من الملك فحواه ان تنقض الكنائس وتحرق الاسفار المقدسة وينزع اصحاب الرتب من رتبهم ويخلع من كان في منصب عن منصبه اذا تشبثوا بالدين المسيحي وبعد اذاعة هذا الامر نشروا امراً اخر مؤداه ان يطرح جميع روساء الكنائس في السجن ويرغموهم بكل نوع من التنكيل على تقدمة الذبائح للالهة ، ثم ذكر في الفصل الاول استشهاد لاكوبيوس وكان من اورشليم ومتوطناً باسان وقارئاً في كنيستها يترجم الى الشعب ما يتلى في الكنيسة من الاسفار المقدسة باليونانية الى لغتهم السريانية ثم رفيقيه في استشهاده وهما حلفى وزكى من مدينة كادارا (المسماة الان ام قيس في عبر الاردن) فهولاء بعد ان عذبهم عذاباً مبرحاً امر بقطع رؤسهم في قيصرية فلسطين وذكر

فى الفصل الثاني القديس رومانس الشهيد وكان شماساً في كنيسة قيصرية فلسطين ومضى الى انطاكية وذهب يوماً ومعه كثير من النساء والاطفال الى هيكل الوثنيين وهم مجتمعون فيه للذبيحة فلم يطق ان يرى هذا المشهد صامتاً بل بعثته غيرته على توبيخهم والسخرية منهم فقبضوا عليه واشخصوه امام الوالي فحكم عليه اولاً ان يحرق فاذعن للحكم باشاً واراد الوالي ان يقطع لسانه فلبى تنفيذ الحكم عليه ودلعه طائعاً وروى فم الذهب فى خطبتين له فى هذا الشهيد واوسابيوس في محل اخر انه بقي يتكلم بعد قطع لسانه بقوة الله كما كان يتكلم قبله وبعد ان ساموه صنوفاً من العذاب اماتوه مشنوقاً الى نصفين وذكر في الفصل الثالث تيموثاوس من غزة اماتوه محروقاً بالنار واغابيوس وتقلا امرأته طرحوهما في غزة للوحوش الضارية وثمانية شهداء اخرين منهم ديونيسيوس من اطرابلس واسكندر من غزة اماتوهم بقطع رؤسهم في قيصرية

وذكر في الفصل الرابع استشهاد القديس ايفانيوس ويسمى امفيانس ايضاً قائلاً ما ملخصه انه كان من مدينة باكاس في ليشيا (باسيا الصغرى) ابن والدين حسيبين طلب علم الفقه وتعلم اللغة اللاتينية في بيروت واقام فيها سنين مثابراً على اتمام فروض ديانته حريصاً على عفته لا تستغويه ملاذ الشبيبة ولا عشرة الاردياء الكثيرين فى هذه المدينة وبعد ان اكمل دروسه عاد الى وطنه فلم يطق الاقامة مع والديه وانسبائه لتقاعدهم عما تقتضيه العيشة المسيحية فغادرهم غير مبال بفروغ يده من النفقة اللازمة فى سفره وقادته العناية الربانية الى قيصرية حيث كانت قد اعدت له الاكليل واصدر حينئذٍ مكسيمنس امره بجمع الاهلين في كل مدينة ليضحوا الالهة الوثنيين وكان الجنود يستاقون الناس لذلك فمضى ايفانيوس من تلقاء نفسه وخفية عنا اذ كنا فى بيت واحد وشخص امام الوالي يحضه ان يرعوي عن ضلاله ويكف عن اضطهاد المسيحيين فوثب عليه اعوان الوالي كالوحوش الضارية واثخنوه

جراحاً والقوه في السجن مغللاً ثم استاقوه في اليوم التالي الى القاضي وحاول اكراهه على التضحية للاوثان فتحمل تباريح الالمية وانتثر لحمه حتى ظهرت عظامه وهو لا ينثني عن ثباته فامر الوالي المعذبين ان يصبوا زيتاً على رجليه واطراف ثيابه ويلقوا النار عليه فاحرقت النار ثيابه ولحمانه وبقي فيه رمق فكلفه الوالي ان يذعن لامره فابى فامر ان يغرقوه في البحر بعيداً عن الشاطئ فاضطرب البحر وعصفت ارياح زعازع وتزلزلت قيصرية ومادت وقذفت الامواج جثة الشهيد الى باب المدينة قال اوسابيوس كاتب هذه الترجمة لو لم ار بعيني هذه الآية واتذكرها حق التذكر ولو لم يكن شهود عيان كثيرون لما دونتها تذكرة للخلف وذكر في الفصل الخامس اوليانوس واوسيوس قائلاً انهما كانا اخوين من صور واشخصا امام الحاكم احدهما بعد الاخر ولما انكرا عليه التضحية للاصنام عذبهما شديداً فلم ينفكا عن ثباتهما فغرقهما في البحر

وذكر في الفصل السادس اغابيوس الشهيد (غير اغابيوس المار ذكره) وقال انه كان في السجن من اجل ايمانه واتى مكسيمينس الملك الى قيصرية يحتفل بعيد مولده بعظيم الاحتفاء على عادتهم واراد ان يرى الحشد مشهداً غريباً فاشخصوا اغابيوس امام الملك وتملقه وتهدده ليجحد ايمانه نصرح بعزمه ان يتحمل كل عذاب مسروراً ولا يكفر بربه وكان حينئذٍ في هذا المشهد رجل قتل مولاه فعفا الملك عنه وامر ان يطرح بطل الدين للوحوش الضارية فتسارع الشهيد الى لقاء الدب الذي اطلقوه عليه فمزق لحمانه وبقي فيه رمق فاعاده الى السجن ولما استمر الى الغد حياً علقوا برجله حجراً وطرحوه في البحر فقضى نحبه

وذكر في الفصل السابع توادوسيا العذراء ودومنينوس واوكسانيوس الشهداء اما توادوسيا فكانت من صور وكانت في الثامنة عشرة من سنها فاتت قيصرية ومضت يوم احد القيامة تزور المسجونين من اجل الايمان وتشجعهم

وتسألهم ان يذكروها اذا لقوا ربهم فشكاها السجان الى الوالي فاحضرها وامر بجلدها حتى انتثر لحمها وظهرت عظامها ورآها مسرورة بتحملها العذاب من اجل ايمانها فامر ان تغرق في البحر فطارت نفسها من اللجة الى لقاء ربها في السماء وعاد الوالي الى التنكيل بغيرها من السجنى وكان بينهم رجل حسيب اسمه دومنينوس يعرفه كل اهل فلسطين بشدة عزمه وصدق مقاله (ولم يذكر من اين هو) ولما لم ينثنِ عن ايمانه بوعد او وعيد امر ان يحرقوه حياً فكانت النار اكليل نور لنفسه وكان من السجنى اوكسانيوس وكان شيخاً مهيباً فامر ان يطرحوه الى الوحوش فافترست جثته ونجت نفسه الى المجد الخالد وقد ذكر اوسابيوس في هذا الفصل ايضاً سلوانس الاسقف وبمفيلس اللذين مر معنا ذكرهما

وذكر في الفصل الثامن والتينا وامرأة اخرى وبولس اما والتينا فقال انها كانت من غزة قبض عليها مع غيرها من الكنيسة ولما اشخصوها امام الوالي وبخته على قسوته معترفة بايمانها فامر بجلدها جلداً قاسياً وبين كان الجنود يعذبونها اذ صاحت امرأة من بين الحشد (ذكر اوسابيوس انها من قيصرية ولم يذكر اسمها ويؤخذ عن ميناوون الروم في ١٥ تموز انه كان اسمها ثيا) قائلة «والامَ تعذبون اختي هذه» فامر الوالي بالقبض عليها ولما يئس من استمالتها بوعد او وعيد لتضحي للالهة امر بان يعذبوها بامشاط من حديد حتى تناثر لحمها ثم امر بربط المرأتين معاً واضرام النار عليهما حتى ابادتهما وعلى أثر استشهادهما اتوا برجل يدعى بولس (لم يذكر اوسابيوس من اين هو) وحكموا عليه بقطع الرأس فسأل سياف الوالي ان يمهله قليلاً ريثما يصلي واخذ يتضرع الى الله اولاً من اجل كنيسته ثم من اجل اليهود والسامريين ليقبلوا الى الايمان ثم من اجل الملك والوالي والقاضي والسياف فاغرورقت عيون الحاضرين بالدموع ولم يلن قلب الوالي فضرب السياف عنقه

وذكر في الفصل التاسع انطونينوس وزابينا وجرمانس واينانا العذراء اما انطونينوس فكان كاهناً وزابينا كان من بيت جبرين وجرمانس لم يذكر محله فهولاء الثلاثة أشخصوا امام الوالي في حين شدة الاضطهاد اذ كان يضحي للالهة واذ سئلوا اجابوا انهم مسيحيون ونبوا الوالي على تكريمه لغير الاله الحق فامر بقطع رؤوسهم وفي ذلك اليوم احضر الشرط امرأة عذراء اسمها اينانا من باسان واذ لم تذعن للوالي جلدوهـا اولاً ثم طوفوها في قيصرية عريانة ثم امر الوالي بحرقها

وفي الفصل العاشر ذكر خبر احراق الظالمين رجلاً اسمه اريس وقطعهم راسي بروبوس وايليا واحراقهم بطرس الراهب من بيت جبرين واسكلابيوس الذي يقال انه كان اسقف المرقيونيين وروى في الفصل الحادي عشر خبر استشهاد القديس بمفيل ورفقاءه وقد مرَّ معنا ذكره وفي الفصل الثاني عشر ذكر خبر بعض الروساء الذين لم يكونوا اهلاً للرئاسة فبحكم الله العادل جزاهم الظالمون بان جعلوهم ساسة لخيل الملك او لرعاية مواشيه فضلاً عن ان الاهانات التي كان نواب الملك او مديرو النواحي ينزلونها بهم وفي الفصل الاخير ذكر استشهاد سلوانس اسقف غزة بعد جهاد مديد اذ قطع رأسه بامر الملك مكسيمينس مع اربعين شهيداً منهم رجل اسمه يوحنا كان الظالمون قد فقأوا عينيه ثم كووه في محلهما وكان يتلو في الاجتماعات فصولاً برمتها من التوراة او نبوات الانبياء او الاناجيل اذ كان يحفظ الاسفار المقدسة عن ظهر قلبه حتى قال اوسابيوس انه دهش به لاول مرة سمعه يتلو فصولاً من الكتاب وخيل له ان يُقرا في كتابه ودنا منه فقضى العجب العجاب من قوة ذاكرته وجودة بصيرته مع فقدان باصرته وقد كشف العالم كوراتون الانكليزي عن كتاب عنوانه اوسابيوس القيصري في شهدا فلسطين وعثر عليه بين الكتب المخطوطة في المتحف البريطاني عدد ١٢١٥٠ منها

مؤرخ في السنة ٧٢٣ للسلوقيين الموافقة للسنة ٤١١ او للسنة ٤١٢ المسيحية وهو مكتوب باللغة السريانية من اقدم الكتب المخطوطة فترجمه كوراتون الى الانكليزية واذاعه في لندرة سنة ١٨٥١ والمرجح عند العلماء ان هذا الكتاب كتبه اوسابيوس مطولاً بلغة شعب فلسطين السريانية حينئذٍ ثم ترجمه بايجاز الى اليونانية في الكتاب المثبت بين كتبه المعروفة الان وقد ذكر السمعاني في المكتبة الشرقية بعض فقر من ترجمة الشهداء المذكورين فيه تطابق هذه النسخة السريانية (ملخص عن مجلة التمدن الكاثوليكي في نشرتها المؤرخة في ١٦ ت ١ سنة ١٨٩٧)

الفصل الثالث

في ماكان من المباحث الدينية والبدع والمجامع في سورية في القرن الثالث

عد ٥٥٦

في ماكان من المباحث الدينية في سورية فى هذا القرن

كان من المباحث ذات الاهمية في الكنيسة في هذا القرن المبحث في ما اذا كان تعميد الاراطقة صحيحاً او باطلاً واذا رجع احدهم الى الكنيسة الكاثوليكية ايعاد تعميده ام يحسب معمدًا ولم ينشأ هذا المبحث في سورية بل اشترك فيه كثير من اساقفتها وغيرهم من الاساقفة الشرقيين وكان اول من قال بان تعميد الاراطقة باطل وان من رجع منهم لزم تعميده ثانية اغربينوس احد اسلاف القديس كبريانوس في اسقفية قرطاجنة وعقد لذلك مجمعاً اثبت فيه قوله نحو سنة ٢١٥ كما يظهر من رسالتي كبريانوس الحادية والسبعين والثالثة والسبعين ومن قول

القديس اغوسطينوس (في ك ٢ في المعمودية) ولم ينحصر اتباع هذا الخطاء في افريقية بل امتد الى اقاليم المشرق ووجد من يدافع عنه من مشاهير الشرقيين علماً وقداسة نخص بالذكر فرميليانس اسقف قيصرية في الكبادوك والقديس ديونيسيوس اسقف الاسكندرية وتابع هولاء كثيرون من اساقفة سورية على هذا الخطا وكان القديس كبريانوس اسقف قرطاجنة شديد المدافعة عنه وقد عقدت مجامع عديدة لتأيد هذا القول في نوميديا سنة ٢٥٦ حكم فيهما بلزوم تعميد الاراطقة كما يظهر من رسالة ٧٠ لكبريانوس ثم عقد القديس كبريانوس تلك السنة نفسها مجمعاً في قرطاجنة فاثبت المجتمعون فيه الحكم المذكور وحكموا ايضاً ان من نال الدرجات المقدسة في الكنيسة ثم ابتدع بدعة ثم رجع عنها فلا يقبل الا في مصاف العامة وكتب القديس كبريانوس مع اساقفة هذا المجمع رسالة الى اسطفانوس الحبر الروماني ينبئه بما كان في المجمع ويسأله بالحاح ان يثبت اعمال المجمع ويؤيده بسلطانه وانفذ رسائل اخرى الى اساقفة اخرين ثم عقد تلك السنة نفسها مجمعاً اخر في قرطاجنة حضره سبعة وثمانون اسقفاً افريقيون وايدوا الحكم ببطلان تعميد الاراطقة فلم يثبت الحبر الروماني المذكور آنفاً حكمهم بل نبذه وحكم بان تعميد الاراطقة صحيح ان باشروه متممين شرائطه ولم يحسن قبول الوفود الذين انفذهم اليه فرميليانس وغيره من الاساقفة الشرقيين المستمسكين بهذا القول والصحيح انه افصح لهم في بيان الحقيقة مورداً لهم الحجج القاطعة المخالفة لرأيهم ولعله هدد بالحرم من يبقى بعد ذلك مصراً على رأيه اما القديس كبريانوس فتردد اولاً في الاذعان لما حكم به الحبر الروماني وكتب رسائل اخرى يحتج فيها لرأيه الى ان امتثل اخيراً هو وسائر الاساقفة الشرقيين ما قضت به ام الكنائس ومعلمتهنّ وزال الخلاف واساقفة افريقية الذين كانوا حكموا مع القديس كبريانوس بتعميد الاراطقة نقضوا حكمهم بحكم اخر كما روى مصرحاً القديس ايرونيمس (في

لوسيفور فصل ٨) والخمسون اسقفاً الشرقيون الذين كانوا ايدوا الخطأ المذكور في مجمع في قونية رجعوا عنه في مجمع اخر كما صرح بذلك القديس باسيليوس (في رسالته ٩٩ الى امفيلكيوس) ومن المعلوم ان المبحث في مواد التهذيب لا في العقائد فمكابرة بعض الاساقفة في التشبث برأيهم اولاً لا توصم بضلال مخالف الايمان ولا تمس سلطة الحبر الروماني بل كان من ذلك بينة على ان القول قوله وقد اذعن له الاساقفة طرًا في المشرق والمغرب

وقد نشأ في قرطاجنة ايضاً في منتصف القرن الثالث مبحث اخر اتصل الى اكثر الكنائس الشرقية والغربية وهو أيقبل في شركة المؤمنين من جحدوا الايمان في زمان الاضطهاد دون ان يكفروا عن زلتهم فان كثيرين ممن جحدوا الايمان في اضطهاد داكيوس بتقديمهم البخور للاصنام او باشتراكهم في الضحايا المقدمة لها او برشوتهم الظالمين واخذهم شهادة منهم بانهم فعلوا مثل ذلك كانوا يتطلبون بعد نجاتهم ان يقبلهم المؤمنون في شركتهم عفواً دون ان يعانوا توبة ظاهرة وبعضهم كانوا يتوسلون الى الشهداء بوسائل متنوعة فينالون منهم كتاب توصية الى الاسقف ليعفو عنهم فكان المومنون يجلون وصايا الشهدا بعد وفاتهم ويحرصون على العمل بها وكان في جملة هولاء الجاحدين خمسة كهنة في قرطاجنة جعلوا انفسهم بين هولاء الجاحدين فتألب اليهم كثيرون منهم وانضم اليهم بعض اهلهم وانسبائهم واخذوا يتعنتون الاساقفة والكهنة ليقبلوهم في مصاف المؤمنين التائبين فابى القديس كبريانوس ان يقبلهم دون ان يصنعوا توبة ظاهرة عن اثمهم لئلا يسوى بين الجاحد والثابت في الايمان وينهج سبيلاً الى التراخي في المحافظة على الدين وكان الكرسي الروماني فارغاً بعد وفاة القديس فابيان فانفذ رسالة الى الاكايروس الروماني (الذي كان يدبر الكنيسة الى ان ينتخب خلفاً له) فصوبوا ما عمله كبريانوس وارجأوا الجزم في هذا المبحث الى ان تخمد جذوة الاضطهاد ويقام رئيس للكنيسة او يعقد مجمع

لذلك وامروا ان يصنع هولاء التوبة المعتادة في الجرائم الكبيرة واذا أتموها قبلوا في الكنائس بوضع يد الاساقفة والكهنة وجرت المصالحة فابى الجاحدون قبول هذا الشرط فامر الاكليروس الروماني تفادياً من الشقاق ان يحل في مرض الموت من كان من هولاء نال توصية من الشهداء فاكثر الجاحدون من الهرج ومضى نوفاتوس احد هولاء الجاحدين الى رومة فأثار القلق هناك منضماً الى الجاحدين فيها واتسع نطاق هذا القلق الى اقاليم عديدة منها سورية ايضاً كما يظهر مما سيأتي ولما قتل الملك داكيوس وعاد الامن الى الكنيسة ورجع القديس كبريانوس الى كرسيه الذي كان غادره واقيم كرنيليوس حبرًا في الكرسي الروماني عقدت مجامع خاصة في شأن هولاء في محال عديدة وحكم بالاجماع ان من قدموا بخورًا للاصنام لزمهم ان يصنعوا توبة كاملة وقبلوا بين المؤمنين بعد اتمامها وان طرأ عليهم خطر حلوا قبله من أثمهم ومن كان بيدهم كتاب توصاة من الشهداء اقتصر لهم على ما صنعوه من التوبة من تلقاء انفسهم في مدة ثوران الاضطهاد وصالحتهم الكنيسة

وكان في رومة حينئذٍ كاهن اسمه نوفاسيان هائماً بان يكون حبرًا رومانياً وكان مضطلعاً بفلسفة الرواقيين وفصيحاً ولما انتخب كورنيليوس اورد عليه مع مريديه شكاوى تخص الاساقفة عنها فالفوها كاذبة فخدع نوفاسيان ثلثة اساقفة اميين فرسموه اسقفاً على رومة فكان اول حبر دخيل على الكرسي الروماني ومما علمه من الضلال ان ليس للكنيسة ان تصالح من جحدوا الايمان لدن الاضطهاد مهما صنعوا من التوبة ولا يحل البتة الاشتراك معهم وانفذ دعاة ورسائل الى كثيرين من الاساقفة يخبرهم بارتقائه الى اسقفية رومة بحسب العادة ويحضهم جميعاً ان لا يقبلوا الجاحدين في شركة المؤمنين بل يغروهم بالتوبة ويتركوا الحكم لله فتعاظم القلق في الكنيسة وتوفرت الرسائل والمحادثات بين الاساقفة من ذلك

رسالة كتبها ديونيسيوس البطريرك الاسكندري الى فابيوس البطريرك الانطاكي اسهب فيها الكلام على توبة من جحدوا في زمان الاضطهاد وبين لزوم حلهم عند ساعة الموت ولو لم يطلبوا الحل الا حينئذٍ (ذكر هذه الرسالة مطولة اوسابيوس في ك ٦ من تاريخه فصل ٤٤) وكتب البابا كرنيليوس الى فابيوس البطريرك المذكور رسالتين في حرم نوفاسيان ورسالة ثالثة اسهب بها في بيان جرائم هذا المبتدع ورجوع الجاحدين الذين كان قد اغواهم وعدد له الاساقفة ونوابهم الذين اجتمعوا في رومة لهذا الغرض واعلمه ان الكرسي الرسولي بت هذا المبحث بلزوم توبة الجاحدين وقبولهم بعدها وحلهم عند احتضارهم دون توقف وردذل هذا الشقاق واختلاف الاراء ونري ديونيسيوس البطريرك الاسكندري كتب الى البابا اسطفانوس سنة ٢٥٢ او سنة ٢٥٣ رسالة يبشره بها باستتباب الراحة والوفاق في الكنيسة الشرقية ومنها قوله « فليكن معلوماً لديك ان جميع الكنائس التي كانت متضاربة الاراء اصبحت الان متحدة فان كنائس المشرق وما وراءه ايضاً وجميع الاساقفة على وفاق تام وهم على غاية السرور بهذا السلام العام الذي لم يكونوا يأملونه اخص بالذكر منهم ديمتريوس اسقف انطاكية وتيوكتيستوس القيصري ومزابان الاورشليمي ومارينوس الصوري واليودر اللاذقي والانوس الطرطوسي وجميع كنائس كيليكية وفرميليان القيصري وكل كنائس الكبادوك اقتصرت على ذكر مشاهير الاساقفة لئلا تمل بمطالعة رسالتي » روى هذه الرسالة اوسابيوس (في تاريخه ك ٧ فصل ٢ و ٥) وذكر بعضهم ان ديمتريوس البطريرك الانطاكي عقد مجمعاً سنة ٢٥٣ في مدينته نبذ فيه تعليم نوفاسيان ويظهر من كل ما مر ان بحث الجاحدين وانشقاق نوفاسيان اتصل بسورية ايضاً

﴿ عد ٥٥٧ ﴾

﴿ في المبتدعين والبدع في سورية في القرن الثالث ﴾

كان من المبتدعين السوريين في هذا القرن بريل اسقف بصرى في حوران ولكن ابان له اوريجانس ضلاله وابكمه في المدافعة عنه فغادره عائدًا الى الايمان الصحيح سنة ٢٤٧ او سنة ٢٤٩ وقد ذكرنا ذلك باكثر تفصيل في عد ٢٥١ وكان حينئذٍ بعض العلماء من العرب انكروا خلود النفس وقالوا بموتها مع الجسد وقيامتها معه فرد اوريجانس زعمهم في مجمع عقد في السنة المذكورة وعن بعضهم انه شهده اربعة عشر اسقفًا واظن انه عقد مجمع واحد في بصرى وجرى فيه البحث عن ضلال هولاء وغواية بريل وان هولاء العلماء الذين سماهم المؤرخون عربًا لم يكونوا من اليمن والحجاز بل كانوا من ولاية بصرى التي سماها الرومانيون قصبة بلاد العرب

كان من المبتدعين في سورية في هذا القرن ايضًا بولس السميساطي البطريرك الانطاكي وقد ذكرنا ضلاله ونبذه في مجمعين في انطاكية في عد٥٠٩ وكان في هذا القرن في سورية سيماخوس وكان سامريًا ولم يكن مبتدعًا بل منتصرًا لابيون في بدعته في كتاب وضعه لهذا الغرض حتى سمي تباع ابيون سيماخوسيين وكان في كتابه هذا يجهد نفسه ليثبت ان انجيل متى الذي تعترفه الكنيسة محرف ولا سيما الفصل المشتمل على نسب المخلص لان الابيونيين حرفوا انجيل متى كما سبقت الاشارة الى ذلك ذريعة لاثبات ضلالهم بان المسيح ليس الا انسانًا ولده يوسف والعذراء وان حفظ سنة التوراة ما برح لازمًا وسيماخوس هذا هو صاحب ترجمة الاسفار المقدسة الى اليونانية المعروفة باسمه والمثبتة في نسخة اوريجانس وقد قال فيها انه اخذ ترجمة سيماخوس لبشارة متى وباقي الاسفار المقدسة من امرأة اسمها يوليانا اتصلت اليها هذه الكتب بطريقة الارث (ملخص عن اوسابيوس

في الكتاب السادس من تاريخه فصل ١٧ وعن حواشيه)

وكان في هذا القرن البدعة التي انشأها في خارج سورية من انكروا الثالوث الاقدس وزعموا ان الاقانيم الثلثة في الله اقنوم واحد كما هم ذات واحدة واول من انشأ هذه البدعة رجل من اسيا اسمه براكسيا ثم تابعه على ضلاله رجل اسمه نواطوس من افسس على ما روى القديس ايفان او من ازمير على ما روى توادوريطوس واشهر من علم هذا الضلال ونسبت هذه البدعة اليه انما هو سابيليوس من تيبانيس في مصر اخذ ينشرها في مصر سنة ٢٥٧ وقد قاومه القديس ديونيسيوس الاسكندري وكتب في شأنه رسالته الثانية الى سيستوس الحبر الروماني في المعمودية المثبت قسم منها في تاريخ اوسابيوس (ك ٧ فصل ٦٥) ومن شآء الاطلاع على تفنيد هذا الضلال فليطالع كتاب تاريخ البدع مع دحضها للقديس الفونس ليكوري الذي ترجمته الى العربية وطبعته

ومن اشهر البدع في هذا القرن بدعة المانويين قال فيها اوسابيوس في الكرونيكون في تاريخ سنة ٢٨١ . وظهرت بدعة المانويين المضرة بالنوع البشري في السنة الثانية لبروبس الملك وسنة ٣٢٥ لتاريخ الانطاكيين وسنة ٤٠٢ لتاريخ الصوديين وسنة ٣٢٤ لتاريخ اللاذقيين وسنة ٦٨٧ لتاريخ الرهاويين وسنة ٣٨٠ لتاريخ العسقلانيين . ان في منشيء هذه البدعة اقوالاً نرى اظهرها ما رواه نطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الثالث فصل ٣ جزء ٩) وروهربخر (ك ٢٩ من تاريخه) وهو ان اول من انشأ هذه البدعة رجل اسمه شيتيان من السراكسة (قبيلة في بلاد العرب) مارس التجارة فايسر ومضى الى مصر فانكب على درس علوم اليونان ولا سيما الفلسفة وتزوج بامرأة مثرية والف اربعة كتب بث فيها ضلاله بوجود مبدأين اي الهين اله الخير واله الشر ثم زايل مصر واتى الى اليهودية لا في زمان الرسل كما يستلمح من قول القديس ايفان بل بعد انقضاء القرن الثالث

كما يظهر من مقاومة كهنة الكنيسة الاورشليمية له وعدم تمكنه من اغواء المؤمنين وقد صعد الى شرفة بيت وطرح نفسه من اعلى لينخدع الناظرون بسحره فهلك وكان له تلميذ يسمى تريلُوس ورث ماله وكتبه وبدعته واذ رأى افتضاح امر معلمه في اورشليم ولم يكن في مأمن فيها فرَّ الى بلاد فارس وسمى نفسه بودا فناصبه كهنتهم وكانت بينهم وبينه جدالات عنيفة واراد ان يبدي آية يفحم بها خصماءه فصعد الى سطح بيت عال وطرح نفسه عن جداره ففاضت نفسه التعيسة كمعلمه وكان نزيلاً عند امراة اسمها اسوس فاخذت ماله وكتبه وشرت رقيقاً فارسياً اسمه كربيك اعتقته وتبنته وعنيت بتعليمه علم الفرس وجعلته وارثاً للمال والكتب المذكورة وسمته ماني او مانيكاوس وتأويله معطي المن او المانح فاقتبس من تلك الكتب الضلال المذكور وجد بنشره مترجماً كتب معلمه ومرض ابن الملك فوعد ابوه ان يجيز من ابراءه خير جائزة فحاول ماني ان يشفيه فمات الولد فطرح الملك ماني في السجن مغللاً بالقيود فرشا السجان وفر الى اطراف ما بين النهرين وارسل دعاة الى اصقاع عديدة ينذرون بتعليمه الفاسد وسمى نفسه يسوع المسيح ثم البارقليط اي روح القدس وارسل ملك الفرس في طلبه فقبض عليه بعض اعوانه وامر بسلخه حياً وبعد ان قضى ترك جثته للكلاب والطيور وحشا جلده تبناً وعلقه على ابواب المدينة واستمر الى ايام القديسين كيرلس الاورشليمي وابيفان كما شهدا بذلك

قد ولد ماني سنة ٢٣٩ وعن اليا النصيبيني انه ولد سنة ٥٥١ اليونانية الموافقة سنة ٢٤٠ وطفق يبث ضلاله سنة ٥٧٩ الموافقة سنة ٢٦٨ وكانت وفاته سنة ٢٧٤ وقال ابن العبري فيه (في تاريخ بطاركة انطاكية) . انه كان في زمان دمنوس البطريرك الانطاكي وانه كان يفاخر اولاً بانه مسيحي وكاهن ويفسر الاسفار المقدسة ويجادل اليهود والوثنيين ثم دعا نفسه المسيح واختار له اثني عشر تلميذاً

وارسلهم يعلمون بالمبدأين اي الالهين احدهما صالح والاخر شرير . الى غير ذلك من الغوايات التي ذكرها نطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الثالث فصل ٣) منها عدا ما مرَّ زعمه مع تباعه ان الجسد خلق من المادة والمادة خلقها الاله الشرير ولذلك زعموا ان المسيح لم يكن ذا جسد حقيقي بل خيالي ولم يمت ولم يقم حقيقة ومنها انهم كانوا يحرمون الزواج ولا يمنعون انفسهم عن مباشرة النساء الى غير ذلك من الغوايات التي ذكرها نطاليس اسكندر عن القديس اغوسطينوس في كتابه في البدع (فصل٤٦) وعن القديس ابيفان في بدعة ٦٦وعن توادوريطوس في كتابه في حكايات المبدعين فصل ٢٦ وكان لماني جدال طويل مع ارشيلاوس احد اساقفة ما بين النهرين ذكره روهربخر في المحل المذكور ملخصاً ومنه يتبين ان ماني أُفحم وأُبكم واضطر الى الفرار

عد ٥٥٨

في المجامع التي عقدت في سورية في القرن الثالث

مما نعلمه من المجامع التي عقدت في سورية في هذا القرن المجمع الذي عقد في بصرى من اعمال حوران بداعي الضلال الذي علمه بريل اسقف هذه المدينة وشهد اوريجانس هذا المجمع وافحم بريل فاقلع عن غوايته وكان ذلك لسنة ٢٤٧ او سنة ٢٤٨ واظن انه في هذا المجمع نفسه بحث عن بدعة بعض العرب الذين زعموا ان النفس تموت مع الجسد وتقوم بقيامته ورد اوريجانس زعمهم بالحجج الساطعة والبينات الدامغة وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك

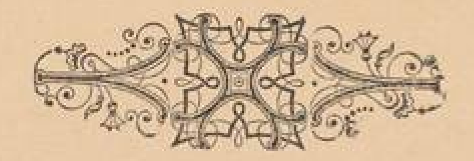
ومنها مجمع عقد في انطاكية سنة ٢٥٣فانه لما ظهر انشقاق نوفسيان باختلاسه الرئاسة على الكرسي الروماني ومناصبته للبابا كرنيليوس الحبر الشرعي وابتداعه الضلال بانه ليس للكنيسة السلطان على حل من جحدوا الايمان في زمان الاضطهاد ولا على مغفرة الجرائم المقترفة بعد المعمودية وكاتب رؤساء الكنيسة

في المشرق والمغرب مبشراً بتسنمه كرسي الحبرية الرومانية وملمعاً الى تعليمه فعقد القديس كبريانوس مجمعاً في قرطاجنة نبذ فيه رئاسته وتعليمه وكذا عقد ديمتريوس البطريرك الانطاكي مجمعاً في مدينته اجمع فيه الاساقفة على رذل نوفسيان ونوفاتوس الذي كان تابعه على ضلاله وعلى نبذ تعليمهما وتحريمه

ومنها مجمعان اخران عقد في انطاكية ايضاً لتدارك ضلال بولس السيمساطي بطريرك هذه المدينة فانه لما ظهر ضلاله بان المسيح لم يكن الا انساناً كعامة الناس اجتمع الاساقفة في انطاكية لردعه كذئب عن القطيع واستدعوا ديونيسيوس البطريرك الاسكندري ليأتي الى انطاكية فاعاقه مرضه وشيخوخته عن المسير اليهم وانفذ اليهم رسالة مشبعة بيّن بها رأيه في هذا المبحث واشهر الاساقفة الذين شهدوا هذا المجمع فرميليانوس اسقف قيصرية في الكبادوك وغريغوريوس واثنادورس اخوه الاسقفان في بنطس وهيلانس الترسيسي ونيكوما اسقف قونية وهيمانوس اسقف اورشليم وتيوتكنوس اسقف قيصرية فلسطين ومسكيموس اسقف بصرى وغيرهم كثيرون عدا الكهنة والشمامسة واجمع هولاء على نبذ ضلال السميساطي فانكر هو احداثه هذا الضلال فاثبت عليه كهنة كرسيه تجديفه على المسيح وبث غواياته فاظهر الارعواء عن غلطه ووعد بازالة العثار الذي تسبب به فوثق الاباء بكلامه ولم يحطوه عن مقامه وكان هذا المجمع سنة ٢٦٤ وفي روايات اخرى سنة ٢٦٥ او سنة ٢٦٦

على ان السميساطي ما انفك يبث ضلاله ويزيد العثار بديرته السيئة فاجتمع الاساقفة مرة اخرى في انطاكية وكان عددهم يزيد كثيراً على عدد المجتمعين اولاً وزيفوا تعليمه . وممن امتازوا حينئذٍ ببيان الحقيقة والخام بولس بضلاله ملكيون كاهن كنيسة انطاكية العلامة المفضال واجمع الاباء المتأمون ولا مخالف على نبذ ضلال بولس السميساطي وحطوه عن الاسقفية ودونوا رسالة عامة الى

ديونيسيوس الحبر الروماني ومكسيموس البطريرك الاسكندري (اذ كان توفي ديونيسيوس سالفه في هذه الفترة) وجميع الاساقفة والكهنة والشمامسة في العالم الكاثوليكي ابانوا بها ضلال السميساطي ومعايب سيرته وحرمهم له وحطه عن مقامه الاسقفي وذكر اوسابيوس هذه الرسالة مطولة في تاريخه (ك ٧ فصل ٣٠) وعنه لخصنا ما مرّ من كلامنا هنا وكان هذا المجمع الثاني سنة ٢٧٢ وعن بعضهم سنة ٢٧٠ وقدمرّ ان السميساطي حاول ان يبقى على كرسيه اعتماداً على حماية زبيدة ملكة تدمر له الى ان خلعت هي من ملكها واخذها اورليان اسيرة الى رومة



الباب الرابع

في تاريخ سورية في القرن الرابع

القسم الاول

في تاريخها الدنيوي

الفصل الاول

في الملوك الرومانيين والقسطنطينيين في هذا القرن واعمال بعضهم في سورية

عد ٥٥٩

(في الملوك الرومانيين في القرن الرابع وفي قسطنطين الكبير)

مرَّ في عد ٥٤١ ان ديوكلتيان اعتزل الملك سنة ٣٠٥ تاركاً فيه مكسيميان هرقل وقسطنس كلور وكالر وسمى ديوكلتيان لدن اعتزاله ساويروس فلافيوس قيصر ثم سماه كالر عاهلاً سنة ٣٠٦ وتولى ايطاليا وافريقية وحمل على مكسنس بن مكسيميان هرقل الذي سمى نفسه عاهلاً في ايطاليا عند وفاة قسطنس كلور فانتصر مكسنس عليه في رفناً وقتله وفي رواية انه انتحر في السنة ٣٠٦ المذكورة واما مكسنس فهزم كالر واختلف مع ابيه مكسيميان هرقل الذي كان اعتزل الملك عند تخلي ديوكلتيان عنه سنة ٣٠٥ لكنه عاد اليه سنة ٣٠٦ فارغم ابنه مكسنس ان يفر الى افرنسة ثم عاد منها الى رومة مبدياً شديد القسوة خاصة على المسيحيين فحمل

عليه قسطنطين واستظهر عليه عند اسوار رومة وغرق مكسنس في نهر التبر سنة ٣١٢ وكان ديوكلتيان ايضاً سمي مكسيميان دايا او داذا قيصر وقسم ولاية المشرق بينه وبين كالر ولما ادركت الوفاة كالر سنة ٣١١ استبد مكسيميان بولاية المشرق ولكن كان ليشينيوس بن كالر بالتبني يزاحمه في هذه الولاية الى ان انتصر ليشينيوس على مكسيميان في وقعة في ادريانبل وفر من وجهه وانتحر متسمماً في ترسيس سنة ٣١٣

عد ٥٦٠

في قسطنطين الكبير وابنائه

ان قسنطس كلور خرمته المنية سنة ٣٠٦ وكان له ولد اسمه قسطنطين من امرأته هيلانة ولد لهما سنة ٢٧٤ وكان متزلفاً الى ديوكلتيان عزيزاً لدى الجنود وتزوج بابنة الملك مكسيميان هرقل فلقب باغوسطوس عند وفاة والده ونادى باسمه الفيلق الذي كان في بريطانيا وبعد ان نشر بساط الامن في افرنسة توعك في حروب اهلية الجأته الى قتل حميه الملك مكسيميان هرقل سنة ٣١٠ وحمل على مكسنس بن مكسيميان الذي كان اقيم ملكاً في رومة وفي مدة هذه الحرب رأى في الجو علامة الصليب مكتوباً عليها « بهذه العلامة تنتصر على اعدائك » واليك رواية اوسابيوس هذه الآية (في ك ١ في ترجمة قسطنطين ف ٣)

« ان قسطنطين طفق يلتمس عون الله ويصلي خاشعاً اليه ليعرفه بذاته المقدسة ويمده بغوثه في اعماله فظهرت لهذا الملك وهو يصلي ويتضرع آية في السماء ولو انبأنا بها رجل ايًّا كان لتعسر على السامعين تصديقه على ان هذا الملك الظافر نفسه قص هذا الخبر على كاتب هذا التاريخ بعد زمان اذ ساعدنا الحظ على التعرف اليه ونيل الحظوة لديه فروى ذلك لنا مشفعاً اياه باليمين على صحته فمن يخامره بعد هذا الشك في صدق هذه الرواية لا سيما ان ما عقب ذلك كان مصداقاً لشهادته

ذلك انه ظهر له عند الزوال في كبد السماء صورة صليب مؤلف من اشعة الشمس ورأى بعينيه مكتوباً عليه بهذا تنتصر وقد ابصر هذه الآية هو وجميع الجنود الذين كانوا يتبعونه ودهشوا كثيراً واخذ قسطنطين يفكر في ما يكون المشهد الذي رآه ولما كان الليل ظهر له المسيح في منامه مع العلامة التي كان قد شاهدها في الجوّ وامره ان يصنع اعلام جيشه على مثالها فتكون له منجدة في حروبه ولما استيقظ صباحاً اعلم اصحابه بما كان له ليلاً وصنع اعلام جنوده على حسب المثال الذي رآه ، وبعد انتصار قسطنطين على مكسنس ودخوله رومة ظافراً اقامة الندوة والشعب الرومانيان قوس انتصار ما برحت اطلالها في رومة مكتوباً عليها ، اقامت الندوة والشعب الرومانيان قوس الانتصار هذه للملك قيصر فلافيوس قسطنطين العظيم السعيد لانه انتقم للحكومة ووقاها من الظالم ومحازبيه مدفوعاً الى ذلك من قبل الاله وعزة نفسه ومصحوباً بجنوده ، ونصب له سكان رومة تمثالاً من ذهب كالالهة وقد اراد هو ان يمثل وبيده صليب طويل مكان الحربة وان يكتب على اسفله ، بهذه العلامة الخلاصية سمة الشجاعة الحقيقية عتقت مدينتكم من نير الجور والاعتساف ورددت الندوة والشعب الى فخارهم القديم ، قد اجهد فيكتور دوري نفسه في كلامه على قسطنطين لينكر هذه الآية ويزيف قول اوسابيوس بها وقد طالعت متأنياً فصله المتطاول في هذا الشان فلم اجد فيه حجة راهنة تؤيد زعمه وتنديده بكلام اوسابيوس ابي التاريخ في العهد الجديد الا تهماته له بدون بيّنة بانه عمد الى كذب يختاله نافعاً للدين والا زعمه ان لا مدخل للآيات في التاريخ وان زيّف قول اوسابيوس فما يقول في اقوال كثيرين من الاباء القريبين من ذلك العصر وقد ذكروا هذه الآية وبشهادة الآثار التي اوردنا بعضها فهو لا يؤمن بالآيات فلا يحق له ان ينبذ اقوال من يؤمنون بها دون حجة قاطعة

وبعد ان استظهر قسطنطين على مكسنس واحزابه دانت له ايطاليا وافريقية واكثر اوروبا وبقي ليشينيوس الذي سمي ملك المشرق بعد ظفره بمكسيميان دايا فتزلف اولاً الى قسطنطين فزوجه اخته قسطنتة وملك لوشينيوس في المشرق ثم وقعت النفرة بينهما فانتصر قسطنطين عليه بعد وقائع سنة ٣١٤ وارغمه على صلح مذلل له ثم تلظت الحرب بينهما ثانيةً فظهر عليه قسطنطين في ادريانبل سنة ٣٢٣ ونفاه الى تسالونيك ثم قتله سنة ٣٢٤ واستبد قسطنطين في الملك وحده واستتبت الراحة في المملكة واذاع قسطنطين امرين الاول سنة ٣١٢ والثاني سنة ٣٢٤ بهما اباح الكاثوليكيين مباشرة فروض دينهم واقامة كنائسهم وقبولهم لها التقادم والهبات وفرض شرائع نافعة للمسيحيين منها ان ترد على المسيحيين الكنائس والمدافن والعقار وكل ما ضبطته الحكومة وهو لهم ومنها ان يعود المنفيون بسبب الدين المسيحيّ الى اوطانهم وان ينكف كل اضطهاد لهم ومنها ان الشهداء والمعترفين الذين لم يبقَ لهم وارث تحسب الكنيسة وارثاً لهم ولم يكن ينصب والياً في بلاد كثر المسيحيون فيها الا ان يكون مسيحياً ومن كان منهم وثنياً حظر عليه ان يقدم الذبائح للآلهة وبنى في اورشليم بطلب والدته الملكة هيلانة كنيسة بديعة على قبر المخلص واخرى في بيت لحم فوق مغارة مولده واخرى في جبل الزيتون ونقض كثيرًا من معابد الاصنام منها هيكل الزهرة في افقه الذي كان ماخورًا ومجلساً للعواهر وجعل البيزنطية عاصمة لملكه وباسمه تسمت قسطنطينية نحو سنة ٣٢٦ وحضر مجمع نيقية بنفسه وعاون الاساقفة على تأييد عقائد الدين خلافاً لاريوس المبتدع الذي نفاه كما سيجي وقد كتب الى اوسابيوس القيصري ان يستنسخ له خمسين نسخة من الاسفار المقدسة باحسن الخطوط وان يُعنى بضبطها وامر خازن الحكومة ان يدفع له كل ما شاء من النفقة عليها فاتمَّ اوسابيوس ذلك كما روى في ترجمة قسطنطين (ك ٤ فصل ٢٩) وبني في القسطنطينية كنائس عديدة منها

كنيسة على اسم الرسل جعل مدفنه فيها ويقال انه هو الباني الكنيسة المعروفة باجيا صوفيا اي الحكمة المقدسة وقد عاب زوزيموس واوطرب والقديس ايرونيمس قسطنطين بانه اغتال ليشينيوس بعد ان امّنه ونفاه الى تسالونيك والتمس سقراط عذرًا له بان ليشينيوس اخذ يهيج خصوم الملك عليه ولم يأتِ اوسابيوس ببنت شفة في هذا الامر واشنع من ذلك قتله ابن ليشينيوس بعد ابيه وهو ابن اخته ولم يكن له من العمر الا احدى عشرة سنة ثم اغتياله بكره كريسبوس بسعاية امرأته فوسطا وقد ظهر له بعد ذلك براءته ومكر فوسطا ربيبته فاماتها ببخار الحمام وقد صمت اوسابيوس عن كل هذه الاحداث ربما لانه غالى بمدح قسطنطين وقد خرمت المنية الملك قسطنطين سنة ٣٣٧ بعد ان نال سر العماد المقدس قبل وفاته بايام قليلة على الاظهر وقد جاء في كتاب اعمال البابا سليبستروس المنسوب اليه ان هذا البابا عمده قبل بضع سنين من المجمع النيقوي ومن الآثار التي جاءت فيها اسماء قسطنطين وابنائه في بلادنا عمود من الحجر المحبب وجد ساقطاً في اعلى الراس الذي عند نهر الكلب كان دالاً على الميل التاسع من بيروت ذكره وادينكتون خط ١٨٤٧ ورنان في بعثة فونيقي صفحة ٣٤١ كتب عليه « للملك القيصر فلافيوس قسطنطين العظيم الغازي المنتصر ابدًا اغوسطوس ولفلافيوس كاوديوس قسطنطين وفلافيوس يوليوس قسطنس وفلافيوس يوليوس قسطنت ابنائه القياصرة الشرفاء » وهذا الخط نقش بين سنة ٣٣٣ وسنة ٣٣٧

وترك قسطنطين الملك مقسوماً بين ابنائه قسطنطين وقسطنس وقسطنت فكان نصيب قسطنطين بعد موت ابيه سنة ٣٣٧ افرنسة واسبانيا وبريطانيا الكبرى ونصيب قسطنس المشرق وبلاد اليونان ونصيب قسطنت ايطاليا وافريقية واراد قسطنطين ان يستحوذ على نصيب اخيه قسطنت فحشد جيشاً وسار فيه الى ايطاليا نظهر عليه اخوه وشتت شمل جيشه وقتله في وقعة في اكويلايا سنة ٣٤٠

فلم يملك الا ثلاث سنين واستبد قسطنت في ملك المغرب وانغمس في الفواحش وصال وجار فثلّ منينس عرشه وقتله سنة ٣٥٠

اما قسطنس ملك المشرق فهب الى المغرب بعد مقتل اخيه قسطنت وظهر على منينس واستبدّ في الملك شرقاً وغرباً لكنه اكثر من الانتقام والجور والاعتساف والاضطهاد للمسيحيين وسمي غلوس ابن اخي قسطنطين قيصر في المشرق سنة ٣٥١ فانتصر على الفرس لكنه اجرى مظالم لا تقدّر في سورية فاستدعاه قسطنس وحكم عليه بقطع رأسه سنة ٣٥٤ واستمر هو على جوره حتى حمل الجنود على اقامة يوليانس ملكاً مكانه فحمل على يوليانس وبينما هو في طريقه ادركته المنية في سفح جبل طورس في ت٢ سنة ٣٦١ وبعد ان نال سر العماد من يد اوزويوس البطريرك الانطاكي الاريوسي وكانت ايام ملكه موعبة بالحروب مع الفرس وبالمشاحنات الدينية بين الاريوسيين والكاثوليكيين وكان يؤثر الاريوسيين واضطهد القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندري كما سيجي وكان فلافيوس دوميسيوس لاونتيوس والي المشرق تحت امرة قسطنس وسمي قنصلاً سنة ٣٤٤ فاقام له اهل بيروت تمثالاً للشهادة باستبساله وقد وجدت صفيحة من رخام في بيروت اقامها البيروتيون تحت التمثال وهذه الصفيحة نقلت من بيروت الى قنصلية المانيا في اورشليم يتبين منها ما ذكرناه وبين شرائع تاودوسيوس شرائع سنة ٣٣٨ و٣٤٢ و٣٤٣ و٣٤٤ موجهة الى فلافيوس المذكور وروى رنان (في بعثة فونيقي صفحة ١٠٥) عن شدرانوس في مختصر التاريخ وعن توافان في الكرونيكون ان قسطنس جدد بناء انتيرادوس (طرسوس) وسماها قسطنسية وقد عثر على خط في قلعة يحمور تقرأ فيه احرف قسطن ولا يعلم أقسطنس ام قسطنطين هو المراد بهذا الاسم

وهذا مثال لقسطنطين الكبير مأخوذاً عن تمثال وجد في حمامات قسطنطين في رومة



عد ٥٦١

في يوليانوس الجاحد

ان يوليانس كان ابن عم قسطنس وولد في القسطنطينية سنة ٣٣١ ولما اغتال قسطنس ابناء عمه استبقى يوليانس لصغر سنه لكنه ابعده الى اسيا الصغرى ثم رخص له ان يمضي الى اثينا طلباً للعلم ثم استدعاه الى بلاطه وسماه قيصر وعهد اليه بالولاية على افرنسة واقام في باريس واشتهر بغزواته للجرمانيين وظهوره عليهم في ستراسبورغ سنة ٣٥٧ وبنى قلاعاً وحصوناً على تخوم المملكة في تلك الناحية ولما كان قسطنس متضايقاً في حربه مع الفرس ارسل الى يوليانس وفداً

ورسالةً يطلب اليه ان يوجه نخبة من جنده لنجدة جيش الملك فاظهر يوليانس الامتثال لامره واوعز سرًا الى الجنود ان يأبوا تلبيته فنبذوا الطاعة ونادوا باسم يوليانس ملكاً فكتب الى قسطنس رسالتين اعتذر في احداهما عن تسمية الجنود له ملكاً جبرًا عليه وتهدده في الثانية ان لم يجارهِ على قسمة الملك بينهما وذكره باغتياله اهله فاجابه قسطنس مؤنباً منكرًا عليه سؤله فزحف بجيش كثيف انتهى به الى قسطنطينية وسار قسطنس بجيشه من حيث كان لمحاربة الفرس فادركته المنية في الطريق سنة ٣٦١ كما مر واستبد يوليانس في الملك

وكان يوليانس اولاً مسيحياً واستمر كذلك الى ان ادرك العشرين من عمرهِ وكان كثير التردد الى الكنائس والاديار وكثيرًا ما قام في رتبة قارئ في الكنيسة كما قال عن نفسه في احد كتبه الا ان معاشرته الاساقفة والعلماء الاريوسيين الذين انكروا لاهوت المسيح جملته يجحد الايمان المسيحي اولاً في باطنه ثم يجاهر بكفره وانحيازه الى الوثنية ولا سيما بعد ان استوى على اريكة الملك ولذلك لقب بالجاحد وبعضهم يسميه العاصي وقد اجرى اضطهادًا قاسياً على المسيحيين في امكنة كثيرة واتى انطاكية سنة ٣٦٢ في شهر تموز فخرج الشعب الى لقياه واستقبله الوثنيون بمنزلة اله وكانوا يسمونه كوكب السعد الطالع في المشرق لكنه كان يسمع بين اصوات التهليل انين النساء الوثنيات باكيات على ادونيس اذ كان عيده يومئذ فتشاءم من ذلك وقد زار في هذه المدينة جميع معابد الاوثان بل مرتفعاتهم ايضاً التي على الاكام والجبال وقد تسلق على جبل كاسيوس المعروف اليوم بالجبل الاقرع ليزور معبدًا للمشتري في قمته واسرع الى الاحتفاء بعيد ابلون في دفنه القريبة من انطاكية وقدم الذبائح والبخور وقال رنان (في بعثة فونيقي ٢٨٧) انا نعلم ان قسطنطين كان ابطل عبادة ادونيس في افقا بنقضه هيكل الزهرة الذي كان هناك ونقله سكان افقا الى بعلبك ولكنا نرى الهيكل المذكور قد جدد

فيحتمل ان يوليانس امر بتجديده ونرى انه جرى كذلك في هيكل المشنقة الذي روى اوسابيوس ان قسطنطين نقضه ثم جدد في ايام يوليانس وانبأنا سوزيموس الذي كان في القرن الخامس ان الوثنيين كانوا يجتمعون في ايامه في افقا ويختلق كهنة هيكلها معجزات (سوزيموس ك ١ فصل ٥٨) وهذا يؤيد ما مر من أن يوليانس جدد بناء الهيكلين على انهما نقضا مرة اخرى في ايام اركاديوس ولعله اشار اليهما في امره الذي اصدره سنة ٣٩٩ حيث قال « اذا وجدت هياكل في الحقول فلتنقض دون معاونة الجنود ودون ضوضاء فاذا نقضت انتسخت عادة العبادة الباطلة » وقد نشر المسيحيون حينئذٍ في انطاكية اشعارًا منطوية على السخرية منه والتهكم عليه لطول لحيته وقصر قامته وسخف عقله بجحوده دينه فسخط من هذا التهكم شديد السخط واذاع اشعارًا سماها ميزوبوكون اي عدو اللحية يسخر بها من الانطاكيين ويعيرهم برذائلهم فزادوا عليه واخذوا يعيرونه بانه اثار الحرب على كي وكيا مع انهما لم يصنعا به شرًا بل غمراه بايديهما ويريدون بكي كريستوس اي المسيح وبكيا قسطنطين واولاده ولكي يثأر منهم الف كتاباً يتهكم فيه على القياصرة روى ذلك اميان مرسلان (في ك ٢٢ فصل ١٤) الانطاكي الذي كان معاصرًا له بل مرافقاً له في حربه مع الفرس

ان يوليانس عزم ان يجدد بناء هيكل اورشليم زاعماً ان يثبت بذلك كذب المسيح بقوله انه لا يبقى في الهيكل حجر على حجر وكذب الانبياء الذين تنبأوا بانه يبقى خرباً الى الابد فينقض العهدين القديم والحديث وكتب رسالة الى اليهود غالى فيها بمدح امتهم والرثاء لتشتتهم والحض لهم على استئناف بناء هيكلهم في اورشليم ليكون جامعة لهم كما كان قبلاً ولم يقتصر على هذه الرسالة بل استدعى بعض وجهائهم وسألهم لِمَ لا يقدمون ذبائح لالههم فاجابوه للحظر علينا ان نقدم ذبيحة خارجاً عن هيكل اورشليم فقال انه لدى بحثه في اسفارهم المقدسة تبين له ان

مدة سبيهم قد انقضت وانه يلزمهم العود الى اوطانهم والمحافظة على سنتهم ثم كشف لهم عن عزمه وامر بارسال العملة من كل صوب الى اورشليم وامر خزانه ان يعدوا المال اللازم لهذا البناء واقام اليبيوس الذي كان يدعوه اخاه العزيز قيماً على البناء ووجهه الى اورشليم فتسارع اليهود من كل فجٍّ الى اورشليم وكانوا يعاونون بايديهم ومالهم على تجهيز ما يلزم للبناء وكانت نساؤهم يدفعنَ حليهنَّ وكل ما يملكنَ من نفيس لنفقة البناء وبعضهن ينقلنَ التراب والكلس بثيابهنَّ ايضاً واخذ العملة اولاً ينقضون اسس البناء القديم ويعدونها للبناء الحديث واتموا نبوة المسيح بانه لا يبقى هناك حجر على حجر ولما اراد البناؤون وضع الحجار في الاساس انبعثت منها لهبات نار التهمت الفعلة وكل ماكانوا اعدوا من الاخشاب وحاولوا مراتٍ ان يأخذوا في العمل فصدهم شبوب النار عن الدنو الى المحل فغادروه خجلين روينا كل هذا بكلمات اميان مرسلان نفسها (ك ٢٣ فصل ١) وهو مؤرّخ مدقق امين وثني كان خادماً ليوليانس ومقرباً اليه وممن روى هذه الاية من المسيحيين القديس امبروسيوس (رسالة ٤٠) والقديس يوحنا فم الذهب (خطبة ٥ في اليهود) والقديس غريغوريوس النزينزي (خطبة ٤) وروفينوس (ك ١ ف ٣٧) وسقراط (ك ٣ فصل ٢٠) وسوزومان (ك ٥ فصل ٢١) وتوادوريطوس (ك ٣ فصل ٢٠) وكل هولاء كانوا في القرن الخامس وتكلموا في هذه الآية كامر معلوم مشهور لا سبيل الى انكاره بل ذكر هذا الحدث احد مشاهير الربيين اليهود في القرن التالي قائلاً ٠ روت تواريخنا انه لنحو سنة ٤٣٤٩ للعالم حدث زلزال عظيم في الارض كلها فقوض الهيكل الذي كان اليهود بنوه بنفقاتٍ وافرة بامر يوليانس الجاحد وفي اليوم التالي انحدرت نارٌ من السماء فاذابت كل ما كان فيه من الحديد واهلكت كثيرين من اليهود (جنايل ودبرتون) وما لنا وكثرة الشهود لهذه الآية فيوليانس نفسه شهد لها مجبرًا فان هيكل ابولون في

دفنه كان احترق فاعترضه بعضهم قائلاً ان ابولون الاله العظيم لم يعلم ان ينبئ او يتدارك احتراق هيكله فاجاب بما ملخصه «لا يدعينَّ احد بان يعترضنا بالسفسطات او يرهبنا بكلامه بالعناية الربانية فلا غرو ان انبياء اليهود قد تهددونا بمثل هذه النوازل ولكن ما يقولون هم انفسهم في هيكلهم الذي انتقض ثلث مرات ولم يُبنَ حتى الان .... وقد اردت ان اجدد بناء هذا الهيكل تكرمة للاله المعبود فيه ولم اذكر هذا المثال الا لابيّن ان ليس شيء ثابتاً في الامور العالمية» (فقرات يوليانس صفحة ٢٩٥) فيوليانس اقرَّ اذاً بتجديد بناء الهيكل وان النار منعته من ذلك وان هذه النازلة تنبأ بها الانبياء

قد صرف يوليانس الشتاء سنة ٣٦٣ في انطاكية يعد العدد ويحشد الجنود لمحاربة الفرس وكانت مملكة الفرس حينئذٍ فسيحة الانحاء تنطوي على ثماني عشرة ولاية حتى عدَّ اميان مرسلان الصين من جملتها وكان سابور ملكهم يسمى ملك الملوك واخا الشمس والقمر ومع هذا عرض على يوليانس الصلح وحكمه بوضع شروطه فنبذ يوليانس رسالته وقال انه يذاكره بالصلح مشافهةً معتمداً على استشارته الالهة والعرافين وكان ينوي استئصال النصارى من مملكته بعد عوده من الحرب واقام في انطاكية قبل سفرهِ والياً مقلقاً قاسياً جائراً قائلاً انه يعلم ان هذا الرجل ليس اهلاً للولاية لكن اهل انطاكية اهل لان يولى عليهم وزايل هذه المدينة في اذار سنة ٣٦٣ بعد ان قدم الضحايا للاوثان وبلغ في اليوم التالي الى حلب وتلبَّث فيها يوماً مقدماً ضحية للمشتري وخطب في منتدى المدينة حاضاً على عبادة الاصنام فتملقه الكثيرون ولم يذعن لخطابه احد وكان رئيس مجلس حلب ساخطاً على ابنه لتركه دينه وتدينه بمذهب الملك وقد حرمه ارثه وطرده من دارهِ فمضى الابن يشكو امره الى يوليانس ويسأله انصافه فوعده ان يصلح بينه وبين ابيه وادب يوليانس لوجهاء المدينة واجلس هذا الاب الى جانبه وقال له لا

اشاء ان يكره احدٌ غيره على دينه فلا تطلبنّ من ابنك ان يتبع دينك فاجابه الاب
اتعني هذا الأثيم الرذيل الذي آثر الكذب على الحق فساء الملك جوابه لكنه تحلم
وقال دعنا من القدح والتفت الى الشاب فقال له اتخذني ابًا اذ قد تركك ابوك .
وبارح حلب فمر ببطنه مدينة بالجنوب الشرقي من ايرابولس تسميها الآثار
المصرية بادانا وانتهى الى ايرابولس القريبة من الفرات فاستقبله اهلها بمعظم الاحتفاء
ولكن سقط رواق على بعض جنوده فقتل منهم خمسون جنديًا وجُرح كثيرون
وجاز الفرات ولم يمر بارفه لان اهلها مسيحيون وبلغ الى املاك الفرس واستحوذ
على مدن فيها بعضها استسلم اهلها اليه وبعضها افتتحها عنوةً وعبر دجلة تجاه
سلوقية وقطيسفون وظهر على الفرس بوقعة هناك فاوفد اليه سابور احد كبراء
دولته عارضًا عليه ان يستبقي لنفسه ما استحوذ عليه وان يوقعا على عهدة صلح
ومحالفة بينهما وكان هرمزدا اخو سابور على خلاف مع اخيه فانضم الى يوليانس
فحل موفد سابور ضيفًا على هرمزدا وسأله ان يبلغ الملك كلام سابور فاسرع
هرمزدا الى حضرة الملك كانه يبلغه بشرى على ان يوليانس لاعتماده على انواع من
الفأل وعلى خزعبلات سفسطي معه اسمه مكسيموس لم يحسن استقبال هرمزدا
وامره ان لا يبوح لاحد بسر الوفادة اليه واهمًا ان مجرد ذكر الصلح يوهن قوى
الجنود وحاصر قطيسفون فلم يتيسر له فتحها فاقتصر على تخريب ضواحيها وعزم
ان يسير توًا لمحاربة سابور وبينما هو مفكر في اي الطرق يسير اتاه فارسي يخدعه
بانه فرَّ من وجه سابور لسخطه عليه وان هذا الملك يائس واجس من شدة صولة
يوليانس وان افضل التدبير ان يترك يوليانس النهر ويتوغل في البلاد وان السفن
الكثيرة التي كان ادخلها بالفرات الى دجله تعرقل نجاحه فالاولى تركها او
حرقها فصدقه يوليانس بطيشه واحرق سفنه فساء الجنود هذا الصنيع وابعد
يوليانس في البلاد واحرق عمال سابور القرى والمزارع والزروع التي كانت

استحصدت فتعسر على الرومانيين ان يخطوا الى الامام وتوجّسوا من القهقري وعازهم الزاد واستحال عليهم ان يمضوا في وجهة ولا يضايقهم فرسان الفرس واستحوذ الرعب على الجنود واخذوا يجددون الاسف على حرق السفن واستشار يوليانس الهته فكان انباؤهم مزيداً الالتباك وبينما هم في هذه الحيرة اقبل عليهم جيش الفرس وكان ذلك في الليل بين ٢٥ و٢٦ حزيران وتسارع الرومانيون الى السير لمقابلة اعدائهم وسار يوليانس في طلائع جنده فنبئ بان الفرس يضربون ساقة جيشه فاسرع الى هناك وقيل له ان الفرس يضربون طلائعه وهجم فرسان الفرس على ميمنة عسكره فانكسرت فامر يوليانس ان يجدوا الميمنة فتقهقر الفرس وعجل يوليانس الى لحاقهم فاصابه سهم حطّم يده واصمى كبده وحاول ان ينتزع السهم فقطع اصابعه وسقط عن جواده وحمل الى مأمن واذ كان بعض ذويه يبكيه قال ما هذه الوغادة ان تبكوا ملكاً اذا مات ضمّ الى الكواكب في السماء وادركته المنية في ٢٧ حزيران سنة ٣٦٣ هذا ما رواه عن موته اميان مرسلان الذي كان من حرسه وروى تاودوريطوس (ك ٣ من تاريخه فصل ٢٠) انه عند جرحه ملأ راحته من دمه وطرحه الى الجو قائلاً « انتصرت ياجليلي » يريد المسيح

وروى سوزومان كذلك (ك٦ فصل ٢) ولكنه قال هذا « ما يقوله بعضهم » وعن القديس غريغوريوس النزينزي (خطبة ٤) ان رواية موته مختلف فيها فمن قائلٍ ان احد جنوده قتله وان الفرس عيروا الرومانيين بعدئذٍ بذلك ومن قائلٍ ان سركسياً او فارسياً قتله وانه بعد ان جرح حمل الى دجلة وطرح نفسه في النهر ليختفي عن اعين الناس ويعدّ الهاً كراموليس وغيره . وقد امر الملك يوفيان الذي خلفه بنقل جثته الى ترسيس فنقلت اليها ودفنت في احدى ضواحيها على مقربة من مدفن مكسمينس دايا وتلا في تلك الاثناء القديس غريغوريوس

النزينزي خطبتيه الشهيرتين حيث يبين خلاعة هذا الجاحد وجرائمه واضطهاده للمسيحيين وقد كان تنبأ بذلك لما رآه في أثينا ويحض المسيحيين ان لا يثأروا من الوثنيين بل يعاملوهم بالرقة والرفق والمجاملة ليعلموهم بمثالهم فروض الانسانية والفضيلة وقد بقي من تصانيف يوليانس مقالات هزلية في الاثني عشر قيصر ومقالته الموسومة بعدو اللحية المار ذكرها وخطب سياسية ودينية ورسائل وقد جمع سبانهيم تآليفه وطبعها في لبسيك سنة ١٦٩٦ وترجمها تلبوت الى الافرنسية سنة ١٨٦٣

وهذا مثال ليوليانس مأخوذًا عن تمثال في احد متاحف افرنسة



عد ٥٦٢

في يوفيان الملك

استمر الجيش بعد ان هلك يوليانس يحدق به عساكر الفرس ويمنعون من وصول الميرة والنجدة اليه واجتمع روساؤه يتشاورون باقامة ملك عليهم فاجمعوا على انتخاب ساكوف رئيس الحرس في المشرق فابى الملك لشيخوخته وامراضه فانتخبوا يوفيان احد اركان الحرس وكان عمره يومئذ ٣٢ سنة وكان الجنود يحبونه ويجلونه متذكرين فضل ابيه داروني‍ـان الذي كان رئيساً على الفرقة الاولى من الجنود وكان طويل القامـة متوقد الذكاء لطيف الاخلاق وروى توادوريطوس (ك ٤ من تاريخه فصل ١) انه مذ اقيم ملكاً جاهر لجنوده بانه مسيحي وانه لا يجب ان يملك على وثنيين وان الجنود اجابوه بانهم مسيحيون ايضاً وان ملك يوليانس القصير المدة لم ينسهم ماتعلموه في ايام قسطنطين وشهد له اميان مرسلان (ك ٢٥ عد ١٠) وهو وثني بانه كان مسيحياً غيوراً وصرف بواكير اهتمامه لتخليص الجيش من الضيق الذي كان فيه ولم يكن ذلك بالامر اليسير فان الفرس جدّوا في لحاقهم متتبعين آثارهم من كل صوب حتى لم يمكنهم ان يسيروا في اليوم الاول الا ثلثة ارباع الميل واستمروا في اليومين التاليين في مواقفهم مدافعين الى ان يسّروا ببسالتهم وثباتهم المسير وبلغوا دجلة وحاولوا ان يعبروه على اطواف فلم يمكنهم منه طغيان النهر وتداركتهم العناية الربانية بان سابور ارسل وفداً يطلب عقد عهدة مع الرومانيين لهلاك كثير من جنوده وقائدين من قادتهم ولثورة ارساس ملك الارمن عليه فوقع يوفيان على هذه العهـدة متخلياً بمقتضاها عن خمسة اعمال في عـبر دجلة ومتعهداً بان لا ينجد الارمن فكانت هذه العهدة مذلة للرومانيين لكن يوفيان الجئ اليها بقضاء الضرورة (رواه اميان مرسلان ك ٢٥ عد ٩)

وخاف الوثنيون وقلقوا خشية ان يضطهدهم يوفيان لانه مسيحي فأمنهم بامر اذاعه ان يتركوا وما يدينون وان تفتح معابدهم ان كان قد اقفل بعضها بعد وفاة يوليانس ولم يصدر هذا الامر الا سياسة لانه كان يجاهر بانه مسيحي وقد امر جميع عماله ان يمكنوا المسيحيين من الاجتماع في كنائسهم واطلق لكل من ابعدوا عن اوطانهم من المسيحيين ان يعودوا اليها ورد على الاكليروس والعذارى والارامل ما خولهم الملوك المسيحيون من الحقوق واعاد توزيع الميرة على الكنائس لقوت الارامل والايتام وكان احد عماله المسمى ماينوس احرق كنيسة بيروت فعزم يوفيان ان يقطع رأسه لكن تشفع فيه بعض المقربين فاقتصر الملك على ان يغرمه نفقة تجديد بناء الكنيسة من ماله (كما يظهر من كتاب شرائع تواودوسيوس) ولما بلغ اثناسيوس البطريرك الاسكندري مقتل يوليانس عاد الى كرسيه الذي كان قد نفاه منه وكتب له يوفيان رسالة هذه ترجمتها (نقلاً عن المجلد الثاني من تآليف اثناسيوس) . الى اثناسيوس محب الله الكلي الورع من يوفيان لما كنا نعجب كثيرًا بقداسة سيرتكم التي يتلألأ بها شبه اله الكون وغيرتكم على دين المسيح مخلصنا شئنا ان نتخذك اليوم تحت حمايتنا ايها الاسقف الكلي الاحترام وانت اهل لذلك بتلك الشجاعة التي ازدريت بها الاعمال الشاقة واعتبرت المخاطر الجسيمة وصرامة المضطهدين وسيوف المهددين كشيء لا يعتد به ضابطاً بيدك دفة الايمان العزيز لديك وما فتئت تذب عن الحق وتعنى بتعمير الشعب المسيحي الذي يرى فيك مثال الفضائل جمعاء ولهذا ندعوك الان ونحضك ان تعود وتعلم تعليم الخلاص فارجع الى الكنائس المقدسة وامّن شعب الله ونتوخى ان الراعي يصلي من اجلنا وهو في مقدمة رعيته فاننا موقنون ان الله يمنّ علينا وعلى من كانوا مسيحيين نظيرنا بنعمه الخاصة اذا مننتم علينا بنعوث صلواتكم . روى ذلك تواودوريطوس (ك ٤ من تاريخه فصل ٢) وبعد ان عاد الملك الى انطاكية كتب

ثانية الى القديس اثناسيوس يسأله ان يشرح له عقائد الايمان ولا سيما ما خص بدعة آريوس فلبى القديس سؤله برسالة مشبعة شفعها بارساله اليه قانون الايمان الذي وضعه المجمع النيقوي فلم يجتزئ الملك بهذه الرسالة بل كتب اليه يدعوه الى انطاكية راغباً في ان يراه ويسمع كلامه مشافهةً فشخص القديس الى انطاكية ولم يبلغها الا وقد انتهى اليها بعض روساء الاريوسيين ليشكوه الى الملك وكثيرون من المؤمنين ليدافعوا عنه فلم يصغَ الملك الى تهم الاريوسيين وتعنتهم بل ازدجرهم ساخطاً عليهم فعادوا من انطاكية يائسين

وقد زايل يوفيان انطاكية قاصداً القسطنطينية وشرع سكانها يعدّون حفلات الاحتفاء بدخوله اليها وسافرت الملكة شاريتون عقيلته للقياه يصحبهما كثيرون من الاعيان ونساؤهم واذ كانوا على مقربة من موعد اللقاء فاجأت المنية الملك في الليلة بين ١٦ و١٧ شباط سنة ٣٦٤ في محلة تسمى دارستان في اسيا الصغرى ومن قائل انه فطس ببخار الفحم ومن قائل انه اعتراه فالج ومن قائل ان الخصيان دسّوا له سماً في طعامه كما ظن اميان مرسلان (ك ٢٥ عد ١٠) وحنق فم الذهب (خطبة ١٥) فانقلب سرور المملكة والكنيسة الى حزن ونوح وبدلت مطارف الفرح باطمار الحداد ولم يكن عمره حينئذٍ الا ٣٣ سنة وفي الشهر الثامن بعد ملكه

عد ٥٦٣

في والنتنيان

استمرت المملكة بعد وفاة يوفيان ستة ايام خلوّاً من ملك واجتمع اقطاب المملكة واركان الجنود في نيقية وروى سوزيموس انهم عرضوا على سالوست ان يرتقي منصة الملك فابى لشيخوخته ولم يشأ ان يتولاه ابنه لصغر سنه فاجمعوا على انتداب والنتنيان وكان رئيس فرقة من الحرس فسرّ الجنود بانتخابه فنادوا به ملكاً في ٢٦ شباط سنة ٣٦٤ واخذ يخطب في الجنود فصاح بعضهم سائلين ان ينتخب له من

يشاركه في الملك مخافة ان يبقوا يوماً ما دون ملك كما عرض قبله مرتين فقال ايها الجنودان لكم ان تنتخبوني ملكاً ولكن اذا ارتضيت الملك لم يبقَ لكم ان تقضوا بما يعود على المملكة بالنفع فلا اكره ان يكون لي شريك على انه لا بد لي في انتخابه من زمان اتدبر الامر فيه فصمتوا وتهيبوه عالمين ان لهم ملكاً غيوراً على سلطته وبعد ثلاثة ايام جمع اركان جيشه ليستشيرهم في انتداب شريك له فقال له احد القادة دون حياء (ايها العاهل المعظم ان احببت اسرتك فاختر اخاك وان احببت المملكة فابحث عمن كان اكثر اهلية ، فوارى الملك استياءه من هذا الكلام ورقى قائله بعدئذٍ الى مقام القناصل (رواه اميان ك ٢٦ عد ٢و٤) وفي ٢٨ اذار تلك السنة جعل اخاه والنس شريكاً له في الملك وكان عمر والنتيان حينئذٍ ٤٣ سنة وعمر اخيه ٣٦ سنة وكان ابوهما غراسيان غير حسيب لكنه ترقى في المناصب الى ان كان والياً في افريقية ثم في بريطانيا واقتسم والنتيان ووالنس الملك فاخذ الاول المغرب والثاني المشرق في اول ملكه

اما والنتيان فاباح جميع المسيحيين والوثنيين ممارسة فروض دينهم وحظر على الوثنيين استعمال السحر وتقدمة الضحايا ليلاً ثم منعهم من تقدمة الذبائح واباحهم تقدمة البخور وسنّ شريعة حظر بها على المانويين والدوناتيين وسائر الهراطقة الاجتماعات الدينية وعاد بعد ذلك يرعي حرمة الكهنة الوثنيين ويحافظ على امتيازاتهم فكان كثير التقلب (اميان ك٣فصل٩) وروى سوزومانس (ك ٦ فصل ٧) ان بعض اساقفة المشرق ارسلوا اليه ايباسيان اسقف هرقلية يسألونه ان يرخص لهم بعقد مجمع لاصلاح تعليم الايمان فاجابهم ، اني من مصاف العامة فلا مدخل لي في هذه الامور التي هي من خاصات الاساقفة فلهم ان يجتمعوا حيث شاؤوا ، وروى القديس امبروسيوس (رسالة ١٣) عنه انه قال ، انه لا يصلح ان يكون قاضياً بين الاساقفة ، وقد سنّ شرائع عادلة ونافعة للمسيحيين

منها تجديده امر قسطنطين بالامتناع عن الاعمال القضائية ايام الآحاد وزاد عليه انه حظر على العمَّال والقضاة تعقب المسيحيين في تلك الايام وامر تكرمة لعيد الفصح ان يُخلى سبيل جميع المجرمين في هذا العيد ما خلا اصحاب الجرائم الكبيرة كالقتل والمجوسية والمتطاولين على الملك وقدكان ميالاً الى القسوة اكثر من الحلم ومن اوامره ان الاكليريكيين لا يحاكمهم الا الاكليريكيون من مصافهم فلا يحاكم الاسقف مثلاً الا اسقف نظيره وان ما يحكم به على الاكليريكي من الغرامة يدفع الى الفقراء لا الى خزينة الحكومة وكان قسطنطين وابنه قسطنس اعفيا عقار الكنائس واشخاص الكنسيين من كل ضريبة غير عادية او واضعة من قدر الاكليريكيين كالسخرة فنقض هذه الشريعة يوليان وجددها والنتنيان وكان الاكليريكيون يعفون من جميع التكاليف الشخصية لكن عقارهم اسوة غيره في الخراج العام ويظهر ان اعفاء الاشخاص المكرسين للعبادة من التكاليف الشخصية مأمور بشريعة طبيعية فاننا نجده عند الشعوب طرًّا وكانت هذه الشرائع عامة في المغرب والمشرق وقد اتفق الملكان عليها وقهر والنتنيان الالمانيين الذين كانوا قد استحوذوا على افرنسة وغيرهم من القبائل في اوروبا وافريقيا وقضى بسورة حنق ازلت به فالجاً سنة ٣٧٥ وله ابنان غراسيان ووالنتنيان الثاني وذكر ودينكتون خطاً لاتينياً نسخة في ام الجمال (في حوران) وهو في عد ٢٠٥٨ كتب فيه ما ملخصه « لسلامة موالينا والنتنيان ووالنس وغراسيان الملوك الظافرين ابدًا قد بني هذا البرج يوليوس الكنت الشهير معلم الجنود الفرسان والمشاة في قنصلية مولانا غراسيان اغوسطوس وبروبوس الرجل الشهير »

وهذا مثال لوالنتيان **الاول** مأخوذ عن تمثال يظن انه له في متحف اللوفر



﴿ عد ٥٦٤ ﴾

(في والنس الملك)

اما والنس فجمل عاصمة ملكه القسطنطينية وكان مطواعاً لامرأته وكانت اريوسية فعمده اودكسيوس البطريرك القسطنطيني احد اقطاب الاريوسيين وحمله عند تعميده على ان يقسم انه يؤيد بدعة هولاء المارقين فتشبث بها واضطهد الكاثوليكيين ولا سيما الاساقفة من ذلك انه لدن زيارته فومى مدينة التتر اراد ان يحض وزيتون اسقف هذه القبيلة ان يشترك مع الاريوسيين ودخل الملك الى الكنيسة وكان الاسقف شديد التمسك بقانون المجمع النيقوي فترك الملك في الكنيسة ومضى الى كنيسة اخرى وتبعه الشعب ولم يبقَ الا الملك وحاشيته فاستاء من عمل الاسقف ونفاه لكنه ارغم ان يسترده من منفاه مخافة ان يثور التتر عليه وبينما كان ماضياً الى انطاكية توفي اودكسيوس بطريرك القسطنطينية فانتخب الاريوسيون ديموفيل مكانه والكاثوليكيون القديس افاغريوس فنفى والنس هذا

القديس واثبت انتخاب الاسقف الاريوسي فارسل الكاثوليكيون اليه وهو في نيكومدية وفدًا ثمانين اكليريكياً فامر مودست رئيس حرسه ان يقتلوم عن آخرهم فلم يشأ ان ينفذ الامر جهرة مجانبة للقلق بل اظهر انه يريد نفيهم ووضعهم في سفينة ولما ابعد البحارة عن البر القوا نارًا في السفينة وانحدروا هم الى زورق فلقي هولاء الشهداء ربهم من بين النار والماء (سقراط ك٤ ف ١٦ وسوزومانوس ك ٦ ف ١٤) وقد اضطهد القديسين باسيليوس وغريغوريوس النزينزي واثناسيوس كما سترى في ترجمتهم

واتى والنس الى انطاكية فنفى القديس ملاتيوس اسقفها الى ارمينية وطرد الكاثوليكيين من كنائسهم فتألبوا في سفح جبل قريب من انطاكية حيث مغاور يقال ان القديس بولس الرسول اختبأ فيها وكانوا هناك يسبحون الله متحملين البرد القارس والثلج ايام الشتاء والحر الشديد ايام الصيف فارسل الملك جنودًا طردوهم من هناك فاجتمعوا على شاطىء العاصي وطردهم من هناك ايضاً فالتأموا في الساحات التي يمرن فيها الجنود فامات كثيرين منهم باعذبة متنوعة ولا سيما بتغريقهم في العاصي . وبينما كان يوماً جالساً على شرفات قصر انطاكية رأى شيخاً متدثرًا اطمارًا رثة وقيل له انه الراهب افرهات الذي يجله الشعب كثيرًا فاستدعاه الملك واخذ يسأله في شأن خروجه من ديره فاجابه افرهات لو كنت بنتاً متحصنة في بيت ابيها ورأت النار تشب فيه أأبقى جالساً في مخدعي متفرجاً على التهام النار له ام اهرع الى الماء فاصبه لاخمد لظاها فانت القيت النار في بيت ابي فتسارع لاطفائها فصمت الملك على ان احد الخصيان هدده بالقتل فلم يلبث ان سقط في مرجل ماء يغلي فهلك وكان الملك قد نوى نفي افرهات فعدل عنه وكان افرهات فارسياً حسيباً فاثر النسك والعزلة عن العالم واتى انطاكية يعاون المسيحيين المضطهدين (توادريطوس ١ ك من تاريخه فصل ٢٥ و٢٦) وذكره عبد

يشوع الصوباوي في قصيدته في المؤلفين البيعيين وقال انه ألف مجلدين في الحث على التقوى وصلوات نسقها على احرف الهجاء (السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد ٣ صفحة ٨٥)

هذا شيء من مظالم والنس للكاثوليكيين واما اعماله السياسية فمنها انه اثر في بادئ بدء ملكه ان يأتي الى سورية ليرقب عن قرب حركات سابور ملك الفرس اذ لم يكن يثق بخلوصه بعد عهدة الصلح وبينما كان في قيصرية الكبادوك بلغه ان بروكوب احد انسباء يوليانس الجاحد انتهز فرصة غيابه عن القسطنطينية فجعل بعض الجنود يسمونه ملكاً واستحوذ على العاصمة فقلق والنس ووجس لانه كان وغلاً جباناً ولكن حمله اركان جيشه على المدافعة فارسل فرقتين من الجند لكبت الثائرين على ان بروكوب اغوى قائديهما واستمالهما اليه فنكس الجنود اعلامهم وانحازوا الى بروكوب قاسمين بالمشترى يمين الامانة له وامر بروكوب على جيشه رجلاً وغداً اسمه ايباركيوس وكان لوالنس قائد آخر اسمه ادينتا فاستمال جنود ايباركيوس اليه وبعثهم على ان يقبضوا عليه ويأتوه به ففعلوا وانضموا الى جيشه واستمرت الحرب ثمانية اشهر الى ان خان بروكوب قائدان من قادته وغادره جنوده فقبض القائدان عليه واتوا به الى والنس فقطع رأسه ورأسيهما (اميان مرسلان ك ٢٦ عد ٦ وسقراط ٤ فصل ٢)

وكان لوالنس شبهة في ان بارا ملك ارمينيا يؤثر الفرس على الرومانيين فاستدعاه اليه الى انطاكية بحجة ان يحدثه في امور لازمة وهو ينوي امساكه لديه واقامة ملك آخر ودرى بارا وهو في ترسيس بمكيدة الملك فعاد الى ارمينيا محافظاً على امانته للرومانيين فكتب الملك الى ترايان قائد جيشه على تخوم ارمينيا فدعا القائد بارا الى مأدبة اكثر فيها من الاحتفاء بلقياه ولما صار في حوزته اغتاله وخلفه وارزدات احد انسبائه

وفي سنة ٣٧٧ استظهر الهونيون (قبيلة اصلها على الراجح من الصين) على الغطط (وقد مرَّ تعريف هذه القبيلة) فاستحوذ هولاء على تراسة واتصلوا الى ابواب القسطنطينية فقلق والنس وعدل عن اضطهاد الاساقفة والرهبان وزايل انطاكية في مبادي سنة ٣٧٨ وبلغ الى قسطنطينية في ٣٠ ايار منها وكان والنس حارب سنة ٣٦٩ هولاء الغطط وانتصر عليهم ثم ابرم الصلح بين الفريقين على شريطة ان لا يتجاوز الغطط نهر الدانوب وان ملكهم المسمى اتاناريك يأخذ جعلاً من العاهل على ان الهونيين ارغموهم في سنة ٣٧٦ ان يسألوا الرومانيين ان يرخصوا لهم بعبور النهر والاقامة في ارضهم فارتضى والنس بذلك مشترطاً ان يسلموا سلاحهم الى عماله وان يقدموا له بعض صبيانهم ليكونوا رهينة له في اسيا وكان رئيس الوفد الذي ارسله الغطط اولفيلاس اسقفهم اذ كان جم غفير منهم مسيحيين بل كان من هولاء شهداء ايضاً اشهرهم القديس سابا الذي ارسلت كنيسة الغطط ذخائره الى القديس باسيليوس كما هو بيّن من رسالته ١٥٥ وغيرها وتوافيل اسقفهم شهد المجمع النيقوي ووقع عليه وخليفته اولفيلاس وضع للغتهم الغطية الاحرف الهجائية آخذاً اياها عن اليونانية وترجم الاسفار المقدسة الى هذه اللغة وقد وجد قسم من هذه الترجمة وهذه اللغة اشبه باللغة الالمانية وفيها كثير من الالفاظ الفارسية وقد صرَّح القديس ايرونيمس (في رسالته ١٠٦) بان الترجمة الغطية تفضل على الترجمات اليونانية

على ان العمال والجنود الرومانيين اساؤا معاملة الغطط عند عبورهم الدانوب وتقاعدوا عن العمل بالشرط الذي وضعه الملك وبدلاً من ان يأخذوا سلاح الغطط كانوا يأخذون منهم مالهم وكل ما استحسنوه من متاعهم ويسبون نساءهم ويضيقون عليهم بامتيار طعامهم فعبر الغطط النهر بسلاحهم واليأس مستحوذ عليهم وكان من غباوة لوبيسان قائد الجيش الروماني ان يدفعهم بجنوده ليبعدوا عن

شاطىء الدانوب وتوغلوا في البلاد آملاً ان يضعفهم او يهلكهم متفرقين ودعا فرتيجرن ملك فصيلة اخرى منهم الى مأدبة وقتل حرسه وتملص الملك متضياً سيفه ولما ادرك جنده اصلى نار الحرب على الرومانيين فجندل السواد الاعظم من جنودهم فارسل والنس جيشاً آخر مؤمراً عليه ترايان وتسعرت نار الحرب من الصباح الى المساء وتراكم القتلى من الجيشين وبلغ حينئذ والنس من انطاكية الى القسطنطينية وكان الغطط يشنون الغارة في البلاد الى ابواب هذه المدينة وآب جيشاً منه فرقة من فرسان السراكسة (*) كان صحبهم من انطاكية وعزل ترايان عن امارته على الجنود مؤنباً له فقال هذا القائد له « لم أُغلب بل انت غُلبت ايها الملك لانك حاربت الله وذببت عن اعدائه البرابرة الا تعلم ان هولاء اتاهم من طردتهم من الكنائس ومن اسلمتهم اليهم » (رواه توادوريطوس ك ٤ فصل ٣٣) وكان تادنس احد قادة جيشه قد اسمعه مثل هذا التأنيب اذ عاد من ارمينيا ظافراً وسأله الملك ما تريد جائزة فرفع اليه عريضة سأله فيها ان يهب الكاثوليكيين كنيسة فمزق الملك عريضته قائلاً اسألن شيئاً غير هذا فجمع تادنس فلذ عريضته وقال « لا اسأل غير هذا وربك رب النيات » (توادوريطوس في الكتاب المذكور فصل ٣٢)

(*) يراد بالسراكسة العرب ولكن لمَ سموا كذلك ففيه اقوال فمن قائل انه سموا بذلك نسبة الى سارة امراة ابرهيم وهذا غير صحيح لان العرب ينتسبون الى هاجر واسماعيل لا الى سارة وزعم بوخرت ان هذا الاسم من كلمة سرق العربية لاعتياد العرب السرقة وهو غير صحيح لانهم لا يسمون انفسهم به بل يسميهم به جيرانهم والاقرب الى الصواب ما ارتآه اسطفانوس البيزنطي في كتابه في المدن انهم سموا كذلك نسبة الى محل اسمه سراكا في بلاد النبطيين في العربية الحجرية ويسمى في الكتاب المقدس مسريقة (تكوين فصل ٣٦ عد ٣٦) ويسميه العرب الان مسريقا وقد اخذ اسم سراكسة عن نسبة هذا الاسم في اللغات الاعجمية وكان يسمى به اولاً سكان العربية الحجرية ثم اطلق على العرب جميعاً (عن السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد ٤)

وكثر التذمر على الملك في قسطنطينية واذ كان مشاهدًا الملاعب في ١١ حزيران هتف الشعب اعطونا سلاحاً فنمضي نحن للقتال فحنق الملك واسرع الى الخروج مع جيشه مهددًا الاهلين بانه سيعود ويدمر مدينتهم فالتقاه على ابواب المدينة ناسك اسمه اسحق فصاح به « اين تمضي ايها الملك وقد اثرت الحرب على الله فهو لا يعينك بل اثار البرابرة عليك فاكفف عن محاربتك له والا فلا تعود» فسخط الملك وامر ان يلقى في السجن الى ان يعود وقال له لاعودنّ واقتلك عقاباً على نبوتك الكاذبة فقال اسحق باعلى صوته « اقتلني ان وجدتني كاذباً » (توادوريطوس ك ٤ فصل ٣٤ وسقراط ك ٦ فصل ٤٠)

وعهد والنس بامارة الجيش الى الكونت سابستيان الذي كان مغوياً بعقيدة ماني ونال بعض الظفر اولاً فزينت له نفسه الفوز التام وكان غراسيان ابن ملك المغرب اخي والنس قد ظفر بالالمانيين وكتب الى عمه يقول انه آتٍ لانجاده فلينتظره فعجل والنس وقائده سابستيان باصلاء نار الحرب قبل وفوده لئلا يفوتهما فخر الانتصار او يشترك غراسيان معهما فيه وفي ٩ آب سنة ٣٧٨ التحمت الحرب على مقربة من ادريانوبولي فكانت وقيعة لم يكن لها مثال بعد وقعة كان مع انيبال فترك الملك قتلى جيشه وخمسة وثلاثين قائدًا مجدلين على العفراء وهلك الملك نفسه وما ذكره كثير من المؤرخين هو انه جرح وسقط عن جواده وحمله بعض ذويه الى كوخ ثم اتت شرذمة من الغطط والقت النار في الكوخ فاهلكت كل من كانوا فيه الا احد الحرس الذي تمكن من الفرار وقصّ الخبر وبعد مقتل والنس تمادى الغطط الى ان بلغوا ابواب قسطنطينية فردهم عنها الفرسان السراكسة الذين كانوا قد اتبعوا المذهب الكاثوليكي رغم ارادة الملك وقد حموا العاصمة والغطط الذين جعلهم الملك يعتنقون بدعة آريوس قد غدروا به وقتلوه وحاولوا الاستيلاء على ملكه لو لم يكتهم السراكسة

عد ٥٦٥

في غراسيان ووالنتنيان الثاني الملكين

بعد وفاة والنتنيان سنة ٣٧٥ خلفه ابنه غراسيان الذي كان قد شاركه في الملك منذ سنة ٣٦٧ وبعد مقتل والنس اصبح مالكاً في المشرق والمغرب واشرك في الملك معه اخاه والنتنيان الثاني مع انه لم يكن له من العمر عند وفاة ابيه الا اربع سنين وفي رواية اخرى عشر سنين فاقام مع امه يوستينا اولاً في ميلان بايطاليا ثم في سرميوم في المجر واما غراسيان فكان عمره يوم ملك سبع عشرة سنة ولم يكن له في بدء ملكه رجال محنكون بالسياسة والخبرة بالحرب وكان الكونت تاودوسيوس من اكبر رجال ابيه وقد خمد ثورة اهل بريطانيا الكبرى ومدَّ بساط الامن فيها ثم أمن افريقيا في مبادي ملك غراسيان ببسالته وحكمته ولا نعلم باية دسيسة أمر هذا الملك بقطع رأسه بعد انتصاره على اعداء المملكة ولم يطلب هذا الكنت وقتئذٍ الا فرصة زمان لينال فيه سر المعمودية ثم مدَّ عنقه للسياف فاعتزل ابنه المسمى تاودوسيوس ايضاً في اسبانيا موطنه عاكفاً على تقدم فن الزراعة بين مواطنيه على ان غراسيان قد علم بعد سنتين فظاعة جنايته واهتدى الى اصلاح ما فرط منه فانه لما انيط به بعد مقتل عمه والنس تدبير المملكة كلها استقدم تاودوسيوس من اسبانيا واقامه ملكاً على المشرق وشريكاً له في الملك مسمياً اياه عاهلاً وجعل بلاد اليونان ومكدونية والايير وغيرها قسماً من مملكته وسيأتي الكلام فيه وقد صالح غراسيان الغطط وسمح لهم ان يقيموا بالمملكة سنة ٣٨٠

وقد جاهر غراسيان بتشبثه بعرى الدين الكاثوليكي وامر مذ تسنَّم اريكة الملك ان يعود الاساقفة المنفيون الى كراسيهم وان ترد الكنائس على من كانوا خاضعين للحبر الروماني البابا داماسوس (كما روى تاودوريطوس ك ٥ فصل ٢)

ووجد بعض الاساقفة الكاثوليكيين بعد عودهم اساقفة اريوسيين يلون كراسيهم فاحبوا ان يبقى هولاء الاساقفة على رئاستهم بشرط ان يستمسكوا بالدين الكاثوليكي ومنهم اولاليوس اسقف اماسيا فانه عرض على الاسقف الاريوسي ان يبقى مترأساً بحيث يتحد مع الكنيسة الرومانية فابى مع انه لم يكن في المدينة الا خمسون اريوسياً فغادره ذووه واتحدوا بالكاثوليكيين وارسل الملك مفوضاً من قبله الى انطاكية ليصلح شؤونها الدينية وسنعود الى الكلام في ذلك عند ذكر بطاركة انطاكية

ولما اراد غراسيان ان يسافر الى المشرق لنجدة عمه والنس اقترح على القديس امبروسيوس ان يؤلف له مقالة في لاهوت المسيح ليحج بها ذوي التعاليم الفاسدة في المشرق فالف القديس حينئذٍ كتابيه في الايمان وكتب غراسيان الى اكويلان نائب رومة بتوقيعه وتوقيع اخيه والتنيان الثاني امرًا فحواه ان الملكين يأمران بتنفيذ الاوامر السابقة بان يُبعد مئة ميل عن رومة من يحكم عليه مجمع الاساقفة بانه مقلق ومثل ذلك ان يبعد من المدن من كان مشغباً وانه يلزم الولاة ان يرسلوا الى رومة تحت الخفر كل من ضبط كنيسة خلافاً لحكم البابا داماسوس مع خمسة اساقفة او ستة او لحكم غير" هولاء من الاساقفة الكاثوليكيين وكل من دعي الى المحاكمة عند الاساقفة وابى الحضور حتى لو كان المتمرد متربوليطاً لزمهم ان يكرهوه على ان يشخص الى رومة دون تأخر او ان يحضر امام القضاة المعينين من الحبر الروماني وان اصحاب الاخلاق السيئة المعروفين بالسفه والغيبة لا تقبل شكواهم ولا شهادتهم على الاساقفة على انه لما كان كل انسان لا يبرأ من نقيصة كان غراسيان مولعاً بالصيد ويؤثره احياناً على مهام الملك تاركاً وزراءه يعتسفون الرعية واستخدم كثيرين من الجرمانيين المشهورين بفن الصيد واكرم مثواهم عنده وادناهم اليه وكان يتزيا بزيهم فاسخط جنوده الرومانيين القدماء

وكان له قائد لجيشه في بريطانيا الكبرى يسمى مكسيموس سوّلت له نفسه ان يثل عرشه ويخلفه في الملك وبعث الجيش الذي تحت امرته ان يسميه ملكاً فلبوا دعوته واسرع الى افرنسة فهب غراسيان لمناصبته والتقى الجيشان على مقربة من باريس واحتال مكسيموس على تاخير الحرب اياماً واخذ يغري جنود الملك بتركه فغادره السواد الاعظم منهم حتى رأى من نفسه العجز عن مصافة خصمه فاثر الهرب بثلث مئة فرس تركه اكثرهم ايضاً واغلقت كل المدن ابوابها في وجهه فتنكر جائلاً من محل الى اخر وفرسان مكسيموس تتعقبه وبلغ الى ليون فخانه رجل كان ياكل على مائدته وقد غمره باحسانه فقد دعا هذا الخائن الملك الى مأدبة فتمنع اولاً خيفة الغدر به ولكن اقسم الخائن بالانجيل انه لا يدع ضرًا يمسه فانقاد لدعوته وبعد تناوله الطعام وثب عليه غادر فاغتاله وقد اكثر الملك حينئذٍ من ذكر القديس امبروسيوس حتى كانت آخر كلمة فاه بها اسم هذا القديس وقد روى ذلك القديس ايرونيمس نفسه والدموع تذرف من عينيه في تأبينه والنتيآن وقال انه لا ينسى هذا الملك ما حيي ولا ينفك عن ذكره في صلواته الى الله وكان يطرأ تقواه وفضائله في كل موقع وقد ملك غراسيان بعد وفاة والده سبع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وكان مقتله في ٢٥ آب سنة ٣٨٣

وكان مكسيموس من بريطانيا على القول الراجح وقد اجتاز كثيرون من بريطانيا الى افرنسة واستوطنوا العمل المسمى الان بريطانيا وكان والنتيان الثاني وامه يوستينا في ميلان ينتظران اخبار ظفر غراسيان فورد لهما منعاه وايطاليا خالية من الجنود وتوادوسيوس في المشرق ولا معين ولا مشير فلجئت يوستينا الى القديس امبروسيوس على مقتها له لانها اريوسية واقامت ابنها بين يديه سائلة له بدموعها ان يهتم بهذا الملك الصغير ونجاة المملكة فمضى القديس امبروسيوس الى افرنسة يسعى بالوفاق والصلح بين مكسيموس ووالنتيان ولم يغفل عن توبيخ مكسيموس

على غدره بمولاه واراقته دماً ذكياً وقد نجح بوساطته اذ وقع على عهدة صلح يكون بمقتضاها مكسيموس ملكاً على افرنسة واسبانيا وبريطانيا ويبقى والنتيان ملكاً على باقي المغرب وكان الشعب ينتظر مكافاة كبرى للقديس امبروسيوس من قبل يوستينا وابنها على هذا الصنيع على ان هذه الملكة الاريوسية غمطت النعمة واضطهدت هذا الاسقف لانه لم يشأ ان يعطي الاريوسيين كنيسة في ميلان وكادت تهلكه وتخرب المدينة بالشغب الذي حصل فيها لذلك لولا خوفها من مكسيموس الذي كتب الى والنتيان ان يكف عن هذا الاضطهاد ثم وقعت النفرة بين مكسيموس ووالنتيان وزحف مكسيموس بجيش جرار الى ايطاليا ففرَّ والنتيان وامه وهرع يستنجد توادوسيوس ملك المشرق ولم يبلغ والنتيان الى تسالونيك الا والتقاه توادوسيوس وزحف بجيشه الى ايطاليا وقبض على مكسيموس حياً ونزع التاج عن رأسه وكان يريد ان يستبقيه في الحياة لكن بعض امراء جيشه اخرجوه من المعسكر وتوادوسيوس غافل فقطعوا رأسه في ٢٨ تموز سنة ٣٨٨ بعد ان ملك نحو خمس سنين ورد توادوسيوس ملك المغرب الى والنتيان الثاني فدبره من سنة ٣٨٨ الى سنة ٣٩٢ وقتله اربوكست امير الجند غير الرومانيين وكان مؤيداً للدين المسيحي وان سطت امه الاريوسية على افكاره احياناً

عد ٥٦٦

في توادوسيوس الملك ونقضه هياكل الاصنام وشرائعه الدينية

قد مرَّ ان توادوسيوس هو ابن الكنت توادوسيوس الذي قتله غراسيان سنة ٣٧٦ ثم سمي ابنه توادوسيوس هذا ملكاً في المشرق سنة ٣٧٨ وقد رأيت انه قهر بعد ملكه الغطط واباحهم ان يتوطنوا في تراسة ٣٨٦ بشرط ان يخدموا المملكة وانه انتصر لوالنتيان الثاني وقتل مكسيموس خصمه وسترى انه بعد مقتل والنتيان سنة ٣٩٣ حارب اربوكست قاتل هذا الملك واوجان الذي نصبه ملكاً

واستظهر عليهما واستبد في الملك غرباً وشرقاً وكان تاودوسيوس كاثوليكياً يدافع عن الايمان الكاثوليكي وقد عنى بعقد مجمع في القسطنطينية سنة ٣٨١ انتخب فيه القديس غريغوريوس النزينزي على الكرسي القسطنطيني وحرم بدعة مكدونيوس وناصب الاريوسيين وقد امر تاودوسيوس بنقض هياكل الوثنيين وابطل جعل كهنتهم ومنع عبادة اصنامهم حتى قلَّ من بقي منهم في غير القرى والمزارع المسماة باللاتينية باجي (وعنها اخذ اسم **pagani** وبالافرنسية **païens** المراد به الوثنيين)

اما نقض الهياكل الوثنية فقد حمل تاودوسيوس عليه هياج احدثه الوثنيون في الاسكندرية لرؤيتهم تغلب الدين المسيحي على الوثنية فثاروا على المسيحيين وقتلوا كثيرين منهم فكانوا يقبضون على بعض النصارى ويكلفونهم ان يضحوا للآلهة ومن خالفهم علقوه على صليب وحطموا ساقيه او اجروا عليه عذاباً آخر والكنيسة تعيد لكثير من هولاء آثروا الموت على الجحود وعرض الامر على تاودوسيوس فأثنى في جوابه اعظم ثناء على المسيحيين الذين فازوا باكاليل الشهادة في هذه الاحداث وقال انه لا يريد ان يمزج دم القاتلين بدم الشهداء بل يعفو عنهم رجاء ان يفقهوا ان الدين الذي يضطهدون اهله كان علة بقائهم احياء لكنه يأمر بنقض هياكل الاسكندرية التي كانت منبعاً للفساد والمكايد وعهد الى تاوافيلوس بطريرك الاسكندرية بتنفيذ هذا الامر وامر الوالي ان يمكن الاسقف من ذلك وان يُدفع الى الكنائس كل ما كان في هياكل الاصنام من الزينات والتماثيل لتباع وينفق ثمنها على سد فاقة الفقراء فابتدأ تاوافيلوس في نقض هيكل سرابيس وكان اجل معبود في الاسكندرية وحطم تمثال هذا الاله الذي كان في هيكله واحرقه ولم يدع تاوافيلوس هيكلاً في الاسكندرية الا ودمره ولا تمثال الا وكسره او احرقه واتبع بذلك هيكل كانوب وهي ابو قير وغيره من الهياكل

في مصر وكتب الى سائر اساقفة مصر فاقتدوا بغيرته وسقطت الوثنية في مصر مع هياكلها واصنامها واقبل كثيرون من الوثنيين الى الايمان في تلك الاثناء

واما في سورية فابى اهل كثير من المدن الطاعة لامر الملك منهم اهل غزة فانهم عزموا ان يضحوا بنفوسهم فداء معبودهم مرناس فاجتزئ الوالي بان يقفل معابدهم واهل رافيا في فلسطين آلوا ان لا يطيعوا أمر الملك ولو قتلوهم عن آخرهم فاغضى الوالي طرفه عنهم

واما في دمشق فحول هيكل الاوثان الى كنيسة وكذلك هيكل الشمس الشهير في بعلبك الى كنيسة بعد ان ذبَّ عنه الوثنيون بالقنا والقواضب ولما سمع اهل اباميا بامر توادوسيوس هاجوا وماجوا واستدعوا رجالاً وثنيين من الجليل وصمموا على المدافعة عن هياكلهم على انهم لما رأوا حاكم المشرق في مدينتهم يصحبه قضاة وجنود عدلوا عن المقاومة فدمرت هياكلهم الا هيكل المشترى فان بناءه كان متيناً وحجارته ضخمة مرتبط بعضها ببعض بحديد ورصاص فحاول الحاكم نقضه وكان تعب جنوده عبثاً فاشار عليه القديس مرسل اسقف المدينة ان ينتقل الى نقض غيره من الهياكل واخذ هذا القديس يصلي الى الله ليهديه الى وسيلة لنقض هذا البناء وكان الهيكل على رابية تحدق به من الجهات الاربع اروقة قائمة على اعمدة محيط كل منها ست عشرة ذراعاً وصخرها صلد قلما تؤثر الآلات به فوفد على القديس رجل لا يعرف صناعة البناء قائلاً انه يتكفل بهدم الهيكل بنفقة يسيرة واخذ الرجل يحفر في جانب ثلثة اعمدة فوجد انها قائمة في اسسها على قطع من خشب الزيتون فاضرم النار عليها فاحترقت ولما لم يبقَ للاعمدة الثلثة اس ترسخ عليه تداعت وسقطت وجذبت معها باقي الاعمدة واتبعها باقي البناء فمجد المؤمنون الله وكان في احدى نواحي اباميا هيكل كبير يسمى اولون فمضى اليه الاسقف مع الجنود والشرط لان الوثنيين كانوا تألبوا للمدافعة عنه واستمر مرسل الاسقف بعيداً

عن ساحة القتال فاستحوذ الجنود على الهيكل وخرج بعض الوثنيين ولما وجدوا الاسقف وحده وثبوا عليه والقوه في نار لتي ربه بلظاها وعزم ابناؤه ان يثأروا به بقتل قاتليه فعقد الاساقفة مجمعاً اقليمياً نهاهم عن ذلك والكنيسة اللاتينية تعيد للقديس مرسل اسقف اباميا في ١٤ من شهر آب (روى ذلك تاودوريطوس ك ٥ فصل ٢١ وسوزومانوس ك ٧ فصل ١٥)

وكان تاودوسيوس يقيم في تسالونيك ولدى تفحصه عن حالة الدين في مملكته اتضح له ان جميع مسوديه في المغرب الى مكدونية مجمعون على الايمان الصحيح بسر الثالوث الاقدس واما سكان المشرق فنقسمون الى بدع عديدة ولا سيما في القسطنطينية فاصدر في ٢٨ [illegible] شريعة مفتتحة بكلمة **conctos populos** (اي جميع الشعوب [illegible] وهاك نصها:

« من غراسيان ووالنتيان وتاودوسيوس الملوك الى شعب مدينة القسطنطينية انا نرغب في ان جميع الشعوب الخاضعين لولايتنا يتشبثون بالايمان الذي ارشد القديس بطرس الرسول الرومانيين اليه كما يظهر من ان هذا الايمان حفظ في رومة الى الان ويلزم ان نتابع عليه داماسوس الحبر الروماني وبطرس اسقف الاسكندرية المتصف بالقداسة الرسولية فاننا نعتقد بحسب ارشاد الرسل وتعليم الانجيل ان للاب والابن والروح القدس لاهوتاً واحداً وعزةً متساوية في ثالوث مقدس ونامر ان من يذعنون لهذه السنة يسمون مسيحيين وغيرهم ممن نعتقدهم حمقى يسمون اراتقة وان مجتمعاتهم لا تسمى كنائس وندع عقابهم الى انتقام الله اولاً ثم الى ما يلهمنا الله اليه » وقد وجه هذه الشريعة الى القسطنطينية عاصمة الملك ليتيسر اذاعتها في باقي اعمال المملكة وذكر بطريرك الاسكندرية دون غيره من البطاركة لان كرسيه اقامه مرقس تلميذ بطرس ولم يذكر بطريرك انطاكية لان هذا الكرسي كان حينئذٍ يتنازعه ملاتيوس وبولينوس وفي تلك السنة نفسها

اصدر شريعة حظر بها على القضاة ان يتعقبوا المجرمين في ايام الصوم لانها ايام طلب المغفرة من الله كما يقول في شريعته واوقف ملاحقة الدعاوي في سبتي الفصح وايام الآحاد في السنة كلها ومنع في هذه الايام فتح المشاهد والملاعب والحضور فيها الى غير ذلك من شرائعه المحكمة والمؤذنة برسوخه في الدين

عد ٥٦٧
ثورة اهل انطاكية على توادوسيوس الملك

وفي سنة ٣٨٧ اراد توادوسيوس ان يحتفل [illegible]في السنة الرابعة وابتداء الخامسة لتمليك ابنه اركاديوس معه ولكي يزي[illegible]جة واحتفاء ضمّ اليه حفلات بلوغه السنة العاشرة من ملكه وكان من [illegible] يكرموا في هذا المعرض الجنود بمال فاضطر توادوسيوس ان يفرض على المملكة ضريبة غير عادية للقيام بالنفقات اللازمة لهذه الحفلات وللحرب التي كان يرى ان لا مناص منها ولما بلغت اوامره الى انطاكية لم يفرغ واليها من تلاوة منشوره الا هاج الحاضرون وماجوا وهتفوا ان هذا العب لا يحتمل وانه لو باعتهم الحكومة وما ملكت يداهم لم يكونوا كفوا لوفاء هذه الضريبة وانتشروا في المدينة يصيحون يا للخراب يا للداهية الدهماء وانضم اليهم من كان في مدينتهم من الاجانب والارقاء والاشقياء واخذوا يطوفون في المدينة ويحطمون تماثيل الملك التي كانت كثيرة فيها وتماثيل الملكة وابنائها وشدوا عنق بعض التماثيل بحبال وكانوا يجرونها في الازقة وكسروا بعضها ودفعوا افلاذها الى الاحداث ليصنعوا بها كذلك ثم استفاق هولاء الجهلة من سورة حنقهم فارتاعوا وهرب بعضهم واختبأ غيرهم وكفى الجنود في تشتيت شمل الباقين تصويب بعض الاسهم اليهم وادرك الاهلون عاقبة صنيعهم الوخيمة فارتعدت فرائصهم ووجسوا لما سيحل بهم من العقاب وعزم اكثرهم على مهاجرة وطنهم

واخذ الاغنياء يدفنون اموالهم او ينقلونها بعيدًا وفي الصباح غصت الشوارع بالرجال والنساء والاطفال والشيوخ هاربين من وجه رجال الحكومة ولا هربهم من الحريق وانتشروا في الجبال والغابات والمغاور وصرف الوالي قصارى جدهِ في توقيف رجال الندوة عن الفرار من المدينة وفي الغد جلس القضاة على كراسيهم في المحكمة واخذوا يحكمون بالعذاب والسجن على كل من قبض الجنود عليه ولو لم تكن له جريمة الا تقاعده عن منع هذه الثورة وكثر العويل وولولة النساء وانطراحهنّ على اقدام الجنود ليمكنوهنّ من معاينة اولادهن او معاونتهنّ لهم ولما سدل الليل ستره فتح باب المحكمة وخرج كثيرون من وجوه انطاكية مكبلين بالقيود مثخنين بجراحهم يحدق [illegible] الجنود يستاقونهم الى محل تنفيذ قضاء الموت عليهم وتتبعهم نساؤهم [illegible]هاتهم حاسرات نائحات وقد غمي على كثيرات منهنّ عند ابسال اهلهنّ وحملن [illegible] بيوتهنّ فوجدت مقفلة بامر الحكومة وقد ضبط كل ما كان لازواجهنّ من مال او عقار او متاع واستمرت المحاكمة خمسة ايام على هذا النمط

وكان اهل انطاكية في ذلك العصر منصبين على الترف والخلاعة وكان القديس يوحنا فم الذهب يعظ منذ سنتين على منابرها وهو كاهن وكان اهلها نحوًا من مئتي الف نفس اكثر من نصفهم نصارى ولم تكن فصاحته المسجدية تجذب لسماع كلامه الا قليلين اذ كان الكثيرون منهم يؤثرون ان يشهدوا الملاعب والمراقص وترويح النفس بالجنائن على سماع كلام الله واما بعد حلول هذه المصائب فاصبحت انطاكية كلها كانها دير تغص معابدها الفسيحة بالزائرين وتزدحم فيها الاقدام واستمر يوحنا منذ يوم الجمعة ٢٦ شباط يوم حصول الثورة الى يوم الخميس التالي صامتًا لا يقول شيئًا وكانت الحكومة قد جزت اخص المجرمين وعاد الى المدينة من اقصاهم روعهم عنها فالقى فم الذهب حينئذٍ في مدة الصوم عشرين خطبة تزدي بخطب

فصحاء اثينا وروما وكان يقيم بها سامعيه بين رجاء العفو من الملك واحتقار الموت ويصرف افكارهم عن خيرات هذه الارض الى الرجاء بنيل نعيم ملكوت السماء

وكان رجال الحكومة قد ارسلوا سعاة الى الملك توادوسيوس ينبئونه بما كان في انطاكية واجب اهلوها ان يوفدوا اليه من يشفع بهم فلجأوا الى افلابيانوس بطريركهم وكان هرماً معززاً عند الملك فلم تقعده شيخوخته ولا احتضار اخته الوحيدة العزيزة لديه ولا مشاق السفر الطويل عن تلبية دعوتهم فمضى مسرعاً الى قسطنطينية وكان السعاة قد سبقوه اليها فاستشاط الملك غيظاً لاخبارهم وامر لاول وهلة بدك المدينة كلها ودفن اهلها [illegible] خمدت جذوة حدته وامر ان يتوجه هليكوس القائد وقيصاريوس [illegible] ليفحصوا عن المجرمين ويجزوهم بما ينطبق على العدل وامرهم ان يقفلوا [illegible]اهد والمنتديات والحمامات العامة وان يجردوا المدينة من امتيازاتها ويلغوا تسميتها عاصمة او قصبة حتى تكون اسوة احدى القرى وان تصير اللاذقية عاصمة سورية فالتقى المفوضان بالقديس افلابيانوس في الطريق فزاداه غماً على غمه اذ انبآه بما امرهما الملك وبلغ مفوضا الملك الى انطاكية في ٢٩ اذار سنة ٣٨٧ وغصت الطرق بمن خرجوا للقياهما ومن محامد توادوسيوس انتخابهما من افاضل وزرائه واكثرهم نزاهةً ودرايةً واشخصا في اليوم التالي جميع رجال ندوة المدينة واباحا كلاً منهم ان يدافع عن نفسه ولم يكونا يتمالكان من ذرف الدموع عند بكاء المدعى عليهم او ذويهم ولكن دون ان تحجف شفقتهما بما يقتضيه العدل واقاما المحكوم عليهم عند المغيب ضمن سور مخفورين وكان اكثرهم من الوجهاء والاغنياء وفي اليوم الثالث اخرجاهم باكراً لاعلان الحكم وتنفيذه عليهم فتولت الكآبة سكان انطاكية وعظم العويل واشتد النحب وتسارع الناس من كل صوب ورأى المفوضان انه يحدق بهما جم غفير صفر

الوجوه هزلي الاجسام سود الملابس وكان هولاء الحبس في ضواحي انطاكية
قد تألبوا حول المفوضين ومدوا اعناقهم قائلين اقتلونا نحن بدلاً من هولاء او
ارسلونا الى الملك فنحن موقنون انه مسيحي ورع فينعطف الى اجابة تضرعنا اليه
ولا نسمح لكم ان تلطخوا ايديكم بدم اخوانكم او نموت معهم فجد المفوضان في
ان يتملصا منهم قائلين ليس في مقدورنا العفو عن هولاء ولا مخالفة امر الملك والا
فنكون نحن مؤاخذين كشعب انطاكية وسارا في طريقهما فالتقاهما شيخ قصير
القامة متشح بخلقان رثة فامرهما ان ينزلا عن جواديهما فاستغربا جسارة هذا
الشيخ وارادا دفعه فقيل لهما انه مكدونيوس الشهير في المشرق حينئذٍ بنسكه
وفضائله فترجل المفوضان وسألاه ان يغفر لهما ويعذرهما بتنفيذ امر مولاهما فقال
لهما قولا للعاهل انت لست ملكاً فقط بل انت انسان ايضاً وتملك على من
يساوونك طبعاً والطبع البشري خلق على صورة الله ومثاله فلا تقتل صورة الله
ومن اتلف المصنوع اسخط الصانع فالملك وانتما ساخطون لاهانة وقعت على تمثال
من نحاس او ليس التمثال الحي المتنفس العاقل اعظم من تمثال من نحاس فيتيسر لنا
ان نقدم للملك مكان التمثال عشرين تمثالاً ولكن اذا اعدم واحداً استحال عليه ان
يحيي شعرة واحدة من رأسه فكان لكلامه وقع شديد في قلب المفوضين ووعداه
ان يبلغا الملك ما قال وبلغ المفوضان ابواب المحكمة حيث اقتادوا المجرمين
فاعترضهما الكهنة والاساقفة الذين كانوا في انطاكية يومئذٍ واوقفوهما معلنين
ان لا بدَّ لهما من احد امرين اما ان يدخلا المحكمة على جثثهم اما ان
عن المقبوض عليهم واصروا على منعهما من الدخول فحار المف
اسخطان الملك بمخالفة اوامره ام يبديان القسوة على هذا الحشد
والكهنة والرهبان واشارا الى الجمع بانهما يجيبان سؤلهم
السرور والشكر وانطرح كثيرون على المفوضين يقبلون

الشعب والكهنة الى المحكمة ولم يتمكن الخفراء من صدهم وتعاظم صراخهم الى القضاة ان يرفعوا الامر الى الملك فاغرورقت اعين المفوضين والقضاة بالدموع وعزموا ان يؤجلوا تنفيذ الحكم الى صدور امر آخر من جانب الملك تاودوسيوس واتفق المفوضان ان يبقى هليكوس في انطاكية ويمضي قيصاريوس الى قسطنطينية فيوقف الملك على جلية ما كان ورفع الكهنة والنساك عريضة للملك واستمر المجرمون في سجن دون تضييق عليهم

ومضى قيصاريوس مسرعاً الى قسطنطينية لا يصحبه الا خادمان فبلغ اليها بعد سبعة ايام ودخل على الملك ورفع اليه عرض ما كان من اسباب الثورة وعقاب بعض الجانين وما كان معهما فذرفت دموع الملك واستولى الحنان على قلبه ولم يكن افلابيانوس قابل الملك بعد اما لظنه ان الملك ما برح محتدماً اما لان الملك لم يسمح له بمقابلته ومضى الى القصر بعد بلوغ قيصاريوس واذن له الملك بالامتثال امامه فوقف بعيداً مطرقاً الطرف باكياً كانه حامل على نفسه جرائم مواطنيه فاقترب الملك اليه متلطفاً واخذ يذكره بما صنعه الى اهل انطاكية ويختم كل عبارة من كلامه بقوله اهذا ما استحققت بسببه الاهانة من اهل انطاكية وافلابيانوس لا يتكلم الا بذرفان دموعه وتنفس الصعداء ولما فرغ الملك من كلامه قال ما ملخصه « مولاي لا نجهل ما لك من الانعطاف الى موطننا وما [illegible]ا حزناً ان نكون اسأنا الى من احسن الينا وغمطنا نعمته فاخرب احرق اقتل [illegible]ت بنا فتكون جزيتنا باقل مما نستحق لان الشر الذي اتيناه اشنع من [illegible]دمر البرابرة بلدنا لكان مصابنا اخف من اسخاطنا اياك لان [illegible]ورد علينا ما خسرنا وقد اسخطنا احلم مولى واحن اب فاي [illegible]م حتى لا نجسر ان ننظر الى نور الشمس ... قد اقلب [illegible]لك ان تقيم تماثيل اثمن منه في قلوب رعيتك وقلوب

كل من عاش على الارض من البشر فان كل من عرف حلمك عجب بك واحبك . رشق بعضهم تمثال قسطنطين بالحجارة فاغراه بعض ذويه بالانتقام منهم قائلين قد شجّوا رأسك فوضع يده على رأسهِ وقال متبسماً لا تخافوا فلا خدش في رأسي فنسي الناس انتصارات هذا الملك وما برحت هذه الكلمة تتناقلها افواه الناس وهي راسخة في قلوبهم وما لي اذكرك بتمثل الاخرين فانت قلت في امرك الذي عفوت به في عيد الفصح عن المجرمين وخليت سبيل المسجونين انك تمنى لو كان لك سلطان على اقامة الموتى فتبعثهم فالان يسهل عليك صنع هذه الآية فما انطاكية اليوم الا مدفن وما اهلها الا جثث فيها فقد ماتوا قبل ان ينزل بهم العقاب الذي استحقوه فكلمة واحدة من فيك تحييهم

انظر مولاي غير مأمور ان الغرض ليس هذه المدينة وحدها بل مجدك وفخر الدين المسيحي ايضاً فقد عرف اليهود والوثنيون والبرابرة ما كان وهم ينتظرون ان يروا ما تصنع فان ظهر لهم حلمك وعفوك قال بعضهم لبعض ما اشد قوة الدين المسيحي اذ يجعل الملك القدير المطاع الامر احلم واحكم من انسان يعسر عليه الانتقام لنفسه وما اعظم اله النصارى اذ يصير بعض الناس ملائكة ويرفعهم الى ما فوق الطبع البشري لا تصغَ مولاي الى من يقولون ان الصفح لهولاء يزيد غيرهم جسارة فانما هذا يصدق على ما اذا صفحت عن عجز وها هم اموات لجزعهم ويتوقعون العذاب الاليم في كل ساعة ولو قطعت رؤسهم لكان عذابهم اخف ولا ازيدك علماً بان بعضهم افترستهم الضواري وهم تائهون في الغابات وبعضهم قضوا اياماً وليالي ترتعد فرائصهم في المغاور وهم رجال واحداث ونساء شريفات مخدرات وقد اذاق عمالك كثيرين منهم مرَّ العذاب ليس أيسر للملك من التنكيل بعبيده المجرمين واما صفح الملوك عن الاهانات وهم قادرون على العقاب فمن اندر الفضائل واعظمها فدونك الان فرصة تبدي فيها مثالاً

يقتدي به الاجيال المقبلة وتشترك مذ اليوم بكل ما ينشأ عن ذلك من اعمال الانسانية والحلم المشرفة وكم يكون لك من الفخار اذا قيل فيما بعد ان مدينة كبرى اسخطت ملكها فارتاع سكانها ولم يجسر ولاتها ولا قضاتها ولا شعبها ان يفوهوا ببنت شفة الا شيخاً موسوماً بكهنوت الله امتثل امام الملك واستعطف حنانه ورأفته فكفاه للعفو عن اهلها انتصابه امامه والقاؤه على مسمعه خطبة بسيطة . فلم يوفدني قومي اليك الا ليتقنهم بانك تجل كهنة الله وان حتيرين مثلي على انني ما آتيك من قبل الشعب وحده بل من قبل الله رب الملائكة والناس لاقول لضميرك النقي الورع الشميق اذا تركت للناس زلاتهم ترك لك ابوك السماوي زلاتك فان كان لك زلة ترغب في ان تكفر عنها فكلمة واحدة من فيك كافية لمحوها من اسفار الله . غيري من الوفود يأتيك بذهب وفضة وتقادم واما انا فلا اقدم لك الا سنتنا المقدسة محرضاً اياك ان تقتدي بمخلصنا الذي لا ينكف عن ان يتحفنا بنعمه وخيراته ولو اثمنا اليه كل يوم فلا تخيب آمالي ولا تجعلني اخلف وعودي لشعبك وكن موقناً انك اذا عفوت عن مدينتنا عدت اليها شاكراً مطرئاً احسانك وان لم تعف عنها فلا ارين ارضها واتبرأ منها ما دمت حياً .

ولم يكن الملك يستطيع ان يخفي ما كان لهذا الكلام من الوقع الشديد في قلبه ولم يفرغ الاسقف منه الا وذرفت عينا الملك بالدموع وقال اي عجب في ان نغفر للناس ونحن بشر مثلهم ومخلص العالم نزل الى الارض وصار عبداً لاجلنا ونحن اليه آثمون وصلبه من غمرهم باحسانه وهو يصلي الى ابيه من اجلهم والتفت الى افلابيانوس قائلاً عد يا ابي مسرعاً الى شعبك وامّن انطاكية فقد عفوت عنها وعن كل من اهلها وسأله الاسقف ان يرسل اليها ابنه اركاديوس فاجابه تضرع الى الله ليخلصني من الحرب التي تهددنا فتراني بنفسي هناك دون بطء فعاد

افلابيانوس مسرعاً وارسل سعاةً يجدون السير ليبلغوا امر الملك الى هليكوس ولا حاجة الى بيان ماكان لهذه البشرى في انطاكية من السرور والبهجة والاحتفاء ولا ما كان لافلابيانوس عند قدومه من حفلات الملتقى والاكرام وقد اناله الله التعزية بان رأى اخته حيةً بعد ان تركها محتضرة وبان يحتفل بعيد الفصح بين شعبه وكان اذا سأله احد عما كان له مع الملك اجاب انه لم يصنع شيئاً وان الله صنع كل شيء بتخميده غضب الملك وعطف قلبه الى الشفقة على رعيته كما شهد فم الذهب في خطبته ٢١ واقام اهل انطاكية تماثيل تكرمة لهليكوس وقيصاريوس

عد ٥٦٨

مقتلة سالونيك وما كان بسببها للملك توادوسيوس مع القديس امبروسيوس

كانت سالونيك في ذلك العصر قصبة ايليريا وقد توفر عدد شعبها وثروتهم وعكوفهم على الترف والملاذ وشغفهم بحضور الملاعب والمشاهد ولا سيما سباق العجلات وكان احد الساقة المشهورين في هذا الفن مسجوناً فاتى بعض جهلة القوم يسأل الوالي التفريج عنه ليشترك في السباق فابى الوالي تخلية سبيله فهاج كثيرون وادى بهم الحمق الى قتل بعض رجال الحكومة ورجم الوالي بالحجارة وكان الملك توادوسيوس وقتئذٍ في ميلان (بايطاليا) فاستشاط غيظاً وامر اولاً بخراب المدينة والتنكيل باهليها فخمد القديس امبروسيوس والاساقفة الذين كانوا ملتئمين في هذه المدينة جذوة غضبه ووعدهم ان يلزم جادة العدل والانصاف على ان بعض عماله والمقربين اليه اغروه بلزوم كبح الثائرين والتنكيل بهم تأديباً لهم وارهاباً لامثالهم ولم يعسر عليهم اتقاد النار التي لم تكن طفئت فاخلف وعده وجزم ان ينزل بعامة السالونيكيين عقاباً رداعاً واوصى ذويه ان يكتموا على امبروسيوس ما جدّ له من العزم وانفذ اوامره بقتل كثيرين من سالونيك وزايل ميلان حذرًا

من ان يكشف السر ويونبه القديس امبروسيوس على اخلاف وعده . وبلغ امره الى والي سالونيك فاعلن بانه سيكون في اليوم التالي سباق المركبات فاقبل جم غفير من الشعب الى ساحة السباق غير مبالين وكان الجنود محدقين بالساحة فاوعز الوالي اليهم ان يفتكوا بالقوم فاندفعوا يقتلون كل من وصلت يدهم اليه غير مميزين بين رجل وامرأة او طفل وشيخ او بين بارّ ومجرم او وطني واجنبي حتى كان عدد القتلى سبعة آلاف نفس وعن بعضهم خمسة عشر الفاً ومما رووا ان اباً رأى ولدين له بيد الجنود فتضرع اليهم ان يقتلوه بدلاً من ولديه فيدفع لهم كل ما يملكه من ذهب وفضة فاخذتهم الشفقة عليه وقالوا اختر واحداً من الولدين فنتركه ونقتل الاخر فوقف الاب يجيل نظره في كل منهما ويبكي ولم يتمكن من التفريق بينهما فقتلهما الجنود بحضرته ثم اتبعوه بهما . اما توادوسيوس الملك فندم بعد مضي السعاة وارسل سعاة اخرين ينقض امره الاول فلم يبلغ هولاء الا بعد المقتلة

وبلغت اخبار المقتلة الى ميلان فساءت القديس امبروسيوس والاساقفة لكنهم لم يريدوا ان يأتوا الى الملك قبل ان يستفيق من فظاعة اثمه وقبل يومين او ثلثة من عود الملك الى المدينة خرج القديس امبروسيوس الى البرية بحجة انحراف صحته وكتب الى الملك رسالة بخط يده ليؤكد له انه لم يعلم بها غيره ومما قاله له فيها . ان ضميري يبكتني متذكراً قول النبي اذا لم ينصح الكاهن الاثيم فيموت باثمه ويأثم الكاهن لتقاعده عن النصح فلا انكر ايها الملك ما لك من الغيرة على الايمان وما بقلبك من خوف الله على انك ذو طبع متحفز للغضب واذا حلمك احد عدت سريعاً الى الحلم فاسأل الله ان لا يكون لك من يهيجك اذا لم يكن لك من يحملك على الحلم . ثم يبين له فظاعة ما جرى في سالونيك مستشهداً برغبته في نقض امره الاول ومفصحاً له عما تولى الاساقفة من الغم والكدر

الى ان يقول ان اشتراكي معك لا يبرئك من الاثم بل يثقلني بخطيتك ولا يبقى لك ناصح لتتوب الى الله ليتوب عليك ويذكره بامثال الملوك الذين تابوا ولا سيما داود قائلاً انت انسان عرضت لك تجربة فانتصر عليها فالاثم لا يُمحى الا بالدموع والله لا يغفر الا لمن تاب ولا يستطيع ملك ولا رئيس ملائكة ان يغفر الخطايا الا بالتوبة فاشير عليك واتضرع اليك واحرضك وانصحك ان تتوب فلا اجسر ان اقدم الذبيحة اذا رغبت في ان تشهدها فان ذلك محظورٌ على من اراق دم بري واحد فما ترى في من اراق دماء كثيرين فانا احبك واجلك واصلي من اجلك فان وثقت بذلك فارعوِ بالتوبة الى الله وان لم تثق بصدق كلامي فاعذرني اذا فضلت الله عليك (رسالة ٥١)

ومع هذا اصر الملك تاودوسيوس بعد عوده الى المدينة على ان يأتي الى الكنيسة فالتقاه القديس امبروسيوس الى خارج الرواق وابان له فظاعة المقتلة التي اجراها قائلاً . كيف ترفع الى الله يدين ما زالتا تقطران دماً ارقته جوراً وكيف تقبل على هاتين اليدين جسد الرب المقدس وتتناول دم الرب الكريم انت الذي بسورة غضبك سفكت دماء الابرياء فاعتزل من هنا ولا تزد اثماً على اثمك الفظيع . واراد الملك ان يلتمس له عذراً بتمثل داود الذي اقدم على الفسق والقتل فاجابه القديس اقتديت باثمه فاقتدين بتوبته فانصرف الملك واخذ يباشر اعمال التوبة بحسب نظام الكنيسة في ذلك العصر مدة ثمانية اشهر اي من شهر نيسان سنة ٣٩٠ الى عيد الميلاد تلك السنة فارسل الملك حينئذٍ روفينوس احد المقربين اليه يكاشف الاسقف بحله من اثمه ونهض آتياً باثره نحو الكنيسة قائلاً امضي وان ازل بي اهانة استحقها ولم يدخل الى الكنيسة بل مضى الى ردهة الاستقبال في جانبها متضرعاً الى الاسقف ان يحله من اثمه فقال له القديس امبروسيوس ان اتيانه على هذا النحو يخالف سنة الكنيسة فقال الملك انا احترم هذه السنن ولم ادخل

رواق الكنيسة محافظة عليها بل اتيت توًا اليك راجيًا ان تحلني من هذا الوثاق
عملاً برأفة مخلصنا ولا توصد بوجهي بابًا مفتوحًا لكل تائب فاجابه امبروسيوس
اية توبة صنعت بعد اثمك الفظيع وباي دواء عالجت جراح نفسك فقال الملك اعلمني
بما يلزمني فاتممه فاجاب القديس علمت ان سرعة احتدامك بعثتك على هذه
المعصية الكبرى فعليك ان تروض ميلك الى الغضب وان تفترض سنة ان لا تنفذ
الاحكام بالقتل وضبط الاملاك الا بعد شهر من صدورها فكتب هذه السنة
لساعته ووقع عليها بيده فحله القديس امبروسيوس حينئذٍ ودخل الملك الى الكنيسة
ولم يصلِّ جاثيًا او منتصبًا بل مكبًا على الحضيض مكررًا قول النبي داود « لصقت
نفسي بالتراب فاحيني حسب كلمتك » وكان يذرف الدموع واذ رآه الشعب في
هذه الحال شاطره الصلوة والبكاء روى هذا الخبر كثير من المؤرخين ولا سيما
تاودوريطوس (ك ٥ فصل ١٧) وسوزومانوس (ك ٧ فصل ٢٥) ولا نعلم ايهما
احق بالاطراء القديس امبروسيوس على غيرته المتقدة التي لا تهاب سطوة الملوك
ام الملك تاودوسيوس على ورعه وتذلله لرئيس دينه وابدائه مثالاً صالحًا
يقتدى به

عد ٥٦٩

ما بقي من اخبار تاودوسيوس الملك الى وفاته

قد مرَّ ان اربوكست اغتال الملك والنتيان سنة ٣٩٢ وخشي ان يرتقي الى
منصة الملك وهو من البرابرة اي غير روماني فاختار اوجان الذي كان كاتب سر
الملك وكان مشتهرًا بفصاحته فاوفده الى الملك تاودوسيوس يكاشفه برضاه عنه
ويعرض عليه الاتفاق اذا احب ان يشاركه في الملك فامسك تاودوسيوس وفود
اوجان اياماً عنده ثم صرفهم بعد ان اتحفهم بتمادم واسمعهم كلمات طيبة واخذ
يستعد للحرب اذ رأى ان شرفه وامنيته يقضيان عليه ان لا يسالم خونة بل ان

يثأر منهم بدم والتنيان نسيبه ومن جملة معدّاته لهذه الحرب التجاؤه الى الله بالصلوات وطلبه الى المؤمنين الاتقياء ان يصلوا من اجله ولدى عوده الى المشرق جدّد اهتمامه برد الكنائس على الكاثوليكيين وضاعف جوده بالنفقات على بناء كنائس واديار جديدة وعلى تزينها وروى البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخه ان الملك تاودوسيوس هذا هو الذي بنى دير قنوبين كرسي بطريركية الموارنة وجعل له الرئاسة على اديرة لبنان كلها ومما سنّه في سنة ٣٩٢ شريعة حكم بها بالنفي على مَن يلقي الشغب في الشعب ممارياً في الايمان الكاثوليكي وشريعة نهى بها الوثنيين ان كانوا عن تقدمة الذبائح والبخور والخمر للاصنام وكان اوجان يستعد للحرب ايضاً وفي سنة ٣٩٤ زايل تاودوسيوس قسطنطينية عاهداً بتدبير مهام المملكة في المشرق الى ابنيه اركاديوس وانوريوس الذي كان قد سماه اغوسطس في ١٠ ك ٢ سنة ٣٩٣ وبلغ ايطاليا وجاوز جبال الااب وقتل فلافيان قائد جيش اوجان الذي كان يخفرها وكانت له وقيعة مع اوجان في سهول اكويلايا دامت النهار بطوله وكانت الحرب سجالاً وظن اوجان انه قهر تاودوسيوس وان الحرب انقضت فاخذ يوزع الجوائز على قادته وجنوده واما تاودوسيوس فقضى ليله متهجداً في معبد في معسكره وفي الغداة زحف بجيشه الى العدو ولما التحم القتال ترجل عن جواده وانتضى بتاره ووثب على الاعداء فارتاع جنوده للخطر الذي عرض نفسه له واسرعوا الى اتباعه ولم يبلغ الى مرمى السهم الا ادلهمّ الظلام في الجو وسمع دويّ قاصف وثارت ريح زعازع في وجه جيش اوجان انتزعت الخود عن رؤسهم والسلاح من ايديهم واكسبت جنود تاودوسيوس قوة فذعر الاعداء وتشتتوا وقد حسب مؤرخو ذلك العصر حتى الوثنيون منهم هذا الحدث آية سموية وتهافت بعض جنود اوجان فغرقوا في نهر كان هناك وفرّ بعضهم ومن بقي منهم رمى سلاحه واستسلم الى تاودوسيوس فلاطفهم وامرهم ان يأتوه باوجان فتسارعوا الى

القمة التي كان عليها • وظن انهم اتوه ببشرى الانتصار فاوثقوه واشخصوه الى تاودوسيوس فوبخه على اغتياله والتنيان وتسببه بهذه الشرور وتقضى عليه بالموت فاسله احد جنوده وعاد سائر جنوده الى تهنئة تاودوسيوس بظفره واستبدّ له الملك شرقاً وغرباً واما اربوكست فانهزم مذعورًا ودرى ان الجنود يجدون في لحاقهِ من كل صوب فانتحر وعفا تاودوسيوس عن اولاد اوجان واربوكست وغيرهم من المجرمين

قد انهكت هذه المتاعب المتصلة تاودوسيوس وشعر بدنو منيتهِ لفالجٍ اصابه ولم يكن قد بلغ الخمسين من عمره فدعا ابنه انوريوس من قسطنطينيه واقامه ملكاً في المغرب وجعل ابنه اركاديوس ملكاً في المشرق ونصب روفينوس معاونًا له في تدبير مملكته ولم تكن وصيته الا بينة اخيرة على تقواه وورعه ومحبته لمسوديه فقد حرض ابنيه على اتقاء الله والغيرة على حفظ نواميسه ووقف اوقافاً على بعض الكنائس وعفا عفوًا عاماً عن كل من حاربوه او اساؤا اليه وامر ابنيه بالحط من مال الخراج وفرض نظاماً لذلك وبعد ان فرغ من هذه الوصايا التي اكسبته شرفاً اعظم من انتصاراته شعر براحة فشهد صباحاً بعض ملاعب الفرسان ولكن عاودته نوبة من مرضه بعد غذائه فلقي ربه في الليل التابع في ١٦ من كانون الثاني سنة ٣٩٥ بعد ان ملك ست عشرة سنة الا يومين وقد أبنه القديس امبروسيوس معددًا فضائله السامية ومناقبه الغراء • نرجئ الكلام في اركاديوس الى تاريخ القرن الخامس

عد ٥٧٠

في مشاهير العلماء الدنيويين في القرن الرابع

تغلب الدين المسيحي على الوثنية منذ مبادئ هذا القرن فندر فيه وجود العلماء الوثنيين ووفر عداد العلماء المسيحيين وهم بطاركة واساقفة وكهنة او من

العامة لكن جل كتبهم دينية فالتاريخ الديني احق بالكلام فيهم وممن نعرفهم من المؤلفين الدنياويين الوثنيين ليبانيوس وهو اشهرهم وقد ولد في انطاكية سنة ٣١٤ ودرس العلوم في أثينا ثم علمها في قسطنطينية ونيكوميدية (وهي المعروفة الان باسيميد في اسيا الصغرى) وفي انطاكية وكان من تلاميذه القديس باسيليوس والقديس يوحنا فم الذهب وكان ليبانيوس يهنئ عصره لانه نشأ فيه خطيب مصقع كيوحنا تلميذه ولما احتضر سأله تلاميذه مَن يرى اهلاً ليخلفه في كرسي تعليم الفصاحة والخطابة فقال لكنت افضل يوحنا على كل مَن سواه لو لم يخطفه النصارى من يدنا وكان ليبانيوس في انطاكية عند ثورة اهلها وارتياعهم من سطوة الحكومة كما مرَّ وابان فصاحته بخطبة في النازلة وكان جلّ ما يأسف عليه انما هو انقطاع القوم عن ملاهيهم وملاذهم ومشاهدهم وكان بعضهم يعزو اليه علة هذا المصاب لكنه برَّأ ساحته امام القضاة بعذب كلامه وذرف دموعه وقد ابان لنا كل مرَّ في ترجمة حياته التي كتبها بنفسه (مجلد ٢ من تأليفه) وقد الف خطبة ليتلوها بحضرة الملك تاودوسيوس ليستعطفه بها الى الحلم والعفو عن اهل مدينته وخطبة اخرى ليشكر له على عفوه وخطبتين يطرئ فيهما مفوضي الملك • وكان صديقاً للملك يوليانس الجاحد ولم يكن على شيء من الغلوّ في دينه بل كان دمث الخلق لين العريكة لكنه لم يخلُ من حساد وشوا به انه ساحر فنفي سنة ٣٤٦ الى مدة ما وقد ادركته الوفاة في انطاكية سنة ٣٩٠ وله من التأليف خطب أحسن طبعة لها كانت في التبورك سنة ١٧٩١ ورسائل طبعت في لبسيك سنة ١٧١١ وفقرات اشهرها باسمه انجلوماي وغيره وكتب ترجمته اوناب العالم الطيب الذي كان معاصراً له

والثاني اميان مرشلينوس ولد في انطاكية سنة ٣٣٠ ودخل الجندية وتقلب في مناصبها وحارب في جرمانيا وافرنسة ورافق الملك يوليانس الجاحد في غزوته

للفرس ثم ترك الجندية واقام في رومية مكبًا على كتابة تاريخ للملوك الرومانيين في اللاتينية من نرفا سنة ٩٦ الى ايام والنس سنة ٣٧٨ ينطوي على واحد وثلاثين سفرًا منها الثلاثة عشر سفرًا الاولى ابادتها غير الايام وهي حاوية تاريخ هولاء الملوك من سنة ٩٦ الى سنة ٣٥٣ وبقي منها ما هو اهم حيث يتكلم على احداث كانت في عصره من سنة ٣٥٣ الى سنة ٣٧٨ ولكلامه جزيل الاعتبار لانه كان شاهد عيان لهذه الاحداث وان كانت عبارته اللاتينية منحطة لاستعماله الفاظًا ليست لاتينية بحتة وزاه لزم حدود الاعتدال في كلامه على الدين المسيحي والوثنية فيظهر منه انه مشرك منزه عن التطرف والغلوّ وقد طبع تأليفه لاول مرة في رومة سنة ١٤٧٤ وطبع اخيرًا في برلين سنة ١٨٧١ وترجمه سلفت الى الافرنسية وطبع ترجمته ١٨٤٨ وكان من المعاصرين لهذين العالمين تامستيوس ولد في بفلاغونيا نحو سنة ٣١٧ وطاف في مدن المشرق مشهودًا له بفصاحته ثم اقام في قسطنطينية يدرس الفصاحة وكان معززًا لدى الملوك وسمي في ايام توادوسيوس سنة ٣٨٤ واليًا على قسطنطينية وكان المسيحيون يجلونه لترفعه عن الغلوّ في دينه الوثني وقد خدم كل الملوك الذين تتالوا في ايامه وكان يقرظ جميعهم الى ان توفي في ايام اركاديوس وله ٣٤ خطبة اشهرها خطبته للملك يوفيان مدحًا وشكرًا له على تنويله الشعب حرية التمسك بالدين وخطبته للملك يوفنيان متضمنة نصائح له في سياسته وله شروح على بعض تآليف ارسطو طبعت في لبسيك في مجلدين سنة ١٨٦٦ واحسن طبعة لخطبه طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٨٣٢

وكان في هذا العصر ايضًا ايباريوس ولد في بورسا واتقن العلوم في أثينا في ايام يوليانس الجاحد وكان من تلاميذه في تعليم الفلسفة القديسان باسيليوس وغريغوريوس النزينزي وله خطب اشهرها تقريظه ليوليانس الملك وقد طبعت في جانتك ببروسيا سنة ١٧٩٠ مع ترجمتها الى اللاتينية وترجمة حياة المؤلف وهو من

علماء الوثنيين

ومنهم اوناب ولد في هذا القرن في سرد بناحية ازمير واتقن علومه في اثينا وعاد الى وطنه يمارس صناعة الطب وكان صديقاً للملك يوليانس ومحازباً غيورًا له وعدوًا للمسيحيين ومن تآليفه كتاب في تراجم الفلاسفة حوى فوائد مهمة في تاريخ الفلاسفة والاطباء والخطباء الذين كانوا في ايامه وقد طبع كتابه لاول مرة في انفر في البلجيك سنة ١٥٦٠ وطبع اخيرًا بين كتب مكتبة العلماء اليونان لديدو سنة ١٨٤٩ وله ايضاً كتاب تاريخ القياصرة في اربعة عشر سفرًا من كاود الثاني سنة ٢٦٨ الى اركاديوس سنة ٤٠٧ ولم يبقَ منها الا فقرات طبعت مع كتابه تراجم الفلاسفة في امستردام سنة ١٨٢٢ وقد شكا فيكتور دوري (في تاريخ الرومانيين في هذا القرن) من ندور العلماء الوثنيين في هذا القرن قائلاً قد ندر العلماء في هذا العصر ولم يكن من الخطباء الا من يتملق الحكام والعلوم السامية والفقه في رومة نفسها امست مشوهة من حيث اللغة ايضاً واصبحت مناشير الملوك فرقعة عبارات تربو فيها الالفاظ على المعاني فتغمضها . ونبغ في آخر هذا القرن ثلثة علماء وهم سيماخوس (وكان من رجال الحكومة ووالياً في رومة وهو خطيب مصقع) وكلوديان (وكان في الاسكندرية واقام في رومة وكان شاعرًا اقام له الرومانيون تمثالاً وشبهوه باومر وفرجيل) وروتيليوس (كان والياً في رومة ايضاً ونظم اشعارًا ضمنها اخبار رحلته من رومة الى افرنسة) فاعادوا الى اللغة اللاتينية شيئاً من رونقها لكنه كان سريع الزوال على ان الكنيسة وحدها ازدهت في هذا القرن بكثير من العلماء والخطباء (كما سترى) لكن تعليم هولاء كان نافعاً للسماء اكثر من نفعه للارض . انتهى كلام دورى وهو مؤيد لقولنا بندور العلماء الدنيويين في هذا القرن على كثرة العلماء الدينيين

الفصل الثاني

في اطوار السوريين في القرون الاربعة الاولى

نريد باطوار السوريين احوالهم من قبيل الحضارة والتجارة وغيرهما ونعتمد في كلامنا في ذلك على ما كتبه العلامة مومسن الالماني المدقق في كتابه تاريخ الرومانيين (مجلد ١١)

عد ٥٧١

(في الادارة السياسية في سورية بهذه الحقبة)

بعد ان استحوذ بمبايوس على سورية سنة ٦٤ق م اقام فيها اميليوس سكادورس والياً ثم خلفه الولاة الذين ذكرناهم في عد ٤٦٧ على انه ترك بعض الحكام القدماء على مناصبهم تحت امرة الوالي الروماني من هولاء الملوك النبطيون الذين كانوا يلون دمشق وما جاورها من البلاد واغتنم فرصة النزاع الذي كان بين ارسطوبولس وهركان اميري اليهود على الولاية فاسر ارسطوبولس وابنيه اسكندر وانتيكون واخذهم الى رومة واقام هركان ملكاً على اليهودية تحت امرة الرومانيين كما رأيت في عد ٤٦٣ و٣٦٤ الى ان اقام مرقس انطونيوس هيرودس ملكاً على اليهودية ووسع تخوم مملكته اذ الحق بها ما وراء الاردن الى جوار دمشق والى صحراء العربية وقد اوصى هيرودوس عند وفاته ان يقسم ملكه بين ثلاثة من ابنائه واثبت الملك اغوسطوس قيصر وصيته فكان ارشيلاوس ابنه والياً في اليهودية حتى السامرة شمالاً وبلاد الادوميين جنوباً وهيرودس المسمى انتياس

والياً على الجليل وعبر الاردن اي الجولان وما جاوره جنوباً وفيلبوس اخوه على الجيدور واللجا وكانت امرة ليسانياس تلي الابليـة (وهي المعروفة اليوم بسوق وادي بردى) وما جاورها من البلاد . اما ارشيلاوس فلم يحسن مسعاه حتى اضطر اغوسطوس ان يعزله عن ولايته في السنة التاسعة او العاشرة للميلاد وان يجعل اليهودية اقليماً رومانياً وكان الملوك الرومانيون يقيمون ولاةً عليها الى بيلاطوس البنطي كما رأيت ذلك طبق ما جاء في بشارة لوقا (فصل ٣) حيث قال . في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر حين كان بيلاطوس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبوس اخوه رئيس ربع على ايطورياه (الجيدور) وكورة انطرخون (اللجا) وليسانيوس رئيس ربع على الابلية . واما هيرودس وفيلبوس فاستمرا يدبران ولايتيهما الى وفاتهما وقد ضمت الولايتان الى واحدة في ايام اغريبا الاول ابن ارسطوبولس بن هيرودس الكبير وفي ايام ابنه اغريبا الثاني الذي استمرّ على الولاية الى اخر القرن الاول وكان لوالي سورية بعض الامر على هولاء الحكام وعلى ولاة اليهودية وبقي لروساء كهنة اليهود حق ادارة مهامهم الدينية

وقد قسمت اقاليم المملكة في ايام اغوسطوس بين العاهل والندوة فاستمرت سورية اقليماً ملكياً كافرنسة وكانت هذه الولاية مذ بادىء بدئها اهم الولايات وكان تحت امرة واليها اربعة فيالق من الجنود وقد ضمت الى ولايته ولاية سورية الكومجانية وامريات لبنان على ان ادريان في القرن الثاني خصّ والي فلسطين بفيلق من فيالق سورية الاربعة ولما اراد جنود سورية واهلها في ايام ساويروس ان يقيموا ينجر ملكاً ذللهم ساويروس وقسم سورية الى ولايتين جعل احداهما في الشمال وسماها ولاية سورية المجوفة واقام فيها فيلقين من الجنود والثانية في الجنوب وسماها ولاية سورية فونيقي واقام فيها فيلقاً واحداً وكانت هذه الفيالق منقسمة

الى كتائب او فرق تقوم كل فرقة في مدينة او حصن وقد وجد الباحثون عن الآثار خطوطاً عديدة دالة على هذه الفرق او حاوية اسماء روسائها معما اتوه من المشروعات وكان يفرق بين الكتائب المقيمة في المدن حيث يسود الامن وبين الكتائب المقيمة في الحصون على التخوم لتأمين البلاد من غزوات الرحل وغيرهم من المتدين وكانوا اولاً يعهدون بهذه المحافظة الى امراء العربية واليهودية ثم الى الكتائب المقيمة في الاقليم العربي بعد ان جعلوه اقليماً رومانياً قصبته بصرى بحوران والى حكام تدمر ولا سيما قبل ان يستحوذوا على ما بين النهرين ليصدوا مهاجمات البرتيين مع الاستعانة بجنود سورية عند الاقتضاء ولا نستطيع ان نعين محل الثكنات العسكرية في تلك الايام على ان يوسيفوس (في ك ٧ فصل ١ من مؤلفه في حرب اليهود) انبأنا ان الكتيبة العاشرة في ايام نيرون كانت مقيمة في رافانا في الجنوبي الغربي من حماه (وقال هناك ك ٢ فصل ١٨) ان الكتيبة الثانية عشرة كانت في انطاكية او ما جاورها وان كتيبة اخرى او اكثر كانت تخفر الفرات وانبأنا تاشيت (في ك٢) ان الكتيبة السادسة كانت في ايام طيباريوس مخيمة في حماه او في ضواحيها وعن بتلمايس (ك ٥ فصل ١٥) ان كتيبة من الجند كانت بعد ذلك مقيمة في سميساط . وكان كثير من الجنود في الاعمال الواقعة بين دمشق وبصرى لتأمين هذه البلاد التي يكثر القلق فيها يعاون هولاء الجنود والي سورية ووالي العربية على استتباب الراحة والامن

وكان الجنود يقومون مقام رجال الشحنة في المدن ايضاً ولا سيما في انطاكية والاسكندرية ولذلك كان الجيش السوري احط منزلة في حفظ النظام العسكري من الجيش في المغرب فان التجول في المدن كان يفسد آدابهم ويغفلهم التمرين الجندي ولذلك نرى الملوك احتاجوا غالباً في حروب سورية الى ان يستدعوا الجنود المقيمين في المغرب لسد الخلل الحاصل من قبل الجنود المقيمين في مدن

سورية

والحاصل ان الرومانيين بعد استحواذهم على سورية عهدوا بتدبير شؤون بعض اعمالها الى ولاة رومانيين يقيمهم الملوك وابقوا في بعض الاعمال الاخر على ولاة من الاسرات التي كانت تليها قبلاً الى ان نسخوا ولايتهم على التعاقب فابقوا على هذا النحو في اليهودية ولاة من ولد هركان من نسل امراء المكابيين ثم ولوا هيرودس ثم بنيه ارشيلاوس وهيرودس انتيباس وفيلبوس ثم اغريبا الاول ابن ابنه ارسطوبولس وبعده ابنه اغريبا الثاني وقرضوا ولايتهم في اوائل من القرن الثاني وابقوا في دمشق الولاية تحت امرتهم للملوك البنطيين منهم ارتياس (اوارتاس) الذي ورد ذكره في رسالة بولس الثانية الى القرنتيين (فصل ١١ عد ٣٢) حيث قال. كان الحاكم في دمشق تحت امرة ارتاس يحرس مدينة الدمشقيين ليقبض عليَّ. وقد سمى اليونانيون هذا الملك ارتاس واسمه في لغة قومه حارثة او حارث وهو ابن عبيدة الذي كان خاضعاً للرومانيين في ايام اغوسطوس كهيرودس وقد نجد الجنود الرومانيين في حملتهم على جنوبي العربية فاقاموه على محافظة تخوم سورية من دمشق الى ما يليها شرقاً وجنوباً وكان يسطو على ملك اليهودية فسخط عليه اغوسطوس لذلك وعلى ابنه حارثة (ارتياس) بعد وفاته لانه خلف اباه دون ان ينتظر امر العاهل وكان اغوسطوس يريد انتزاعه من الملك وتسليمه الى هيرودس على ان سوء تصرف هيرودس جعله يترك عزمه فاثبت حارثة في ملكه سنة ٧ قبل الميلاد وبعد نحو من اربعين سنة اعلن الحرب على هيرودس انتيباس صهره لانه طلق ابنته كامرءٍ فانتصر عليه وامر طيباريوس والي سورية ان يزحف الى حارثة وينكل به ولكن مات طيباريوس حينئذٍ سنة ٣٧ وغايوس خليفته لم يكن راضياً عن انتيباس فعفا عن حارثة الذي مات فخلفه مليكو او ملك ونجد الرومانيين في عهد نيرون وفسبسيان في حربهم مع اليهود

وبعد وفاته خلفه ابنه رابل وكان في ايام ترايان وهو اخر الملوك النبطيين لان كرنيليوس بلما قائد جيش ترايان اخضع قسماً من العربية للرومانيين فجعلوه اقليماً رومانياً والحقوا به قسماً من ولاية سورية واقاموا حكومته في بصرى بحوران سنة ١٠٦ او سنة ١٠٥ واستغنوا عن النبطيين ومما يثبت ذلك انه وجدت سكة في دمشق مكتوب عليها في اليونانية الملك اريتاس وقد كشف في دمر في جوار دمشق خط نبطي مؤرخ في شهر ايار سنة ٤٠٥ للسلوقيين وفي سنة ٢٤ للملك رابل المذكور فيوافق ذلك ٢٤ ايار سنة ٩٤ بعد الميلاد فكان ذلك مثبتاً بقاء الملوك النبطيين على ولاية هذه البلاد تحت امرة الرومانيين الى ان جعلها الرومانيون ولاية مستقلة باسم ولاية العربية

ويظهر ان الرومانيين اعتمدوا بعد ذلك في ولاية دمشق وما جاورها على بني غسان فكانوا يستعملونهم في هذه البلاد مسمين ملوكاً ولما كان هولاء طوع ايدي الرومانيين فاستمروا على ذلك الى ظهور الاسلام وفتح الخلفاء لدمشق

وكذا ابقوا في لبنان الشرقي وما جاوره على اسرة بتلمايس بن مينا اي على ليسانياس الاول وابنه زينودر وعلى ليسانياس الثاني الوارد ذكره في بشارة لوقا كما مر آنفاً ولاة على كاشيس (عنجر في لبنان الشرقي) والابلية (سوق وادي بردى) وما يليهما ولم نعثر على غير اسم هولاء من هذه الاسرة فكان الرومانيين نسخوا ولايتهم بعد موت ليسانياس الثاني

وقد استعمل الرومانيون في تدمر وما يليها آل اذينة كما رأيت في الكلام عليهم في القرنين الثاني والثالث الى ان قرضوا دولتهم باسرهم زبيدة ملكتهم سنة ٢٧٢

وكانت للسوريين في مدنهم الكبيرة ندوات ومجالس بلدية تعني بمهامها الداخلية وتصلح شؤونها وتهتم بتوسيع نطاق تجارتها وتجميل ابنيتها فكذا كان في

انطاكية ودمشق وتدمر وغيرها وقد أثقل الرومانيون اهل اليهودية بالخراج بعد افتتاح بمبايوس لها على ان يوليوس قيصر ابطل بعد استبداده بالولاية تلك الضرائب واعفى اليهود من اداء الخراج على ارضهم ومن الخدمة في الجندية ورد على اليهود يافا التي كان الرومانيون قد اخذوها منهم على شريطة ان يدفع اهلها ربع غلال ارضهم في صيدا للرومانيين وان يعطى لهركان في مقابلة ذلك في صيدا ايضاً ٢٠٦٧٥ كيلاً من البر كل سنة ويأخذ هركان من اهل يافا عشر غلال ارضهم ايضاً وهذا ظاهر من امر يوليوس قيصر الذي ذكره يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٤ فصل ١٧)

عد ٥٧٣

في الزراعة في سورية في القرون الاولى

اعظم ما تباهى به السوريون في عصر السلوقيين والرومانيين انما هو الحراثة والزراعة وكانت لهم وللمصريين المنزلة الاولى في اعمال المملكة الرومانية في الصناعة والتجارة وكان السوريون يفضلون فيهما على المصريين ايضاً في بعض الاحوال وبلغوا في اتقان الزراعة في تلك الايام شأواً يكاد فن الزراعة في البلاد المتمدنة الان يقصر عنه وعاونهم على ذلك خصب ارضيهم في محال كثيرة منها كمرج ابن عامر والجولان والارض الواقعة على ضفتي العاصي والسهول الواقعة على شاطئ البحر المتوسط من السويدية الى غزة وكانت هذه السهول والجبال المشرفة عليها كثيرة العمران ووصف مومسن اهل هذه البلاد بكونهم شديدي الذراع علي الهمة متوقدي الذهن وقد اثبتت لنا الآثار ان مدينة ابامية حيث قلعة المضيق الخربة الان كان فيها من السكان في ايام قورينوس الذي باشر الاحصاء في سورية ابان مولد المخلص مئة وسبعة عشر الفاً من الاهلين الاحرار ولا ريب في ان جميع الارضين الواقعة على ضفتي العاصي من ينبوعه الى انطاكية كانت كخمائل تبسق فيها الاشجار وينضر فيها كل نبات والصحراء التي في شرقي حمص حيث لا تجد

الان ورقة خضراء ولا قطرة ماء كانت جميعها شجراء (كثيرة الشجر) معدة للزراعة وقد وجد في شرقي حمص في جهة قرقلس اكثر من عشرين رحى من الارحاء الضخمة لعصر الزيتون ومن شاء الان ان يسير من حمص الى تدمر لزمه ان يقل قلل الماء على ظهر الجمال وهو يرى في مسيره آثار الجنات والخمائل واطلال المدن والقرى والمزارع فقد عثر يوسف شرنيك المهندس النمساوي على اطلال واخربة في اماكن شتى من الفلاة التي بين حمص وتدمر وكشف العالم ساشو عن كثير من اقنية الماء في الطريق المؤدية من دمشق الى تدمر

وما لجيش ان يقتحم الان ما اقتحمه جيش اوريليان في لحاقه زبيدة من حمص الى تدمر وترى فيافي فسيحة مما يسمى الان برية او مفازة ما آلت الى هذه الحال الا لعدم وجود العملة فيها وقال كاتب الجغرافية في منتصف القرن الرابع « تكثر جدًا في سورية الغلال من الحبوب والخمر والزيت » وقد توافر ارسال خمر دمشق الى بلاد فارس وخمر اللاذقية وعسقلان وغزة الى مصر ثم الى بلاد الحبشة والهند وكان الرومانيون يقدرون خمر جبيل وصور وغزة حق قدره ولم تكن غوطة دمشق وجناتها في تلك الايام اقل نضارة وخصباً منهما في هذا العصر حتى كانت تسمى لؤلؤة عقد سورية كما سماها بعضهم شامة الدنيا وتربة حوران واللجاء الحمراء ذات خصب يقل لها النظير ومع ذلك كانت هذه البلاد قبل ولاية الرومانيين متوعرة خربة بعيدة عن الحضارة مستغرقة بالهمجية لا يأهلها الا الرحل ولا يستغلون من ارضها الا مرعى مواشيهم وهم على نزاع مستمر بينهم على هذه المراعي واما بعد ولاية الرومانيين فقد امنوا هذه البلاد واكثروا من اقامة مخافر للجند فيها وقد انبأتنا الآثار والخطوط القديمة بذلك اذ جروا المياه لارواء كثير من ارضها يستدل على ذلك بالقناة الموصلة الماء الى كرك وبالقناة الاخرى الموصلة ماء الجبل الى البلدة المعروفة اليوم بالراحة والراجح ان ذلك كان في عهد

ترايان وهناك روابٍ ركت فيها الحجارة البركانيـة التي كانت تغطي الحقول وما ذلك الا دليل على عناية حكومة وهي حكومة الرومانيين وما يُرى الى الان من آثار العمران في فلسطين وفي ما وراء الاردن يكفينا مؤنة البيان لماكانت عليه هذه البلاد من تقدم الزراعة التي هي اس الثروة والعمران فبينا كان اهل المدن الساحلية مكبين على التجارة والصناعة كان اهل الجبال والسهول منصبين على الزراعة وعلى استثمار ارضهم المشهورة بخصبها وجودة تربتها وفي فلسطين وفي ما وراء الاردن خاصة آثار عديدة دالة على ماكان للرومانيين من العناية في تقدم ثروة هذه البلاد بتمهيد طرقاتها وتسهيل وسائل النقل والمحافظة على الامن فيها وليس من يقيم نكيرًا على ان هذا من انفع الوسائل للزراعة

عد ٥٧٣

في الصناعة في سورية في القرون الاولى

قد اشتهر السوريون في تلك الاعصر في اتقان الصنائع وتوفيرها عندهم خلافاً لما نراه اليوم من ندورها وقلة احكامها فقد كانت هذه البلاد منشأ لكثير من الصنائع ولا سيما نسج الكتان والبرفير والحرير وصنع الزجاج فنسج الكتان الذي بُدئ فيه في بلاد الكلدان قد تطرق اليه السوريون من اقدم الدهر فقد قال كاتب الجغرافية في منتصف القرن الرابع « ان باسان واللاذقية وجبيل وصور وبيروت كانت ترسل انسجتها الى العالم كله » وجاء في شريعة ديوكلتيان التي اشهرها سنة ٣٠١ معيناً فيها اثمان ما يباع واجرة العملة « ان مصنوعات المدن الثلث الاولى كانت من احسن المنسوجات لا تقل قيمة عن منسوجات ترسيس ومصر بل تفضل عليها ومما لا يحتاج الى برهان ان البرفير الصوري استمر حائزًا الافضلية على كل ما سواه وقد وفرت المعامل التي انشئت لمباراته وقد اشتهرت ايضاً معامل اخرى بسورية في اصبغتها ونسجها للبرفير في صرفند والطنطورة

وقيصرية فلسطين واللد وكانوا يأتون حينئذٍ بالحرير غير منسوج من الصين فتصبغه وتنسجه معامل سورية ولا سيما معامل بيروث وصور ومعامل الزجاج في صيدا قد بقيت على شهرتها في ايام الملوك الرومانيين وتجد في متاحف اوربا كثيراً من الآنية الزجاجية منقوشاً عليها اسم عاملها في صيدا وروى رنان (في بعثة فونيقي صفحة ١٥٤) عن شريعة ديوكلتيان المشار اليها ان مدينة جبيل احرزت ثروة كبرى من تجارتها بالمنسوجات

﴿ عد ٥٧٤ ﴾

﴿ في التجارة في سورية في القرون الاولى ﴾

قد اشتهر السوريون بالتجارة من اقدم الدهر وما برحوا مكبين عليها في القرون الاولى بعد الميلاد فكانوا يشحنون مصنوعاتهم وغلالهم الى الافاق ولا سيما الى المغرب ويتلقون سلع التجارة من باقي اقطار المشرق فيرسلونها الى المغرب على ان غلال العربية والهند كانت تنقل الى المغرب في طريق مصر لكن تجارة ما بين النهرين وكل ما يتصل الى فرض الفرات كانت تتداولها ايدي السوريين وتنقلها قوافل تدمر خاصة الى مرافئ سورية ومما يدل على اهمية هذه التجارة بين سورية والبلاد التي تليها من جهة المشرق استواء اثمان المسكوكات في املاك الرومانيين في المشرق واملاك الفرس في البلاد البابلية وكانت الحكومة الرومانية تسك الفضة في سورية والكبادوك على مثال السكة الفارسية مخالفة لسكتها الملكية في اوروبا وكانت مادة المصنوعات السورية ولا سيما الانسجة الصوفية والحريرية تؤخذ من غلال البلاد البابلية وكان السوريون يوصلون الى ايطاليا وسائر انحاء المغرب اكثر اصناف البضائع الشرقية كالانسجة الحريرية والفراء والطيوب والبهار والرقيق الشرقي ومما امتاز به التجار السوريون عن غيرهم انهم لم يكونوا يبيعون سلع تجارتهم من الاجانب فقط كما يصنع المصريون بل كانوا

ينقلونها بانفسهم الى الافاق وكان ربانو السفن في سورية جوقة كثيرة العدد شريفة دل على ذلك كثير من الخطوط القديمة وقلما خلت مدينة شهيرة في المغرب في ايام الملوك الرومانيين من تجار سوريين ومحال تجارية لهم على نحو ما كان في الاعصر الغريقة بالقدم التي يتكلم فيها أومر فكان للصوديين محلات تجارية في اعظم فرض ايطاليا التجارية ولا سيما اوستيا وبوزولي من اعمال نابولي وقد وصف كاتب الجغرافية المشار اليها آنفاً صور بانها اعظم محطة للتجارة في المشرق ويتبين من مجموعة الخطوط القديمة (خط ٥٨٥٣ من الخطوط اليونانية وخط ١٦٠١ من الخطوط اللاتينية) انه كان لهذه المحال التجارية السورية في ايطاليا غرض ديني ايضاً هو ان ينشر السوريون دينهم عند الاجانب وكان بعض هولاء التجار مسيحيين وبعضهم وثنيين وكان لهم في اوستيا ضريبة يستوفونها من المسافرين والتجار السوريين وينفقونها في سبيل الغرض المذكور ويدفعون منها كل سنة الف دينار مساعدة لجمعيتهم في بوزولي التي لم يكن دخلها وافياً بالمقصود وروى اوسترابون (ك ١٦ فصل ٢) في كلامه على صور وارواد ان منازلهم كانت رفيعة جدًا مؤلفة من طبقات كثيرة وكان لبيروت ودمشق وغيرهما من مدن سورية وفونيقي محلات تجارية في مراسي ايطاليا فقد وجد خطان لاتينيان (مجموعة الخطوط اللاتينية عد ١٦٣٤ وعد ١٥٧٦) في بوزولي يتبين منهما اقامة نصبين للمشترى الاعظم البيروتي وللمشترى الاعظم الدمشقي ووجد في المجموعة المذكورة (خط ٢٢٧١) اسم جمعية هرقلية صورية واسم جمعية اخرى بيروتية وقد وجدت آثار للتجار السوريين في ايام الملوك الرومانيين لا في مدن كثيرة من ايطاليا فقط بل في سالونا بدلماسيا وفي اسكولي (على الادرياتيك) وفي ملاكا (اسبانيا) وفي جرمانيا وافرنسة ولا سيما في بردو وليون وبريس واورليان وتراف وكان المسيحيون من هولاء التجار يجلبون معهم ازياءهم في بلادهم ويتكلمون في اجتماعاتهم

بلغتهم وقد روى القديس غريغوريوس اسقف طور (ك ٨ فصل ١) انه لما اتى الملك كونتران بن كاوتر الاول الى اورليان خرج الشعب لملاقاته وكانوا يجأرون بالدعاء له بالعبرانية والسريانية واللاتينية وروى ايضاً (ك ١٠ في تاريخ الفرنك فصل ٢٦) انه توفي في تلك الايام اسقف بريس فخلفه احد التجار السوريين واقام على تدبير منزله الاسقفي جماعة من ابناء وطنه وقال القديس ايرونيمس (في تفسير نبوة حزقيال فصل ٧) « ما برح السوريون حتى الآن على ما فطروا عليه من الولوع بالتجارة فيطفون في المعمور باسره كلفاً بالربح وقد حملهم هوسهم بالاتجار على ان يسعوا في طلب الكسب بين السيوف المرهفات المجردة الآن في المملكة الرومانية (كتب ذلك في اواخر القرن الرابع ابان حرب توادوسيوس في المغرب) فيقتحمون الاخطار فراراً من الفقر » ويلحق بذلك ما ورد في الخطوط القديمة في المغرب عن السوريين فلا وجه لاقامتهم في اوروبا حيث دلت آثارهم عليهم الا الاتجار كما يظهر من تلك الخطوط التي عثر عليها في مقبرة مدينة كونكورديا (بايطاليا الشمالية) فالاجانب المدفونون هناك جميعهم سوريون والسواد الاعظم منهم اصلهم من اباميا (مجموعة الخطوط اللاتينية ك ٥ صفحة ١٠٦٠) ومثلها الخطوط اليونانية التي وجدت في مدينة تراف (بافرنسة) فهي دالة على اناس سوريين (مجموعة الخطوط اليونانية خط ٩٨٩١ و٩٨٩٢ و٩٨٩٣) وهذه الخطوط مؤرخة بالطريقة التي يؤرخ بها السوريون وبفرع اللغة اليونانية الذي كان يستعمله بعض السوريين وقتئذٍ وكان اكثر هولاء السوريين المشتتين في المغرب مسيحيين لا من اليهود الذين تشتتوا في العالم بل هم اعلى منزلة منهم

وروى ثقاة ان شرفاء انطاكية كان بعضهم اصحاب معامل وبعضهم تجار وعامة الشعب عملة وتجارة وكان عدد العملة في نسج الحرير في حمص نحواً من ثلاثة آلاف عامل وكان القسم الاكبر من المال المكتسب حينئذٍ بالاتجار مع المغرب يذخر

في صور واباميا كما امسى بعد ذلك اكثر المال المكتسب في المشرق يذخر في جنوا والبندقية وكانت المكوس المضروبة تلك الايام على الداخل والخارج قليلة وبلاد التجارة فسيحة وكان السوريون يتجرون لا بغلال بلادهم ومصنوعاتهم فقط بل باصناف شتى من السلع والبضائع الاجنبية فقد عثر على خط في ضواحي ليون (ذكره دلمانوس خط ٢٤٩٨) كتب فيه ان رجلاً اسمه ثاموس يوليانس بن ساتي من عتيل قرية في جانب قنوات (بحوران) كان يتجر بمصنوعات اكويتانيا او غلالها بائعاً مجملاً وهذا ناطق بان السوريين لم يكونوا يتجرون ببضائع وطنهم فقط بل كان منهم من يستثمر راس ماله وخبرته ببضائع البلاد الاجنبية ايضاً

ان آثار العمران والثروة في سورية ظاهرة في اطلال المدن الخربة بل في السباسب انسائبة ايضاً ولا سيما التي على ضفة العاصي اليمنى من اباميا (قلعة المضيق) الى منعرج النهر نحو البحر التي طولها من مئة وخمسين الى مئة وثمانين كيلومتراً فهناك الى الان اطلال نحو من مئة بلدة تعرف ازقتها وهي مبنية بالحجارة المنحوتة وبيوت السكنى محاطة باعمدة مزينة بشرف وابوابها وشبابيكها مزخرفة بنقوش وفيها حمامات وغرف للعب وفي اسفلها معاصر للخمر والزيت وفي جانبها جنات وهناك ايضاً مدافن كبيرة منقورة في الصخور ملأى من التوابيت يدخل اليها بدهاليز قائمة على اعمدة وقصور منفردة لمصيف التجار واصحاب معامل الصناعة من اهل اباميا وانطاكية دالة على وفرة ثروة اصحابها وعلى ترفهم . وكل هذه المدن المشبه بعضها بعضاً يظهر انها بنيت في اواخر ملك الرومانيين في هذه البلاد فجلها أنشيء في مبادي القرن الرابع واحدثها في نحو منتصف القرن السادس ولا شك في ان ساكنيها كانوا نصارى اذ وجد فيها كثير من اشعرة الدين المسيحي ومن آيات الكتاب المقدس بل وجدت كنائس ومعابد كثيرة ويظهر ان هذا العمران بُدئَ فيه قبل عهد قسطنطين الملك لكنه كمل وتوطد

في ايامه ولم يكن العمران في تدمر وضواحيها وثروة اهلها وتجارتهم اقل مما كانت عليه هذه البلاد من النجاح طالع مامرَّ في تاريخ القرن الثاني في تجار تدمر وقوافلهم

اما يهود فلسطين فكان كثيرون منهم قد هاجروا من هذه البلاد قبل خراب الهيكل واورشليم واقامت جاليات منهم في اسكندرية وانطاكية وغيرهما وكان لهم نصيب كبير في تجارة المدن التي حلوا فيها على ان الضغائن التي كانت بينهم وبين النصارى وحروبهم مع الرومانيين ومع مواطنيهم اضرت بتجارتهم وكان الدين جامعة للتجار السوريين الذين كانوا في البلاد الاجنبية ولم يكن بنو اسرائيل ينضمون الى النصارى او الوثنيين وبينما كان الدين المسيحي يزداد انتشارًا في خارج سورية كان اليهود يزدادون انفصالاً عن المسيحيين في كل محل فآل ذلك الى نفع غيرهم من السوريين وكان اليهود يؤثرون ان يعاملوا بني ملتهم على ان يعاملوا غيرهم ولو كانوا من مواطنيهم في سورية فعاد ذلك بالوبال على تجارتهم وخسروا ما كان لهم من الثقة وحسن المعاملة في اسكندرية وانطاكية وغيرهما على ان اليهود الذين كانوا في المغرب لم يكونوا جميعاً من المهاجرين للاتجار بل كان جم غفير منهم من اسرى الحرب او اولاد الاسرى فكانت حالهم ولا سيما في رومة حالة الصعاليك او المتسولين ولم يكن راس مالهم الا رزم عشب يجمعونها من الحقول او سلة ضمت سلعاً بخسة الثمن وعليه فكانوا في المغرب في ايام الملوك الرومانيين على اسواء حال ووحدة الدين سوت بين المهاجرين وبين المسبيين منهم بقضاء الله العادل

القسم الثاني

في تاريخ سورية الديني في القرن الرابع

نعتمد في هذا القسم على شهادات القديس ايرونيمس في كتابه في المشاهير الدينيين وفي ترجمته الكرونيكون لاوسابيوس القيصري ثم على تواريخ سقراط وسوزومانوس وتوادوريطوس لان هولاء جميعاً كانوا شهوداً عيانيين لبعض ما كتبوا واخذوا ما بقي من كلامهم عن شهود عيانيين فان القديس ايرونيمس كان في هذا القرن في فلسطين وسقراط وتوادوريطوس ولدا في اواخره. وسوزومانوس ولد في فلسطين في مبادي القرن الخامس وقد كتبوا تاريخ القرن الرابع وبعض الخامس على سبيل تكملة لتاريخ اوسابيوس القيصري المكنى بابي التاريخ الديني ولم نغفل عن مراعاة ما تعقبهم به المتأخرون ما امكن استيثاقاً لكلامنا ورغبةً في الاعتماد على الاصول لان كتب هولاء اصول تواريخ هذه الايام فالاسناد اليها اولى من كلام المتأخرين

الفصل الاول

في بطاركة انطاكية واورشليم في القرن الرابع

عد ٥٧٥

في بطاركة انطاكية في هذا القرن

قد مرَّ في تاريخ القرن الثالث ان كيرلّس بطريرك انطاكية استمر في

حبريته الى سنة ٣٠٣ وخلفه تيرانوس ذكره اوسابيوس القيصري في الكرونيكون وقال انه كان في سنة ١٩ لديوكاتيان وقال فيه في تاريخه (ك ٧ فصل ٣٢) وخلف تيرانوس كيرللس في كنيسة انطاكية واشتدت في ايامه وطأة الاضطهاد على الكنائس وقد ذكره ابو الفرج ابن العبري في تاريخه اليمي وايليا النصيبيني وعن سعيد ابن البطريق انه بقي في البطريركية ١١ سنة وعن نيكوفوروس انه استمر فيها ١٣ سنة وعليه فقد ادركته الوفاة سنة ٣١٤ او سنة ٣١٦ وخلف فيتاليوس تيرانوس في بطريركية انطاكية على ما روى القديس ايرونيمس في الكرونيكون وذكره ابن العبري في تاريخه المذكور وقال انه في ايامه حرم القديس بطرس بطريرك الاسكندرية آريوس الشماس فتمادى في شره واخذ يبث بدعته وروى نيكوفورس وتوافان انه بقي في كرسي انطاكية ست سنين وعليه فيكون توفاه الله سنة ٣٢٠ قال لكويان (في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) انا وجدنا توقيعه في مجمعي انكورة وقيصرية الجديدة سنة ٣١٤

وخلفه فيلوكنيوس وروى القديسان ايرونيمس وفم الذهب ان بدعة آريوس فشت في آخر ايامه وكان مناصباً لها كما كان انليكوس اسقف طرابلس ومكاريوس اسقف اورشليم وقال ابن العبري انه في ايامه صالح اكيلاً خليفة بطرس البطريرك الاسكندري آريوس ورقاه الى درجة الشمامسة ولما لم ينفك عن بث غواياته حرمه ثانية وتعقب ابن العبري السيدان ابالوس ولامي مترجما تاريخه بقولهما ان اكيلاً رقى آريوس الى درجة القسوس لا الى درجة الشمامسة التي كان رقي اليها قبلاً . وقال توادوريطوس (في تاريخه ك ١ فصل ٢) . اما في انطاكية فخلف فيتاليوس تيرانوس بعد ان استحوذ الامن في الكنيسة وبنى فيتاليوس في باليا (في ضواحي انطاكية) الكنيسة التي كان الظالمون قد دمروها ثم خلف فيلوكنيوس فيتاليوس في تدبير هذه الكنيسة واكمل بناء الكنيسة المذكورة وكان متسامياً في

الغيرة على المحاماة عن الحق في ايام ليشينيوس، عدو قسطنطين الملك وقال لكويان (في المحل المذكور يظهر ان فيلوكنيوس قضى نحبه سنة ٣٢٣ او سنة ٣٢٤)

وخلفه في الكرسي الانطاكي بولينوس وذكره القديس ايرونيمس في الكرونيكون مبيناً انه خلف فيلوكنيوس وكان بولينوس اولاً اسقفاً في صور وله فيها اعمال مبرورة مشكورة سنأتي على ذكرها عند الكلام في اساقفة هذا القرن ولم يمكث طويلاً في اسقفية انطاكية بل توفاه الله سنة ٣٢٤ لان خليفته اوسطاتيوس حضر في المجمع النيقوي الذي عقد في السنة التالية وقال نيكوفوروس وتوافان وسعيد البطريرك الاسكندري انه استمر على الكرسي البطريركي خمس سنين وقولهم مردود بدليل انه لم تمضِ فترة طويلة بين ظهور بدعة آريوس والتئام المجمع النيقوي فقد ظهرت البدعة في ايام فيلوكنيوس كما مرَّ ولا مراء في ان المجمع النيقوي عقد سنة ٣٢٥ وان اوسطاتيوس شهده (لكويان في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) اما اوسطاتيوس الذي خلف بولينوس فكان من بمفيلية وقال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير) • انه كان اولاً اسقفاً على حلب ثم دبر كنيسة انطاكية والف كتباً عديدة يقاوم بها غوايات الاريوسيين وقد نفي في ايام قسطنطين (او قسطنس) الى ترايانوبلي في تراسة حيث دفن ومن تآليفه كتاب في النفس واخر في رد مزاعم اوريجانس ورسائل تشذ عن العد • وقال فيه سوزومانوس (ك ١ من تاريخه فصل ٢) • ولما اجتمع الاباء في نيقية وكانوا يقدرون اوسطاتيوس حق قدرهِ من قبيل سيرتهِ الصالحة وعلمه السامي قضوا بانه اهل لان يترأس على الكرسي الرسولي ولذلك نقلوه من اسقفية حلب الى كرسي انطاكية، وعن توافان ان آباء المجمع النيقوي أثبتوا هذا النقل الذي كان قد حصل قبل المجمع وقد قرظ اوسطاتيوس الملك قسطنطين في المجمع ولما كان من اكابر الاباء علماً وابهة ساعد كثيراً على نبذ بدعة اريوس وازال

الحرم به ولذلك تصدى الاريوسيين لمناصبته شديد المناصبة حتى نفاه الملك من انطاكية وقال توادوريطوس (ك ١ راس ٢٠ في تاريخه) في ذلك ما ملخصه ان اوسابيوس اسقف نيكوميدية كان قد تغلب على كرسي القسطنطينية وجدَّ في استرضاء الملك عنه وتعزيز نفسه لديه فاتى الى انطاكية يصحبه بعض الاساقفة محازبيه فقبلهم باحتفاء اوسطاتيوس بطل الايمان العظيم واكرم مثواهم عنده ثم توجهوا الى زيارة الاماكن المقدسة فوجدوا على شاكلتهم اوسابيوس اسقف قيصرية وبتروفيلوس اسقف باسان واكسيوس اسقف اللد وتوادوطوس اسقف اللاذقية ورجع هولاء معهم الى انطاكية واتى اليهم اساقفة اخرون بحجة التهنئة لهم بعودهم وعقدوا مجمعاً ودخيلة الامر ان يشجبوا اوسطاتيوس فيه واتوا بامرأة جميلة وادخلوها غرفة الاجتماع وعلى ساعديها طفل رضيع واخذت تتهم البطريرك انه ضاجعها فعلقت منه وان الطفل ابنه فسأل اوسطاتيوس وهو على يقين من انه برآء من هذه التهمة ان تأتي المرأة او ذووها بدليل على ما تدعي فاجيب ان لا بينة ولا دليل فحكم القضاة الجائرون بان تحلف الزانية يميناً فحلفت وحكموا على البطريرك بارتكاب الفحشاء متناسين قول الرسول الصريح « بان لا تقبل الشكوى على القسيس الا بشاهدين او ثلثة شهود » عدل وابى غير هولاء من الاساقفة المطاوعة على هذا الحكم الجائر ورفع الجائرون الامر للملك وزينوا له لزوم نفي اوسطاتيوس ولو لمجانبة الانقسام بين الاساقفة فنفي بطل الشهامة والتقوى والعفاف الى مدينة في تراسة وقد انبأنا توادوريطوس (ك ١ من تاريخه فصل ٢١) ان تلك المرأة التعيسة اعتراها مرض عضال فباحت بان بعض الكهنة حملوها على تلك التهمة برشوة دفعوها اليها ولم تكن يمينها كاذبة على الاطلاق لان ذلك الرضيع كان ابن رجل فلاح اسمه اوسطاتيوس وروى سقراط (ك ١ فصل ٢٤ من تاريخه) انه قد عقد مجمع في انطاكية وحُط فيه اوسطاتيوس بدعوى

قورش اسقف حلب عليه بانه يؤيد ضلال سابيليوس اكثر من دسم المجمع النيقوي وقال بعضهم انه حطُّ لجرائم تخالف نبتله على انهم لم يأتوا بينة على ذلك وقد اعتاد الأئمة ان يعنفوا الاساقفة بمثل هذه التهم دون ان يثبتوها وقال جيورجيوس اسقف اللاذقية بسورية ان قورش اسقف حلب شكاه بضلال سابيليوس على انه قال في محل آخر ان قورش هذا نفسه ثبت عليه اتباع هذا الضلال وعزل بسببه فكيف يتفق ان يكون قورش تابعاً هذا الضلال ويشكو اوسطاثيوس به على ان فالسيوس في حواشيه على تاريخ سقراط اثبت ان الاريوسيين انما كانوا يتهمون الاساقفة الكاثوليكيين باتباع سابيليوس لتعليمهم ان الابن مساوٍ للاب جوهراً وان القديس اناسيوس اثبت في رسالته الى النساك ان قورش اسقف حلب واسطاثيوس اسقف انطاكية كانا من جملة الاساقفة الذين عزلهم الاريوسيون ثم ان عزل اوسطاثيوس عن كرسيه افضى الى قلق كبير في انطاكية وعظم الانقسام والخلاف حتى اوشك اهل المدينة ان يبيد بعضهم بعضاً وكان فريق منهم يريد نقل اوسابيوس القيصري الى كرسي انطاكية والفريق الاخر يريد رد اوسطاثيوس اليه فاعتفى اوسابيوس من الاذعان لهذا النقل ومدحه قسطنطين الملك على ترفعه عن قبوله هذا المنصب وتلافيه الخلاف ودعاه سعيداً قائلاً له انه اهل لاسقفية هذه المدينة بل لاسقفيات العالم كله ومضى اوسطاثيوس الى منفاه انتهى كلام سقراط ملخصاً ومثل ذلك قال سوزومانوس (ك ٢ من تاريخه فصل ١٨ و١٩) قال لكويان (في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) اختلف في سنة نفي اوسطاثيوس بين ان كان سنة ٣٢٧ او سنة ٣٣١ او سنة ٣٤٠ فبكل منها قائل

واما متى توفي اوسطاثيوس فقد روى سقراط (ك ٤ من تاريخه فصل ١٣) ان يوفيان استدعاه من منفاه واتى الى القسطنطينية يحض الكاثوليكيين على الثبات في الايمان ولما مات اودكسيوس بطريرك هذه المدينة اقام الاريوسيين

مكانه دموفيلوس وانتخب الكاثوليكيون افاغريوس فرقاه اوسطاتيوس الى اسقفية القسطنطينية وتابعه سوزومانوس (ك ٦ في تاريخه فصل ١٣) في ايراد هذا الخبر وزاد عليه ان الملك لخوفه من حصول قلق في العاصمة ارسل جنوداً فقبضوا على اوسطاتيوس ونفاه الى قرية اسمها بيزدا في تراسة ونفى افاغريوس الى مكان اخر . وقال لكويان (في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) ان الملك يوفيان دعاه من منفاه الى القسطنطينية وكان يخطب فيها في مساواة الابن للآب جوهراً وقد عاش طويلاً ويظهر انه مضى الى ربه سنة ٣٨٠ ولكن قال فالسيوس (في حواشيه على تاريخ سقراط) ان بادونيوس في تاريخ سنة ٣٧٠ تعقب سقراط وسوزومانوس قائلاً ان اوسطاتيوس كان قد توفي من مدة طويلة في ايام قسطنطين الملك وان القديس ايرونيمس روى في كتابه في المشاهير انه توفي ودفن في ترايانبولي حيث كان منفياً ولا يمكن ان يكون اوسطاتيوس عاش الى ايام يوفيان لانه شهد المجمع النيقوي الذي التأم سنة ٣٢٥ فلو فرضنا ان كان له من العمر حينئذٍ خمس واربعون سنة ومن ايام هذا المجمع الى السنة الثالثة من ولاية يوفيان خمس واربعون سنه فيكون عمره يوم رقي افاغريوس الى الاسقفية تسعين سنة وهذا يعسر تصديقه وتحصيه الكنيسة الى مصاف القديسين وتعيد له الكنيسة اللاتينية في ١٦ تموز

اولاليوس اختاره الاريوسيين بعد نفي اوسطاتيوس فقد جاء في كرونيكون اوسابيوس الذي ترجمه القديس ايرونيمس « ان الاريوسيين استحوذوا على هذا الكرسي فاقاموا اولاليوس واوسابيوس وافرونيوس وبلاشلوس واسطفانوس وليونتيوس وادكسيوس وملاتيوس واوزويوس ودوروثاوس ثم ملاتيوس ثانية ولم اذكر سني كل منهم لاعتقادي انهم اعداء المسيح لا اساقفة »

ويستثنى من هذا الصف ملاتيوس لما ستراه اما نحن فنذكر من تاريخهم ما

عثرنا عليه في كتب المحققين . وقد ذكر توادوريطوس (ك ١ من تاريخه ف ٢١)
اولاليوس قائلاً . اقام الاريوسيون مكان اوسطاتيوس اولاليوس ولم يعش الا
قليلاً فهموا بان ينقلوا اوسابيوس من اسقفية قيصرية الى انطاكية فتمنع من هذا
الانتقال ولم يرضه الملك وذكر اوسابيوس ذلك (في ك ٣ من ترجمة قسطنطين)
ولم يذكر سوزومانوس اولاليوس بل قال سقراط ان كرسي انطاكية استمر ثماني سنين
دون بطرك فرد قوله فالسيوس في حواشيه على تاريخه اما افرونيوس فاختاره
الاريوسيون بعد ان تمنع اوسابيوس عن قبوله نقله الى انطاكية وقال فيه توادوريطوس
في المحل المذكور فاقام الاريوسيون افرونيوس لكنه توفي بعد سنة وبعض اشهر من
ارتقائه الى هذا الكرسي وذكره سقراط (في ك١ من تاريخه فصل ٢٤ ثم في ك٢ ف ٩)
وقال فيه سوزومانوس (ك٢ فصل ١٩) ولما علم الملك (قسطنطين) ان افرونيوس
احد كهنة الكبادوك وجيورجيوس كاهن ارتوسيا معروفان بصحة عقيدتهما امر ان
يرقوا الى كرسي انطاكية احد هذين الكاهنين او غيرهما ممن يرونهم اهلاً
فاختاروا افرونيوس ورقوه الى اسقفية انطاكية ويظهر ان افرونيوس توفي سنة ٣٣٣
فانتخب الاريوسيون بلاشلوس (وسماه توادوريطوس فلاشلوس) بعد وفاة
افرونيوس سنة ٣٣٣ على الراجح اذ نراه شهد مجمع صوز سنة ٣٣٥ وحاول مع
الاريوسيين الحكم على القديس اثناسيوس واساقفة مصر وقد ذكره توادوريطوس
في المحل المذكور وقال ان هولاء الاساقفة كانوا متلطخين بغواية اريوس لكنهم لم
يكونوا يجاهرون بها ولذلك كان كثيرون من الاكليرس والعامة يأبون الاشتراك
معهم ويعملون فروضهم الدينية على انفراد وروى سوزومانوس (ك ٣
من تاريخه فصل ٥) ان بلاشلوس رأس المجمع الذي عقد في انطاكية في ايام
قسطنس الملك ودشن كنيسة انطاكية وحكم على القديس اثناسيوس ثانية وروى
لكويان (في المشرق المسيحي) انه كان من جملة الاساقفة الذين دشنوا في اورشليم

كنيسة القيامة التي كان الملك قسطنطين قد بناها وعن نيكوفورس وتوافان انه استمر في البطريركية اثنتي عشرة سنة بدؤها سنة ٣٣٣

وخلفه اسطفانوس انتخبه الاريوسيون بعد وفاة بلاشلوس مع انه كان قد حط عن درجة الكهنوت لرذائله ولم يكن اوسطاتيوس ليرضى برده اليها وقد دعي الى مجمع عُقد في سرديكا (وهي المسماة اليوم صوفيا قصبة البلغاريين) لنبذ ضلال الاريوسيين فانحاز عن المجمع مع الاساقفة اشياع اوسابيوس اسقف نيكوميدية (اسميد) في فيلوبوبلي ووقعوا على رسالة يخالفون فيها هذا المجمع على ان هولاء الاساقفة الاوسابيين انفسهم خلعوه بعد ثلث سنين من بطريركيته وقد انبأنا بذلك توادوريطوس (ك ٢ من تاريخه فصل ٩) حيث ذكر بعض فظائع وقعت في انطاكية منها ان اوناجر الرئيس على فصيلة من الجند استدعى امرأة الى نزل الاسقف اوفراتاس وادخلها الى مخدعه وهو نائم واستدعى صحبه لتقريع الاسقف واقامة الشكوى عليه ولدى البحث في حضرة القضاة اقرت المرأة بما كان منها ولم ينكر اوناجر فعلته واثبت ان اسطفانوس بعثه عليها وقد ذكر هذا الحبر ابن العبري ايضاً في تاريخ بطاركة انطاكية مسمياً الشاب المذكور افاغريوس فافتضحت جريمة اسطفانوس ومكيدته وحطه الاساقفة من مقامه وطردوه من الكنيسة وعن نيكوفورس وتوافان انه استمر في البطريركية ثلث سنين ثم خلع منها سنة ٣٤٨

واختار الاساقفة الاريوسيون لاونتيوس خلفاً له فكان على شاكلته او شرًا منه فقد روى سقراط (ك ٢ فصل ١٦) انه لما كان كاهناً حط عن درجته لولوعه بمعاشرة امرأة اسمها اسطوليا وقد خصى نفسه بغية ان ينفي عنه ريبة الفحش معها ويثابر على معاشرتها دون ظنة ورغب الملك قسطنس بعد ذلك ان يرقي الى اسقفية انطاكية فرقي اليها بعد وفاة اسطفانوس • وذكر توادوريطوس (ك ٢ من

تاريخه فصل١٩) هذه الشائبة فيه واردفها بتعداد غيرها من مساويه وفساد تعليمه
وعن لكويان (في المشرق المسيحي) انه قضى سنة ٣٥٧

ولما بلغ اودكسيوس اسقف مرعش نعي لاونتيوس هب الى انطاكية وتغلب
على كرسيها سندًا الى تأييد بعض حاشية الملك له ولكن ناصبه جيورجيوس اسقف
اللاذقية ومرقس اسقف ارتوسيا (التي كان موقعها عند مصب نهر البارد رنان
في بعثة فونيقي) وكان جيورجيوس ومرقس من اشهر اساقفة سورية في تلك
الايام وتابعهم على مناصبته كثيرون من الاساقفة فلم يرتضوا ان يرقوه الى الكرسي
البطريركي ومع ذلك عقد مجمعاً في انطاكية مع محازبيه من الاساقفة وكان منهم
اكاشيوس اسقف قيصرية فلسطين واورانيوس اسقف صور ونبذوا ان يقال في
الابن انه مساوٍ للاب جوهرًا كما حتم المجمع النيقوي (وفي حواشي فالسيوس ان
هذا المجمع عقد سنة ٣٥٧ وعن بارونيوس ان عقده كان سنة ٣٥٦) وكتب
جيورجيوس اسقف اللاذقية رسالة مشبعة الى القديس باسيليوس وغيره يبين بها
مساوئ اودكسيوس وضلاله وطرد اودكسيوس من انطاكية كثيرين من الاساقفة
المقاومين له فاجتمعوا في انكوره ورفعوا عريضة الى الملك قسطنس يشكون
اودكسيوس فيها فاجابهم برسالة اثبتها سوزومانوس (في ك٤من تاريخه فصل ١٤)
ومن فحواها ان لا يصدقوا قول اودكسيوس ان الملك ارسله الى انطاكية وانه
يأمر بطرده منها مع المتشيعين له وان يعقد مجمع في نيقية لتقرير امور الايمان
وكان من دسائس الاريوسيين ان يعقدوا مجمعاً ثانياً في نيقية ينقض ما سنه المجمع
الاول فيها فابطل الله مكيدتهم اذ حدث زلزال في هذه المدينة روع الاساقفة
المجتمعين فيها فانصرفوا كلٌ الى بلده ثم عقد المجمع في سلوقية بايسوريا فعزل
اودكسيوس باكثرية اصوات الاساقفة (سوزومانوس في الكتاب المذكور ف١٢
و١٣ و١٤ وسقراط ك ٢ من تاريخه فصل ٣٧ و٤٠ وتوادوريطوس ك ٢ ف ٢٠

و٢١و٢٢) ولم يقم في بطريركية انطاكية الاستين على انه عندما عزل مكدونيوس من كرسي القسطنطينية تغلب اودكسيوس بامداد الاساقفة الاريوسيين على هذا الكرسي (تواودوريطوس وسقراط في المحال المذكورة) وقد جاء في الكرونيكون الاسكندري في تاريخ سنة ٣٦٠ وفي هذه السنة في ١٥ شباط كرست الكنيسة الكبرى في القسطنطينية (اجيا صوفيا التي كان الملك قسطنطين قد بدأ في بنائها) وخلع مكدونيوس اسقف هذه المدينة عن كرسيه لجرأته الكثيرة واقيم مكانه اودكسيوس في ٢٧ حزيران بحضرة ٧٢ اسقفاً، الى ان توفي في ايام الملك والتنيان الثاني بعد ان استوى على الكرسي القسطنطيني تسع عشرة سنة (سقراط ك٤ ف١٤) فتكون وفاته نحو سنة ٣٨٨

قد انتخب الاساقفة الكاثوليكيون انانيوس بعد عزلهم اودكسيوس في مجمع سلوقية وكان من كهنة كنيسة انطاكية ولكن قاومه تباع اكاشيوس الاريوسيون وسلموه الى مفوضي الملك في المجمع فامسكاه مخفوراً ثم ارسلاه الى المنفى على ما روى سقراط (ك ٢ فصل ٤٠) وسوزومانوس (ك ٤ فصل ٢٢) وقد ذكر ابن العبري (مجلد ١ من تاريخه في بطاركة انطاكية) هولاء البطاركة الاريوسيين كما ذكرناهم واسقط منهم انانيوس لانه لم يتمكن من تدبير هذا الكرسي لما مر من نفيه كما قال ابلوس ولامي مترجما تاريخ ابن العبري الى اللاتينية في حواشيهما عليه وعن لكويان (في المشرق المسيحي) ان نيكوفورس وتوافان عداه من بطاركة انطاكية وقالا انه استمر في البطريركية اربع سنين

وبعد نفي انانيوس انتخب الاساقفة الاريوسيون والكاثوليكيون معاً القديس ملاتيوس وقد انبأنا تواودوريطوس (ك٢ من تاريخه فصل ٢٧) ان قسطنس الملك بعد عوده من حرب الفرس اتى الى انطاكية ودعا الاساقفة اليه للمذاكرة بعقائد الدين فسأله بعضهم ان يقام اولاً اسقف على كرسي انطاكية اذ لم يكن ثمَّ اسقف بعد

نفي انانيوس وكان ملاتيوس اسقفاً على مدينة في ارمينيا (هي سبسطية) فسأَته غلاظة اطباع اهلها وعدم امتثالهم اوامره فتركهم واقام في محل آخر وكان الاريوسيون يظنونه مشايعاً لهم فسألوا الملك ان يقام اسقفاً على انطاكية وكان الكاثوليكيون على يقين من صحة عقيدته وسمو فضيلته فاستدعاه الملك وخرج للقياه الاساقفة والكهنة والاعيان بل اليهود والوثنيون ايضاً وكاف الملك ملاتيوس وغيره من الاساقفة ان يخطبوا في الشعب مبينين عقائد الدين فكان لخطبة ملاتيوس احسن وقع في النفوس وسأله الشعب اخيراً ان يوجز ما اسهب في خطبته فاشار بثلث اصابع ثم طوى اصبعين وترك الثالثة منبسطة وقال نعتقد بثلاثة ونقر بانهم واحد فامتعض منه الاريوسيون لمخالفته تعليمهم وتصدوا لمقاومته حتى نفوه الى ارمينيا وكذلك روى سقراط (في ك ٢ من تاريخه فصل ٤٤) لكنه زعم ان ملاتيوس بعد ان ترك اسقفية سبسطية في ارمينيا صار اسقفاً على حلب ومنها نقل الى كرسي انطاكية فتعقبه فالسيوس في حواشيه قائلاً ان هذا يعسر تصديقه لان تاودوريطوس وسوزومانوس وقبلهما ايرونيمس رووا انه نقل من ارمينيا الى كرسي انطاكية ولم يأتوا بذكر حلب فقد يكون انه بعد تركه سبسطية اقام في حلب ولكنه لم يدبر كنيستها وقد خطأ بارونيوس سقراط في روايته هذه (في تاريخ سنة ٣٦٠) وظن ان ملاتيوس كان اولاً اسقفاً في حلب ثم في سبسطية ثم في انطاكية قال فالسيوس ولا ارى ظن بارونيوس صحيحاً اذ لم يذكره تاودوريطوس ولا سوزومانوس

اما الاريوسيون فاقاموا بعد نفي ملاتيوس اوزايوس اسقفاً على انطاكية وكان اوزايوس هذا من اخص المشايعين لاريوس وحطا معاً عن درجتهما وجاهر ببدعته بعد ان تسنم الكرسي الانطاكي فاضطر تباع ملاتيوس ان ينفصلوا عن الاريوسيين ويجانبوا الاجتماع معهم في الكنائس ولم يكونوا قبلاً يعاملونهم كذلك

لعدم مجاهرتهم ببدعتهم ولان ملاتيوس رقاه الاساقفة الاريوسيون والكاثوليكيون معاً الى الاسقفية فانقسم سكان انطاكية الى فرقتين وان كان الشعب على وفاق في عقيدة الايمان (سقراط ك٢ فصل ٤٤ وسوزومانوس ك٤ ف٢٨ وتوادوريطوس ك ٢ فصل ٢٧) وعلى خلاف في التشيع لروسائهم وتوفي الملك قسطنس سنة ٣٦١ وخلفه الملك يوليانس الجاحد فرخص للاساقفة المنفيين ان يعودوا الى كراسيهم فعاد ملاتيوس من منفاه فلم يتبعه الا محازبوه لداعي الانقسام المشار اليه وكان يقيم الصلوات معهم ويوزع الاسرار عليهم في كنيسة باليا في خارج المدينة وكان اوسابيوس من اساقفة ايطاليا ولوشيفر من اساقفة سردينيا منفيين في الصعيد ولما رخص يوليانس للاساقفة المنفيين بالعود الى كراسيهم مرا في انطاكية وبذلا قصارى جدهما في ازالة الخلاف فلم يتيسر لهما ان يعيدا الوفاق بين تباع اوسطاتيوس وتباع ملاتيوس وكان بولينوس الكاهن رئيس حزب اوسطاتيوس فرقاه لوشيفر الى الاسقفية كيلا يبقي مريدوه دون اسقف فامسى للكاثوليكيين اسقفان هما ملاتيوس وبولينوس واستمر هذا الخلاف منذ بدئه في ايام اوسطاتيوس الى نهايته في ايام اسكندر الاتي ذكره خمساً وثمانين سنة . وقد سعى الاريوسيون بملاتيوس لدى الملك والنس فنفاه ثانية الى ارمينيا سنة ٣٧٠ ولم يعد الى كرسيه في انطاكية الا في ايام غراسيان سنة ٣٧٨ (توادوريطوس ك ٣ فصل ٢ وسقراط ك٥ فصل ٥) ونشأ حينئذٍ في انطاكية حزب ثالث لابوليناركلاذقى الذي كان يزعم ان المسيح اتى بجسده من السماء ولم يأخذ نفساً بشرية وفي تلك الاثناء ارسل الملك غراسيان معلم جيشه المسمى سابور الى انطاكية رغبة في تدبير شؤونها والتوفيق بين اهلها على الكنائس وغيرها وفي اذاعة منشوره المار ذكره (في الكلام عليه) وكان بولينوس يدعي انه محافظ على الايمان الروماني وابوليناركذلك ومِلاتيوس صامت يزدري دعواهما فنهض افلايانوس احد كهنة

انطاكية وقال لبولينوس . اذا كنت تشترك مع داماسوس الحبر الروماني فاعترف بان للثالوث ذاتاً واحدة وثلثة اقانيم وخذ الكنائس . ثم التفت الى ابولينار وقال . انت تعلم يقيناً ان داماسوس يعلم بان الاله الكلمة اخذ الطبع البشري كاملاً وانت تزعم انه لم يأخذ نفساً فان كانت الشكوى كاذبة فاعترف اليوم بتعليم حبر رومة وخذ الكنائس . وقال ملاتيوس لبولينوس متلطفاً . اذا كانت رعيتنا تعتقد ايماناً واحداً فلنجتمع في حظيرة واحدة وان كان الكرسي الاسقفي علة خلافنا فلنضع الانجيل المقدس في الوسط ونجلس كل منا في جانب في مقدمة مصاف الكهنة ومن بقي منا حياً بعد وفاة الاخر تولى تدبير الرعية . فرضي مريدو ملاتيوس هذا التوفيق وابى بولينوس وذووه ان يرضوه شريكاً له موردين حججاً باطلة فحكم سابور مفوض الملك بعد ان تدبر الامر بتسليم الكنائس الى ملاتيوس هذا ما رواه تودوريطوس (في ك ٥ من تاريخه فصل ٣) على ان القديس امبروسيوس الذي كان معاصراً هذه الاحداث صرح (في رسالته ١٣) في المجمع الذي عقد في ايطاليا بان الاساقفة اصحاب بولينوس في المغرب اقترحوا عليه هذا الوجه للتوفيق . وروى سقراط (ك ٥ فصل ٥ وسوزومانوس ك ٧ فصل ٣) ان اصحاب بولينوس حملوه على التسليم بطريقة التوفيق المذكورة واقسم ستة من الكهنة الذين كانوا اهلاً للاسقفية على انهم يخضعون لمن يبقى حياً من الاسقفين ولا يرضى احد منهم ان يرتقي الى الاسقفية في مكان الميت منهما واتفق على ذلك الشعبان

وفي سنة ٣٧٩ عقد مجمع في انطاكية وقع فيه ملاتيوس واوسابيوس اسقف سميساط وكثيرون من الاساقفة الشرقيين على دستور ايمان كان البابا داماسوس قد ارسله اليهم مصرحاً فيه بمساواة الابن للاب جوهراً وبلاهوت الروح القدس ونبذ ضلال ابولينار اللاذقي وفي سنة ٣٨١ مضى ملاتيوس الى القسطنطينية ليشهد

المجمع الذي عقد فيها السنة المذكورة فاعتراه هناك مرض عضال ادى به الى الموت وابنه القديس غريغوريوس النيصي اخو القديس باسيليوس ونقل ذووه جثته الى انطاكية ودفنت في جانب مدفن بابيلا الشهيد ويقال ان الناس كانوا يخرجون بمقتضى امر الملك خارج كل مدينة مرت الجنازة بها مرنمين بالتسابيح والمزامير ويدخلون نعشه المدن خلافاً لعادة الرومانيين (سقراط ك ٥ فصل ٩ وسوزومانوس ك ٧ فصل ١٠) وكنيسة الروم تعيد لذكره في ١٢ شباط

على ان تباع ملاتيوس ابوا بعد وفاته الطاعة لبولينوس واقاموا افلايانس احد كهنة ملاتيوس مكانه ورقاه الى الاسقفية ديودوروس اسقف ترسيس واكاشيوس اسقف حلب فعاد الانقسام الى كنيسة انطاكية لا من جهة الايمان بل من جهة التشيع للرؤساء فانفصل كثيرون عن الاشتراك مع افلايانس (سقراط ك ٥ فصل ٩) بل اتسع نطاق هذا الخلاف فان الاساقفة المصريين والعرب والقبرسيين كانوا يؤيدون جانب بولينوس واساقفة سورية وفلسطين وفونيقي والكبادوك وغلاطية وبنطوس يناصرون افلايانوس واما الحبر الروماني وسائر اساقفة المغرب فاستاءوا من ترقية افلايانوس خلافاً لشرائط الاتفاق وانفذوا رسائلهم الى بولينوس منزلينه منزلة بطريرك انطاكي ولم يشاؤوا ان يكاتبوا افلايانوس بل تمنع ديودوروس واكاشيوس الاسقفان اللذان رقياه الى الاسقفية من المخالطة له (سوزومانوس ك ٧ فصل ١١) واجتمع الاساقفة الشرقيون في القسطنطينية وقضوا بصحة ترقية افلايانوس وتوفي بولينوس سنة ٣٨٨ وما برح الخلاف في انطاكية لان بولينوس لما شعر بدنو المنية اختار افاغريوس خليفة له وقيل انه رقاه وحده دون ان يشاركه في ذلك اسقف اخر خلافاً لقانون الكنيسة ومع ذلك تشبث بالطاعة له محازبو بولينوس وحضر افاغريوس مجمعاً عقد في كابوا (بايطاليا) سنه ٣٩٠ عازماً ان يقيم دعواه على افلايانوس ان حضر المجمع فلم

يحضر وقد قبل الحبر الروماني واساقفة المغرب افاغريوس في شركتهم لكنه توفي سنة ٣٩٢ واستمر اساقفة المغرب يقاومون افلابيانوس فاستقدمه الملك توادوسيوس ليرسله الى رومة فقال . مولاي ان وقعت لمخالفيَّ شبهة في صحة ايماني او ظنة بما يعيب سيرتي الكهنوتية فاقبل ان يكون الشاكون لي قضاة في دعواي واذعن لحكمهم وان نازعوني الكرسي الاسقفي فلا انازعهم اياه ولا اعارض من يهواه بل اتخلى عنه فاعطه من شئت فاعجب الملك كلامه وامره او يعود الى انطاكية لتدبير كنيسته ومضى الملك توادوسيوس الى رومة وارسل افلابيانوس اليها جملة من الاساقفة والكهنة والشمامسة الانطاكيين وفي مقدمتهم اكاشيوس اسقف حلب الشهير فاسترضوا الحبر الروماني بوساطة الملك ايضاً عن افلابيانوس وعاد السلم الى الكنيسة وعم الوفاق اساقفة مصر ايضاً بعد ان استمر الخلاف سبع عشرة سنة (رواه تودوريطوس ك ٥ فصل ٢٧) وذكره ابن العبري في تاريخ بطاركة انطاكية وروى بلاديوس في ترجمة فم الذهب ان هذا القديس اصلح بين افلابيانوس واساقفة المغرب ومصر وقبله في شركته وشركة الكنيسة الرومانية وبعد ان قضى افلابيانوس ٢٣ سنة في تدبير رعيته ادركته الوفاة سنة ٤٠٤ وقد رأيت ما كان من وفادته الى الملك توادوسيوس وخطبته بحضرته ليستعطفه على العفو عن الانطاكيين بعد ثورتهم ولم يذكر افاغريوس خلفاً له . واوزايوس الاسقف الاريوسي قد حرمه المجمع القسطنطيني وحطه عن مقامه على ما روى ابن العبري في تاريخ بطاركة انطاكية وبعد وفاته انتخب الاريوسيون دوروتاوس (سقراط ك ٤ فصل ٣٥)

عد ٥٧٦

في بطاركة اورشليم في القرن الرابع

ان آخر مَن ذكرناهم من بطاركة اورشليم في القرن الثالث انما هو زبدي

فهذا خلفه هرمون وقال فيه اوسابيوس (ك ٧ من تاريخه فصل ٣٢) . انه كان الاخير ممن امتطوا كرسي يعقوب الرسول المحفوظ الى الان في اورشليم قبل الاضطهاد الذي صار في ايامنا . اي اضطهاد ديوكلتيان والذي وجدناه في الكرونيكون انه ارتقى الى كرسي اورشليم في سنة ٣٠٦ وان مكاريوس خلفه سنة ٣١٨ وهي الثامنة لقسطنطين الملك فتكون مدة بطريركيته ١٢سنة وروى لكويان (في مجلد ٢ من المشرق المسيحي في بطاركة اورشليم) عن نيكوفوروس وتوافان انه استمر في البطريركية تسع سنين وانه يعيد لذكره في ميناون الروم في ٧ اذار ويقال انه ارسل اساقفة الى امم كثيرة

وخلف هرمون بعد وفاته القديس مكاريوس سنة٣١٨على ما في الكرونيكون كما مرَّ وعن هذا الكتاب في طبعة سكاليجر انه توفي سنة ٣٢٥ او سنة ٣٢٦ وسترى ما يخالف هذا القول. وقد عده اريوس في رسالته الى اوسابيوس اسقف نيكومدية من جملة خصومه وترى هذه الرسالة مثبتة في تاريخ توادوريطوس (ك ١ فصل ٤) وكان مكاريوس من جملة الاباء الذين التأموا في المجمع النيقوي (سوزومانوس ك ١ فصل ١٧) وفي ايامه اتت الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين الكبير الى اورشليم وكشفت عن آلات آلام المخلص سنة ٣٢٦ او سنة ٣٢٧ وقد عاونها مكاريوس في الكشف عن هذا الكنز الثمين وقد انفذ اليه الملك قسطنطين الكبير رسالة ضمنها شكره العظيم لله على هذه الآية وعزمه ان يبني كنيسة على مدفن المخلص تفوق كل ما سواها من الكنائس ويكل اليه النظر في اختيار اجود الاعمدة والرخام اللازم لذلك وقد اثبت هذة الرسالة برمتها توادوريطوس (ك ١ من تاريخه فصل ١٦) واوسابيوس القيصري في ترجمة قسطنطين (ك ٣ فصل ٣٠ و٣١ و٣٢) ويظهر ان مكاريوس توفي سنة ٣٣١ ومكسيموس خليفته شهد المجمع الذي عقد في صور سنة ٣٣٥ ويعيد له في السنكساري الروماني في ١٠ اذار

ولا ذكر له في ميناون الروم (لكويان مجلد ٢ من المشرق المسيحي في بطاركة اورشليم)

وخلف القديس مكاريوس بعد وفاته القديس مكسيموس الثاني وقال فيه سوزومانوس (ك٢فصل ٢٠) ما ملخصه • ان مكاريوس رقى مكسيموس الى اسقفية ديوسبولي (وهي اللد) لكن اهل اورشليم امسكوه عندهم لما عُرف به من الفضل والعلم واضمروا ان يخلف مكاريوس بعد وفاته وشق عليهم ان يغادرهم رجل خبروا فضيلته ويتعرضوا بعده للخلاف في انتخاب اسقف لهم فالاولى ان يعاون مكاريوس في حياته ويخلفه بعد موته ومن دققوا في الخبر رأوا ان مكاريوس ندم على ترقيته مكسيموس الى اسقفية اللد واثر امساكه لديه كاتماً باخلاص خدمته وغيرته على الدين القويم وخيفة ان يختار الاساقفة الاريوسيون بعده مَن كان مشايعاً لهم • فخلفه كما احب سنة ٣٣١ وروى لكويان (في المشرق المسيحي عن تاودوريطوس ك ٢ فصل ٢٦) ان مكسيموس فقئت عينه وقطعت ابهامه اليمنى لانتصاره للدين القويم وقال سوزومانوس (ك ٢ فصل ٢٥) ان مكسيموس شهد ٣٣٥ مجمع صور الذي عقده الاريوسيون ليحكموا على القديس أثناسيوس بالعزل عن كرسيه ولما رأى بفنوتيوس تحاملهم على القديس أثناسيوس امسك مكسيموس بيده وانهضه قائلاً هلمَّ نذهب فلا يليق بنا فقد فقئت عينانا وقطعت ابهامنا حباً بالايمان ان نجالس مثل هولاء الاشرار المارقين على ان سوزومانوس روى (ك ٣ فصل ٦) ان مكسيموس خدعه الاريوسيون في مجمع صور فمالأهم على حط أثناسيوس وكذلك قال سقراط (ك٢فصل ٨) ولكن روى بعضهم قوله بمعنى ان الاريوسيين ضيّقوا عليه ليمالئهم على حطه ولذلك لم يحضر الى مجمع انطاكية الذي عقدوه بعد ذلك لندامته على ما فرط منه في ممالأة الاريوسيين على ما قال المؤلفان المذكوران او لتحاشيه عن مضايقتهم على القول الثاني • وانبأنا القديس أثناسيوس (في محاماته ٢)

انه بعد عوده من مجمع سرديكا (صوفيا) سنة ٣٤٧ عقد مجمعاً في فلسطين ودعا مكسيموس اليه فوقع قبل الجميع على الرسالة التي انفذها هذا المجمع الى اساقفة افريقيا وزعم بعض المؤرخين ان الاريوسيين خلعوا مكسيموس من اسقفيته سنة ٣٤٩ او سنة ٣٥٠ واقاموا مكانه كيرلّس الآتي ذكره ولم يذكر القديس ايرونيمس في الكرونيكون هذا الخلع بل كل ما قاله في تاريخ سنة ٣٥٣ « مات مكسيموس خليفة مكاريوس في الكرسي الاورشليمي وتغلب بعد ذلك الاريوسيون على هذه الكنيسة فقام كيرلّس واوطيخوس ثم كيرلّس ثانية ثم ايرانيوس وبعده كيرلس مرة ثالثة ثم ايلاديوس ومن بعده كيرلس مرة رابعة »

ان القديس كيرلّس ولد في اورشليم سنة ٢١٥ ورقي الى كرسي بطريركية اورشليم سنة ٣٥١ على الراجح وقد أشتبه اولاً بصحة عقيدته لترقية اكاشيوس اسقف قيصرية الاريوسي له الى الاسقفية وقد اثنى توادوريطوس على كيرلّس ودعاه المحامي الباسل عن التعليم الرسولي ومهما يكن من امر ترقيته الى الاسقفية فقد محا وصمة الشبهة بمناصبته للاريوسيين ومغالبته لهم حتى نفوه ثلث مرات وعاد من منفاه غالباً موقرًا ويرجح استواءهُ على الكرسي البطريركية سنة ٣٥١ رفعه هذه السنة في شهر ايار رسالة الى الملك قسطنس قال له فيها انها اول رسالة كتبها وانبأه بآية جرت في اورشليم في ٧ ايار من تلك السنة وهي انه ظهر نور باهر اكثر بهاء من نور الشمس واستمر اياماً ممتدًا من كنيسة القيامة الى جبل الزيتون وقد رآه كل من كانوا في أورشليم من المؤمنين واليهود والوثنيين ذكورًا واناثاً وتسارعوا الى الكنيسة المذكورة مدهوشين من هذه الآية وقد آمن حينئذٍ كثيرون وذكر ايضاً هذه الآية سوزومانوس (ك٤ فصل ٥) والكرونيكون الاسكندري صفحة ٢٩٢ (على ما روى لكويان في المشرق المسيحي في ترجمة هذا البطريرك) واخرون كثيرون وفي سنة ٣٥٧ تحامل اكاشيوس اسقف

قيصرية على القديس كيرلس وعني بحطه ونفيه لاسباب منها ان كيرلس بعد ارتقائه الى الكرسي الاورشليمي ادعى على اكاشيوس اسقف قيصرية ان له حق التقدم عليه لانه خليفة يعقوب الرسول فاستاء اكاشيوس من ذلك لان التقدم كان قبلاً لاسقف قيصرية واخذ يختلق تهماً على القديس كيرلس وحصلت حينئذٍ مجاعة في فلسطين فانفق كيرلس كل ما كان يملكه على المعوزين حتى باع بعض آنية الكنيسة ومنذوراتها ووجدت بغيٌ متشحة بحلة من هذه المنذورات فاتهم كيرلس بانه وهبها لها ولدى البحث عن ذلك اقرت المرأة بانها ابتاعت الحلة من التاجر واقر التاجر بانه شراها من الاسقف ومع ذلك تيسر لاكاشيوس ان يعزل كيرلس متذرعاً بمثل هذه التهم (روى ذلك سوزومانوس ك ٤ فصل ٢٥) واقام الاريوسيون مكانه كاهناً اسمه اوطيخوس او اوطاخي

ثم عقد مجمع في سلوقية بايسورية سنة ٣٥٩ شهده كيرلس واستأنف دعواه على اكاشيوس فدعى هذا مراراً وابى الحضور فحكم المجمع عليه بالعزل (سقراط ك ٢ فصل ٤٠) ويظهر ان كيرلس عاد حينئذٍ الى كرسيه ولكن الى مدة وجيزة لان اكاشيوس اغرى الملك قسطنس بعقد مجمع في القسطنطينية وشايعه كثير من الاساقفة فعزلوا كيرلس سنة ٣٦٠ (سقراط ك ٢ فصل ٤٢ وسوزومانوس ك ٤ فصل ٣٠) واقام الاريوسيون مكانه ايرانيوس الذي مرَّ ذكره في كلام ايرونيمس كأن اوطاخي كان قد توفي ولما مات قسطنس وخلفه يوليانس الجاحد وامر بعود الاساقفة المنفين الى كراسيهم رجع كيرلس الى كرسيه في سنة ٣٦٢ لانه يظهر انه كان في اورشليم لما اخذ يوليانس يجدد الهيكل اذ روى روفينوس (ك ١ من تاريخه فصل ٣٧) ان كيرلس قال حينئذٍ يستحيل على اليهود مهما جدوا ان يضعوا حجرًا على حجر في الهيكل فخرجت نار ومنعتهم عن العمل ومات اكاشيوس سنة ٣٦٥ ولم ينكف الاريوسيون عن اضطهاد كيرلس فانهم سعوا لدى الملك والنس

فاذاع امرًا فحواه ان الاساقفة الذين عزلوا في ايام الملك قسطنس وردّوا الى كراسيهم على عهد الملك يوليانس يلزم عزلهم ثانية وبتقتضى هذا الامر عزل كيرلّس المرة الثالثة واقام الاريوسيون مكانه ايلاريوس كما رأيت في كلام القديس ايرونيمس وكما يظهر من كلام ابيفان في بدعة ٦٦ ولم يعد كيرلّس الى كرسيه الا بعد وفاة والنس الملك سنة ٣٧٨ او سنة ٣٧٩ على ما روى سقراط (ك ٥ ف٣) وقد شهد كيرلّس المجمع القسطنطيني المسكوني سنة ٣٨١ (تاودوريطوس ك ٥ فصل ٨) وقال سوزوماتوس (ك ٤ فصل ٣٠) « انه بعد عزل كيرلّس خلفه من الاساقفة الاريوسيين ارانيوس وهذا خلفه هرقل ثم خلف ايلاريوس هرقل على ما اتصل بنا » وتعقبه فالسيوس في حواشيه قائلاً « ان هرقل هذا كان القديس مكسيموس قد عينه عند وفاته خليفة له ولكن جنح الاريوسيون الى كيرلّس واندبوه بطريركاً واحتالوا بمكرهم على هرقل حتى ترك الاسقفية وعاد كاهناً كما قال ايرونيمس في الكرونيكون » وهذه عبارة ايرونيمس في الكرونيكون « ومن شر الاريوسيين انهم زينوا بحيل عديدة لهرقل الذي كان مكسيموس قد اقامه عند احتضاره خلفاً له ان يترك الاسقفية ويعود كاهناً »

وقد ادركت المنية كيرلّس سنة ٣٨٦ او سنة ٣٨٧ ويعيد لذكره في الكنيسة اللاتينية في ١٨ اذار واخص تآليفه كتبه في التعاليم وهي منقسمة الى ٢٣ تعليماً حاوية شروحاً مشبعة في عقائد الايمان والتقليدات القديمة وقد طبعت مرات واخر طبعاتها عني بها الاب مين سنة ١٨٥٧ الى سنة ١٨٦٠ في مكتبة الاباء

وخلف يوحنا الثاني كيرلّس على ما روى سوزومانوس (ك ٧ فصل ١٤) وسقراط (ك ٥ فصل ١٥) وكان راهباً وكاهناً في كنيسة اورشليم وكان عمره عند ارتقائه الى الكرسي الاورشليمي نحوًا من ثلاثين سنة وكان صديقاً لتاوفيلوس البطريرك الاسكندري وعدّه القديسان ابيفان وايرونيمس من المغوين بضلال

اوريجانس وكان بينه وبين هذين القديسين جدال عنيف استمر من سنة ٣٩٤ الى سنة ٣٩٧ التي صالح فيها ايرونيمس . وقد انتصر يوحنا لدعوى يوحنا فم الذهب فكتب اليه فم الذهب رسالته الثامنة والثمانين سنة ٤٠٤

وقد خدعه بيلاجيوس سنة ٤١٥ في مجمع ديوسبولي (اللد) وخدع غيره من الاساقفة فايّدوا بدعته . وارسل اليه القديس اغوسطينوس كتابه في الطبيعة والنعمة ثم رسالته في بدعة بيلاجيوس وهي ٢٥٢ من رسائله وسماه المؤرخون اسماء عديدة ولقي ربه سنة ٤١٧ بعد ان قضى ثلاثين او احدى وثلاثين سنة في الاسقفية . وقد ذكره من الاحبار الرومانيين انسطاس وزوزيموس . ومن الاباء اغوسطينوس وبولينوس وفم الذهب وايرونيمس وتوادوريطوس . وكلامهم مؤذن بالتوقير له ولم يعزُ اليه ايرونيمس وغيره الا كتاب محاوراته مع ايفان وايرونيمس على ما روى تلمون في تاريخه مجلد ٢ صفحة ٣٤٢ وقد لخصنا كل ذلك عن لكويان في المشرق المسيحي (مجلد ٢ في سلسلة بطاركة اورشليم)

الفصل الثاني

في أساقفة سورية في القرن الرابع

عد ٥٧٧

في اوسابيوس اسقف قيصرية فلطين

ولد اوسابيوس نحو سنة ٢٧٠ وعشق العلوم مذ حداثته وآخاه القديس بمفيل

العالم الشهير الذي كان اتقن العلوم في مدارس بيروت كما مر حتى تسمى باسمه فيسمى اوسابيوس بمفيل وربما زار برافقته النساك في مصر والصعيد وترقى في مراتب الكهنوت حتى صار اسقفاً على قيصرية سنة ٣١٥ وانكب على الاشتغال بالعلوم ولا سيما التاريخ حتى سمي ابا التاريخ الديني كما سموا هيرودت ابا التاريخ القديم الدنيوي وكان صديقاً حميماً للملك قسطنطين الكبير وقد كتب ترجمته كما سيأتي وكان من جملة الاباء الذين شهدوا مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بل هو الذي انشأ قانون الايمان الذي وضعه هذا المجمع ونقحه اباؤه وزادوا عليه كلمات منها مساوٍ للآب في الجوهر كما هو بيّن من الرسالة التي كتبها اوسابيوس نفسه الى ابناء ابرشيته من هذا المجمع وقد ذكرها تاودوريطوس (في تاريخه ك ١ فصل ١١ وسقراط ك١ فصل ٨) وقد انتخبه بعض الاساقفة عند عزل اوسطاتيوس بطريرك انطاكية ليكون خليفة له فتمنع من قبول هذه البطريركية كما مر وقد ذكر اوسابيوس هذا الخبر (ك ٣ من ترجمة قسطنطين الملك فصل ٦٠) وروى رسالة الملك الى الاساقفة بهذا الشأن على انه قد مالأ الاساقفة الاريوسيين في مجمع انطاكية على عزل القديس اوسطاتيوس عن كرسيه الانطاكي واغرى قسطنطين الملك بنفي القديس اثناسيوس واعادة اريوس من منفاه في مجمعي قيصرية وصور سنة ٣٣٥ بل قد اتهمه بعضهم بانه تابع الاريوسيين على تعليمهم على ان تلك تهمة لم تثبت بدليل ولعلها نشأت من تباهي الاريوسيين به وقد برأه منها سقراط مفردًا لذلك فصلاً من تاريخه (ك ٢ فصل ٢١) موردًا كثيرًا من اقواله التي هي نص في تأييد العقيدة الكاثوليكية بالوهية الابن ومساواته للآب جوهرًا وفي نقض بدعة اريوس نقضاً بيناً ومثل ذلك فعل تاودوريطوس اذ افرد الفصل الحادي عشر من الكتاب الاول من تاريخه لايراد رسالة اوسابيوس من المجمع النيقوي الى ابرشيته مضمناً اياها قانون الايمان الذي انشأه والقانون الذي عول

عليه آباء المجمع بعد اصلاحات لا اهمية لها (وسيأتي ذكر هذه الرسالة بين جملة تأليف اوسابيوس) ورد في الفصل الثاني عشر من الكتاب المذكور مزاعم الاريوسيين باقوال اوسابيوس نفسها ومنها ان كلمة مساوٍ جوهراً لم يختلقها آباء هذا المجمع حينئذٍ لوصف الابن بل كانت قبلهم وبالجملة قد كان اوسابيوس داهية عصره واعلم علماء مصره وقد توفاه الله نحو سنة ٣٣٨ (عن السمعاني في المكتبة الشرقية عن ديونيسيوس في الكرنيكون سنة ٣٤٠) وقد الف وصنف كثيراً من الكتب التاريخية والدينية والعلمية منها تاريخه الديني ضمنه في عشرة كتب تكلم فيها على الاحداث ومشاهير الرجال والمسائل الدينية من ايام المخلص الى السنة العشرين لقسطنطين الملك وهي السنة ٣٢٦ للميلاد ومنها ترجمة قسطنطين الملك تنطوي على اربعة كتب شرح فيها اعمال هذا الملك التقوية وضمنها مراسيمه واوامره الدينية والحقه بكتاب خاص ضمنه نصائح الى جماعة القديسين اي الكنيسة عزاها الى هذا الملك يبين فيها بعض اسرار الدين المسيحي وعقائده في ستة وعشرين فصلاً واتبعها مقالة في مدح قسطنطين الملك ذات ثمانية عشر فصلاً . وله كتابه الموسوم بالاستعداد الانجيلي جمع فيه كل ما كان مقدمة وبرهاناً على مجيء المخلص ونشر انجيله من الاسفار المقدسة والآثار القديمة ومن جملتها فقر سنكونياتون البيروتي . ومن تآليفه ايضاً الكرونيكون اي تاريخ السنين بدأ فيه من تاريخ خلق العالم الى سنة ٣٣٠ للميلاد متكلماً فيه في الاباء والملوك والمشاهير والاحداث المهمة بايجاز الى ايامه واصل هذا الكتاب اليوناني مفقود والموجود الان ترجمة لاتينية له وضعها القديس ايرونيمس ملحقاً به تاريخاً حذا به حذوه الى سنة ٣٨٢ وهو مقسوم الى كتابين . وله ايضاً مقالة في استشهاد القديس بمفيل ورفقائه مأخوذة من كتبه في ترجمة هذا القديس وقد صرح اوسابيوس بانه كتب في هذه الترجمة ثلثة كتب لكنها لم تصل الينا . وهذه المقالة ملحقة في طبعة مين (مجلد ٢٠ من مكتبة

الآباء اليونان) بكتبه في الملك قسطنطين . ولاوسابيوس كتاب في شهداء فلسطين ينطوي على ثلاثة عشر فصلاً نشره مين في المجلد المذكور من مكتبة الاباء المذكورة وقد وجدت اخيرًا نسخة من هذا الكتاب في المتحف البريطاني وقد نشرت مرات مكتوبة في السريانية واكثر اسهابًا من كتابه المعروف وتضاربت الاقوال في هذه النسخة واصح ما رأيته في بعض المجلات من الاقوال في شأنها ان اوسابيوس كتب هذا الكتاب اولاً في السريانية لغة قومه واسهب المقال تعميرًا لشعبه بمثال هولاء الشهداء ثم ترجمه موجزًا عبارته في الكتاب الذي تتداوله ايدينا الان ونشر له هناك ايضاً فقرًا من كتاب في الشهداء الاقدمين وعشرة شهداء مصريين ورسالتين احداهما الى ابناء ابرشيته من المجمع النيقوي والثانية الى الملكة قسطنسية . وله ايضاً تأليف في المدافعة عن اوريجانس كتبه مشتركاً فيه مع القديس بمفيل وقد اشار الى ذلك في تاريخه (ك ٦ فصل ٣٦) اذ قال بعد ان عد مصنفاته . وترى البينات القاطعة على ذلك في الكتاب السادس من محاماته الذي كتبناه نحن للمدافعة عنه . فالتأليف المذكور مقسوم الى ستة كتب وقال في محل آخر ان بمفيل شاركه في تأليف هذا الكتاب

ولاوسابيوس ايضاً كتب في جغرافية اليهودية ومواقع الاماكن العبرانية واسمائها فقد قال القديس ايرونيمس في مقدمة كتابه في مواقع الاماكن العبرانية واسمائها ما ملخصه . ان اوسابيوس بمفيل القيصري بعد العشرة الكتب التي دونها في التاريخ البيعي وبعد الكرونيكون الذي ترجمناه الى اللاتينية وشرحه الالفاظ التي كان العبرانيون يستعملونها وبعد كتبه جغرافية اليهودية وتبيين ما اصاب كلاً من الاسباط من ارضها وشروحه عن اورشليم والهيكل اعتكف على تدوين كتابه في مواقع الاماكن العبرانية واسمائها ذاكرًا فيه المدن والجبال والانهر والقرى وما كانت اسماؤها وما طرأ على بعضها من التغير فاحبينا ترجمة هذا الكتاب ايضاً

حاذين حذو هذا الرجل العجيب في نظام كتابه •

وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي في قصيدته في المؤلفين اوسابيوس القيصري وعدَّ له من التأليف بعض ما ذكرناه له وزاد عليه كتاباً في حل المشكلات في الانجيل مع عشرة قوانين لتفسيره وقال السمعاني (مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ١٨ في شرح هذه القصيدة) يريد الصوباوي بهذه القوانين ما ذكره اوسابيوس في رسالته الى كبريانوس ولذا اعتادوا ان يعلقوا هذه القوانين على كتاب توفيق الاناجيل لامونيوس ونراها معلقة بالسريانية والعربية على نسخ الاناجيل المتناهية في القدم وذكرها ابن صليبا وابن العبري في مقدمتيهما على الاناجيل وقال الصوباوي ايضاً ان لاوسابيوس كتاباً في تاريخ الشهداء الغربيين اي الشهداء في سورية وفلسطين ومصر وقال السمعاني يعزو السريان الى اوسابيوس مثل هذا الكتاب وقد أُتي من عهد قريب الى المكتبة الواتيكانية بكتاب سرياني حوى تاريخ كثير من الشهداء وعد منهم نحو ثمانين شهيداً وقال اترك لغيري الحكم أ اوسابيوس كتب اخبار كل هولاء الشهداء ام غيره وقد رأيت في دير القديسة مريم في الاسقيط كتابين مشتملين على تراجم كثيرين من القديسين ومن المؤكد ان كثيراً منها لا يمكن ان يعزى الى اوسابيوس • وذكر الصوباوي ايضاً خطبة لاوسابيوس في احتباس المطر وقال السمعاني فيها لم أرَ من عزاها من اليونان او اللاتينيين الى اوسابيوس

عد ٥٧٨

في اوسابيوس اسقف حمص

انبأنا سقراط في تاريخه (ك٢ فصل ٩) نقلاً عن جيورجيوس اسقف اللاذقية الذي افرد كتاباً لترجمة اوسابيوس الحمصي وكان عشيراً له • ان اوسابيوس هذا كان من اسرة شريفة من الرها ومذ حداثة سنه تعلم الاسفار المقدسة حتى كان

يقرأ فصولاً منها عن ظهر قلبه وهذا كان دأب كثيرين من اهل الرها في تلك
الايام ثم انكب يدرس العلوم على استاذ ماهر في مدينته واخذ تفسير الكتاب
عن اوسابيوس اسقف قيصرية وبتروفيل اسقف باسان ثم اتى الى انطاكية وكان
حينئذٍ ان فورش اسقف حلب شكا القديس اوسطاتيوس بطريرك انطاكية بانه
مغوى بغواية سابيليوس فعزل واقيم مكانه افرونيوس كما مر فعاش اوسابيوس معه
متآلفين متوادّين وعُرض عليه ان يرقى الى درجة الكهنوت فابى لاحتسابه نفسه
غير اهل لهذا الشرف ومضى الى الاسكندرية فانصب على درس الفلسفة ثم عاد
الى انطاكية فعاش مع بلاشلوس خليفة افرونيوس بسلام وعقد حينئذٍ مجمع في
انطاكية فرقاه اوسابيوس بطريرك القسطنطينية الى درجة الكهنوت ورغب في ان
يرسله الى الاسكندرية لتدبير كنيستها في مدة ابعاد القديس اثناسيوس عنها متيقناً
ان ما تجمل به من القداسة وما تفرد به من الفصاحة ينسي المصريين ما كانوا
يرونه من ذلك في القديس اثناسيوس فابى هذا المقام تفادياً من حنق الاسكندريين
عليه فارسل اسقفاً الى حمص ولكن ثار الشعب عليه ففر الى اللاذقية فلقيه
جيورجيوس اسقفها صديقه بالترحاب فاقام عنده مدة وعاد معه الى انطاكية واعيد
الى كرسيه في حمص فسعى به حساده انه متشبث بضلال سابيليوس ولكنه كان
معززاً عند الملك قسطنس وكان يستصحبه في حروبه وروى عنه جيورجيوس
اسقف اللاذقية المذكور ان الله صنع على يده آيات كثيرة انتهى كلام سقراط عن
جيورجيوس اللاذقي وروى مثل ذلك عنه سوزومانوس (ك ٣ فصل ٦) وعن
السمعاني (المكتبة الشرقية مجلد ٣ صفحة ٤٤) ان اوسابيوس توفي في انطاكية
سنة ٣٦٠ وروى كثيرون منهم نطاليس اسكندر ولكويان في المشرق المسيحي
وتبعهما القديس ايرونيمس في الكرونيكون في سنة ١٠ لقسطنس انه كان اريوسياً
بل من اقطاب الاريوسيين . وقال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير

فصل ٩١) • اوسابيوس اسقف حمص صاحب البلاغة والفصاحة الف كتباً تشذ عن العد كان لها احسن وقع في قلوب الشعب وانكب على التاريخ خاصة وكان كل من احب الخطابة يطالع كتبه بكل رغبة واخصها كتبه الحاوية رده على اليهود والوثنيين وتباع نوفاسيانوس وعشرة اسفار في تفسير رسالة بولس الى الغلاطيين وله مقالات في تفسير الاناجيل موجزة لكنها كثيرة وقد اشتهر ومات في عهد قسطنس الملك ودفن في انطاكية • وقد ذكره عبد يشوع الصوباوي ايضاً في قصيدته المذكورة قائلاً • اوسابيوس الحمصي ألف كتاباً ردًا على اليهود ومباحث في العهد القديم وخطبة في اسطاثانوس • وقال السمعاني (في المكتبة الشرقية مج٣ صفحة٤٤) ان كتاب المباحث في العهد القديم لم نرَ من عزاه اليه الا الصوباوي ونعلم ان اخسنيا استشهد في مقالته في تجسد احد اقانيم الثالوث وتألمه باقوال لاوسابيوس الحمصي مأخوذة عن كتابه في الايمان وعن خطبته في التغيرات الحديثة وعن خطبته التي تلاها في بيروت انتهى كلام السمعاني على ان المقالات في تفسير الاناجيل وان كانت معزوة اليه فقد انكر نطاليس اسكندر ان تكون له بل هي لكاتب لاتيني سنداً لشهادة بعض الفقهاء والى ان عبارتها نفسها مشعرة بانها كتبت باللاتينية لا باليونانية ولا اقل من ان خمسين مقالة من الباقي منها هي لمؤلف لاتيني على ما اثبت بارونيوس وبلرمينوس وغيرهما من المؤرخين

عد ٥٧٩

في القديس ابيفان اسقف سلمينا في قبرس

انبأنا سوزومانوس (في ك ٦ من تاريخه فصل ٣٢) باخبار ايفان قائلاً انه ولد في قرية في ناحية بيت جبرين بفلسطين وربي مذ حداثته في اديار النساك الذين نما عرف فضلهم في تلك الناحية ثم مضى الى مصر واقام فيها طويلاً بين نساكها يقتبس منهم الفلسفة الرهبانية فمهر فيها وكان عالماً بخمس لغات وهي اليونانية

والعبرانية والسريانية والمصرية واللاتينية على ما روى القديس ايرونيمس في محاماته ٢ ردًا على روفينوس وانتشر صيت قداسته وعلمه في مصر وسورية وقبرس ايضاً. فانتخبه القبرسيون رئيس اساقفة لجزيرتهم وكان كرسيه في قسطنسة المسماة سلمينا فتضوعت تلك الارجاء بشذا فضيلته وانبث فضله في كل صقع فان تفانيه في خير رعيته وتساميه بالفضيلة والعلم لم يحتجبا وهو مقيم في فرضة بحرية كثر ترداد الخاصة والعامة اليها وانبأنا سوزومانوس ايضاً (ك ٧ فصل ٢٧) انه كان جوادًا على المعوزين واصحاب الفاقة حتى انفق في هذا السبيل المبرور كل ما يملكه وكان اذا نفذ ما بيده انفق على الفقراء من مال كنيسته وكانت كنيسته تتتالى التقادم اليها من كل صوب وقد تيقن الناس بانه موزّع حكيم يجود بما وصل الى يده في سبيله بحسب نية المحسن وطلبه فكان كل ذي مبرات يرسل اليه ما يحب وكثيرون يوصون عند احتضارهم لكنيسته بمبالغ من النقود او بعقار وقال المؤرخ المذكور ان الله شاء ان يصنع على يده آيات كثيرة منها ان قيم كنيسته اتاه يوماً يلومه على فرط سخائه على الفقراء وانه لم يبقَ بيده ما ينفذ باعطائه اوامره تصرفه قائلاً ان الله لا يضن على اخوة المخلص بما يسدون به فاقتهم ومضى القيم الى مخدعه ففاجأه شخص يقل كيساً مملوءاً من النقود الذهبية ولم يعلم القيّم من المعطي ولا من المرسل ولما كان من خارق العادات ان يكتم المحسن تبرعه بمثل هذه الهبة الجزيلة قضى كل سامع ان هذه الهبة ان هي الا اية سموية ومنها ان ايفان كان سائرًا ذات يوم في طريقه فابصره عن بعد متسولان ولطمعهما في ان يجزل عطاه لهما جعل احدهما نفسه ميتاً ووقف الاخر بجانبه يبكي ويسأل صدقة لينفق على دفنه فرحمّ ايفان على الميت ودفع الى الحي ما ينفقه على دفن صاحبه وقال له صبرًا يا ابني فادفن ميتك وكف البكاء فهو لا يقوم الان وقضى الله ما قضى فتحمله بالتأسي ومضى القديس في طريقه فقال الواقف للمضجع قم فقد احسنت

واجدت بتشخيصك فقد نجحت حيلتنا وتعال نقض يومنا فرحين فلم يكن من يسمع فوخزه برجله وجره وصاح به فلم تكن حياة لمن ينادي فسعى في اثر ايفان باكياً ولما ادركه خرّ على وجهه منتحباً اسفاً على ما تعمداه من الحيلة سائلاً اياه ان يعيد صاحبه حياً فصرفه القديس محرضاً له على الصبر ومحذراً اياه من المكر بالله وباوليائه

وقد زار القديس ايفان اورشليم سنة ٣٩٤ وحل فيها ضيفاً على يوحنا اسقفها وكان يوحنا ممن يجلون اوريجانس وايفان ممن يقلونه ومضيا ذات يوم الى بيت لحم فخطب ايفان منددًا بالاوريجانيين فساء ذلك يوحنا ودرى ايفان فاقام في دير بيت لحم وحرض القديس ارونيمس (الذي كان حينئذٍ في هذا الدير) الرهبان ان يخالفوا البطريرك في رأيه هذا ثم رقى ايفان بولينيان اخا القديس ارونيمس الى الشماسية والكهنوت فجاهر البطريرك بالشكوى من خرق حرمة ولايته فكتب اليه ايفان رسالة طويلة يعتذر بها عن فعلته بعادتهم في قبرس ويشير الى ان ما ساء البطريرك لم يكن ترقيته بولينيان بل تنبيهه له الى ان ينكف عن مدح اوريجانس ويجانب اغلاطه التي حصرها في ثمانية رؤوس فالبطريرك لم يجب على هذه الرسالة بل كتب محاماةً عن اوريجانس رسالة ارسلها الى توافيلوس الاسكندري الذي كان حينئذٍ ممن يجلون اوريجانس . وانبأنا سقراط (ك ٦ من تاريخه فصل ١٠ وسوزومانوس ك ٨ فصل ١٤ وما يليه) ان ايفان كان يشاحن توافيلوس البطريرك الاسكندري لانحرافه عن جادة الايمان القويم بتعليمه ان لله هيئة واعضاء بشرية وكان تاوفيلوس مخاصماً ليوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية ويرغب في عزله عن كرسيه واراد ان يعتضد بايفان على تنفيذ مأربه فتزلف اليه برسالة يبين بها عدوله عن رأيهِ واقراره بان الله منزه عن كل صورة بشرية ويسأله ان يحرم تلاوة كتب اوريجانس لانها كانت علة للتشبث بهذا الضلال وكان ايفان ممن

يندّدون باوريجانس وبعض كتبه كما مرّ فعقد مجمعاً مع اساقفة جزيرته وحرم تلاوة كتب اوريجانس وكتب رسائل الى كثيرين من الاساقفة والى يوحنا فم الذهب ينبئهم بما كان في مجمعه ويحرضهم على عقد مجامع وحظر تلاوة كتب اوريجانس فسرّ ثاوافيلوس بذلك لعلمه بان فم الذهب لا يرضى هذا التحريم فعقد مع اساقفته في مصر مجمعاً وصنع ما صنعه ايفان وكتب الى فم الذهب فازدرى فم الذهب عمل ايفان وتوافيلوس ولم يجب على رسالتيهما

وكان لفم الذهب خصوم اقوياء كما سيأتي في ترجمته فسعوا لدى الملك بان يعقد مجمع في القسطنطينية فانتهز ثاوافيلوس هذه الفرصة وامر اساقفته ان يمضوا للحال الى القسطنطينية وكتب الى ايفان وغيره من اساقفة المشرق ان يلبوا الدعوة دون ابطاء فمضى ايفان مسرعاً الى القسطنطينية والتقاه فم الذهب يحف به جمهور كهنته ولم يتمالك ايفان من ان يصرح بجنوحه الى تصديق الوشايات الواردة على فم الذهب وكان ان يحل في المنازل الاكليريكية فابى واعتذر من ان يدخل مع فم الذهب الى منزله وكان يدعو الاساقفة الذين كانوا في القسطنطينية يريهم على انفراد ما رسمه في مجمعه من تحريم كتب اوريجانس سائلاً اياهم ان يوقعوا على ذلك فاذعن له بعضهم وابى كثيرون متابعته على ذلك بل لام بعضهم ايفان على اهانته عالماً توفي منذ سنوات متطاولة وعلى نبذه ما اثبته القدماء فاستمر فم الذهب يجامل ايفان ويكلفه بان يقدس معه وينزل في داره وايفان يقول له انه لا يدخل داره ولا يصلي معه ان لم يحرم كتب اوريجانس ويطرد من عنده رهباناً كان توافيلوس قد حرمهم ولجأوا الى فم الذهب فقبلهم وكتب الى توافيلوس ان يحاكمهم وفم الذهب يجيب انه لا يستطيع ان يصنع ذلك الا بعد حكم قانوني وزاد ايفان على ذلك انه رقى شماساً الى الدرجات المقدسة في كنيسة في القسطنطينية دون استئذان فم الذهب ودعا اعداء فم الذهب ايفان ان يأتي الى

حفلة في كنيسة الرسل في القسطنطينية ويخطب في تحريم كتب اوريجانس ولزوم مجانبة اولئك الرهبان لتمسكهم باقواله ولما اقبل ابيفان في اليوم الثاني على الكنيسة التقاه سرابيون من قبل فم الذهب الذي كان مترئساً على الحفلة فقال له قد اقدمت على امور كثيرة تخالف القوانين فباشرت الترقية الى الدرجات المقدسة في الكنائس الخاضعة لولايتي واقمت قداسات احتفالية في هذه الكنائس دون علمي وقد دعوتك اولاً ان تأتي اليها فابيت والان تجيز لنفسك ان تأتي اليها وتخطب فيها فحذار من ان تنشئ قلقاً في الشعب فتعرض نفسك للخطر وتكون مؤاخذاً بعملك . فلما سمع ابيفان هذا الكلام ارتاع وبعد وقت وجيز برح القسطنطينية عائداً الى قبرس . وقال بعضهم انه قبل سفره ارسل يقول لفم الذهب رجوت انك لا تموت اسقفاً وان فم الذهب اجابه رجوت انك لا تبلغ الى وطنك . قال الراوي وهو سقراط هل صدق من نقل هذا الكلام لعمري لا استطيع ان اوجب صدقه على إنَّ كلاً منهما اصابه ما دعا الاخر عليه به فان ابيفان مات في سفره قبل ان يبلغ الى قبرس وفم الذهب عزل بعداً عن كرسيه ونفي انتهى وقد كذب كثيرون من المؤرخين رواية دعاء هذين القديسين احدهما على الاخر وعدها بارونيوس من الاقاصيص التي يسخر منها واحترز سقراط من اعادتها جانب الصدق ولم يثبتها كما رأيت اقول ان كلاً يرى انها لا تليق بقديسين كاهنين واظنها مختلقة بعد الوقوع اي بعد موت ابيفان ونفي فم الذهب ولم اذكرها الا مفاكهة

قال بارونيوس في تاريخ سنة ٤٠٢ ان هذه المشاحنة بين فم الذهب وابيفان كانت في السنة المذكورة ولم يتابع سقراط وسوزومانوس على ان وفاة ابيفان كانت في هذه السنة بل قال ان سنة وفاته مجهولة قال فاليسيوس (في حواشيه على تاريخ سقراط) اعجب ببارونيوس اذ وافق سقراط وسوزومانوس في رواية

هذه المشاحنة بين هذين القديسين وخالفهما في سنة وفاة ايفان مع ان سوزومنوس كان من سلمينا ابرشية ايفان وسقراط كان في القسطنطينية وكانا كلاهما معاصرين لايفان او قريبين من عصره فالمعول اذًا على شهادتهما وان ايفان توفي في آخر سنة ٤٠٢ او في مبادي السنة التابعة

قال القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ١٤) ايفان اسقف سلمينا في قبرس الف كتاباً في جميع البدع وكتباً اخرى كثيرة يصبو الى مطالعتها العلماء للحقائق المنطوية عليها . وعامة الناس لفصاحة الفاظها وهو حي الى الان وصنف في شيخوخته مصنفات كثيرة وذكره عبد يشوع الصوباوي في قصيدته في المؤلفين قائلاً . ايفان وضع كتاباً في الظهور الالهي (ربما كان في ميلاد المخلص وتجسده والاظهر ان المراد مقالته في تجسد المخلص وظهوره للعالم او كتابه الموسوم بالمرساة الآتي ذكره على ما قال السمعاني في شرح هذه القصيدة مج ٣ من مكتبة الشرقية صفحة ٤٣) وله كتاب في البدع منذ البدء الى ايامه . وعد نطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الرابع فصل ٦ جزء ٢٩) مؤلفاته فقال هي كتابه الذي عنونه الدرياق في البدع وقسمه الى ثلاثة اسفار ولم يكتفِ بان يذكر تاريخ البدع بل بين ما يفند به كل منها . وكتابه الموسوم بالرساة عنونه كذلك لان غرضه منه توطيد النفس في تعليم الايمان ورسوخها فيه كما ترسخ السفينة بالمرساة وعزا اليه القديس ايرونيمس (في رسالته ٢٨ الى فابولا) وبتافيوس وغيرهما كتاباً في الحجارة (او في الاثني عشر حجرًا كما سترى في رواية السمعاني واظنها الاثني عشر حجرًا كريمًا التي في اسس المدينة المقدسة وابوابها كما في رؤيا يوحنا (فصل ٢١) قال فيه ايرونيمس انه جزيل النفع للمطالعين وعزا اليه فوتيوس كتاباً في الموازين والمكاييل ولم ينكر احد انه له ويعزى اليه كتاب في ترجمات الانبياء وليس له حقيقة لكثرة ما فيه من الاغلاط وتعزى اليه ثماني خطب

او مقالات اي خطبتان في عيد الشعانين وخطبة في دفن المسيح واخرى في قيامته ثم في صعوده وفي مديح العذراء وفي عدد الاسرار ولكن يظهر من نفسها ونسقها وادلة اخرى انها لايفان اخر اذ كان كثيرون من الكتاب يسمون بهذا الاسم وله رسالة الى يوحنا البطريرك الاورشليمي كما مرَّ آنفاً ولكن ورد في اخر هذه الرسالة ان ايفان مزق ستاراً في احدى كنائس فلسطين كانت عليه صورة المخلص او صورة قديس ونهى عن مثل هذه الصور فأثبت الكردينالان بارونيوس وبارمينوس ان هذه الفقرة مزيدة على رسالة ايفان بيد عاثٍ لاحتوائها على ما يخالف عقيدة تكريم الصور والتماثيل ولكن تأول نطاليس ما فيها من ذلك بمعنى كاثوليكي فهذا خلاصة ما رواه نطاليس في مؤلفاته وقال السمعاني في المحل المذكور من المكتبة الشرقية ان في الكتب اليونانية التي في المكتبة الواتيكانية خطبة له في عيد الشعانين (في الكتاب ١١ من مكتبة بيوس الثاني) واخرى (في الكتاب ١٣ من الكتب المذكورة) وخطبة في الاثني عشر حجراً (في الكتاب ٣٩ من الكتب المذكورة) وخطبة في دفن جسد المسيح وفي يوسف الرامي (في الكتاب الاول من الكتب التي اتى بها ابرهيم مسعد الماروني الى المكتبة الواتيكانية وفي الكتابين ٩ و ١٢ منها) واخرى في والدة الله القديسه (في الكتاب ١٠ من الكتب المذكورة) واخرى في ميلاد الرب وظهوره (في الكتاب العاشر ايضاً) واخرى في رقاد العذراء (في الكتاب ١٢ من الكتب المذكورة) وفي المكتبة الواتيكانية بين الكتب السريانية فقر من كتابه في ترجمة الانبياء ومن كتابه في الموازين والمكاييل ومن كتابه في النقط وتفسير الحروف .. وان كتابه الموسوم بالمرساة منه نسخ لاتينية ويونانية وسريانية وعربية وان المصريين يسمونه كتاب الهوجل او كتاب المرسي على ما ذكر ابو البركات (في كتابه في الفروض الالهية فصل ٧) ولا نرى السمعاني تعرض لنسبة الخطب المذكورة الى غير القديس ايفان

ولا نراه ايضاً أثبتها له نصاً

﴿ عد ٥٨٠ ﴾

في القديس يوحنا فم الذهب

ولد يوحنا في انطاكية نحو سنة ٣٤٧ من والدين حسيبين وقد سموا اباه ساكوندوس وكان رئيساً في الجندية وسموا امه انوزا وكانا كلاهما مسيحيين ومات ابوه وهو حدث فربته امه خير تربية ودرس الفصاحة والخطابة متلمذاً لليبانيوس الانطاكي الشهير واستمر صديقاً له ثم اعتكف على درس الشريعة فنبغ فيها واشتهر بمحاماته في الدعاوي ولم تكن العلوم العالمية تلذ له فرغب عنها وانصب على درس الاسفار المقدسة على كريتاريوس وديودوس الذي صار بعد اسقفاً على ترسيس ثم اعتزل العالم منفرداً في احد جبال سورية وهناك كتب كتابه في سيرة المتوحدين وحمل اثنين من رفقائه في درس العلم على ان يحذوا حذوه احدهما توادوروس الذي صار بعد اسقفاً على المصيصة وثانيهما مكسيموس الذي صار بعد اسقفاً على سلوقية بإسورية . ثم عاد يوحنا الى انطاكية سنة ٣٨١ فرقاه القديس ملاتيوس بطريرك انطاكية الى درجة الكهنوت سنة ٣٨٥ وعهد اليه ان يخطب في الكنائس فطارت شهرة فصاحته وسطعت انوار غيرته والقى وقتئذٍ كثيراً من خطبه الغراء ومواعظه خلابة العقول وكتب كثيراً من مقالاته البليغة فكان في مدة الخلاف بين ملاتيوس وبولينوس بعيداً عن التشيع لاحدهما ومرضياً لكليهما ولما توفي نقطار البطريرك القسطنطيني واختلفت آراء الاكليرس والشعب في اختيار خليفة له اجمع المنتخبون والملك اركاديوس بان يؤتى بيوحنا من انطاكية ويقام بطريركاً في القسطنطينية فاستدعاه الملك ورقي الى المقام البطريركي سنة ٣٩٨ بحضرة كثير من الاساقفة حتى توافيلوس البطريرك الاسكندري الذي بذل قصارى جده ليقيم ايسيدورس احد كهنته مقام يوحنا فتعسر عليه ادراك شأوه

وطفق يوحنا يجاهد في اتمام فروض مقامه غير مراعٍ في ذلك كبيرًا او غنياً او صاحب سلطة او اسقفاً ايضاً وصرف جده اولاً في استئصال بعض العادات السيئة التي كان بعض الاكليريكيين استطرقوها منها اعتياد بعضهم ان يعيشوا مع نساء تقيات يتخذونهنّ اخوات لهم وكتب في ذلك كتابين وقد ندد تنديدًا عنيفاً بطمع الكهنة في خطبه في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس التي كان يلقيها في القسطنطينية حيث كان يقرّع ايضاً اصحاب الخصال الذميمة وكان شديد القسوة على كهنته آملاً ان تصلح القسوة حالهم اكثر من الحلم والرقة ولاعتماده على برارته وحسن طويته لم يكن يبالي بشيء ولو عظم تدده ولا يغضي على زلة اياً كان فاعلها فكثر مبغضوه ومخالفوه وكان لديه شماس اسمه سرابيون يحثه على الصرامة في تدبير كهنته وقال له ذات يوم بحضرة كثير منهم لا تستطيع ان تسوسهم الا بقضيب من حديد فحنق السامعون على اسقفهم . وبعد مدة قطع كثيرين من شركة الكنيسة لاسباب متنوعة فتآمروا عليه وطفقوا يَمون به للشعب ولم يقتصر فم الذهب على مغالظة الكهنة بل جافى كثيرين من الكبراء ايضاً غيرة على سنة الله من ذلك انه كان عند الملك اركاديوس خصيّ اسمه اوترب رفيع المنزلة نافذ الكلمة حتى كانوا يسمونه ابا الملك فهذا بعث الملك على ان ينسخ الشريعة الآمرة باحترام الكنائس وان يبطل التجاء المجرمين اليها ولكن بقضاء الله العادل تغير الملك عليه واراد قتله فهرب اوترب الى الكنيسة لاجئاً اليها فعارض فم الذهب الملك باخراجه منها والقى على مسمع اوتُرب خطبة عنفه بها وابان له سوء تصرفه فشق على بعض السامعين معاملته كذلك في حين محنته واسخط الملك

واتى في تلك الاثناء الى القسطنطينية انطيوكس اسقف عكا وكان خطيباً فصيحاً خطب في كنائس العاصمة فحشد مبلغاً من المال وعاد الى عكا ولما سمع ذلك سفريانوس اسقف جبلة شخص الى العاصمة وكان فصيحاً ايضاً لكنه لم يكن

يحسن الكلام باليونانية بل اذا تكلم بها خالط كلامه الفاظ سريانية على ما روى سقراط (ك ٦ فصل ١١) فرحب به فم الذهب واكرم مثواه واطال سفريانوس مكثه في القسطنطينية وتزلف الى الملك وكبراء العاصمة فاحبوه واكرموه واشتهر بخطبه على ما في الفاظه من الركاكة ومر سفريانوس يوماً وسرابيون شماس فم الذهب جالس فلم يقم ولم يبدِ امارة الاحترام بل استمر جالساً على كرسيه فلم يتحمل سفريانوس هذه الاهانة بل قال ان مات سرابيون مسيحياً فالمسيح لم يتجسد فشكا سرابيون سفريانوس الى فم الذهب واخفى عليه عبارته الاولى وهي ان مات سرابيون مسيحياً وادعى انه قال ان المسيح لم يتجسد واورد شهوداً من المحازبين له شهدوا ان سفريانوس نطق بهذه العبارة فطرد فم الذهب اسقف جبلة من القسطنطينية فعظم الامر على خلانه ومريديه ولامت الملكة اودكسية فم الذهب لوماً شديداً على فعلته هذه واستدعت سفريانوس فعاد من خليكدونية الى العاصمة وقاطعه فم الذهب الى ان اخذت الملكة ابنها تاودوسيوس وهو حدث متضرعاً الى فم الذهب ليصالح سفريانوس فاصطلحا وبقيت في قلب اسقف جبلة حزازات من حنقه على فم الذهب فكان من اعدائه عند مصابه كما سترى وقد رأيت ما كان له مع ايفان اسقف قبرس وعلمت انه قبل الرهبان المصريين الذين اتوا الى العاصمة يشكون بطريركهم توافيلس الاسكندري

قد مر ان الملك اركاديوس كان قد استقدم الاساقفة للاجتماع في العاصمة فتسارع اليها توافيلس البطريرك الاسكندري مع اساقفته عازماً على عزل فم الذهب من كرسيه وكان بعض الاساقفة يشايعونه في ذلك منهم بعض اساقفة من اسيا كان قد عزلهم واكاشيوس اسقف حلب وسفريانوس اسقف جبلة وانطيوكس اسقف عكا المشار اليهما آنفاً وثلاثة من كبراء الدولة كان توافيلس قد رشاهم وبعض الاكليرس القسطنطيني الذين كان فم الذهب قد ادبهم لاصلاحهم وثلث

ارامل غنيات كان قد ونبهن على اسرافهن وسؤ سيرتهن وفوق هولاء اودكسية الملكة التي كانت قد استاءت من خطب فم الذهب في ذم النساء وبهرجتهن واسرافهن فجميع هولاء عاونوا توافيلس الاسكندري على ان الملك يرخص بعقد مجمع على فم الذهب فالتأم المجمع وكان فيه ستة وثلاثون اسقفاً من بطاريركية توافيلس ودعى فم الذهب اليه فاجاب انه يحضر بشرط ان يخرج من المجمع من سماهم من اعدائه ولا اقل من ان يكونوا فيه بمنزلة شاكين لا بمنزلة قضاة وبعد جوابه هذا دُعي ثانيةً واذ لم يحضر حكموا عليه حكماً غيابياً وقد كان الاساقفة خصومه يرغبون في حمل الملك على مجازاته جزاء المعتدين على الملك لانه شبه الملكة في احدى خطبه بايزابل فاقتصر الملك على نفيه ولما بلغه الامر قال انه لا يريد ان يذعن له الا مكرهاً بالقوة فاقتنع خصومه الملك ان يرغمه على المسير وارسل بعض عماله فانزلوه في سفينة ليلاً واوصلوه الى محل في عبر البصفر

على انه لم يبقَ منفياً الا يوماً واحدًا لان الشعب عند ما سمع خبر نفيه ابدى من الهياج ما لا مزيد عليه وعلت الضوضاء والصراخ في الكنائس والساحات والازقة وحدث في الليل زلزال قوض كثيرًا من ابنية المدينة وغرفة الملك نفسها فارتاعت الملكة وسألته ان يستدعي للحال فم الذهب وكتبت الى البطريرك ما نصه « لا يخالن قداستكم اني دريت بشيء مما كان فانا بريئة من دمك ان بعض الاشرار العاتين نصبوا لك هذه الاحبولة والله شاهد لدموعي التي ذرفتها محرقة له من اجلك وهل انسين ان يديك المقدستين عمدتا اولادي » وتقدمت الى الملك باكية قائلة لا وسيلة لنا لنجاة المملكة من الدمار الذي يهددها الا باعادة فم الذهب فارسل الملك عمالاً تباعاً فلم يهتدِ الى موضعه الا بريزون احد حاشية الملك ولما دنا من المدينة هب الشعب رجالاً ونساء كبارًا وصغارًا

للقياه حتى غطت السفن وجه البصفر وكان الجمهور يرنم ترانيم الفت لذلك وانتهوا
به الى كنيسة الرسل يصحبه اكثر من ثلاثين اسقفاً وكلفوه ان يرقي الى المنبر
داعياً بالسلام للشعب على عادتهم فتمنع من ذلك قبل ان يبرئه مجمع اخر يربو
اساقفته على عدد اساقفة المجمع الذي حطه بل لم يشأ اولاً ان يدخل القسطنطينية
وتوقف في احدى ضواحيها المسماة مريان ولكن اكرهه الحاح الشعب على ان
القى خطبة موجزة شبه بها كنيسته بسارة وتوافيلس بملك مصر الذي حاول ان
يمس عفافها فمنعه ملاك من ذلك وشكر الله على انه منّ بعوده ولم يغفل عن ذكر
معرفة جميل الملكة لمسعاها بذلك واكثر الشعب من ابداء ادلة استحسانهم
لكلامه حتى ما تمكن من تكميله ويظهر ان هذا كان سنة ٤٠١

وسأل فم الذهب الملك بعد ذلك ان يستدعي اساقفة اكثر من الاولين
ليفحصوا دعواه فكتب الى كل جهة يستدعي الاساقفة ولما درى توافيلس بذلك
خاف ان يثبت عليه ما كان ضميره يونبه عليه فبرح العاصمة ليلاً لا يعلم الا اساقفته
الذين سافروا معه فلم يبق في القسطنطينية الا اصحاب فم الذهب على ان فرار
توافيلس كان بينة كافية لبرأة فم الذهب لكنه لم يكتفِ بها ولم ينكف عن سؤال
الملك ان يستدعي الاساقفة الى المجمع فامر الملك توافيلس ان يعود ليجيب على ما
صنع فاعتذر ولكن عاد انطيوكس اسقف عكا وسفريانوس اسقف جبلة ويظهر انه
لم يعقد مجمع حافل ولكن الاساقفة الكثيرين الذين اجتمعوا حينئذٍ في القسطنطينية
وقعوا على قرار فحواه انهم يعترفون بان فم الذهب انما هو الاسقف الشرعي لهذه
المدينة ولا عبرة لشيء مما جرى قبلاً .

على ان الراحة لم تستتب زمناً طويلاً في العاصمة بعد عود فم الذهب فقد
اقيم حينئذٍ تمثال من فضة لاودكسية الملكة على باب الندوة وفي جانب كنيسة
القديسة صوفيا وعند تدشين هذا التمثال جاوز الشعب حد الوقار والادب بالرقص

والغناء والملاهي فلم يتحمل فم الذهب حصول مثل هذا التهتك والخلاعة تجاه باب الكنيسة وشكا من ذلك بخطبة اطال فيها لسانه منددًا بالعاملين والآمرين بمثل هذه الخلاعات فاستشاطت اودكسية من هذا التنديد وعزمت ان تعقد مجمعاً حديثاً على البطريرك فلم يبالِ فم الذهب بسخطها عليه ولم يجبن بل القى خطبة اخرى صرح فيها بكلامه على الملكة واسمها على ما روى سقراط (ك ٦ ف ١٨) بقوله « عادت هيرودية ترقص حنقة متطلبة راس يوحنا على طبق » فنشأت مكيدة اخرى على فم الذهب وكتب خصومه الى توافيلس الاسكندري يسألونه ان يأتي فيدبرهم او يشير عليهم بما يصنعون فلم يأتِ بل ارسل ثلاثة اساقفة وسلم اليهم قانوناً كان الاساقفة الاريوسيون قد وضعوه في دعوى القديس اثناسيوس في مجمعهم في انطاكية سنة ٣٤١ فحواه « انه اذا عزل اسقف في مجمع ثم عاد الى كرسيه من تلقاء نفسه او بامر الملك فيستمر معزولاً ابدًا ولا يسمح له بان يبرّئ نفسه » وهذا القانون كان مجمع سرديكا (صوفيا البلغار) سنة ٣٤٧ قد نقضه

فاجتمع الاساقفة من كل صوب ولم يقاطع فم الذهب خصماؤه لئلا يرد شهادتهم بالعداوة واتى عيد الميلاد فلم يحضر الملك الى الكنيسة بحسب عادته وارسل يقول للبطريرك انه لا يشترك معه في العبادات الى ان يبرئ ساحته وفتح المجمع وتشبث خصوم البطريرك بالقانون الذي كان توافيلس قد ارسله اليهم فاجاد فم الذهب برده ثم انتصب البيديوس اسقف اللاذقية (بسورية) مثبتاً للملك ان فم الذهب لم يعزل عزلاً قانونياً في المجمع الاول وان هذا القانون سنه الاراطقة ونقضه مجمع سرديكا وان يوحنا لم يعد الى كرسيه الا بامر الملك نفسه ومع هذا قد حمل انطيوكس اسقف عكا ومحازبوه هذا الملك الضعيف الجبان على لزوم ابعاد البطريرك عن كرسيه قبل عيد الفصح وارسل الملك يقول للبطريرك انه يلزمه ان

يخرج من الكنيسة دون ابطاء كما حكم عليه في مجمعين فاجابه • ان الله سلم اليَّ هذه الكنيسة للعناية بخلاص شعبها فلا يمكنني تركها والمدينة لك فان شئت ان لا اقيم فيها فاطردني مكرهاً منها لتكون لي معذرة قانونية • وكان هذا في ايام الصوم سنة ٤٠٤ وفي نهار السبت العظيم ارسل اليه الملك بلاغاً آخر فلم يمتثل له فاستدعى الملك اكاشيوس اسقف حلب وانطيوكس اسقف عكا وسألهما ما ينبغي ان يصنع فقالا ما قاله روساء اليهود عن المخلص • عزله على روسنا • وبقي اثنان واربعون اسقفاً يناصرون البطريرك ومضوا لمقابلة الملك والملكة في كنيسة الشهداء وخشعوا اليهما باكين ليستعطفوهما على تدارك كنيسة المسيح وراعيها فاعارهم اذناً صماء فهدد احدهم الملكة بغضب الله قائلاً • خافي ايتها الملكة الله واشفقي على بنيكِ ولا تدنسي عيد قيامة المخلص باراقة الدم • وعاد الاساقفة يئسين فقضى كل منهم فروض تلك الايام المقدسة في منزله بالكآبة والدموع اما الكهنة الامناء لبطريركهم فجمعوا الشعب في منتدى فسيح تلوا فيه الاسفار المقدسة كالعادة واخذوا يعمدون الموعوظين فطلب اكاشيوس وانطيوكس وسفريانوس الى المحافظ ان يفرق جموعهم لئلا يأتي الملك الى الكنائس فيجدها فارغة ويتأكد ميل الشعب الى فم الذهب فاعتذر بان الجمع غفير والوقت ليل فيخشى غائلة طردهم والحوا عليه فارسل فريقاً من الجند واوصى رئيسه ان يفرق الجمع ملايناً لهم او يكلفهم ان يأتوا الى الكنيسة فرشا خصوم البطريرك الرئيس ورشوا جنوده ليفتكوا بالجمع ان لم يمتثلوا بالملاينة فانتضوا سيوفهم ووثبوا على ذلك الجمع وانتهى الرئيس الى محل التعميد فاقلب آنية الماء ورفس حامل الميرون فاراقه وعلا صراخ النساء المتعريات لقبول العماد وفر الكهنة بملابسهم الكهنوتية وجرح بعض ودخل الجنود الى محل التقديس ودنسوا الاسرار المقدسة وقبضوا على كثيرين من الكهنة والشمامسة واودعوهم السجن

وكتب فم الذهب الى البابا اينوشنسيوس يسأله ان يتدارك هذه الشؤون بسلطانه ويكف المعتدين عن خرق قوانين الكنيسة ويأمر اذا شاء بمحاكمته مع خصومه محاكمة قانونية وكذلك كتب الاثنان والاربعون اسقفاً المناصرون له واوفدوا بهذه الرسائل اربعة اساقفة وشماسين وكان توافيلس قد رفع عريضة للحبر الروماني ينبئه بها بعزل البطريرك القسطنطيني ولم يبين لذلك سبباً ولا من كان الحاكم عليه فتردد البابا في الجواب لتوافيلس ولما بلغ الوفد القسطنطيني واطلعه على كل ما كان اجابه قائلاً «انك واخانا يوحنا البطريرك القسطنطيني في شركتنا وقد كتبنا ونكتب اليك كلما خاطبتنا اننا اذا تفحصنا بحسب القانون كل ما جرى بالمشاحنة فلا يمكننا ان نخرج يوحنا من الشركة دون حجة فان كنت على ثقة من حكمك عليه فاحضر الى المجمع الذي سيعقد قريباً ان احب الله وبين شكاويك بحسب قانون مجمع نيقية فالكنيسة الرومانية لا تعرف قانوناً غيره» يريد انها لا تعرف قانون مجمع انطاكية الذي اوردوه على البطريرك

وحاول بعض الائمة الغدر بالبطريرك فاقام الشعب خفراء ليلاً ونهاراً لحراسته وتذرع الاساقفة المناصبون له بهذا ليلحوا على الملك بنفيه تفادياً من الشغب بين الشعب فارسل الملك احد عماله في ٢٠ حزيران سنة ٤٠٤ يبلغ البطريرك امره القاطع بان يخرج من الكنيسة فرأى فم الذهب ان لا مناص من تحمل الجور فقال للاساقفة مناصريه تعالوا نصلي في الكنيسة ولم يبح بسره الا لقليلين منهم وفي اخر الصلوة قال امكثوا هنا ريثما استريح قليلاً وخرج من الكنيسة من الباب الشرقي والشعب ينتظره عند الباب الغربي وانسلّ خفية مع مفوض الملك وركب سفينة عبر بها الى نيقية ولما علم الشعب براحه هاجوا وماجوا حتى في الكنيسة والقى واحد ناراً في العرش الاسقفي وامتدّ اللهيب حتى دمر الكنيسة وما حولها من البيوت وهبت ريح من الشمال فقذفت النار الى القصر الذي كان

يجتمع فيه رجال الندوة في جنوب الكنيسة فالتهمته واتصلت الى قصر الملك المتاخم المنتدى واتهم رجال الحكومة اصحاب البطريرك بهذه الجريمة فعذبوا كثيرين ولم يظهر الفاعل وعجلوا في ابعاد البطريرك فاخذ من نيقية في ٤ تموز سنة ٤٠٤ الى قيصرية الكبادوك واستكدوه جرياً ليلاً ونهاراً فانهكه التعب ولم يسترح هناك قليلاً الا ناصبه برانيوس اسقف تلك المدينة حسداً منه لتقاطر الكبراء والوجهاء لزيارته وبلغ كوكوز المحل المعين لنفيه في ارمينيا بعد سبعين يوماً من سفره واصابته حمى شديدة كادت تهلكه وكتب اليه البابا اينوشنسيوس يعزيه ويشجعه على تحمل مصابه بالصبر الجميل وتتالت التعزيات عليه من كل فج برسائل الاساقفة والوجهاء والفضلاء منها رسالة من القديس مارون الناسك ابي طائفتنا وقد اجابه عليها في رسالة هي ٣٦ بين رسائله وسوف نذكر ترجمتها بحروفها عند ذكر القديس مارون وعنوانها الى مارون الكاهن الراهب وتواترت ضربات الله على خصمائه ففي ٣ ايلول من تلك السنة نزل حب الغمام على القسطنطينية وجوارها كل حبة كالجوزة وماتت الملكة اودكسية نفساء ومات شيرين اسقف خليكدونية وكان من كبار مضادي فم الذهب وغيره واشتهر فم الذهب في منفاه ببراته وفضائله وكده في استرداد غير المؤمنين الى حظيرة الكنيسة وعنايته في خير المؤمنين فاهتم اعداؤه بابعاده الى بلد شاسع خوفاً منه وان منفياً فالتمس سفريانس اسقف جبلة وبرفير بطريرك انطاكية وغيرهما من الملك ان يبعده الى بيتيونت على شاطئ البحر الاسود فاخذ بعنف في هذا السفر الشاق الذي يلزمه ثلثة اشهر فلم يصل الى كومان في بنطوس الا وهنت قواه ولم يبق فيه الا رمق فاخذ يصلي وعند قوله امين في آخر صلاته بسط رجليه وفاضت روحه المقدسة ودفنت جثته حذاء جثة القديس باسيليك اسقف تلك المدينة الشهيد وكان ذلك في سنة ٤٠٧ ثم نقلت جثته في ايام توادوسيوس ابن الملك اركاديوس الى القسطنطينية ووضعت مع ذخائر الرسل

وانتصر له الحبر الروماني بعد وفاته كما انتصر له في حياته فلم يسمح لبطاركة القسطنطينية واسكندرية وانطاكية ان يقبلوا في شركته الا بعد ان ذكروا بالتكريم فم الذهب واعادوا الاساقفة الذين كانوا قد نفوهم بسبب دعواه كل ما مرّ ملخص عن بلاديوس في ترجمة فم الذهب وسقراط وسوزومانوس في تاريخهما البيعي في فصول شتى

واما ما الفه وصنفه هذا العلامة الذي يسمونه اوحد الخطباء فكثير يشذ عن العد فله مقالات كثيرة في العقائد الدينية وكتب في تفسير اكثر الاسفار المقدسة وكتاب في الكهنوت وكتاب في سيرة النساك وخطب ومواعظ في مواد متعددة ورسائل الى كثيرين ونافور للقداس بالسريانية فاتحته ايها الرب الاله القدير على كل شيء ذكر السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٦٢) ان منه نسخة في المكتبة الواتيكانية وذكره البطريرك اسطفانس الدويهي بين النوافير الكاثوليكية في كتابه المنائر العشر وترجمه رينودوسيوس الى اللاتينية (مجلد ٢ في الليتورجيات الشرقية ٢٤٢) وقد طبع في الكتاب القداس لطائفتنا المارونية سنة ١٥٩٤ نافور آخر معزو اليه ولكن حقق السمعاني (مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٦) ان هذا النافور ليوحنا اسقف حاران ونصيبين وله نافور آخر سرياني مترجم ترجمة حرفية عن اليونانية يستعمله السريان الملكيون ونسخة منه في المكتبة الواتيكانية بين الكتب السريانية في عد ٣٧ و ٤٠

وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي فم الذهب في قصيدته فقال . فم الذهب له تفسير بشارة متى وتفسير بشارة يوحنا كل منهما في مجلدين وتفسير رسائل بولس الرسول وكتاب في الكهنوت وكتاب في المعمودية ومقالة في الرد على اليهود ومقالة في رهبان مصر وكتاب في التعزيات ورسالة في التوبة ورسالة الى يوستيانس . وقال السمعاني (في مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٦ و ٢٧) في شرح ذلك

اما تفسير بشارتي متى ويوحنا فله فيهما اربعة مجلدات اي في بشارة متى تسعون مقالة وفي بشارة يوحنا ٨٨ مقالة وكثيرًا ما استشهد بها علماء السريان واما في تفسير رسائل ماري بولس الرسول فله ٢٤٥ مقالة وكتابه في الكهنوت مقسوم الى ستة اسفار . واما في المعمودية فلا اعرف الا مقالة في اعتماد المخلص ولعلّ الصوباوي عزا اليه كتابين في المعمودية وهما لباسيليوس الكبير . وله في الرد على اليهود ستة كتب واما مقالته في رهبان مصر فرجح السمعاني ان تكون المقالات في اصل الرهبان الاولين المنسوبة الى يوحنا اسقف اورشليم وكتاب التعزيات هو كتاب وجهه الى امرأة شريفة اسمها اوليمياد تحملت كثيرًا من الضر بسبب دعواه وافتتحه بقوله لا يضر الانسان الا نفسه ورسالته في التوبة كتبها الى تاودوروس الذي كان قد ترك التبتل وتزوج واما الرسالة الى يوستينيانس فقال السمعاني فيها ان لا رسالة له الى يوستينيانس بل له رسالتان الى البابا اينوشنسيوس فذكر يوستينيانس خطا من عبد يشوع او من الناسخ . وقد طبعت كتب فم الذهب مرات وقد طبعها الاب مين في باريس بين كتب مكتبة الاباء اليونانية وروى السمعاني ان في المكتبة الواتيكانية كثيرًا من تاليفه مترجمة الى القبطية والعربية والسريانية

عد ٥٨١

في اساقفة اخرين في سورية

من اساقفة سورية في هذا القرن تريفيلوس اسقف نيكوسيا في قبرس وقد قال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٩٢) « تريفيلوس اسقف نيكوسية في قبرس كان من افصح اهل عصره واشتهر في عهد قسطنس وقد طالعت كتاب تفسيره لنشيد الانشاد وقال انه صنف كتباً اخرى كثيرة لم اعثر عليها » وقد ذكره سوزومانوس (ك ١ من تاريخه فصل ١١) وقال فيه انه كان

خطيباً مصقعاً وانه اقام مدات متطاولة في بيروت طلباً لاقتباس علم الشرائع الرومانيـة وانه كُلف ذات يوم ان يخطب في حضرة سبيريدون اسقف تريميتو (المسون في قبرس ايضاً) ولزمه ان يورد قول المخلص «قم فاحمل سريرك واذهب». فقال قم فاحمل مضجعك واذهب فلامه سبيريدون قائلاً أأنت اشرف او افصح ممن قال سريرك لتأنف من ان تستعمل لفظه فنزل تريفيليوس من المنبر على مرأى الشعب وقال سوزومانوس في سبيريدون هذا انه كان اسقفاً في تريميتو بقبرس وكان متناهياً في الفضل والفضيلة وان الله صنع على يده معجزات كثيرة وسمي في ميناون الروم صاحب العجائب

وخلفه في هذه الاسقفيـة اوسطاتيوس ثم تيوبمبو وكان من اساقفة المجمع القسطنطيني الاول وكان في حما توسيا (بقبرس ايضاً) القديس فيلون وقد رقاه ابيفان الى اسقفية هذه المدينة وكان في تمباسو ليكون اسقفاً شهد المجمع القسطنطيني الاول وكان في الباف كيرلس وقع على المجمع النيقوي الاول وكان في ارسينوا ارستوكليد شهد المجمع القسطنطيني الاول وفي لابيتوموسي شهد المجمع الذي عقده ابيفان عن بياجيوس في سورية المقدسة هولاء من عرفناهم من اساقفة قبرس في القرن الرابع

وكان من اساقفة فلسطين استيريوس اسقف اللد وقد ذكره القديس ايرونيمس في كتابه المذكور (فصل ٩٤) وقال انه كان اريوسياً وفي عهد الملك قسطنس (من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٦١) وقد الف كتاباً في تفسير رسالة بولس الرسول الى الرومانيين وفي الاناجيل والزبور وكثيراً غير ذلك وكان مشايعوه يرغبون في مطالعة تآليفه

ومنهم ايضاً اكاشيوس اسقف قيصرية فلسطين ذكره ايرونيمس ايضاً في الكتاب المذكور (فصل ٩٨) قائلاً انه كتب سبعة عشر كتاباً في سفر يشوع بن

سيراخ ومقالات اخرى كثيرة وقال فيه سقراط (ك٢ فصل ٤) انه خلف استاذه اوسابيوس القيصري في اسقفية قيصرية والف كتباً كثيرة اخصها كتابه في ترجمة اوسابيوس سالفه وقال (في فصل ٢٩) انه كان في مجمع سلوقية (بايسورية) رئيساً من روساء الحزب الاريوسي مع جيورجيوس اسقف اسكندرية واورانيوس اسقف صور يتابعهم ثلاثون اسقفاً والف في هذا المجمع قانون ايمان ملتبساً لا ينبذ فيه صريحاً ضلال اريوس ولا يصرح بمساواة الابن للآب جوهراً وانقطع اخيراً مع مشائعيه عن الحضور في هذا المجمع فعزل عن كرسيه ومعه اورانيوس اسقف صور وغيرهما من الاساقفة المخالفين وقد توفي سنة ٣٦٥ او سنة ٣٦٦

وخلف اوزايوس اكاشيوس في اسقفية قيصرية وكان اريوسياً ايضاً وذكره ايرونيمس (في فصل ١٣٠ من كتابه المذكور) استطراداً وفي الكتاب الموسوم بسورية المقدسة انه زاد في عدد كتب مكتبة قيصرية وفي اتقانها وان الملك توادوسيوس عزله عن كرسيه لشره وتشبثه ببدعة اريوس وقام بعده في هذه الاسقفية جلاسيوس قال فيه القديس ايرونيمس في المحل المذكور انه يقال انه كتب خطبة انيقة نفيسة ولم يشهرها وكان كاثوليكياً صالحاً وغيوراً على الايمان وتوفي سنة ٣٩٤

ونعرف من اساقفة صور في هذا القرن بولينس وهو الذي نقل من اسقفية صور الى بطريركية انطاكية كما مر في الكلام على بطاركة انطاكية وقد ذكره اوسابيوس القيصري في مقدمة الكتاب العاشر من تاريخه وقدم هذا الكتاب له وانبأنا انه جدد بناء كنيسة صور بعد خمود نار الاضطهاد في ايام ديوكاتيان وجعلها كنيسة بديعة لم يكن لها مثيل حينئذٍ في كنائس سورية وروى (في ف٤ من الكتاب المذكور) صورة خطبته عند تدشين هذه الكنيسة فاذا هي خطبة غراء مسهبة فريدة في بابها وقد تفاخر اريوس في رسالته الى اوسابيوس اسقف

نيكوميدية (التي رواها برمتها توادوريطوس (في ك ١ من تاريخه فصل ٥) بان بولينس من المشايعين لضلاله وتفاخره غير صحيح لان بولينس لم يقم نكير على صحة ايمانه وان كتب اريوس اليه رسالة مسهبة اثبتها توادوريطوس في كتابه المذكور وقد وصفه اوسابيوس (في كتابه ١ ردًا على مرشلس فصل ٤) بالمثلث الطوبى والعجيب الذي دبر كنيسة صور تدبيرًا بديعاً · وخلفه في اسقفية صور زانس ويسمى زينون الاول على ما روى لكويان (في المشرق المسيحي مجلد ٢ في اساقفة صور) وقد شهد المجمع النيقوي المسكوني سنة ٣٢٥ وروى ابيفان (في بدعة ٦٩) ان اسكندر اسقف الاسكندرية رغبة في مقاومة بدعة آريوس كتب رسائل الى اوسابيوس القيصري والى زانس الشيخ اسقف صور ويظهر من ذلك انه كان شيخاً عند ما شهد المجمع النيقوي· ومن اساقفة صور ايضاً بولس كان اسقفاً على صور لما عقد المجمع فيها للحكم في دعوى القديس اثناسيوس سنة ٣٣٥ وادعى الاريوسيون على اثناسيوس انه قطع يد رجل اسمه ارسانيوس وكشف بولس عن ارسانيوس واحضره الى المجمع ففضح كذب المفترين روى ذلك القديس اثناسيوس (في محاماته ٢) وقام بعد بولس ويتاليس وانحاز الى حزب الاريوسيين الذين تجنوا على القديس اثناسيوس ووقع بالاتفاق معهم على الرسالة التي كتبوها في مجمع سرديكا (صوفية البلغار) سنة ٣٤٧ وكان بعد ويتاليس اورانيوس وقد مرَّ انه كان مع جيورجيوس البطريرك الاسكندري واكاشيوس اسقف قيصرية من روساء الاريوسيين ووقعوا على قانون الايمان الذي انشأه اكاشيوس في مجمع سلوقية (بايسورية) فعزله آباء هذا المجمع مع اكاشيوس وغيره روى ذلك ابيفان في بدعة ٧٣) والقديس اثناسيوس (في كتابه في مجمعي اريمين وسلوقية) وسقراط (ك ٢ فصل ٤٠) قال لاكويان (في المشرق المسيحي مجلد ٢ في اساقفة صور) لا نعلم اترك اسقفية صور بعد عزله ام كابر واستمر فيها

ومن اساقفة صور ايضاً زانس او زينون الثاني وديودورس اما زينون فقد انبأنا سوزومانوس (ك ٦ فصل ١٢ من تاريخه) انه اجتمع مع اوسابيوس اسقف قيصرية الكبادوك وبلاجيوس اسقف اللاذقية وبولس اسقف حمص في انطاكية في عهد الملك يوفيان وحكموا بوجوب التمسك بعقيدة مساواة الابن للآب بالجوهر وتلوا رسائل البابا ليباريوس واساقفة المغرب وكتبوا الى سائر الكنائس ان يقرأوا تلك الرسائل وقد وقّع زينون على اعمال المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ ولما كان زينون قد رقاه الى اسقفية صور احد بطاركة انطاكية الموصومين ببدعة اريوس رقى بولينس البطريرك الانطاكي الكاثوليكي ديودورس الى اسقفية صور وقد مدحه تيموثاوس البطريرك الاسكندري في رسالة كتبها اليه سنة ٣٨١ ومما قال له فيها . ان الله لم يمنّ عليه بان يؤمن بالمسيح فقط بل ان يتألم بسببه ايضاً .

ومن اساقفة صيدا عرفنا تواودورس بتوقيعه في اعمال المجمع النيقوي ثم امفيون ذكره نيقيطا كونيانس (في كتابه المسمى الكنز فصل ٧) قال لكويان (في المشرق المسيحي) لا نعلم أقبل تودورس كان امفيون ام بعده ونرى في اعمال المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ توقيع بولس اسقف صيدا

ومن اساقفة عكا ترى توقيع اناس اسقف عكاء على اعمال المجمع النيقوي الاول سنة ٣٢٥ وعلى اعمال مجمع انطاكية الذي عقد سنة ٣٤١ وتوقيع نكتايوس اسقف عكا على اعمال المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ وقد مرّ بك ان انطيوكس اسقف عكا كان من خصوم فم الذهب متابعاً لاكاشيوس اسقف حلب وسفريانس اسقف جبلة على مناصبة هذا القديس وقد طلبوا الى الملك اركاديوس ان ينفيه قبل عيد الفصح روى ذلك بلاديوس في ترجمة فم الذهب وسقراط (ك ٦ فصل ١١) وعن لكويان ان هذا الاسقف توفي سنة ٤٠٨

ومن اساقفه بيروت اوسابيوس قطب الاريوسيين الشهير فانه كان اولاً اسقفاً على بيروت ثم تركها وانتقل الى اسقفية نيكومدية (ازميد) وهناك شايع اريوس بل كان رئيساً في مشايعيه ثم دخيلاً على الكرسي القسطنطيني وقد ذكره تاودوريطوس (في تاريخه ك ١ فصل ١٩) والقديس اثناسيوس في محاماته الثانية وتواتر ذكره في تاريخ سقراط وسوزومانوس وخلفه غريغوريوس وكان على شاكلته في تشيعه لاريوس بل قد حسبه اريوس في جملة المدافعين عن بدعته كما يظهر من رسالته التي اثبتها تاودوريطس (ك ١ من تاريخه فصل ٥) وقد حسب معه من مشايعيه بولينس اسقف صور (طالع ما مر) واثناسيوس اسقف عين زربة واتيوس اسقف اللد وقد شهد غريغوريوس المجمع النيقوي . وقام بعد غريغوريوس مكدونيوس وكان اريوسياً ووقع مع الاساقفة الاريوسيين على الرسالة التي كتبوها من فيليبوبولي بعد خروجهم من مجمع سرديكا (صوفيا قصبة البلغار) سنة ٣٤٧ ومن اساقفة بيروت ايضاً في هذا القرن تيموثاوس وقد حضر المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ . قال لكويان (في المشرق المسيحي مجلد ٢ في اساقفة بيروت) لعل تيموثاوس هذا هو تيموثاوس تلميذ ابوليناد الاراتيكي وقد بقي بعض فقرات من كتبه

ومن اساقفة جبيل في هذا القرن باسيليوس نرى توقيعه على اعمال المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١

ومن اساقفة اطرابلس عرفنا هلينكس اذ رأينا توقيعه على رسوم المجمع النيقوي في جملة اساقفة فونيقي ويظهر من رسالة القديس اثناسيوس الى النساك ان الاريوسيين وشوا به فنفي وقام بعده تاودوسيوس في اسقفية اطرابلس ذكره القديس اثناسيوس في رسالته المار ذكرها وكان من بعده في اسقفية اطرابلس ايريناوس وكان متابعاً لجيورجيوس بطريرك الاسكندرية واكاشيوس اسقف

قيصرية وغيرهما من الاريوسيين ووقع معهم على قانون غير صحيح للايمان في مجمع سلوقية وذكره ايفان في بدعة ٧٣

ومن اساقفة عرقا لوشيانس نرى توقيعه في آخر اسماء الاساقفة الذين وقعوا على رسالة رفعوها من مجمع انطاكية الى يوفيان الملك في شأن اصلاح شؤون الايمان الكاثوليكي في المشرق ثم توقيع اسكندر اسقف عرقا في جملة تواقيع اساقفة فونيقي على رسوم المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ وانبأنا سقراط (ك ٧ من تاريخه فصل ٣٦) ان افرنسيوس كان اولاً اسقفاً على عرقا فنقل الى اسقفية صور

ومن اساقفة ارواد تيموثاوس انبأنا عنه القديس اثناسيوس (في رسالته الى النساك) انه كان اسقفاً على هذه الجزيرة وعلى طرطوس في ايام قسطنس الملك وقال هذا القديس في محاماته التي رفعها الى الملك قسطنس ان الاريوسيين خلعوا هذا الاسقف من اسقفيته مع غيره من الاساقفة في مجمعهم في انطاكية لانهم كانوا كاثوليكيين ونرى في المجمع القسطنطيني الاول توقيع موشيموس اسقف ارواد

ومن اساقفة جبلة في هذا القرن بوليوس ويرى توقيعه على رسوم المجمع النيقوي الاول سنة ٣٢٥ ثم ساويروس وكان اريوسياً ويرى توقيعه على صك اتفاق دونته فرقة من الاريوسيين ثم اوسابيوس وكان في جملة اساقفة سورية الذين شهدوا المجمع القسطنطيني الاول ويرى توقيعه عليه اوسابيوس اسقف جبلة وخلفه سفريانس الذي مرَّ ذكره في ترجمة يوحنا فم الذهب فانه كان قد شخص الى القسطنطينية متطالباً الربح بخطبه فتلقاه فم الذهب بالترحاب لكنه انضم بعيد ذلك الى خصمائه ولما عاد فم الذهب من منفاه الاول اصلحت اودكسية الملكة بينه وبين فم الذهب فتصالحا وعاد سفريانس الى سورية واتفق مع بعض الاساقفة فرقوا برفيريوس الى الكرسي الانطاكي خلافاً للقوانين وقيل انه اخذ رشوة على ذلك

فحنق الشعب عليه وهرب من انطاكية الى مدينته جبلة روى ذلك بلاديوس في ترجمة فم الذهب وسقراط (ك ١ فصل ١٠) وسوزومانوس (ك ٨ فصل ١٠ وما يليه)

ومن اساقفة اللاذقية جيورجيوس وكان كاهناً اراتيكياً في الاسكندرية واورد القديس اثناسيوس رسالتين كتبهما الى اسكندر بطريرك الاسكندرية موعبتين من كفر اريوس فحطه اسكندر عن درجة كهنوته واتى سورية فرقاه الاساقفة الاريوسيون الى كرسي اللاذقية وقال فيه القديس اثناسيوس (في محاماته الثانية) انه كان شرًا من الباقين وقد عزله آباء مجمع سرديكا (صوفية) عن استقفيته سنة ٣٤٧ وقضى سنة ٣٦٣ وهو الذي كتب ترجمة اوسابيوس الحمصي كما مرَّ وقام من بعده بلاجيوس وكان صحيح المعتقد وان رقاه الى الاسقفيـة اكاشيوس اسقف قيصرية لانه اقر بمساواة الابن جوهرًا للآب وقد وقع على رسالة المجمع الانطاكي الى الملك يوفيان كما روى سقراط (ك ٢ فصل ٢٥) وقد شهد المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ واثبته الاباء في اسقفيته (سقراط ك ٥ فصل ٨) وجاء ذكره في السنكساري الروماني في ٢٥ اذار وقام بعده ابولينار على ما روى لكويان (في المشرق المسيحي) عن روفينوس (ك٢ من تاريخه فصل ٢٠) فكان كاهناً في كنيسة اللاذقية ثم رقي الى اسقفية هذه المدينة فاتبع ارطقة اريوس وخلفه اليديوس قال فيه توادوريطس (ك ٥ من تاريخه فصل ٢٧) انه كان معاصرًا ملاتيوس بطريرك انطاكية وكان يدبر كنيسة اللاذقيـة في ايام الملك اركاديوس وروى بلاديوس في ترجمة فم الذهب انه كان عالماً بقوانين الكنيسة ومحباً للملك اركاديوس

ومن اساقفة سلوقية سورية (السويدية) زنوبيوس او زينون كان من جملة الآباء الذين وقعوا على المجمع النيقوي . وقام من بعده اوسابيوس شهد المجمع

الذي عقد في سلوقية (بايسورية) في عهد الملك قسطنس ذكره ايفان (في بدعة ٧٢) ثم يزوس وحضر المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ ثم المجمع الذي عقده بعد ذلك افلابيانس في انطاكية ثم قام بعده مكسيمس وكان تلميذاً ليوحنا فم الذهب ومعاصراً لافلابيانس البطريرك الانطاكي ذكره توادوريطوس (في ك ٥ من تاريخه فصل ٢٧) وخلفه دوسيتانس الثاني ذكره سقراط (في ك ٧ فصل ٣٦) فلم يقبله اهل المدينة فنقل الى ترسيس ولعله كان في القرن الخامس

ومن اساقفة حلب في هذا القرن اوسطاتيوس الذي نقل الى بطريركية انطاكية كما مرّ وخلفه في حلب قورش فطرده الملك قسطنس من كرسيه لمدافعته عن الايمان القويم كما ذكر القديس أثناسيوس في محاماته التي رفعها الى هذا الملك حيث يقول « كيف لا تنوح انكورة على مرشلس وحلب على قورش » ونقل بعده ملاتيوس اسقف سبسطية الى حلب على ما ذكر سقراط (ك ٢ فصل ٤٤) وقد مر عند ذكر ملاتيوس في جملة بطاركة انطاكية في هذا القرن ان بعضهم خطأ سقراط بذكر نقل ملاتيوس من سبسطية الى حلب واثبتوا انه نقل من سبسطية الى الكرسي الانطاكي وهو الاظهر ومن اساقفة حلب في هذا القرن اناطوليوس وكان في جملة الاساقفة الذين اجتمعوا في انطاكية ورفعوا عريضة الى الملك يوفيان يثبتون فيها قانون المجمع النيقوي وقد اثبت سقراط (ك ٣ فصل ٢٥) هذه الرسالة برمتها واسماء من وقعوا عليها ومنهم اناطونيوس اسقف حلب وقام بعده توادونس وكان في ايام والنس الملك الاريوسي على ما يظهر من رسالة باسيليوس الكبير العاشرة حيث يثني كثيراً على توادوطس هذا وقام بعده اكاشيوس ورقاه الى الاسقفية اوسابيوس اسقف سميساط وذكر عنه سقراط (ك ٦ فصل ١٨) انه كان من المحامين لفم الذهب واثنى عليه سوزومانوس (ك ٧ فصل ٢٨) بانه لم يترك عيشته الرهبانية النسكية بعد ان صار اسقفاً وان بابه كان مفتوحاً دائماً لكل محتاج

وقال فيه القديس باسيليوس (في رسالته ١٤٤) انه تعلم منه اموراً كثيرة وجاء عنه في رسالة اساقفة المشرق الى توادوسيوس الملك انه عاش مئة وعشر سنين مناضلاً فيها عن تعليم الانجيل وشهد مجامع كثيرة واستمر في الاسقفية خمسين سنة

ومن اساقفة اباميا (قلعة المضيق) في هذا القرن يوحنا وقع على رسوم المجمع القسطنطيني الاول والقديس مرشلس وكان في عهد الملك توادوسيوس وقتله الوثنيون لانه عني بتدمير هيكل المشتري كما مر في الكلام عن هذا الملك وخلفه القديس يوليانس (كتاب سورية المقدسة)

ومن اساقفة حمص في هذا القرن اناطوليوس كان من اباء المجمع النيقوي ويسمى في النسخ اللاتينية لهذا المجمع انطونيوس وهو خطا لانه شهد ايضاً المجمع الانطاكي سنة ٣٤٠ وترى توقيعه فيه اناطوليوس اسقف حمص لا انطونيوس وكان ايضاً اوسابيوس اسقف حمص وقد قدمنا ترجمته لانه من جملة المؤلفين الشهيرين وقام بعده بولس الاول وكان متشيعاً لجورجيوس البطريرك الاسكندري واكاشيوس القيصري وغيرهما من الاريوسيين ووقع معهم على قانون ايمان وضعوه وخلفه غاسيوس وكان كاثوليكياً وصديقاً مخلصاً للقديسين باسيليوس وغريغوريوس النزينزي وقد ذكراه في بعض كتبهما وقام بعده شيرياكس وكان من المناصرين لفم الذهب فنفاه الملك اركاديوس الى بلاد الفرس ذكره بلاديوس في ترجمة فم الذهب

ولم نعلم من اساقفة بعلبك في هذا القرن الا اسقفاً ذكر عنه اوسابيوس انه كان في بعلبك في ايام قسطنطين الكبير ولم ينبئنا ما اسمه (عن لكويان في المشرق المسيحي) وكذلك لم نعرف من اساقفة تدمر في هذا القرن الا مارينس الذي يرى توقيعه على المجمع النيقوي مارينس اسقف تدمر وكذلك جناديوس اسقف

يبرود وعرفنا من اساقفة دمشق في هذا القرن مانيوس شهد المجمع النيقوي ووقع عليه والمجمع الانطاكي الذي التأم سنة ٣٤٠ ثم فيلبس حضر المجمع القسطنطيني الاول ووقع عليه . ومن اساقفة بانياس في القرن الرابع فيلوكاس شهد المجمع النيقوي ووقع عليه ثم مرتيريوس كان في ايام يوليانس الجاحد وتكلم عليه كثيراً ساخراً منه فاماته الملك محروقاً ثم بارانس شهد المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ ووقع عليه (عن لكويان في المشرق المسيحي في كلامه عن كنائس هذه المدن)

ومن اساقفة حوران وما يليها ميكوما اسقف بصرى وبطرس اسقف خرساء وشيريون اسقف فيلادلفيا وهي عمان وقعوا على رسوم المجمع النيقوي واورانيوس اسقف اذرعات وقع على المجمع القسطنطيني الاول

ولا ينبغي ان نغفل في هذا المقام عن القديس اوسابيوس اسقف سميساط الذي كان مضطرماً بالغيرة المقدسة على المدافعة عن الايمان ومناضلة الاريوسيين وقد زار بامر الحبر الروماني كنائس سورية وفونيقي وفلسطين متنكراً بزي جندي واقام كهنة واساقفة في اماكن شتى من هذه البلاد حيث وجد حاجة الى ذلك فلم يتحمل الاريوسيون مناصبته لهم وسعوا به لدى الملك والنس فامر بنفيه الى تراسة ولما بلغ اليه منفذ امر الملك مساء حرَّضه ان يكتم سر وفادته لئلا يطرحه الشعب في النهر لحنقهم وبعد ان اقام صلاة المساء مع كهنته واستولى الظلام انسل خفية ومعه خادم يحمل له قليلاً من الزاد وكتاب فرضه وركب سفينة في الفرات الى زغما (مدينة على الفرات) ولما عرف مسوذوه في اليوم التالي سفره اكثروا من الاسف والحسرات على براح راعيهم وركب جم غفير منهم السفن وادركوه في زغما فتوسلوا اليه بدموع سخينة الا يغادرهم فريسة للذئاب فتلا عليهم اقوال الرسول الآمرة بالطاعة للملوك ولما رأوا انه لا يمكنهم رده عن عزمه قدموا له

ذهباً وفضة وملابس وخداماً فاقتصر على قبول شيء يسير من اخصائه وحرضهم على التشبث بعرى الايمان القويم ومضى في طريق منفاه فعين الاريوسيون مكانه اونوميوس وكان معروفاً برقة الاخلاق والدعة فلم يشأ احد من سكان سميساط ان يراه بل كان يوماً يستحم واتى بعضهم الى المحل فلم يشأوا ان يستحموا في الماء الذي كان فيه قبل ان بدلوه بغيره فترك مدينتهم فارسل الاريوسيون مكانه لوشيوس وكان معروفاً بغلاظة الاطباع فلم يدنُ منه احد بل بينما كان يوماً في الشارع راكباً اتاناً واولاد يلعبون بالكرة مرت كرة احدهم بين رجلي الاتان فصرخ الاولاد واضرموا ناراً طرحوا الكرة بها قبل ان يلعبوا بها فنفى لوشيوس كثيرين من اجلاء كهنتهم ٠ (روى ذلك توادوريطس ك ٤ من تاريخه فصل ١٣ و١٤ و١٥ والقديس باسيليوس في رسالته ١٦٨)

وكان في هذا القرن في يبنة مدينة فلسطين الاسقف بطرس شهد المجمع النيقوي واليان شهد المجمع القسطنطيني الاول وكان في اللد (عدا استيريوس السابق ذكره) ايتوس شهد المجمع النيقوي وديسيوس شهد المجمع القسطنطيني الاول وكان في عمواص لنجينس وقع على المجمع النيقوي وروفس على المجمع القسطنطيني الاول . وفي نابلس جرمانس كان من اباء المجمع النيقوي وتوقيعه بعد البطريرك الاورشليمي وروفس من آباء المجمع القسطنطيني الاول وكان في السامرة مارينس من آباء المجمع النيقوي وبرستيانس وقع على المجمع القسطنطيني الاول وكان في حبرون وهي الخليل مكرينس وقع على المجمع النيقوي وفي اريحا جنارس من آباء المجمع النيقوي ومكروس من اباء المجمع القسطنطيني الاول وفي اشدود الاسقف سلوان نرى توقيعه على المجمع النيقوي وفي عسقلان كان سابينس الذي روى توادوريطس ان يوليانس الجاحد اضطهده وكان من آباء المجمع النيقوي وفي غزة بعد القديس سلوانس الذي استشهد في عهد ديوكلتيان قام

اسكلابيوس وشهد المجمع النيقوي وكان ميالاً الى الاريوسيين لكنه ارعوى عن ذلك واتهمه الاريوسيون في مجمعهم في صور بانه اراتيكي وقد اعلن مجمع انطاكية ومجمع سرديكا سنة ٣٤٧ انه كثوليكي وحنق عليه الاريوسيون فعزلوه عن كرسيه فلجأ الى الحبر الروماني يوليوس الاول فرده اليه وبعد وفاته خلفه ارميا وكان في ايام الملك توادوسيوس ٠ وكان في باسان بتروفيلس وكان اريوسياً وشهد المجمع النيقوي مشايعاً الاريوسين وكان في مجمع صور كذلك وقالوا انه كان استاذ اوسابيوس اسقف حمص المذكور فارضعه سم البدعة وعزل عن اسقفيته في مجمع سلوقية (بايسورية) وخلفه سقراط سنة ٣٥٩ ثم سافرنيس وقد شهد المجمع القسطنطيني الاول ٠ كل ما مرّ ملخص عن الكتاب الموسوم بسورية المقدسة لباجيوس في كلامه عن هذه الكنائس

الفصل الثالث

في من عاصر هولاء الاساقفة في سورية من مشاهير الاساقفة والعلماء في غيرها

انا رغبةً في توفير الفوائد وارضاء لمطالعي كتابنا لا نقتصر على ذكر الاساقفة السوريين بل نأتي ايضاً على ذكر من عاصرهم من مشاهير الاساقفة والعلماء غير السوريين على انا نوجز الكلام في هولاء لخروجه عن دائرة غرضنا ونستهل بذكر مشاهير السريان في هذا القرن لانهم الاقرب الينا ونعتمد في ترجماتهم خاصة على اقوال الاستاذ والعلامة السيد يوسف سمعان السمعاني في المكتبة

الشرقية ونعم المعتمد

﴿ عد ٥٨٢ ﴾

﴿ في مشاهير علما السريان في هذا القرن ﴾

فالاول من هولاء في هذا القرن القديس يعقوب النصيبيني ولد في نصيبين ودأب منذ حداثته في السيرة القشفة النسكية واشتهر في ايام الملك مكسيمينس بمناضلته عن الايمان القويم وبصنع الله على يده آيات ومعجزات ورقي الى اسقفية مدينته قبل المجمع النيقوي واتى الى هذا المجمع مع القديس افرام تلميذه وكان فيه بطلاً صنديداً في المدافعة عن الايمان الكاثوليكي وقد حاصر في ايامه سابور ملك الفرس مدينته نصيبين سنة ٣٣٨ وحول مياه النهر الجاري هناك الى اسوارها فقوضها وبينما كان يأمل ان يدخل المدينة في اليوم التالي آمناً رأى في الغد الاسوار بصلوات الاسقف القديس قائمة على ما كانت عليه فيئس من فتحها وتيقن ان الله يدافع عنها فانصرف عن المدينة روى هذه الآية باسهاب توادوريطس (في ك ٢ من تاريخه فصل ٢٨) وفيلوسترجيوس (ك ٣ عد ٢٣) وذكر له توادوريطس آيات اخرى عديدة في كتابه المعنون فيلوثاوس (اي محب الله) ولقي يعقوب ربه في تلك السنة نفسها اي سنة ٣٣٨ على ما روى ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون ومؤلف تاريخ الرها ويعيد لذكره في الكنيسة الرومانية في ١٥ تموز وفي كنيسة الروم في ٣١ من تشرين الاول وفي كنيسة الموارنة في ١٣ ك ٢ (ملخص عن السمعاني في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٧) وقال السمعاني (في المحل المذكور صفحة ١٩) لم نرَ القديس ايرونيمس ذكر القديس يعقوب النصيبيني في عداد المؤلفين البيعيين ولم يقل توادوريطس في كتابه فيلوثاوس او في تاريخه انه كتب شيئاً وقد عظمه علماء السريان ولم يشيروا الى شيء من التأليف له ولم

يستشهدوا بشيء من اقواله ومع هذا عزا اليه جناديوس (في كتابه في عداد المؤلفين) تأليف مقسم الى ستة وعشرين كتاباً في الايمان وفي الرد على المبتدعين وفي المحبة العامة الى غيرها وقال هذا المؤلف ان كان ايرونيمس لم يذكر يعقوب بين المؤلفين فذلك لانه كان يجهل اللغة السريانية وقد مدح كتب القديس افرام اليونانية ولم يذكر تآليفه السريانية على ان السمعاني رد قول جناديوس هذا وخرجه على انه لم يميز بين يعقوب السروجي ويعقوب النصيبيني وقال عزا اليه الحاقلي (في شرحه قصيدة الصوباوي) نافوراً للقداس والصحيح ان هذا النافور للسروجي ايضاً اقول ان في مكتبة بطريركيتنا كتاب خطب للقديس يعقوب النصيبيني ترجمه عن الارمنية الى اللاتينية نيقولاوس انطونلي وطبع في رومة سنة ١٧٥٦ اذ كان السمعاني فيها ولم ارَ السمعاني اتى بذكره في مكتبته فادع لمن اسعدهم الحظ ان ينقبوا في مكاتب اوروبا ان يقضوا اهو ليعقوب حقيقة ام لغيره . وقد انبأني احد اساقفة الارمن ان هذا الكتاب من افصح ما كتب بالارمنية

القديس افرام السرياني ولد في مدينة نصيبين في ايام الملك قسطنطين والاظهر ان والديه كانا وثنيين ومذ ترعرع ترك اباه او طرده ابوه من بيته لانه خالفه في عبادة الهته فلجأ الى الكنيسة الى القديس يعقوب المار ذكره واعتنق الدين المسيحي فعمده الاسقف واصحبه الى نيقية ليشهدا المجمع النيقوي ولما توفي القديس يعقوب سنة ٣٣٨ كما مر هاجر افرام الى الرها واتخذ السيرة الرهبانية بين الرهبان المتنسكين في الجبال القريبة من هذه المدينة ثم مضى الى مصر يتفقد حالة النساك في الاسقيط فاقام بينهم ثماني سنين منافساً لهم في اعمال الفضيلة ومعلماً ومرشداً الى سواء السبيل في الايمان والتقى ومناضلاً من التطخوا ببدعة اريوس ثم عاد الى الرها وانضوى الى اكليرسها وامّ القديس باسيليوس الكبير في قيصرية الكبادوك فاستقبله

بالتجلة والتكريم ورقاه الى المرتبة الشماسية وعاد الى الرها معلماً الشعب بخطبه وتفسيره الاسفار المقدسة وتأليفه الترانيم الروحية على اوزان بعض الاغاني العالمية وتعليمها للشبان والشابات ليرنموا بها في الكنائس ويستجلبوا المؤمنين اليها وكان يناضل اراطقة زمانه كالاريوسيين ويقاوم بخطبه وابحاثه زنباع بن ديصان المشهور وجاء في ترجمته التي اثبتها السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٥ وما يليها) نقلاً عن بعض الكتب السريانية المأتي بها من الصعيد الى المكتبة الواتيكانية ان الله شرفه بصنع آيات شتى على يده منها ان رجلاً اسمه افرام ايضاً كان قندلفتاً في الكنيسة شغف ببنت احد روساء المدينة وزناها فحملت ولقنها ان تقول لاهلها اذا سألوها ان افرام الراهب خدعها فعلقت منه ثم سألها ابوها فقالت ما تلقنت ولما ولدت اتى ابوها بالولد واستدعى افرام امام الاسقف والكهنة وقال له خذ ابنك فربِّه فبكا افرام بكاءً مرّاً واخذ الطفل متضرعاً الى الله بدامع سخينة ان يفرج ضيقه ويزيل العثار الذي سيكون من هذه التهمة له وفي ذات يوم بينما كان الاسقف والكهنة والشعب في الكنيسة دخل افرام اليها والطفل على ذراعيه واستأذن الاسقف ان يصعد على المنبر فصعد وقال للطفل علانية اقسم عليك ايها الرضيع بسم يسوع المسيح خالق السماء والارض ان تقول الحق ابن مَن من انت فصاح الولد على مسمع الشعب افرام قندلفت الكنيسة ابي واعاد ذلك ثلث مرات ومات الطفل لساعته فمجد الاسقف والحاضرون الله

ومما جاء في هذه الترجمة انه مرَّ يوماً على النهر المسمى ديصان فوجد نسوة يغسلن ثيابهن واخذت احداهنَّ تحدق به بلا خجل فقال لها اطرقي في الارض فاجابته عليك انت الرجل ان تنظر في الارض لانك منها اخذت في البدء ويجمل بي ان انظر اليك لاني منك اخذت فعجب بحكمتها وروى سوزومانوس ايضاً هذه القصة قائلاً ان هذه المرأة اتت تراوده عن نفسه او مرشوة من غيرها

واشرفت عليه من نافذة فجرى بينهما ما مرّ من الحديث وان افرام كتب بعد ذلك كتاباً مخصوصاً بهذا المعنى ذكره السريان بين كتبه وقد عُرض عليه ان يرقى الى الاسقفية فاظهر على نفسه انه جنّ فراراً منها وقد ادركت المنية هذا القديس العلامة في ١٥ حزيران او في ٩ منه سنة ٣٧٢ او سنة ٣٧٣

قد اثبت السمعاني (صفحة ٥٥ من المجلد المذكور انه كان يعلم من اللغات العبرانية واليونانية والمصرية عدا لغته السريانية التي هو استاذها فيتضح من تفسيره الاسفار العبرانية انه كان خبيراً بهذه اللغة ومن استشهاده بالترجمة السبعينية وباقوال الآباء الذين كتبوا باليونانية انه كان خبيراً باليونانية ومن استشهاده بترجمة القديس انطونيوس الكبير التي كتبها القديس اثناسيوس بالمصرية انه كان يعلم هذه اللغة ايضاً وكتب شيئاً فيها

وقد لقبه علماء السريان بملفان البيعة وكنارة روح القدس ونبي السريان وقال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ١١٥) « افرام شماس كنيسة الرها الف كتباً كثيرة في اللغة السريانية وقد اتصل من الشهرة والتوقير الى ان بعض الكنائس تتلو ما كتبه على الشعب في الكنائس بعد تلاوة منتخبات الاسفار المقدسة وقد طالعت في اليونانية كتابه في روح القدس مترجماً عن السريانية ووجدت فيه قمة الذكاء السامي في الترجمة ايضاً وقضى نحبه في ايام والنس الملك » وقال فيه احد الآباء القديسين « اني اعجب بهذا الرجل الذي عاش على ضفة الفرات وكان ضليعاً بتعاليم الكنيسة الرومانية حتى نحسبه عاش على ضفة نهر تيبر في رومة » وقد اثنى عليه ثناء جزيلاً سوزومانوس في تاريخه (ك٣ف١٦) ومما قال فيه « انه ارفع من كل ثناء وقد زين الكنيسة الكاثوليكية افخر زينة وفاق الكتاب اليونانيين بحكمته ورونق كلامه واصالة رأيهِ وسداد برهانهِ فاذا ترجمت كتبهم الى السريانية او غيرها من اللغات اضاعت رونقها وانحطت عن

مقامها واما كتب افرام فقد ترجم بعضها من السريانية الى اليونانية وما برح بعضها يترجم الى الان ويقضي قارئها باليونانية بالعجب من فصاحتها وانسجامها ودقة معانيها كمن يقرأها في اصلها السرياني الذي كتبت فيه وباسيليوس اسقف قيصرية الكبادوك قد دهش بهذا الرجل وتحير بما اوصله الى هذه الفصاحة السامية انتهى كلام سوزومانوس ملخصاً

واما ما كتبه هذا النادرة فيشذ عن العد فقد عزا اليه السريان اثني عشر الف قصيدة والقبط اربعة عشر الف قصيدة فقد جاء في كتاب تراجم القديسين عندهم في ١٧ ابيب « ووضع مقالات وميامر كثيرة جدًا وقد وجد في بعض النسخ ان الذي قاله بروح القدس اربعة عشر الف قول » وقد فسر اسفار العهدين القديم والحديث تفسيرًا موجزًا سديدًا على ان السمعاني قال ان تفسير العهد الجديد الذي ذكره ابن صليبا وابن العبري لم يبلغ الى يدنا وذكر القديس ايرونيمس كتابه في الروح القدس كما رأيت وعد العلامة السمعاني خمس عشرة قصيدة في تجسد المخلص وخمس عشرة قصيدة في الفردوس واثنين وخمسين قصيدة في الكنيسة واحدى وخمسين قصيدة في التبتل وسبعاً وثمانين قصيدة في الايمان وستاً وخمسين قصيدة في الرد على البدع وخمساً وتسعين مرثية وانشودة في الموتى والصلوة عليهم وخمس عشرة قصيدة في الحث على التوبة واحدى وثلاثين خطبة في موضوعات شتى وذكر ان له مقالات وصلوات وافرة العدد في العربية مترجمة عن السريانية بلغ عدها الى ست وخمسين مقالة وان له في اليونانية اربعة عشر كتاباً مخطوطة في المكتبة الواتيكانية لم تطبع بعد وذكر من كل هذه القصائد او المقالات فاتحتها او بعض فقرات منها وقد طبع من مؤلفاته في رومة ست مجلدات ثلثة منها في اليونانية ترجمها السمعاني الى اللاتينية وثلاثة في السريانية ترجمها الى اللاتينية العلامة الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني الى اواسط المجلد الثالث وترجم

الباقي منه العلامة الاخر المطران اسطفان عواد ابن اخت السيد يوسف سمعان السمعاني وقد وجد له السيد لامي استاذ كلية لوفان (في البلجيك) في المتحف البريطاني وغيره قصائد ومقالات اخرى ضمنها في ثلثة مجلدات اخرى ومنها رواية في يوسف وبيع اخوته له من احسن ما ينظم في هذا العصر من الروايات وقد ذكرت في مقدماتي التي علقتها على طبعة كتاب صلواتنا الاسبوعية بعض تآليفه وما دخل منها في كتب فرضنا وفرض الملكيين الكاثوليكيين تبارك الله الخالق

وكان من علماء السريان في هذا القرن اسحق الشيخ تلميذ القديس افرام غير القديس اسحق السرياني الشهير فان هذا كان تلميذ زنوبيوس تلميذ افرام ويظهر ان اسحق الشيخ هذا كان قد اشتهر في سنه ٣٨٠ وانه ألف كتاباً في ثلثة اقانيم الثالوث الاقدس وفي تجسد الرب على ما رجح السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٦٥) وكان منهم ايضاً بالاي السرياني ويظهر انه كان في ايام اسحق المتقدم ذكره وقد ذكره ابن العبري في الاديبات (قسم ١ ف ٢٥) والسمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ١٦٦) وله قصائد واناشيد ذكر السمعاني خمساً منها في المحل المذكور ومنهم ايضاً زنوبيوس وهو تلميذ القديس افرام وذكره هذا القديس في وصيته ووصفه يوحنا برشوشان بمعلم القديس اسحق وقال فيه عبد يشوع الصوباوي من قصيدته ٠ زنوبيوس كتب رداً على مرقيون وعلى بمفيليوس ورسالة انفذها الى اسيدورس ولوشيلس وابرهيم ويعقوب ٠

عد ٥٨٣

في مشاهير العلم في مصر في القرن الرابع

ومن المصريين القديس اثناسيوس الاسكندري ولد سنة ٢٩٦ واشتهر في المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ بمناصبته الاريوسيين وصير اسقفاً وبطريركاً على اسكندرية في ٢٧ كانون الاول سنه ٣٢٦ على ان مناصبته الاريوسيين العداوة جعلته هدفاً

لاسيما بغضائهم له تخطوه عن كرسيه اربع مرات وعاد اليه ظافرًا فقد شكوه اولاً الى الملك قسطنطين بانه علة قلق في الكنائس وانه اثقل مسوديه بضرائب وانه مشترك مع اعداء الملك في مؤامرة عليه فافتضح كذبهم بهذه الشكاوى فعادوا يلحون على الملك بعقد مجمع لتوفيق الاساقفة ويضمرون عزل اثناسيوس في ذلك المجمع فامر الملك بعقده فعقد في صور سنة ٣٣٥ واتى اليه اساقفة كثيرون واكثرهم من الاريوسيين واوردوا عليه شكاوى عديدة منها انهم احضروا بغياً في وسط المجمع تدعي انها متبتلة لله وان اثناسيوس افتض بكارتها مكرهاً لها فنهض شماس اثناسيوس وقال لها أأنا حللت عندك وافتضضتك ومتى كان ذلك فاجابته مشيرة اليه نعم انت ضاجعتني في ليلة كذا ومكان كذا فضحك اصحاب اثناسيوس وخجل شاكوه وافتضح كذب التهمة فقرفوه بتهمة اخرى وهي انهم اخرجوا يد رجل مقطوعة وقالوا ها هي يد ارسانيوس الاسقف الذي قتله اثناسيوس فهي تقضي عليه وكانوا قد اتفقوا مع ارسانيوس ان يتغيب في تلك المدة فندم على مطاوعته لهم واتى الى اثناسيوس ليلاً (وفي رواية الى بولس استف صور) يخبره عما كان فاخفاه القديس في محل عنده ولما اوردوا عليه هذه الشكوى ارسل خادمه فاشخصه ملفعاً الى المجمع وسأل اثناسيوس الاساقفة هل تعرفون ارسانيوس قال كثير منهم نعم نعرفه ولما وصل سألهم اهذا ارسانيوس قالوا نعم وكان ملتحفاً بردائه فكشف القديس عن يمناه فقال بعض خصمائه يسراه المقطوعة فانتزع الرداء عنه فظهرت يداه سالمتين فالتحف خصومه بالخجل وصاح بعضهم انه ساحر وبعضهم فر من المجمع وبعضهم وثبوا عليه ليقتلوه فانقذه مفوض الملك من بين ايديهم وارسله ليلاً الى الاسكندرية وكان خصومه قد ارسلوا بعض المشايعين لهم للفحص عن شكاوى اخرى في الاسكندرية فلفق هولاء ما شأوا من البينات عليه وعادوا الى زملائهم في صور فحكموا باكثرية الاصوات على اثناسيوس بالعزل عن كرسيه ورفعوا

عريضة بذلك الى الملك قسطنطين يسألونه ان يبعده عن الاسكندرية تحوطاً من القلق وبعثوا برسائل الى باقي الاساقفة يحذرونهم من الاشتراك معه ومن قبوله اما القديس اثناسيوس فمضى الى القسطنطينية يشكو امره للملك فلم يسمع له اولاً منخدعاً بما كتبه اليه اساقفة مجمع صور فاقتصر سؤاله على ان يستدعيهم الملك اليه ويسمع بنفسه شكواهم عليه بحضرته فامر الملك ان يحضروا جميعاً فلم يحضر الا خمسة منهم اوسابيوس القيصري واوسابيوس النيكوميدي ولفقوا تهمة اخرى عليه بانه حاول ان يمنع شحن المؤن من مصر الى العاصمة وشفعوا ذلك باستئنافهم باقي التهم مستشهداً بعضهم بعضاً فحكم الملك قسطنطين على اثناسيوس بالنفي الى تراف في بروسيا اما منخدعاً بمزاعم هولاء الاساقفة واما لحرصه على حياة اثناسيوس لئلا يقتلوه مضمراً ان يرده الى كرسيه بعد زوال القلق فمضى القديس اثناسيوس الى تراف راضياً صابراً

وقد توفي الملك قسطنطين في ٢٠ ايار سنة ٣٣٧ وكان قد امر بعود اثناسيوس الى كرسيه فعاد اليه سنة ٣٣٨ بعد ان قضى في منفاه سنتين واربعة اشهر فلاقاه شعبه باحتفاء عظيم ومسرة لا تقدر فعظم حنق الاريوسيين عليه وشكوه بتهمة اخرى انه باع لمنفعة نفسه المؤن التي تبرع بها الملك قسطنطين على الارامل والاكليريكيين في مصر ورفعوا شكواهم هذه الى الملوك ابناء قسطنطين فعقد اثناسيوس مجمعاً في مصر شهده نحو مئة اسقف من مصر وما يليها ورفع هذا المجمع عريضة الى يوليوس الحبر الروماني وشفعوها ببينات ناطقة ببرأة اثناسيوس ومكائد خصمائه وارسل اوسابيوس اسقف نيكومدية وفداً الى رومة ولما رأى هولاء انهم لم يتمكنوا من استمالة الحبر الروماني اليهم سألوه ان يأمر بعقد مجمع يحضر فيه اثناسيوس وشاكوه فاجاب سؤالهم وكتب الى اثناسيوس يكلفه الى ذلك ورأى الاريوسيون انه لا يتيسر لهم نيل ما يبتغون اذا كان الحبر الروماني

قاضياً في المجمع فأثروا ان يكونوا هم قضاة في ما يدعون على اثناسيوس بالحط
عن كرسيه بحجة انه عاد اليه دون مجمع بعد ان كان عزل عنه في مجمع واختاروا
اوسابيوس الحمصي ليكون في اسقفية اسكندرية كما مرَّ فابى لعلمه بتشيع
الاسكندريين لاثناسيوس فاختاروا غريغوريوس الكبادوكي ورقوه في انطاكية
وسعوا لدى الملك فسمي في الاسكندرية والياً كبادوكياً ايضاً فادخل غريغوريوس
على كنيسة الاسكندرية بالعنف والقسوة والاضطهاد حتى جرح كثيرون وسجن
كثيرون وقتل البعض ايضاً واضطر اثناسيوس لتخفيف مصاب شعبه ان يفر
ويترك الكنائس للاريوسيين ويختبىء في مكان مجاور للاسكندرية وكتب حينئذٍ
رسالة مسهبة لجميع الاساقفة ينبئهم فيها بما كان من الاضطهاد على شعبه ويستفز
غيرتهم الى تدارك الشر والابتعاد عن غريغوريوس الدعيّ المضطهد وسافر الى
رومة ليشهد المجمع الذي كان الاريوسيون انفسهم سألوا الحبر الروماني عقده وقد
انبأنا سقراط (في ك ٢ من تاريخه فصل ٥) وسوزومانوس (في ك ٣ فصل ٨)
والمؤرخان يونانيان ان يوليوس الحبر الروماني نظر في دعاوي اثناسيوس ومرشلس
اسقف انكورة واسكلپاس اسقف غزة وغيرهم من اساقفة تراسة وسورية
وفونيقي وامر بحسب السلطان المختص بكرسيه الروماني ان يعود كل منهم الى
كرسيه فعادوا مستندين الى الاوامر السامية التي اصحبهم بها وكتب البابا الى
الاساقفة الاريوسيين ان يحضروا الى المجمع الذي سألوه هم عقده فاجابوا مقرين
بسلطته العامة على الكنيسة ومتقاعسين عن الحضور بحجة الحرب مع الفرس ثم
عقد سنة ٣٤٧ مجمع سرديكا (وهي صوفيا مدينة البلغار) فبرأ ساحة اثناسيوس
من كل تهمة وحكم باعادته الى كرسيه واستدعاه قسطنس الملك مكرراً الدعوة
فامتثل لديه في انطاكية فاكرمه وامر بعودة الى كرسيه فكان عوده مدعاة لمسرة
الشعب والاساقفة المصريين

على ان انتصار اثناسيوس في مجمع سرديكا وعزل بعض الاساقفة الاريوسيين فيه زاداهم تهيجاً على اثناسيوس فبذلوا قصارى جدهم في تغيير قسطنس عليه بوشايات منها انه كان ينم فيه لاخيه قسطنت وانه كان محازباً لمانس عدو هذا الملك وكتب له رسالة ومنها انه دشن كنيسة في الاسكندرية دون رخصة الملك مع ان الملك كان قد تبرع بنفقة بنائها حتى اوغروا صدره عليه وارسل كاتب سره وبعض عماله آمرًا قائد جيشه ان يقبض على اثناسيوس الذي طلب الاطلاع على امر الملك فلم يجبه الى سؤاله بل بينما كان في الكنيسة وهي غاصة في الشعب احتاط الجند الكنيسة واخذوا يرمون الشعب بالنبال فقتل وجرح كثيرون وتسارع الباقون للفرار والقديس جالس على كرسيه الى ان حمله ذووه رغماً عليه واخفوه في محل ولما تيسر له الفرار خرج الى البرية يزور النساك والمتوحدين وكان ذلك سنة ٣٥٦ واذاع حينئذٍ كتاب دفاعه عن نفسه ورفعه الى قسطنس الملك وتوغل في البرية متفرغاً لانفاذ رسائله لشعبه وبعض الاساقفة مفندًا فيها ضلال الاريوسيين ثم توفي الاسقف الذي نصبه الاريوسيون فعاد القديس اثناسيوس الى كرسيه وعقد مجمعاً شهده كثيرون من الاساقفة الذين كانوا منفيين ونبذ ضلال الاريوسيين وغيرهم من اصحاب البدع ووضع طريقة لقبول الاراطقة المرتدين الى الايمان الكاثوليكي واثبت البابا ليباريوس ما سنه مجمع الاسكندرية وارتد كثيرون من الاراطقة والوثنيين ايضاً الى الايمان القويم فشق ذلك على الملك يوليانس الجاحد فكتب الى اهل الاسكندرية رسالته السادسة والعشرين أمر اثناسيوس بها ان يخرج من الاسكندرية يوم علمه بهذه الرسالة والا فيجزى شر الجزاء فرفع الاسكندريون جميعاً اليه رسالة يسألونه فيها ان يبقى اثناسيوس في مدينتهم فاجابهم برسالته الحادية والخمسين ساخرًا منهم ومهددًا لهم وآمرًا بان يخرج اثناسيوس من مصر كلها بل امر بعدًا بقتله فازدحمت الاقدام في داره يكونه فقال لهم ان هذه ايضاً الا

سحابة سريعة الانقشاع وركب سفينة سار بها بالنيل نحو الصعيد يتعقبه المأمور بقتله ونبه أثناسيوس الى ذلك فترك صحبه وانثنى نحو الاسكندرية وسأل المأمور رفقته اين تركتموه فقالوا هو قريب منك فجد في سيره الى الامام والقديس الى الوراء ثم خرج الى البرية ولما مات يوليانس ظهر أثناسيوس بغتةً في الاسكندرية وتسارع شعبه الى الاحتفاء بقدومه وكتب اليه الملك يوفيان رسالة يبجله ويثني عليه فيها اطيب الثناء ثم كتب اليه ثانيةً يسأله ان يبين له ايمان الكنيسة الكاثوليكية الصحيح فاجابه برسالة مسهبة مدارها على ان قانون المجمع النيقوي هو اس الايمان القويم وعاش القديس اثناسيوس بعد ذلك مستريحاً منكباً على التآليف النافعة المؤيدة للايمان الكاثوليكي الى ان لقي هذا الجهبذ الهمام والبطل المغوار ربه في الثاني من ايار سنة ٣٧٣ بعد ان استمر في الاسقفية ٤٦ سنة (ملخص عن توادوريطس وسقراط وسوزومانوس وغيرهم)

واما ما الفه من الكتب والرسائل فاشهره تفسيرات الاسفار المقدسة وكتابه في تجسد يسوع المسيح وكتابه في لاهوت الروح القدس وانبثاقه وكتابه في الاستحالة ووجود جسد المسيح حقيقة في القربان المقدس وكتاب دفاعه عن نفسه رفعه الى الملك قسطنس ورسائل ومقالات تشذ عن العد وكتابه في ترجمة القديس انطونيوس الموصوف بالكبير والمكنى بابي الرهبان وروى السمعاني (في المكتبة الشرقية مج٢ صفحة ٢٠) ان في المكتبة الواتيكانية نسخة سريانية من كتابه في التجسد خطت سنة ٥٦٤ وان له نافوراً سريانياً فاتحته ايها الرب القوي ذكره الدويهي في عد ١١ وان له في المكتبة المذكورة كتاباً بالعربية ضد اليهود وان هذا الكتاب العربي هو نفس الكتاب اليوناني المعنون اسئلة اليهود والاراطقة واجوبة المسيحيين عليها واثبت بعضهم ان قانون الايمان المنسوب اليه هو له حقيقة وانكر ذلك غيرهم ويرجح القول الاول واثبت نطاليس اسكندر ان له كتاباً في البتولية وقال

انه تعزى اليه كتب ومقالات اخرى كثيرة ليست له حقيقة (ومن شاء الاسهاب في ذلك فليطالع الفصل ٦ الجزء ٨ من تاريخ نطاليس اسكندر في القرن الرابع) واليك ما ذكره القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٨٧) من كتب القديس أثناسيوس . رووا ان له كتابين ضد الامم وكتاباً ضد فالنس وارشاسيوس وكتاباً في البتولية وكتباً كثيرة في اضطهادات الاريوسيين وفي عنوانات الزبور وكتاباً في ترجمة القديس انطونيوس الراهب ورسائل ومقالات يطول الكلام في مجال تعدادها .

وكان في مصر ايضاً انطونيوس الكبير معلم السيرة الرهبانية ولد سنة ٢٥١ في قرية بمصر العليا اسمها كوما (او قوما) من اسرة غنية وباع ما كان يملكه واعتزل في البرية متنسكاً متهجداً وعمره عشرون سنة وقام اولاً في البلاد المعروفة اليوم بالفيوم ثم توغل في البرية وانضوى الى تدبيره تلامذة كثيرون كان مدبراً لهم في السيرة النسكية الملكية واقام ادياراً كثيرة يضم اليها تلامذته واضعاً لهم دستوراً واحداً يستسير جميعهم بموجبه وترك عزلته آتياً الى الاسكندرية مرتين الاولى سنة ٣١١ ليشجع المسيحيين في اضطهاد الملك مكسيمينس والثانية سنة ٣٥٥ ليدافع عن الايمان الصحيح مفنداً ضلال الاريوسيين وكان يؤثره جميع الناس حتى الوثنيون ويجله الملوك ورقد بالرب سنة ٣٥٦ وعمره مئة وخمس سنين على ما روى القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٨٨) وكتب القديس أثناسيوس كتاباً برمته في ترجمة هذا القديس مورداً تجارب ابليس له وانتصاراته عليها ويصوره المصورون وبجانبه خنزير فكأنه رمز الى الشيطان والباقي من تآليفه سبع رسائل وقانون للسيرة الرهبانية وخطب كثيرة مثبتة في مكتبة الاباء وقد كتبها باللغة المصرية ثم ترجمت الى اللغة اليونانية وغيرها وتعيد لذكره الكنيسة اللاتينية وكنيستنا المارونية في ١٧ ك ٢

وكان في مصر ايضاً سرابيون ذكره القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ٩٩) قائلاً . انه كان ناسكاً في الصعيد فصير اسقفاً ولقب لتوقد ذكائه بالجدلي وكان القديس انطونيوس يحبه كثيرًا والف كتاباً بديعاً فند به ضلال المانويين وكتاباً اخر في عنوانات الزبور وله رسائل عديدة مفيدة وتشرف بالاستشهاد في ايام الملك قسطنس . ويظهر ان القديس اثناسيوس رقاه الى الاسقفية سنة ٣٤٠ ويعيد لذكره في كتاب تراجم القديسين الروماني في ٢١ اذار وقد اثنى عليه القديس اثناسيوس في كتابه في الروح القدس

ومن هولاء ديديمس قال فيه القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ١٠٩) . ديديمس الاسكندري فقد باصرتيه منذ حداثته وتعلم الفلسفة بل الهندسة ايضاً التي تحتاج الى النظر اكثر مما سواها وتكامل بالعلوم والفنون حتى كان اعجوبة لكل ناظر اليه وقد الف كتباً عديدة بديعة فكتب تفسيرًا لكل الزبور ولانجيلي متى ويوحنا وكتاباً في عقائد الدين وكتابين فند فيهما ضلال الاريوسيين وكتاباً في روح القدس ترجمته انا الى اللاتينية (هذا المؤلف في ترجمة ايرونيمس مقسوم الى اربعة كتب) وعشرة كتب في تفسير نبوة اشعيا وثمانية في نبوة هوشع وبعث الي بثلاثة كتب في تفسير آيات من الاسفار المقدسة وكتب خمسة كتب في نبوة ذكريا قد اقترحتها عليه وفسر سفر ايوب الى غير ذلك ... وهو حي الى الان وقد جاوز الثالثة والثمانين من عمره . وقد كتب ايرونيمس سنة ٣٩٢ وتوفي ديديمس سنة ٣٩٦

عد ٥٨٤

في مشاهير الآباء والعلماء في اسيا في هذا القرن

القديس باسيليوس

ومن كانوا في هذا القرن في اسيا الصغرى القديس باسيليوس الكبير اسقف

الكبادوك ولد سنة ٣٢٩ في قيصرية الكبادوك وهو اخو القديس غريغوريوس النيصصي ودرس اولاً الفلسفة في القسطنطينية واثينا وكان ثم صديقاً للقديس غريغوريوس النزينزي الاتي ذكره وللامير يوليان اذكان كاثوليكياً وهو الذي تسنم بعدًا اريكة الملك وجحد الايمان فلقب بالجاحد ثم انتقل باسيليوس الى انطاكية فتعلم الفصاحة والخطابة عند ليبان الخطيب الانطاكي المار ذكره وعلم بعد ذلك الفصاحة في قيصرية وباشر مدة مهنة محامي الدعاوي على انه هجر العالم سنة ٣٥٨ ولزم العزلة في برية بنطس واقام هناك ديرًا بنيت على مثاله اكثر اديار الرهبان في المشرق ثم رقي الى الاسقفية على مدينته قيصرية سنة ٣٧٠ وعكف بغيرة متقدة على الذب عن عقائد الدين الصحيح مناصباً كثيرين من المبتدعين وبذل قصارى عنايته في ايجاد السلم والوفاق في الكنيسة ولم يهب الملك والنس ولم ترعه تهديداته له ليتبع ضلال الاريوسيين وهم الملك بنفيه واضطر ان يحجم عنه لموت ابنه واعتقاد الجمهور ان الله عاقبه بذلك لمصادرته الاسقف ولقي القديس باسيليوس ربه في سنة ٣٧٩ وتعيد له الكنيسة الرومانية في ١٤ حزيران وقد ذكره واثنى عليه اطيب الثناء سقراط (ك ٤ فصل ٢٦) وسوزومانوس (ك ٦ ف ١٦ وما يليه)

وقد عد القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ١١٦) مؤلفاته قائلاً «صنف كتباً يفند فيها مزاعم اونوميوس وكتاباً في الروح القدس وتسع مقالات في تفسير ستة ايام الخليقة وخطباً ومقالات موجزة وافرة العدد» وذكره عبد يشوع الصوباوي في قصيدته في المؤلفين (فصل ١٣) «فقال باسيليوس الكبير الف كتاباً في تفسير ستة ايام الخليقة واسئلة واجوبة كثيرة وخطباً ورسائل مسهبة» ومما قاله السمعاني في شرح هذه القصيدة (مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٠) ان للقديس باسيليوس نافورًا (رتبة قداس) بالعربية ومنه نسخة في المكتبة الواتيكانية في عد ١٦٩ من الكتب العربية ومنه نسخة في القبطية في عد ١٢ وعد ٢١

من الكتب القبطية وله نافور مترجم عن اليونانية الى العربية مثبت في الكتاب ٤٢ و١٥٧ من الكتب العربية في هذه المكتبة وتجد فيها نافورًا له بالسريانية فاتحته ايها الرب الازلي الذي خلقت الانسان منذ البدء ترجمه رينودوسيوس في المجلد الثاني من كتابه في النوافير الشرقية وطبع ثانية الترجمة التي كان وضعها منصور شلق الماروني سنة ١٦٠٤ لنافور باسيليوس عن العربية واما النافور الاخر المترجم من اليونانية الى السريانية والذي كان الملكيون في سورية يستعملونه قبلاً فقد ذكرته في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٦١٥ وقد ذكر الدويهي نافورات باسيليوس في الفصل الثاني في مؤلفي النوافير الكاثوليكية عد ١٥ من كتابه المناير العشر وله في العربية كتاب محاورة بينه وبين غريغوريوس النزينزي وهو في عدد ١٧٠ من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية مترجماً عن كتابه في اليونانية الموسوم بالاسئلة والاجوبة بين باسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي وله ايضاً اثنا عشر قانوناً ثم مئة وستة قوانين مأخوذة عن رسائله الثلث في القوانين المنفذة الى امفيلكتس منها ٢٢ قانوناً في الكتاب العربي عد ٦٩ ومن اهم ما كتبه كتابه في التهذيب الرهباني وعنوانه « اسئلة الرهبان لباسيليوس الكبير اسقف قيصرية الكبادك في التهذيب الرهباني » وهو مقسوم الى ٣٤٠ سؤالاً شرح في اجوبته عليها ما يلزم الراهب في سيرته الروحية وعنها اخذ كثير من الرهبانيات قوانينهم في المشرق والمغرب كما اخذ كثير منهم ايضاً القوانين التي وضعها القديس انطونيوس الكبير انتهى ملخصاً عن السمعاني في المحل المذكور

﴿ غريغوريوس اسقف نيصص ﴾

هو اخو القديس باسيليوس واصغر منه سناً ولد في سبسطية (الكبادوك) سنة ٣٣٠ وعلم الفصاحة وكان مزوجاً ثم ترك امرأته برضاها وتجند لله ورقي الى درجة الكهنوت ثم صير اسقفاً على نيصص او نيصا (في الكبادوك) وطرده

الاريوسيون من كرسيه ولم يعد اليه الا بعد وفاة والنس الملك وشهد المجمع الذي عقد في انطاكية سنة ٣٧٩ ثم المجمع المسكوني الثاني وهو القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ وانتقل الى دار البقا في سنة ٣٩٦ والف كتباً كثيرة دالة على سمو مداركه وفصاحة كلامه على انها مشعرة بانه منطقي اكثر من ان يكون خطيباً والمشهور منها مقالات في تكوين الانسان وفي المقدر وفي البتولية وفي الكمال المسيحي وخطب في سفر يشوع بن سيراخ ونشيد الانشاد والصلاة الربية ومقالة شهيرة في الربا وخطب وتقاريظ منها تقريظ لاخيه القديس باسيليوس وتآبين ومقالة في تراجم القديسين ومقالات في شرح ايام الخليقة احط من مقالات اخيه بهذا المعنى وقد طبعت كتبه هذه مرات ومنها طبعة الاب مين في مكتبة الاباء سنة ١٨٥٨ وقال فيه القديس ايرونيمس (في المشاهير فصل ١٢٨) انه « اخو باسيليوس القيصري وقد اطلعني منذ بضع سنوات واطلع غريغوريوس النزينزي على كتبه ردًا على اونوميوس ويقال انه كتب كتباً اخرى وهو مشتغل في تأليف غيرها » وقال فيه عبد يشوع الصوباوي في قصيدته (فصل ٢١٤) غريغوريوس النيصصي له كثير من المباحث (لعل المراد كتبه ردًا على اونوميوس وهو ثلثة عشر كتاباً) وتفسير للصلوة الربية والتطويبات الانجيلية وكتاب كبير في الخطب ومقالة في القيامة واخته (كتبها عند موت اخته القديسة ماكرينة وعنوانها في النفس والقيامة) وكتاب في تكوين الانسان وكتاب في الطبيعيات (وصحيح المراد كتابه في شرح ستة ايام الخليقة المار ذكره) وكتاب ضد الوثنيين وآخر في تفسير نشيد الانشاد وقسمه الى جلدين وكتاب في النفس (غير كتابه في النفس والقيامة) وروى السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٢٢) ان له في السريانية (اي مترجم اليها) كتاباً اتى به من برية مصر الى المكتبة الواتيكانية وقد خط سنة ٩٣٢ للميلاد ثم حوى رسالة الى توافيلس الاسكندري ردًا على ابولينار وخمس خطب في

تفسير الصلاة الربية وثماني خطب في التطويبات وكتابه في تكوين الانسان موجه الى اخيه بطرس وتفسيره نشيد الانشاد وان له نافورًا للقداس في السريانية غير نافورات اخيه وان له في العربية في المكتبة الواتيكانية خمسة قوانين من قوانين الكنيسة في المجلد الثاني منها وتقريظاً للقديس افرام وفقرًا آخرى في بعض الكتب القديمة

﴿ القديس غريغوريوس النزينزي ﴾

ولد في نزينزو في الكبادوك سنة ٣٣٨ ودرس العلوم في قيصرية فلسطين والاسكندرية ثم مضى الى مدارس أثينا وكان فيها مع صديقه القديس باسيليوس ورقي الى درجة الكهنوت ثم الى الاسقفية على مدينة سازيما في الكبادوك ثم صير اسقفاً معاوناً لابيه الذي كان اسقفاً على نزينزو ويلقب بالثاولوغس اي اللاهوتي وقد مضى الى القسطنطينية سنة ٣٧٥ ورد كثيرين من الاريوسيين الى الايمان القويم ورقي بعناية الملك توادوسيوس الكبير الى البطريركية القسطنطينية واثبت انتخابه المجمع المسكوني الذي عقد فيها سنة ٣٨١ على ان الملك تغير عليه وعنفه فتنزل عن البطريركية واثر العزلة في الكبادوك موطنه وعكف على تأليف الكتب العديدة الدالة على طول باعه وعلو مداركه وبلاغة كلامه وقد لقي ربه سنة ٣٨٩ وتعيد له الكنيسة الرومانية في ٩ ايار

واما كتبه المشهورة فهي كتاب الخطب مؤلفاً من خمسين خطبة وكتاب قصائد شعرية مؤلفاً من مئة وثماني وسبعين قصيدة منها قصيدة يصف بها تقلب الدهر عليه ويعزى اليه مأساة (تراجديا) في آلام المسيح وقد طبعت مؤلفاته مرات وطبعها الاب مين في مكتبة الاباء اليونان في اربعة مجلدات وله كتب اخرى سيأتي ذكرها وقال فيه القديس ايرونيمس (في المشاهير فصل ١١٧) « غريغوريوس اسقف سازيما ثم نزينزو رجل تناهى بالفصاحة وهو استاذي فقد

تعلمت منه تفسير الاسفار المقدسة وقد بلغ ما نظمه الى ثلاثين الف بيت من الشعر ومن ذلك رثاؤه لاخيه قيصاريوس ومدائحه للمكابيين وكبريانس واثناسيوس ومكسيمس الفيلسوف . وله كتاب في التبتل والزواج وكتاب في الرد على اونوميوس وكتاب في الروح القدس وكتابان يندد فيهما بالملك يوليان واتبع طريقة بوليمون (اللاذقي) في الخطابة واقام في حياته اسقفاً بدلاً منه وعكف على السيرة الرهبانية وقد توفاه الله من نحو ثلث سنين (وفي نسخة سنتين) في ايام توادوسيوس الملك ، كتب ايرونيمس هذا سنة ٣٩٢ فتكون وفاة غريغوريوس سنة ٣٨٩

وقال فيه الصوباوي (فصل ١٥) ، غريغوريوس الكبير اسقف نزينزو له خمس مجلدات اشعاراً ومباحث لقيصاريوس (اي حل بعض مباحث مهمة عزاها بعضهم اليه وكثيرون الى قيصاريوس اخيه) وكتاب مأساة (تراجديا في آلام المسيح) وكتاب وضعه رداً على مؤلهي الاله (اي ابوليناد) وقال السمعاني في شرح هذه الابيات (المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٢٣) ان له في السريانية مئة وثلاثين قصيدة اشتمل عليها كتاب خطه على رق موسى النصيبيني سنة ٩٣٢ لدير الاسقيط وهو الان في مكتبة الواتيكان . ونافور فاتحته ايها الاله الكلي الطوبى وهو في مكتبة الواتيكان وذكره الدويهي في الفصل الثاني عد ١٦ في كتاب المنائر العشر وله كتاب اسئلة واجوبة وهو في هذه المكتبة ايضاً وقال ابن العبري ان تآليف النزينزي عند السريان في مجلدين يشتملان على سبع واربعين خطبة واحدى وثلاثين رسالة وجمل يعقوب الرهاوي خطب النزينزي عند السريان خمساً وتسعين خطبة ومما قاله السمعاني في المحل المذكور اني قد رأيت في دير القديسة مريم للسريان في الاسقيط ثلثة كتب قديمة اولها كتب سنه ٨٤٥ في ايام ديونسيوس بطريرك اليعاقبة والثاني خط سنه ٧٩٠ والثالث لا تاريخ فيه ففي الكتابين الاولين القسم الاول من مؤلفات النزينزي يشتمل على ثلاثين خطبه ترجمها من اليونانية

الى السريانية بولس اسقف قبرس سنة ٦٢٤ والكتاب الثالث ينطوي على القسم الثاني من تأليفه وهو مقسوم الى أثنتي عشرة خطبة وثلاثين رسالة من الرسالة السادسة والستين الى السادسة والتسعين والظاهر من ذلك ان السريان ترجموا من رسائل النزينزي اكثر مما ذكر ابن العبري

عد ٥٨٥

في مشاهير الاباء والعلماء من اللاتينيين في هذا القرن

القديس ايلاريوس

ومن مشاهير اباء الكنيسة اللاتينيـة نذكر اولاً القديس ايلاريوس ولد في بواتيا في افرنسا سنه ٣٠٠ من والدين شريفين وثنيين وتنصر بعد ان تعمق في البحث عن الدين المسيحي وقد انتدبه مواطنوه اسقفاً فرقي الى الاسقفية سنة ٣٥٠ وكان من افصح المدافعين عن الايمان وقد شهد مجمع مديولان سنة ٣٥٥ وامتاز بعلمه ورسوخه في معرفة عقائد الدين فهاج عليه الاريوسيون الذين كان يناصبهم ونفوه الى فريجية باسيا الصغرى وشهد مجمع سلوقية بايسورية سنـة ٣٥٩ يخاصم الاريوسيين ايضاً ثم عاد الى كرسيه وادركته الوفاة سنة ٣٦٧ وقد كتب في اللاتينية اثني عشر كتاباً في الثالوث الاقدس يفند فيها مزاعم الاريوسيين ومقالة مسهبة في المجامع وتفسيراً لبشارة متى ولرسائل بولس الرسول وللزبور وله ثلث مقالات كتبها الى الملك قسطنس وكتاب اشعار دينية وقد طبعت تآليفه مرات وذكره القديس ايرونيمس (في كتابه في المشاهير فصل ١٠٠) وذكر له كتباً اخرى ولقبه برون (اسم نهر) الفصاحة اللاتينية

القديس امبروسيوس اسقف مديولان

هو احد اقطاب الكنيسة اللاتينية ولد في تراف (بروسيا) سنة ٣٤٠ وكان ابوه احد الولاة الرومانيين في افرنسا وكان هو نفسه والياً في ليكوريا واميليا في

غربي ايطاليا وقد ولد وثنياً لكنه آمن بالمسيح وكان من مصاف المرتشدين لقبول المعمودية وانبأنا سقراط (ك ٤ فصل ٣٠) انه بعد وفاة اكستيوس اسقف مديولان (ميلان) حصل نزاع شديد بين اهل المدينة من اريوسيين وكاثوليكيين على اختيار خلف له واشتد الشغب بينهم في الكنيسة فاسرع امبروسيوس اليها فخمد نار الفتنة بهيبته وارشاده وسلب عقولهم بفصاحته واستمال قلوبهم بغيرته حتى اجمعوا على انتخابه اسقفاً عليهم وقضى الاساقفة الذين كانوا هنالك ان عناية الله انشأت هذا الاجماع على انتدابه فعمدوه فتقبل هذا السر مسروراً ولكنه ابى ان يكون كاهناً واسقفاً وحاول باساليب عديدة الفرار من هذا المقام واختبأ اخيراً واضطر الاساقفة ان يرفعوا الامر الى الملك والنتيان فاجابهم انه يرى ما رأوا ان يد الله في انتدابه واكثروا من الالحاح عليه حتى اذعن متيقناً بادلة عديدة ان هذه هي ارادة الله فرقي الى درجة الكهنوت ثم الاسقفية سنة ٣٧٤ فشرف الاسقفية بغيرته على الايمان القويم ومناصبته كل من يخالفه او يتقاعد عن اتمام فروضه وعقد مجمعاً في اكويلايا حرم به الاريوسيين وعزمت الملكة يوستينا (التي كانت تدافع عن الاريوسيين) ان تكرهه على تسليم كنيسة في مديولان اليهم وهددته بالقتل ان لم يذعن لما ترغب فقاومها بشجاعة واستمال اليه من ارسلتهم للقبض عليه وقد رأيت (في الكلام على توادوسيوس الملك) كيف اجبره على عمل التوبة المشهرة كفارة عن قتل اهل سالونيك بامره وقد ردّ القديس اغوسطينس الى الايمان وعمده فقد قال فيه اغوسطينس (ك ١ ضد يوليانس فصل ٣) «من اعده اباً لي لانه ولدني ليسوع المسيح بالانجيل ونلت من يده صبغة المولد الثاني اعني الطوباوي امبروسيوس من سبرت بنفسي جهاده وثباته واتعابه بخطبه واعماله واقتحامه المخاطر من اجل الايمان الكاثوليكي وكل هذا يشهد له به معي العالم الروماني بكماله» وقد ادركت الوفاة امبروسيوس سنة ٣٩٧ والكنيسة اللاتينية تعيد له في ٧

كانون الاول

وقد الف كثيرًا من الكتب اشهرها كتابان في الايمان اقترحهما عليه الملك غراسيان عند مضيه الى المشرق ليحج بتعليمه الاراطقة والمخالفين وثلثة كتب في البتولات جمع فيها خطبه في شانهن اقترحتها عليه اخته مرسلين البتول وكتاب في الارامل حمله على تأليفه زيجة ارملة كان يحرضها على التأيي لوفاة رجلها فتزوجت ولها بنات مزوجات ثم صنف مقالة في التبتل ردًا على من كان يخطئه باغرائه البنات بحفظ عفافهن ويمنع من نذرت العفة عن الزواج وزاد بعد ذلك على كتابيه في الايمان ثلثة كتب اخرى تكملة لرده كل مدعيات الاريوسيين وله كتاب في الاسرار يظن انه الفه عند تعميده القديس اغوسطينس وصديقه اليبيوس وابنه ٣٨٧ وقد وجد له الكردينال ماي شرحاً لقانون الايمان الفه لارشاد المتنصرين حديثاً ورسالة الى القديس ايرونيمس في الايمان كتبها اليه وهو في بيت لحم اذ يذكره فيها بما كان عنده في بيت لحم من آيات سر التجسد وتعزى اليه كتب اخرى عديدة اثبت نطاليس اسكندر (فصل ٦ جز ٢٧ في تاريخ القرن الرابع) ان بعضها ليست له حقيقة وبعضها يمترى في صحة نسبتها اليه

﴿ القديس ايرونيمس ﴾

هو اشهر آباء الكنيسة اللاتينية ولد في دلماسيا او في انغريه(المجر)من والدين غنيين سنة ٣٣١ وتتلمذ في رومة لدوناتس وسافر مرات الى افرنسا واسيا والاماكن المقدسة ورقاه بولينس بطريرك انطاكية الى درجة الكهنوت وعند عوده من المشرق الى رومة سنة ٣٨٢ اتخذه البابا داماسس معاوناً له في اعماله وعهد اليه ان يترجم الاسفار المقدسة وان يفسرها للشعب وبعد ان لحق البابا داماسس باسلافه آثر العزلة في دير بيت لحم فطرده الاراطقة منه وتوفي ربه بعيد ذلك سنة ٤٣٠ وعمره تسع وثمانون او تسعون سنة

واما تآليفه فليس اولى في تعدادها من انتحال كلامه في خاتمة كتابه في مشاهير المؤلفين قال ٠ انا ايرونيمس (صفرونيوس اوسابيوس ايرونيمس) بن اوسابيوس ولدت في قرية ستريدون المتأخمة دلماسيا وانغريه والتي دمرها الغطط وكتبت الى السنة الحاضرة وهي الرابعة عشرة لملك توادوسيوس الملك (توافق سنة ٣٩٢) ما يأتي ترجمة بولس الراهب وكتاباً مشتملاً على رسائل لكثيرين ورسالة تحريض لهيلودر (هي من جملة رسائله المذكورة وافردها بالذكر لانها بمنزلة مقالة فى مديح السيرة الرهبانية) ومحاورة بين تباع لوشيفورس الاراتيكي والكاثوليكيين وكرونيكون اي تاريخاً سنوياً (يريد به ترجمة كرونيكون اوسابيوس من اليونانية الى اللاتينية وبسطه الى سنة ٣٧٨) وترجمت من اليونانية الى اللاتينية ثماني وعشرين مقالة لاوريجانس فى تفسير نبوتي ارميا وحزقيال ٠ ورسالتين في الساروفيم واوشعنا (انفذهما الى البابا داماسس) ورسالة فى الابنين المقتصد والمبذر (الشاطر المذكورين في الانجيل) ورسالة (الى داماسس البابا) فى ثلثة مباحث فى الشريعة القديمة ومقالتين في نشيد الانشاد (قدمهما لداماسس) مترجمتين الى اللاتينية عن كتب اوريجانس ومقالة في ان العذراء استمرت عذراء رداً على اليديوس ورسالة الى اسطاكيوس فى لزوم حفظ العفة ٠ وكتاب رسائل الى مرشلا (حاوياً ست عشرة رسالة ورسالة تعزية الى باولا بفقد ابنتها) ٠ وثلثة كتب فى تفسير رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية ٠ وثلثة كتب فى تفسير رسالته الى اهل افسس ٠ وكتاباً فى تفسير رسالته الى طيطس ٠ وكتاباً فى تفسير رسالته الى فيلومن ٠ وتفسيرات فى سفر الجامعة ٠ وكتاباً فى المباحث العبرانية فى سفر التكوين ٠ وكتاباً فى الاماكن العبرانية وكتاباً فى الاسماء العبرانية وكتاباً فى الروح القدس ترجمته الى اللاتينية عن ديديمس وتسعاً وثلاثين خطبة فى بشارة لوقا وسبع مقالات فى الزبور من المزمور العاشر الى المزمور السادس عشر ٠ وترجمة ملخص الراهب الاسير

وترجمة ايلاريون الطوباوي وترجمة العهد الجديد عن اليونانية والعهد القديم عن العبرانية (وهذه هي الترجمة المعروفة باللاتينية بالعامية VOLGATA التي اثبتها المجمع التريدنتيني) واما رسائلي الى باولا واسطاكيس فلا اعلم عددها اذ تستجد لي كل يوم رسائل اليها . وقد دونت ايضاً كتابين في تفسير نبوة ميخا وكتاباً في تفسير نبوة صفنيا وكتاباً في تفسير نبوة نحوم وكتابين في تفسير نبوة حبقوق وكتاباً في تفسير نبوة حجاي . وانا مشتغل في كتابة تفسير نبوات غير هولاء من الانبياء ولم افرغ منها بعد وكتبت كتابين ردّاً على يوفنيانس وكتاب محاماة الى باماكيوس . وذكر في محل آخر كتابه في المؤلفين البيعيين معنوناً DE ViRiS iLLUSTRiBUS وهو الذي استشهدنا هنا به في محال عديدة وقد اعتدنا ان نعبر عنه بكتابه في المشاهير

وكان في هذا القرن غير من ذكرنا من الاساقفة والعلماء اكتفينا بان نذكر منهم هولاء المشاهير

الفصل الرابع

في المجامع التي عقدت في سورية الى القرن الرابع

عد ٥٨٦

في المجامع التي عقدت في انطاكية

المجمع الاول . زعم بعضهم ان الرسل عقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٥٧

وعزوا اليه تسعة قوانين قائلين انهم اخذوها عن كتاب قديم قيل فيه ان القديس بنفيل الشهيد عثر عليه في مكتبة اوريجانس على ان العلماء المحققين انكروا صيرورة هذا المجمع واقاموا على انكارهم حججاً راهنة منها انه لم يرد ذكر لهذا المجمع في كتاب اعمال الرسل ولا في كتب الآباء الاولين ولا في الاثار القديمة ومنها ان في القوانين التسعة التي عزوها الى هذا المجمع ما هو كاذب ومخالف للحقائق المجمع عليها وعليه فاول مجمع عقد في انطاكية انما كان سنة ٢٥٣ بامر البابا كرنيليوس لنبذ ضلال نوفاسيان في مجمع وقد ذكرناه في عد ٥٥٨

والمجمعان الثاني والثالث عقدا سنة ٢٦٤ او سنة ٢٦٥ في انطاكية لداعي كبت بولس السميساطي وقد مر ذكرهما في عد ٥٥٨ ايضاً

الرابع . واما في القرن الرابع فعقد في انطاكية مجمع نحو سنة ٣٣٢ دعا اليه بعض الاساقفة الاريوسيين ليعزلوا القديس اوسطاتيوس بطريرك هذه المدينة عن كرسيه وادخلوا فيه بغياً تتهم القديس بانه باضعها واستغنوا بيمينها عن بينة فعزلوه عن كرسيه وسعوا به لدى الملك فنفاه (طالع عد ٥٧٥)

الخامس . قد عقد مجمع اخر في انطاكية سنة ٣٣٩ تداعى اليه الاساقفة الاريوسيون لتأييد مذهبهم واقاموا فيه بستس الكاهن (الذي كان القديس اسكندر بطريرك الاسكندرية طرده من الكنيسة لانه آريوسي) بطريركاً على الاسكندرية بدلاً من القديس اثناسيوس فقاومهم الاساقفة الكاثوليكون ونبذوا بستس وحرموه فلم يتمكن من ان يلي البطريركية (روى ذلك القديس اثناسيوس في المدافعة عن نفسه وفي رسالته العامة الى الاساقفة)

السادس . تألب في انطاكية مجمع آخر سنة ٣٤١ دعا اليه الملك قسطنس ابن الملك قسطنطين الكبير لتدشين الكنيسة التي كان ابوه قد اخذ ببنائها وشهده تسعون او سبعة وتسعون اسقفاً اكثرهم كاثوليكون وقد اظهر فيه الاساقفة

الاريوسيون انهم بمعزل عن اريوس وضلاله وانشأوا دستورًا للايمان يحمل معنى المعتقد الكاثوليكي وان لم يصرحوا فيه بمساواة الابن للآب جوهرًا معتمدين خدعة الاساقفة الكاثوليكيين ليوافقوهم على عزل القديس اثناسيوس من الكرسي الاسكندري وبعد تهذيب ذلك الدستور وايجازه وقع عليه آباء المجمع بالاتفاق ووضعوا خمسة وعشرين قانونًا مثبتة في كتب القوانين وعزا بعضهم هذه القوانين الى مجمع انطاكية الذي التأم سنة ٣٣٢ والاظهر انها وضعت في هذا المجمع كما اثبت العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية) وبعد ان انصرف الاساقفة الكاثوليكون او اكثرهم وبقي في انطاكية الاساقفة الاريوسيون مع الملك قسطنس الذي كان يجنح اليهم اخذوا يتداولون في مسألة القديس اثناسيوس ولما كانوا شاكين وقضاة معًا اوردوا عليه التهم التي كانوا تجنوا بها عليه قبلًا وحرفوا قانونين من القوانين التي كانوا وضعوها حتى جعلوا معناهما انه اذا عزل اسقف في مجمع ولو ظلمًا فلا يسوغ له العود لكرسيه الا بامر مجمع آخر وخصوا ذلك بالقديس اثناسيوس وقضوا عليه بالحط عن كرسيه ونفيه وصمموا ان يقيموا بدلًا منه اوسابيوس الحمصي ولما تمنع من ذلك اختاروا غريغوريوس الكبادوكي كما مر (في الكلام على القديس اثناسيوس) وبعضهم يجعل اجتماع هولاء الاساقفة الاريوسيين مجمعًا مستقلًا عن الاول كان في سنة ٣٤١ او سنة ٣٤٢

السابع · عقد في انطاكية مجمع آخر على رواية منى تألب فيه الاساقفة الاريوسيون نادمين على انشائهم دستور الايمان الذي وضعوه قبلًا تملقًا للاساقفة الكاثوليكيين فانشأوا دستورًا حديثًا لم يدخلوه الا ما وافق غرضهم من كلمات الاسفار المقدسة ونفوا عن الابن كلمة مساوٍ للآب جوهرًا وحكموا على مرسل اسقف انكورة بالعزل عن كرسيه متهمين له باتباع بدعة سابيليوس لتعليمه ان الثلاثة الاقانيم في الله متساوون ذاتًا وجوهرًا كما روى سوزومانس (ك٣

فصل ١١)

الثامن . قد عقد سنة ٣٤٨ او سنة ٣٤٥ على رواية مذني مجمع آخر في انطاكية فان قسطنت الملك اراد تنفيذ الحكم الذي ابرمه مجمع سرديكا (صوفيا) فارسل الى اخيه قسطنس ملك المشرق فنسان اسقف كابوا واوفراتاس اسقف كولونيا وكان قسطنس في انطاكية وكان اسطفانس بطريرك انطاكية قد عزله مجمع سرديكا عن كرسيه فرشا اوناجر احد روساء الجند وادخل بغياً الى مخدع الاسقف اوفراتاس ليلاً واتهمه بالفحشاء ولدى فحص الملك عن الحقيقة ظهر من اقرار اوناجر والمرأة ان البطريرك هو المتسبب بهذه القطيعة (كما مر في عد ٥٧٥) فاجتمع الاساقفة في انطاكية فحرموا اسطفانس وعزلوه فهذا الاجتماع سماه مذني مجمعاً انطاكياً

التاسع اجتمع في سنة ٣٥٤ ثلاثون اسقفاً من الاريوسيين في انطاكية وحكموا على القديس اثناسيوس مرةً اخرى بالعزل

العاشر . عقد اودكسيوس الدخيل على بطريركية انطاكية مجمعاً فيها سنة ٣٥٨ وعلى رواية مذني سنة ٣٥٦ شهده الاساقفة الاريوسيون المشايعون له واعلنوا قبولهم لدستور الايمان الذي انشأوه في سيرميوس (مدينة في المجر دمرت في القرن السادس ولم يجدد بناؤها) وكان من هولاء الاساقفة اكاشيوس اسقف قيصرية واودانيوس اسقف صور

الحادي عشر . استدعا الملك قسطنس سنة ٣٦١ بعد عوده من حرب الفرس الى انطاكية الاساقفة لعقد مجمع فيها تأييدًا لمذهب الاريوسيين فلما تألب الاساقفة وكان كرسي انطاكية فرغاً من بطريرك سألوه ان يرخص لهم بان يهتموا باقامة بطريرك لهذا الكرسي قبل الدخول في مباحث الدين وكان الانقسام الديني في هذه المدينة امسى داءً مزمناً وكان الفريق الكاثوليكي ينتخب بطريركاً والفريق

الاريوسي يقيم غيره فاجمع الفريقان هذه المرة على انتخاب ملاتيوس فالاريوسيون كانوا يظنونه مشايعاً لهم والكاثوليكون كانوا يوقنون انه صحيح الايمان غيور على حفظه (طالع ما قلناه في هذا البطريرك في عد ٥٧٣) وجاهر بمعتقده في اول خطبة القاها بحضرة الملك فامتعض الاريوسيون منه وشكوه امامه بانه مغوي بغواية سابيليوس منكر لسر الثالوث الاقدس وكان قسطنس سريع التقلب عجولاً فلم يمض ثلاثون يوماً على انتدابه الا وطرده من انطاكية واقام الاريوسيون مكانه اوزويوس تلميذ آريوس وقرينه في حرمه فتسعرت نار الخصام وانقضى هذا المجمع ولا وفاق بين الاساقفة على ان الاساقفة الاريوسيين عادوا الى الاجتماع ثانية في هذه المدينة في اواخر سنة ٣٦١ نفسها وفي مقدمتهم اوزويوس البطريرك الحديث فغيروا دستور الايمان وحذفوا منه ايضاً كلمة مشابه للآب موصوفاً بها الابن وكانوا قد اصطلحوا عليها في دستور سابق وجاهروا في هذا المجمع بتشبثهم بتعليم آريوس حتى زعموا ان الابن خلقه الله من العدم ولذا سماهم الكاثوليكيون عدميين

الثاني عشر . اجتمع في انطاكية سنة ٣٦٢ تسعة اساقفة من تباع مكدونيوس الذي انكر ان الروح القدس اله وكان اوزويوس البطريرك الانطاكي من المشايعين لهم فنبذوا الرسائل التي انفذها اساقفة المغرب الى اساقفة المشرق

الثالث عشر . اجتمع في انطاكية سنة ٣٦٣ سبعة وعشرون اسقفاً كان منهم ملاتيوس البطريرك الانطاكي بعد عوده من منفاه والقديس اوسابيوس السميساطي والقديس بيلاجيوس اسقف اللاذقية (بسورية) واناطول اسقف حلب وطيطس اسقف بصرى في حوران وايرانيوس اسقف غزة وكان الاساقفة المكدونيون قد رفعوا عريضة الى الملك يوفيان ليستميلوه اليهم فاجابهم انه يمقت الخصام اشد المقت ويود من يبذلون وسعهم في طريق الاتحاد والوفاق وانه يؤثر الاعتقاد

بمساواة الابن للآب جوهرًا على كل معتقد غيره وكان اكاشيوس اسقف قيصرية فلسطين ينقلب في ايمانه كما تنقلب ارادة الملوك فلما اطلع على جواب الملك يوفيان شافه ملاتيوس وتابعه على الاقرار بمساواة الابن للآب وقد بقي لنا من هذا المجمع نسخة من العريضة التي رفعها الاساقفة الى الملك يوفيان اثبتها بحروفها كثيرون ممن كتبوا تاريخ المجامع اقروا فيها بان دستور الايمان يلزم ان يكون ما سنه المجمع النيقوي واولوا كلمة مساوٍ للآب جوهرًا بمعنى لا يبعد عن ان يكون كاثوليكيًا ويظن ان اكاشيوس القيصري وغيره ممن تصدق عليهم ظنة الخلاف لم يوقعوا على هذه العريضة الا ارضاءً للملك ورغبة في الازدلاف اليه

الرابع عشر . وفي سنة ٣٧٩ في شهر تشرين الاول اجتمع في انطاكية الاساقفة الكاثوليكيون الذي كانوا قد عادوا بامر الملك غراسيان من المنفى الى كراسيهم كما روى القديس غريغوريوس في رسالته الى اولمبيوس الراهب وكان هذا القديس في مجمعهم الذي شهده مئة وستة واربعون اسقفًا وكان جل غرضهم ايقاع السلم في الكنيسة ولمّ شعث اساقفتها في المشرق وعلى ما كان عليه هذا المجمع من الرونق والانتظام لم يبقَ لنا من آثاره الا العلم بان الاساقفة الذين اجتمعوا فيه صادقوا على الرسالة المجمعية التي انفذها اليهم البابا داماسس والاساقفة الغربيون من مجمعهم المنعقد في رومة سنة ٣٧٨ حاوية الاعتقاد بسر الثالوث الاقدس والاقرار بلاهوت الابن والروح القدس ونبذ ضلال ابولينار الذي غوى بان المخلص اتى بجسده من السماء

الخامس عشر . وفي سنة ٣٨٣ وفي رواية سنة ٣٩٠ عقد افلابيانس بطريرك انطاكية مجمعًا شهده بعض الاساقفة وثلاثون كاهنًا وشماسًا حرم فيه بدعة المصلين وقد قسم القديس ابيفان المصلين الى قدماء وحديثين فالقدماء كانوا وثنيين يعتقدون وجود الهة كثيرين ويعبدون واحدًا منهم يسمونه القدير على كل شيء واما

الحديثون فكانوا مسيحيين نشأوا في القرن الرابع وكانوا يتألبون فرقاً فرقاً من رجال ونساء يطوفون الازقة والحقول مترنمين بصلوات ويعتقدون ان كل انسان يرافقه شيطان منذ مولده ويحمله كل وقت على الشر ولا تنجيه المعمودية منه بل يطرد عنه بالصلوة ولذلك يلزم الانسان ان يعكف كل حينٍ على الصلاة الى غير ذلك من الترهات ويضاف الى هذه المجامع مجمع عقده بعض اساقفة بطريركية انطاكية فيها سنة ٣٨٨ او سنة ٣٨٩ بداعي قتل الوثنيين القديس مرسل اسقف اباميا عند صدور امر الملك توادوسيوس بنقض هياكل الاصنام وتدمير مرسل هيكل اباميا وغيره من هياكل الاوثان وقد كان بنوه ارادوا ان يثأروا بدمه منهم فآباء هذا المجمع نهوا في مجمعهم المؤمنين عن الانتقام من الوثنيين انتهى ملخصاً عن معجم المجامع لبلتيا في طبعة الاب مين

عد ٥٨٧

في المجامع التي كانت في اورشليم

ان اول مجمع عقد في هذه المدينة انما هو المجمع الذي عقده الرسل سنة ٥١ ورأسه القديس بطرس زعيمهم وقد استوفينا الكلام فيه عند كلامنا في الرسل وقد حسب بعضهم اجتماع الرسل سنة ٣٣ لانتخاب خلف ليهوذا الاسخريوطي مجمعاً اولاً اورشليمياً واجتماعهم لانتخابهم الشمامسة السبعة مجمعاً ثانياً واجتماعهم الذي نوهنا به مجمعاً ثالثاً والمجمع الرابع هو المعروف بالمجمع الفلسطيني الذي عقد سنة ١٩٦ او سنة ١٩٧ في قيصرية فلسطين على الاظهر ولكن نسبه بعض كاتبي تواريخ المجامع الى اورشليم وحكم الاساقفة الذين اجتمعوا فيه بلزوم متابعة الحبر الروماني على تعييد عيد القيامة في يوم الاحد الواقع بعد الرابعة عشرة من بدر نيسان

والمجمع الخامس عقد في ١٣ من ايلول سنة ٣٣٥ فان الملك قسطنطين استدعى

الاساقفة من كل صقع لتكريس كنيسة القبر المقدس التي انشأها في اورشليم فاتى الى هذا المجمع الاساقفة الاريوسيون الذين كانوا قد عزلوا القديس اثناسيوس في مجمع صور ولما رأوا كثيرين من الاساقفة على شاكلتهم انتهزوا هذه الفرصة واجتمعوا بعد تكريس الكنيسة وقضوا بقبول آريوس في شركة الكنيسة وكان اريوس اعيد من منفاه ولكنه ما برح موثوقاً بالحرم الذي اوثقه به بطريرك الاسكندرية وازله به مجمع نيقية وانفذ هولاء الاساقفة رسالة مجمعية الى كنيسة الاسكندرية وسائر الكنائس يثبون حكمهم وينبئون اهل الاسكندرية بعزل القديس اثناسيوس عن كرسيه وقضوا ايضاً في هذا المجمع بالعزل على مرسل اسقف انكورة لانه قاومهم في عزل اثناسيوس ولم يشأ قبول آريوس في شركة المؤمنين ثم استدعى الملك قسطنطين هولاء الاساقفة الى القسطنطينية ليبرأوا ساحتهم مما اجروه على القديس اثناسيوس فلم يُلبِّ الدعوة الا خمسة منهم كما مرّ

والمجمع السادس عقد في اورشليم سنة ٣٤٩ او سنة ٣٥٠ على رواية نطاليس اسكندر او سنة ٣٤٦ على رواية منسي والباعث على عقده ان الملك قسطنس كان قد رخص للقديس اثناسيوس بالعود الى كرسيه ومرّ باورشليم وسأل مكسيمس بطريركها ان يعقد مجمعاً اقليمياً فاجتمع ثمه ستة عشر اسقفاً من فلسطين وسورية قضوا ببراءة القديس اثناسيوس وقبلوه في شركتهم وكتبوا الى شعب الاسكندرية واساقفة سورية ومصر يثبون اليهم حكمهم للقديس اثناسيوس وقد حفظ جواب المصريين على هذه الرسالة وهو مفعم بالعبارات الدالة على ابتهاجهم وسرورهم والشكر لله على هذه هذه المنة وقد وقع عليه ستة عشر اسقفاً

والمجمع السابع عقد سنة ٣٥٠ وكان الغرض منه على ما روى لاباي عزل الاريوسيين القديس مكسيمس واقامتهم القديس كيراس مكانه لظنهم ان القديس

كيرلس مشايع لهم · على ان المعلوم عند عامتهم ان القديس مكسيمس توفي سنة ٣٥٠ وخلفه القديس كيرلس وقال بعضهم ان مكسيمس عزله الاريوسيون وخلفه القديس كيرلس بانتخاب جرى بحسب دستور الكنيسة واقام الاريوسيون اساقفة منهم (طالع ما ذكرناه في عد ٥٧٦) فيظهر ان هذا المجمع كان لتلافي هذه الشؤن

والمجمع الثامن عقد في اورشليم سنة ٣٩٩ دعا اليه يوحنا الثاني بطريرك هذه المدينة الذي كان يدافع عن اوريجانس وكانت مناقشات بينه وبين القديسين ايفان وايرونيمس في شأن اوريجانس وترى في كتب القديس ايرونيمس رسالة يوحنا هذا اليه ويظهر منها ان هذا المجمع اثبت رسالة توافيلس البطريرك الاسكندري التي كتبها في المجمع الذي عقده في السنة المذكورة في اسكندرية في شأن اوريجانس

عد ٥٨٨

(في باقي المجامع التي عقدت في سورية)

عقد في قيصرية فلسطين مجمع سنة ٣٣٤ امر بالتئامه قسطنطين الملك للبحث عن صحة الشكاوى الموردة على القديس اثناسيوس فابى هذا القديس ان يحضر اليه لتشيع اوسابيوس القيصري لخصمائه ولان اكثر الاساقفة الذين اتوا اليه كانوا من الاريوسيين فلم يتم عقده بل امر الملك ان يجتمع الاساقفة في صور فاجتمعوا فيها سنة ٣٣٥ في شهر آب وكانوا من سورية واسيا ومكدونية ومن مصر وليبيا حتى كان عديدهم ستين اسقفاً عدا اساقفة مصر وتمنع القديس اثناسيوس ان يأتي اليه اولاً لانه رأى السواد الاعظم من المجتمعين اريوسيين او ممن يمالئونهم وخاف ان يغيروا شيئاً مما قضى به المجمع النيقوي وكان في مقدمة هولاء اوسابيوس اسقف قيصرية واوسابيوس اسقف نكومدية وفلاشيل البطريرك الانطاكي فارسل الملك يهدد القديس اثناسيوس ان لم يأتِ الى المجمع فاتى ومعه تسعة واربعون

اسقفاً من مصر وليبيا حتى صار عدد الاساقفة مئة وتسعة اساقفة وكان اكثرهم اريوسيين وكان في مقدمة الاساقفة الكاثوليكيين عدا القديس اثناسيوس مكسيمس البطريرك الاورشليمي ومرسل اسقف انكورا واكلياس اسقف غزه فاورد الاساقفة الاريوسيون على القديس اثناسيوس كثيرًا من التهم اهمها ما ذكرناه في ترجمته فافتضح كذبها وارسلوا ستة اساقفة ممن قبحت سيرتهم وساءت سريرتهم ليفحصوا في الاسكندرية ومصر عن غيرها من الوشايات ورأى مفوض الملك ان حياة القديس اثناسيوس يحف بها الخطر من قبل مكائد خصمائه فارسله ليلاً الى الاسكندرية في سفينة سار بها القديس توًّا الى القسطنطينية ليرفع امره الى الملك وعاد من مصر الاساقفة الفاحصون وعلى ما حوى ما لفقوه عليه من الوهانة والزيف قضى الاساقفة الاريوسيون عليه بالحط عن مقامه وبحظره عن البقاء في الاسكندرية تفادياً من الشغب والقلق في الشعب وكتبوا الى الملك ان يأمر بنفيه وانفذوا رسائل الى جميع الاساقفة ان لا يقبله احدهم في شركته وابى الاساقفة الكاثوليكيون التوقيع على الحكم وهذه الرسائل لكنهم كانوا اقل عددًا ثم امر الملك ان يحضر اليه جميع الاساقفة الذين قضوا على القديس اثناسيوس فلم يلبِّ دعوته الا خمسة منهم ومع ذلك نفاه الملك تحوطاً (طالع ترجمته)



الفصل الخامس

في اشهر الكنائس التي انشئت في سورية في هذا القرن

عد ٥٨٩

(في كنيسة القيامة فى اورشليم)

انبأنا اوسابيوس (ك ٣ فصل ٢٥ وما يليه) وسقراط في الكتاب الاول من تاريخه (فصل ١٧) وسوزوماوس في الكتاب الثاني من تاريخهِ (فصل ١) وتوادوريطس في الكتاب الاول من تاريخهِ (فصل ١٧) وكان اوسابيوس معاصرًا لقسطنطين ومن ندمائهِ وسقراط وتوادوريطس ولدا في اواخر القرن الرابع وسوزومانوس في بدء القرن الخامس فكان هولاء الثلاثة في عهد قريب مما رووه وثقاة يتيسر لهم اخذ الخبر عن المعاصرين وقد اتفقت رواياتهم معنى وقلما اختلفت لفظًا وهاك ملخص ما انبأونا به • ان هيلانة والدة الملك قسطنطين شخصت الى اورشليم رغبة في التعبد وقد ناهزت الثمانين من عمرها وكانت اورشليم خربة بحسب نبوات الانبياء وكان الوثنيون قد اقاموا في الجلجلة هيكلاً للمشترى وتمثالاً للزهرة ليمتنع المسيحيون من اداء فروض تعبدهم هناك خشية ان يظن انهم يكرمون الزهرة بسجودهم فلما بلغت الملكة المدينة المقدسة انقت محل الجلجلة بنقضها ارجاس الوثنيين واخذت تنقب ثمَّ آملة ان تعثر على الخشبة التي علق المخلص عليها فحالت دون مرامها مصاعب ولكن ما شاءه الله كان مفعولاً فقد اداها جدها وصلوات القديس مكاريوس بطريرك اورشليم حينئذٍ الى الاهتداء الى مغارة وجدت بها ثلثة صلبان صليب المخلص وصليبي اللصين اللذين صلبا على

يمينه ويساره وبقي اللبس في ايها هو صليب المخلص فاخذ مكاريوس يضرع الى الله ليزيل اللبس ويبين بآية ايها هو صليب المسيح وكانت هناك امرأة شريفة مريضة مرضاً عضالاً يئس الاطباء من برئها منه وكانت حينئذٍ محتضرة فوضع مكاريوس الصليب الاول والثاني على رأسها فلم يظهر دليل على ابلالها من دائها ولما وضع الصليب الثالث انتعشت وفتحت عينيها وعاودتها العافية في محضر البطريرك والملكة وجمهور من الناس فمجد جميعهم الله مدهوشين شاكرين ووجدت الملكة هناك الدف الذي علقه بيلاطس في اعلى صليب المخلص مكتوباً عليه باللاتينية واليونانية والعبرانية يسوع الناصري ملك اليهود والمسامير التي سمرت فيها يداه ورجلاه ووضعت جزأً من الصليب في صوانٍ من فضة تركته في اورشليم ليكرمه الزائرون وارسلت الجزء الاخر الى ابنها قسطنطين فوضعه في تمثاله الذي الذي اقامه على عمود من رخام في الشارع المسمى شارع قسطنطين قال سقراط الذي كان عائشاً في القسطنطينية ان اكثر سكان هذه المدينة يؤكدون صحة هذا الخبر وصاغ قسطنطين من احد المسامير حكمة لجواده كان يستعملها ابّان الحرب

وقد كتب حينئذٍ الملك قسطنطين الى القديس مكاريوس بطريرك اورشليم رسالة اثبتها بحروفها توادوريطس في تاريخه (ك ١ فصل ١٦) نلخصها هنا قال « اشكر الله على الآيات التي صنعها باهدائهِ الى صليبه الذي كان مخفياً تحت التراب منذ سنين متطاولة وقد انعم لعبيده باهلاك العدو لجميعهم وخولهم الحرية في مباشرة فروض دينهم فتلك نعمة لو اجتمع حكماء المعمور باسره في محل واحد واجهدوا قرائحم زماناً طويلاً لما وفوا جزأً من حق اداء الشكر عليها فانها تفوق مدارك البشر فوق الامور السموية للامور البشرية ولذلك طالما نكرت في انه كما ان الله يؤيد الايمان الصحيح بآيات متواترة فكذلك يلزمنا ان نجد في رعاية

سنّته المقدسة والعمل بفروضه باتفاق وبهجة واراني ملتزماً ان ابذل قصارى عنايتي في اجلال المحل المقدس الذي جرى منه ينبوع خلاصنا وقد كان بسماح الله علته اقذار الوثنية وعليه فيجدر بحكمتكم ان تبذل كل ما في الوسع لاعداد كل ما يكون لازماً لانشاء كنيسة ملكية تفوق بجمالها واتقانها وزخرفها على كل ما بني من المعابد في المعمور الى اليوم وتكون ابدع كنيسة تبنى في المدن ومأمولنا من قداستكم ان تبين لنا بعد محادثة من كانوا اهلاً لهذه الامور كيف يلزم ان تكون الجدران والاعمدة وما هو الرخام اللازم ومن اين يُستأتي اجوده وعلى اية هيئة تبنى الكنيسة وكم يلزم من الذهب لزخرفها فان هذا المعبد يقتضي ان لا يكون في العالم ابدع منه فاسرع بتعريفنا كل ما ذكر وادامك الله سالماً ايها الاخ الاعز »

وقد عهد قسطنطين بالنظارة على العمل الى دريشليانس الوالي وبادارة العملة الى كاهن من القسطنطينية اسمه اوستاط وبُدئ في البناء سنة ٣٢٦ ونجز في سنة ٣٣٥ وقد خلف لنا اوسابيوس (في ك ٣ في ترجمة قسطنطين فصل ٣٤ وما يليه) بيان هيئة هذه الكنيسة وملخصه انه كان امامها رواق قائم على اعمدة وتليه عرصة فسيحة والكنيسة ذات خمس حنايا ومدخلها من جهة المشرق لاقتضاء المحل ذلك وفي وسطها قبة مستديرة مخيمة على قبر المخلص وتحت الحنية الجنوبية الجلجلة حيث ركز الصليب وتحت العرصة معبد تحت الارض في محل المغارة حيث وجدت خشبة الصليب وكل ذلك متقن بغريب الصناعة مزدان بأثمن المعادن وبافخر الرخام واندره والتبر في وسط الكنيسة محلى بأثمن الحلى وانبأنا القديس كيرلس بطريرك اورشليم (تعليم ١٤) الذي كان في ذلك القرن ان القبر كان منقوراً في صخر وعلى مدخله رواق اقتضى تزيين المحل نقضه كما اقتضى بناء المعبد على الجلجلة تمهيد الصخر المبني المعبد عليه وقد كرست هذه الكنيسة الملكية سنة ٣٣٥ واستدعى قسطنطين لتكريسها الاساقفة من كل صوب فشهد هذه الحفلات جم غفير منهم

والوف من الكهنة وربوات من الناس ويجدر بنا ان نستقري تاريخ هذه الكنيسة الى اليوم ان هذه الدرة اليتيمة في عقد جيد النصرانية سحقها ومحقتها يد حدثان الزمان سنة ٦١٥ فان كسرى الثاني ملك الفرس حمل على اورشليم بجحفل جرار تلك السنة فافتحها وانتهبها واحرقها ودمر الكنيسة واخذ ماكان فيها من خشبة الصليب على ان كسرى اغتاله ابنه بعد عوده من اورشليم واستظهر هرقل ملك قسطنطينية على ابن كسرى وارغمه ان يرد عليه تلك الذخيرة بل الكنز الروحي الثمين فاعاده باحتفاء عظيم الى اورشليم في الرابع عشر من ايلول سنة ٦٢٩ واقامه في الكنيسة التي كان مودست مؤسس الدير المعروف بدير توادوسيوس قد جدد بناءها وصير مودست بعدًا بطريركاً على اورشليم على ان هذا الراهب لم يكن له غنى قسطنطين ولا وسائله لاغناء الكنيسة وتحليتها فلم يستطع ان يردها الى رونقها وعظمتها السالفة بل اقتصر على ان يبني هناك اربع كنائس صغيرة احداها في جانب الاخرى يجمعها سور وبينها عرصة مبلطة بالرخام واولاها كنيسة القيامة وفيها القبر المقدس والثانية كنيسة الجلجلة مبنية على محل الصلب والثالثة كنيسة خشبة الصليب اي حيث وجدت هذه الخشبة الكريمة وكان يسميها الحجاج غالباً مرتيريون اي الشهادة على آلام المخلص وموته والرابعة كنيسة العذراء لم يعين محلها بتوكيد ولكن قال دي فكواي انها كانت مبنية على الصخرة التي دُهن عليها جسد المخلص بالطيب ولم تكن جحافل كسرى محقت اسس كنيسة قسطنطين بل بقي منها ما استعان به مودست على تجديد بنائها

وفي سنة ٦٣٧ دخل عمر ابن الخطاب المدينة المقدسة فكان اسمح واكرم خلقاً من ملك الفرس فترك النصارى وما يدينون ولم يتعرض بسوء لهم او لكنائسهم او مالهم بل بنى على اطلال هيكل سليمان الجامع المنسوب اليه المعروف بالجامع الاقصى وفي نحو سنة ٨٠٠ ارسل كيرلس الكبير ملك افرنسة كثيرًا من الصدقات

الى اورشليم واجزل النفقات على اصلاح الكنائس وانشاء نزل لمن يحج الى الاماكن المقدسة من اللاتين فارسل اليه هرون الرشيد مفاتيح القبر المقدس عربوناً لمحالفته له على ان الكنائس الاربع التي بناها مودست قد دمرت سنة ١٠١٠ بامر الحاكم بامر الله احد الخلفاء العباسيين في مصر ولكن في نحو سنة ١٠٤٧ استئنف بناؤها بامر الملك قسطنطين التاسع الملقب بمونوماك ولما استحوذ النصارى الغربيون في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ على اورشليم لم يتيسر لهم في بادىء بدء فتحهم لمضايقتهم بالحروب ان يهتموا بالكنائس ولما استتب لهم الامر في القرن الثاني عشر جددوا بناء الكنائس وجمعوا ثلثا من الكنائس (خلا كنيسة العذراء) الى كنيسة واحدة وقلما غيروا شيئاً في كنيسة وجدان خشبة الصليب فان موقعها تحت الارض انجاها من الدمار الذي عرا غيرها في القرون السالفة حتى يظهر ان اعمدتها البيزنطية بقيت في عصر مودست فكانت كنيسة القرن الثاني عشر مؤلفة من كنيسة مستديرة مخيمة على القبر المقدس ومن ثلثة معابد صغيرة في جوانبها (على ما روى غوليلمس الصوري في تاريخه ك ٨ فصل ٣)

ولما استحوذ الملك صلاح الدين الايوبي على اورشليم سنة ١١٨٧ اشار عليه بعض حاشيته على ما روى عماد الدين ان يدمر هذه الكنيسة ويجعلها قاعاً صفصفاً كي لا تبقى وسيلة للنصارى ليحجوا اليها وخالفهم غيرهم من رجال مشورته مذكرين له بما عمله عمر ابن الخطاب وقائلين ان النصارى لا ينفكون عن زيارة الجلجلة وقبر المسيح ولو لحقت الارض بالسماء فعفا الملك عن كنيسة القبر المقدس وكان يخدم في هذه الكنيسة اولاً كهنة لاتينيون ثم كهنة سوريون الى ان وهبها البابا غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٠ للرهبان الفرنسيسين. ثم اثبت البابا اكليمنضس السادس سنة ١٣٤٢ حق التولي على هذه الكنيسة للرهبان الفرنسيسين وفي أواخر القرن الخامس عشر نال فيلبس دوك بركونيا الرخصة من ملك مصر باصلاح شيء

في هذه الكنيسة وفي ١٥٥٥ جدد الاب بونيفاس اراكوزي حافظ دير جبل صهيون القبر المقدس بتقادم بعض الملوك الكاثوليكيين . وفي اوائل القرن السابع عشر صنعت بعض اصلاحات في الكنيسة نفسها. وفي سنة ١٧١٩ اصلح اللاتينيون القبة الكبرى وبعض المعابد برخصة سنية استحصلها لهم المركي بوناس سفير افرنسة في قسطنطينية . وفي سنة ١٨٠٨ في ليلة الثاني عشر من تشرين الاول استعرت بغتة نار في معبد الارمن وانتشرت متلظية في ما جاورها فالتهمت القبة واسقطتها وتحطمت الاعمدة القائمة عليها واضرت بغيرها من المعابد فجددت القبة بعد ذلك تجديدًا لم يكن محكماً لانها سنة ١٨٦٢ تداعت للسقوط وفي سنة ١٨٦٣ اخذ في تجديد بنائها على نفقة الدولة العلية وافرنسة وروسية وكان الفراغ من تجديدها سنة ١٨٦٨ انتهى ملخصاً من الكتاب الموسوم بالارض المقدسة للعالم فيكتور كاران

عد ٥٩٠

في كنيسة صعود المخلص في جبل الزيتون

قد روى المؤرخون سقراط وسوزومانوس وتاودوريطس الذين ذكرنا اقوالهم في العدد السالف ان القديسة هيلانة الملكة لم تهتم ببناء كنيسة القبر المقدس بل انشأت بامر ابنها الملك قسطنطين كنيسة اخرى في محل صعود المخلص الى السماء وكنيسة ثالثة في بيت لحم على مغارة المولد وقال اوسابيوس القيصري (في كتابه في تقريظ قسطنطين فصل ٩) . ان الملك اختار ثلاثة اماكن شرفت بثلاثة اسرار وجملها بانشائه فيها ثلث كنائس فسيحة بديعة فالاولى انشأها تكرمة لاول ظهور المخلص في العالم على مغارة المولد في بيت لحم والثانية تجلة لاخر ظهوره في العالم عند صعوده الى السماء على قمة جبل الزيتون والثالثة ذكرًا لجهاده وانتصاره في تخليص العالم بين الكنيستين على الجلجلة والقبر . وقد ذكر الزائر الذي من

بردو (بافرنسة) كنيسة الصعود في رحلته الى الاماكن المقدسة سنة ٣٣٣ فقال « وتصعد من هناك الى جبل الزيتون حيث علم المخلص تلاميذه قبل آلامه فهناك اقيم بامر الملك قسطنطين كنيسة بديعة في جمالها » ولم يصف لنا غير اوسابيوس وزائر بردو هذه الكنيسة وهما اقتصرا من وصفها على قولهما انها فسيحة وبديعة على ان القديس ايرونيمس (في كتابه في اسماء الاماكن العبرانية في كلمة جبل الزيتون) انبأنا بان هذه الكنيسة كانت مستديرة وان اثر قدمي المخلص لدى صعوده الى السماء استمر ظاهرًا الى ايامه وهاك قوله « جبل الزيتون في شرقي اورشليم وبينهما وادي قدرون وهناك يدل على آخر اثر طبع على الارض لقدمي المخلص وعلى تقاطر المؤمنين كل يوم الى هناك قد استمر ذلك الاثر المبارك على حاله القديمة وقد بنيت هناك كنيسة جميلة مستديرة لكن آثار المخلص في قمة الاكمة بقيت مكشوفة »

ان كنيسة قسطنطين هذه قد دمرها كسرى ملك الفرس سنة ٦١٤ وجدد بناؤها الراهب مودست الذي جدد كنيسة القيامة كما مر وقد وصف لنا هذه الكنيسة بعد تجديدها جوّالة اسمه اركولف طاف في فلسطين سنة ٦٧٠ ووضع كتابًا في رحلته اعتمد عليه الكونت دي فكواي في كتابه في كنائس الارض المقدسة فرسم هيئة هذه الكنيسة مفصلة على انها نقضت بامر الحاكم بامر الله في مبادي القرن الحادي عشر ثم جددها النصارى الغربيون في القرن الثاني عشر وجعلوها ذات ثماني زوايا كما يظهر من اسس اعضادها الباقية الى الان وكان فيها رواق من داخل قائم على اعمدة تعلوها قبة مدورة . ثم خربت هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر وقد افضل علينا المسلمون بابقائهم الصخر الذي عليه اثر قدمي المخلص بل باحاطته بجدار وجعله معبدًا ولم يبق الان الا اثر قدم واحدة وهي اليسرى واما اليمنى فاما انها حطمت او نقلت الى محل آخر

عد ٥٩١

(في كنيسة مغارة المولد في بيت لحم)

ان هذه الكنيسة ايضاً قد بنيت بامر الملك قسطنطين كما مرَّ في سنة ٣٢٧ الى سنة ٣٣٣ وهي ذات خمسة حنايا ايضاً يفصل احداها عن الاخرى صف من الاعمدة وعلى جدارها صور من القسيفساء بقي بعضها الى الان وفي اسفلها المغارة التي ولد المخلص فيها وفي جوانبها مغاور اخرى تعزى الى قديسين وقديسات نسكوا فيها ومنها مغارة القديس ايرونيمس . ان بين العلماء خلافاً على ما اذا كان البناء القديم نقض واستحدث في مكانه بناء اخر فقال كثيرون من اهل العلم بفن البناء ان الحنايا الموجودة الان من بقايا الكنيسة القديمة وان الخورس كان غير كافٍ فنقض في ايام الملك يوستينيانس الذي ملك من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ واقيم مكانه الخورس الحالي وقال آخرون ان الكنيسة القديمة لم يبقَ لها اثر والكنيسة القائمة الان احدثها الملك يوستينيانس الا السقف الذي جُدد مرات والا بعض الجدران الخارجة التي رُمّت مرات ايضاً والا القسيفساء الباقي بعضها فانها لا تتجاوز عصر الافرنج على ان الكنت دي فكواي خالف (في كتابه في كنائس الارض المقدسة صفحة ٥٤) القول الاول مبيناً ان تناسب اجزاء الكنيسة وموافقة بعضها لبعض دليل ينفي القول بانها بنيت في وقتين مختلفين وان وجود المغارة التي من اجلها بنيت الكنيسة في وسط هذه الكنيسة دون خلل يثبت ان الخورس الاول لا يختلف عن الخورس القائم الان وخطأ دي فكواي اصحاب القول الثاني لوجدانه بناء كنيسة بيت لحم لا ينطبق على هيئة الابنية التي انشأها يوستينيانس في اماكن اخرى واختتم كلامه منتجاً ان هذا البناء من ايام قسطنطين الا بعض المرمات فيه والزيادات عليه وقال العالم كاران (في كتابه الموسوم بالارض المقدسة صفحة ١٦٦) بعد ايراده الاقوال المذكورة ، واما انا فاجنح الى متابعة الاب

ميشون على قوله ان الكنيسة الاولى لم يكن فيها الا حنية او قبة واحدة في جهة الشرق واما الحنيتان الاثنتان في فسحة الكنيسة فزيدتا عليها في ايام يوستنيانس • انتهى ملخصاً عن الكتاب الموسوم بالارض المقدسة لكاران

عد ٥٩٢

(في كنيسة صور القديمة)

قد انبأنا اوسابيوس القيصري ان القديس بولينس اسقف صور الذي رقي بعدًا الى كرسي بطريركية انطاكية انشأ في صور كنيسة فسيحة بديعة تفوق في عظمتها جميع الكنائس التي في فونيقي وكان اوسابيوس في جملة الاساقفة الذين شهدوا تكريسها والقى حيثئذٍ خطبة بليغة غرّاء اثبتها في الكتاب العاشر من تاريخه (فصل ٤) وصف فيها ما كانت عليه هذه الكنيسة من العظمة والاتقان والزخارف واطنب في وصف اعمدتها الرخامية وفساحة عرصاتها وكثرة اروقتها ومتانة جدرانها وجمال داخلها ونفاسة مذابحها وثمين اثاثها وكان يستلفت ابصار الحضور للاندهاش بكل ما فيها وقد شبهها بهيكل سليمان بل خصها بقول النبي ، ان مجد هذا البيت يكون اعظم من مجد البيت الاول ، وعرض بذكر اخشاب الارز التي كانت فيها • وقال كاران (في كتابه في الارض المقدسة في كلامه على صور) ان موقع هذه الكنيسة كان قريباً من الزاوية الجنوبية الشرقية من السور القائم الان ورؤية اطلال هذه الكنيسة القديمة تحمل كل ناظر على العجب ويظهر ان بولينس بنى هذه الكنيسة على انقاض كنيسة كانت قبلها فدمرت بامر الملك ديوكلتيان سنة ٣٠٣ ولما انبسط الامن والسلم في ايام قسطنطين الكبير اسرع بولينس الى انشاء هذه الكنيسة البديعة وفي القرن الحادي عشر كان اهل صور يدلون على مدفن اوريجانس فيها ويقال ان الملك فريدريك برباروسا (ذا اللحية الحمراء) دفن فيها سنة ١١٩٠ وقد نقب الدكتور ساب الالماني سنة ١٨٧٤ بامر

حكومته في اطلال هذه الكنيسة طامعاً ان يكشف عن شيء من رفات هذا الملك واشترى ارض الاخربة التي هناك من المتاولة واخذ يحتفر فيها فكشف عن مدافن عديدة ولكنه وجدها كلها مكسرة من ذي قبل ولم يعثر على خط او علامة اخرى دالة على مدفن الملك فريدريك او على مدفن اوريجانس بل وجد قطعاً كبيرة من الحجر منحوتة دالة على اسس الكنيسة القديمة وفي جانبها قطعاً اصغر منها موذنة بتجديد البناء في ايام النصارى الغربيين واعمدة ضخمة من صخرة واحدة من الحجر المحبب وبعض قطع من المحبب الاحمر والسنجابي ويظهر ان هذه الاعمدة كانت في هياكل صور القديمة الوثنية فنقلت الى هذه الكنيسة ويقدر ان كنيسة بولينس كانت على هيئة صليب وان طولها كان خمسة وسبعين متراً وعرضها خمسة وثلاثين متراً

﴿ عد ٥٩٣ ﴾

(في كنائس اخرى في سورية في هذا القرن)

من الكنائس المشهورة التي انشئت في سورية في هذا القرن الكنيسة التي شرع الملك قسطنطين في بنائها في انطاكية سنة ٣٣١ وقد ذكرها القديس ايرونيمس في الكرونيكون في السنة الثانية والعشرين لقسطنطين الملك قائلاً « بُدِئ في بناء المعبد في انطاكية الذي يسمونه الذهبي، لكثرة ما كان فيه من الذهب وقال اوسابيوس (ك٣ من ترجمة قسطنطين فصل ٥٥) واقام قسطنطين في انطاكية عاصمة المشرق كنيسة تلائم عظمة هذه المدينه باتساعها وزخرفها واحاط الكنيسة وما بجوانبها بسور ورفع جدران الكنيسة الى علو شاهق جعلها في هيئة مثمنة وانشأ حولها غرفاً ومخادع وجمل هذه الكنيسة الملكية بكثير من الذهب والنحاس وغيرهما من المعادن النفيسة على ان هذه الكنيسة لم يفرغ من بنائها الا بعد وفاته واستدعى ابنه قسطنس الاساقفة لتكريسها سنة ٣٤١ فاجتمع حينئذٍ في انطاكية تسعون او

سبعة وتسعون اسقفاً وعقد حينئذٍ مجمع انطاكية (طالع ما ذكرناه في مجامع انطاكية)

وقد روى اوسابيوس القيصري في مؤلفه في ترجمة قسطنطين (ك ٣ فصل ٥٨) ان الوثنيين كانوا يجتمعون في بعلبك ويتمرغون في وحول الفواحش ويطلق الرجال لنسائهم وبناتهم عنان شهواتهم تكرمة لمعبودهم الزهرة فرض الملك قسطنطين رعاية للادب سنة نهى بها عن الاجتماع هناك وابطل تلك العادة السيئة وبنى كنيسة واقام فيها اسقفاً وكهنة . وروى ذلك سقراط ايضاً (ك ١ من تاريخهِ فصل ١٨) وزاد على ذلك ان تلك العادة السيئة كانت افضت بالوثنيين هناك الى ان يعتدوا نفوسهم شركاء في النساء كما هم شركاء في الماء والكلاء حتى لم يعد الاولاد غالباً يعرفون ابناء من هم فاقامة هذه الكنيسة والاساقفة والكهنة وعناية الملك بتنصرهم بدلت حال تلك المدينة ومثل ذلك ذكر اوسابيوس (ك ٣ فصل ٥٥ في ترجمة قسطنطين) ان قسطنطين انتهى اليه انه يوجد معبد اخر للزهرة لا في مدينة او شارع بل في وادي في اعالي لبنان يسمى افقا يجتمع الناس فيه كمدرسة يتعلمون فيه الفساد والفحشاء ويعكفون على ذلك في المعبد نفسه بمنزلة محل معصوم من الشريعة ولا رئيس ولا ناظر فيه يذع عن الشر فامر بدكه وتحطيم التماثيل التي كانت فيه ونهى عن الاجتماع هنالك لاية علة كانت وروى رنان (في كتابه بعثة سورية صفحة ٣٠٨) ان قسطنطين نقل سكان افقا الى بعلبك وانه يحتمل ان يكون هذا المعبد جدده يوليانس الجاحد بعد نقض قسطنطين له وعاد الوثنيون يجتمعون فيه على عادتهم الى ان نقض ثانية في ايام اركاديوس الملك فاننا نراه قال (في امر اصدره سنة ٣٩٩) اذا وجدت هياكل في البراري فلتنقض دون جنوذ وضوضاء فاذا نقضت لم يبق محل للعبادة الباطلة . فالقول عن هياكل في البراري يصدق في لبنان ولا سيما في افقا والمشنقة . قال رنان بعد ذلك ان

سوزومانوس روى (في ك ١ من تاريخه) ان الناس كانوا يجتمعون في افقا الى ايامه (في القرن الخامس) وكان الكهنة ينحلون صيرورة معجزات وهذا يدل ان المعبد جدد بناؤه في ايام يوليانس ثم نقض ثانية وبنيت في مكانه كنيسة اما في زمان توادوسيوس عند امره بنقض هياكل الاصنام واما في زمان يوستنيانس الملك فان اوسابيوس لم يقل ان قسطنطين بنى كنيسة في افقا كما قال انه بنى كنيسة في بعلبك

وهذا مثال للزهرة مأخوذ عن تمثال كشف عنه في سورية وهو الان في متحف افرنسه مطابقاً لما وصف به مكروب تمثال الزهرة في لبنان



وانبأنا اوسابيوس ايضاً (في ك ٣ فصل ٥١ من ترجمة قسطنطين) ان هذا الملك بنى كنيسة في جانب بلوطة ممرا (في جهة الخليل) ذكراً لظهور الله لابرهيم ولوعوده له في هذا المحل وكتب رسالة الى مكاريوس بطريرك اورشليم وسائر اساقفة فلسطين انبأنا اوسابيوس في الكتاب المذكور (فصل ٥٢ وما يليه) يلومهم الملك فيها على اغضائهم على ان يبني الوثنيون مذبحاً ويقيمون اصناماً ويجتمعون لاقتراف المعاصي في هذا المحل الذي تقدس بتجلي الله فيه لابرهيم

مرات كثيرة ويأمر والي فلسطين ان يدك المذبح دكاً ويحرق الاصنام ويقيم هناك كنيسة ويسأل الاساقفة ان ينبئوه اذا حصل تقاعد عما امر به او خلاف له ليذيق المخالف شديد العقاب ٠ وروى ذلك سقراط ايضاً (ك ١ من تاريخه فصل ١٨ وذكره سوزومانس (ك ٢ من تاريخه فصل ٤) باكثر اسهاب قائلاً ما ملخصه ٠ انه كان يقام هناك سوق تتقاطر الناس اليه من فلسطين وفونيقي والعربية للبيع والشراء وكل من المجتمعين يجل هذا المحل ويبدي فيه عواطف عبادته على اختلاف مذاهبهم فاليهود لاعتقادهم ان الله تجلى في المحل لابرهيم ابيهم والوثنيون لقولهم ان الملائكة او الالهة ظهروا في هذا المحل والنصارى لتيقنهم ان من ظهر لابرهيم في هذا المحل كان رمزاً الى كلمة الله الذي تجسد في حشاء العذراء وكان كل فريق يقدم ذبائح هناك تجلة للمحل او خشية من الانتقام منه ويبدي كثيرون انواعاً عديدة من الاعتقادات الفاسدة وكانت النساء يتبهرجنَ ويخطرنَ بين القوم بافخر الزينة والحلى وقد حدث ان حماة قسطنطين (او امه) حجت الى هذا المحل ورأت ما يكون فيه من العثار فانفذت رسالة الى قسطنطين الملك تنبئه بما رأت فامر بما ذكره اوسابيوس وبناء كنيسة في هذا المحل

ولما امر الملك تاودوسيوس بدك معابد الاصنام في سورية كما مرّ قد تحولت معابد كثيرة الى كنائس ويظن انه في هذه الحقبة حول معبد بزيزا (بيت عزيزا) في كورة اطرابلس الى كنيسة بقي شيء من آثارها الى اليوم ومعبد المشترى الذي كان عند عين الحلوة في جهة عمشيت الى كنيسة على اسم القديس جيورجيوس وعلى مقربة منه كنيسة القديسة صوفيا وبنتها وكشف رنان هناك عن خط كتب على مدفن مَن بنى المذبح للمشترى في هذا المحل وكذا يظن ان كنيسة بلاط (بلاد جبيل) محولة عن هيكل للمشترى العظيم ومثلها كنيستا حبوبة وادة (جبيل) حيث كان معبد لادونيس رواه رنان في بعثة فونيقي وكاران في الارض المقدسة

(صفحة ٩٨)

وذكر دي فكواي (في الخطوط السامية في سورية الوسطى) عدة كنائس محولة عن معابد الاوثان او قلاع في هذا القرن منها كنيسه نفخة في حوران (ذكرها في صفحة٥٧)وكنيسة قنوات حولت عن معبد في القرن الرابع واصلحت في القرن الخامس (صفحة ٥٩) وكنيسة خربة حاس في النصف الثاني من القرن الرابع (صفحة١٠٠)وكنيسة حاس في القرن الرابع (صفحة١٠٢)

الفصل السادس

﴿ في القديسين الذين كانوا في القرن الرابع في سورية من ﴾
﴿ شهداء ومعترفين ﴾

قد ذكرنا كثيرين من القديسين في كلامنا على بطاركة انطاكيه واورشليم وعلى اساقفة سورية وعلمائها فنذكر الان مَن نعرفهم من غير هولاء

﴿ عد ٥٩٤ ﴾

﴿ في القديس جيورجيوس ﴾

اختلف في منشأ القديس جيورجيوس فذهب بعضهم الى انه ولد في مدينة اللد في فلسطين وذهب غيرهم الى انه ولد في الكبادوك وبعد وفاة والده مضت به امه الى فلسطين حيث كانت لهم املاك واتفق اكثرهم على انه ولد سنه ٢٨٠ للميلاد وعلى ان استشهاده كان في ايام الملك ديوكاتيان سنه ٣٠٣ وعلى ان اباه كان من روساء الجند في ايام ديوكاتيان وانه ترقى بعد ابيه الى المناصب في الجندية حتى صار رئيساً على الف من جنود حرس الملك واجمعوا على ان مجاهرته في الدين

المسيحي ومدافعته عن المسيحيين بعثا ديوكاتيان على ان ينزل به اعذبة اليمة عديدة ولكن بالغ بعضهم في وصفها حتى جعلوا شيئاً منها في جملة الاقاصيص وغمضوا حقيقة ترجمته حتى تعسر القطع بالصحيح منها ونبذ ماكان فيه مغالاة او كان غير صحيح ولا مراء في معاناته صنوفاً من الاعذبة الاليمة وفي تقوية الله له على تحملها الى ان قطع رأسه ونال اكليل الشهادة ويصوره المصوّرون بهيئة فارس وبيده رمح يطعن به تنيناً لينجي ابنة يصورونها في صورته من افتراس التنين لها وذلك نوع من الرمز والمجاز لا حقيقة تاريخية فالتنين فيها كناية عن عبادة الاوثان والبنت كناية عمن دافع منهم من المسيحيين وقت الاضطهاد ووقاهم من فساد الوثنية وافتراس تنينها لهم او ان ذلك رمز الى انه انتصر بجهاده على الشيطان الذي سماه الكتاب تنيناً وقد قالوا ان قتل القديس جيورجيوس للتنين كان في مدينتنا بيروت واظن نسبة حصول هذه الآية الى بيروت نشأت عن ان سكان هذه المدينة كانوا من اقدم الايام شديدي التعبد للقديس جيورجيوس

وقد ذكر ودينكتون (في كتابه في الخطوط اليونانية واللاتينية في سورية) ان عبادة القديس جيورجيوس منتشرة كثيراً في سورية عند النصارى والمسلمين ايضاً الذين يسمونه الخضر وانه عثر على خط يوناني نقش على باب كنيسة على اسمه في صهوة الخضر (بحوران) وهو الخط ١٩٨١ بين خطوطه وفحواه • ان باني هذا المعبد يتضرع الى القديس جيورجيوس ان يتقبل تقدمته ويسعفه بصلواته ويشفع براحة نفس اخيه كوميس • وان المسلمين والنصارى يحجون الى هذا المعبد من اقدم الدهر وان هذا القديس استشهد في ايام ديوكاتيان الملك في اللد على الراجح وان الزيادة في التعبد له شوشت ترجمته وانه وجد خطوطاً كثيرة دالة على عبادته منها الخطوط ٢٠٣٨ و٢٠٩٢ و٢١٤٦ و٢١٥٨ وان ذخائره نقلت الى كنيسة مبنية على اسمه في الاجا كما يظهر من الخط ٢٤٩٨ الذي كتب فيه • انه في

سنة٤١٠ لتاريخ بصرى (توافق سنة ٥١٥ للميلاد) ظهر القديس جيورجيوس ليوحنا بن ديومادا احد وجهاء زروا ظهورًا حقيقياً لا بالحلم وامره بوضع ذخيرته في الكنيسة وقد اتصلت عبادة القديس جيورجيوس من المشرق الى المغرب ولا سيما الى روسية وانكلترة وجعل الروسيون القديس جيورجيوس وتنينه شعارًا لهم واتخذه الانكليز والجنويون شفيعاً لهم

عد ٥٩٥

في القديسين سرجيوس وبكخس

روى ودينكتون في شرح الخط ١٩١٥ من خطوطه ان سرجيوس كان من رصافة بين تدمر والفرات وبكخس من بربليس في سوريه الكوماجانية وانهما نالا اكليل الشهادة في ايام كالر مكسيميان وانه يعيد لهما في جميع كتب تراجم القديسين في ٧ من تشرين الاول وان العبادة لهما منتشرة في المشرق منذ القرن الرابع فصاعدًا فسنة ٣٥٤ اقيم لهما معبد في عيتا في البثنية كما يظهر من الخط ٢١٢٤ وانشىء معبد اخر في اللجا سنه ٥١٧ كما يظهر من الخط ٢٤٧٧ وآخر في حوران كما يظهر من الخط ٢٤١٢ وقد بنى لهما يوستنيانس كنيسة في القسطنطينيه ذكرها بروكوب (في ك ٤ في الابنيه) وكنيسة اخرى في عكا على اسم سرجيوس (ك ٥)

والمؤكد من تاريخهما انهما كانا من فرسان الجيش الروماني في ايام الملك مكسيميان وعرف هذا الملك انهما مسيحيان وسألهما عن ذلك فجاهرا بمعتقدهما فتملقهما ثم هددهما ليجحدا ويقربا الذبائح للاوثان فلم يذعنا فعزلهما من منصبهما والبسهما ثياب النساء وطوفهما في شوارع المدينة فلم ينثنيا عن عزمهما فارسلهما الملك الى انطيوكس والي المشرق حينئذٍ آمرًا اياه ان يعذبهما ليكفرا او يسلهما وحاول انطيوكس جهده ليجعلهما يقدمان ذبيحة للوثن فلم يذعنا وسخرا منه فاسلم

بكخوس الى اربعة جلادين وامرهم ان يجلدوه جلدًا مبرحاً فاماتوه بنثر لحمانه واما سرجيوس فامر ان يلبسوه حذاء وقد رزُّوا فيه مسامير حادة واستكدوه جرياً امام مركبة الوالي فتهشمت رجلاه لكن الله ابرأه من جراحه ويئس الوالي من حيدانه عن معتقده فامر بقطع عنقه فتكلل بدمه والكنيسة الرومانية وكنيستنا المارونية تعيدان لذكر سرجيوس وباخوس في ٧ من ت ١ وفي كتاب تراجم القديسين عندنا ان شهادتهما كانت سنة ٣٠٦ وفي رومة من اقدم الايام كنيستان على اسم هذين القديسين

عد ٥٩٦

في القديس ايلاريون

قد دون القديس ايرونيمس ترجمة هذا القديس (في المجلد الثاني من تآليفه في طبعة الاب مين) فقال ما ملخصه ولد ايلاريون في قرية اسمها طباثا او طبات على نحو من خمسة اميال من غزة غرباً وكان والداه وثنيين وقد ارسلاه الى اسكندرية لاقتباس العلوم فنبغ وذاع خبر ذكائه وحسن سجاياه على حداثة سنه واحبه الناس واجلوه فتنصر وكان يؤثر الترداد الى الكنائس على ترويح نفسه بالمشاهد والملاعب والمتنزهات وسمع باخبار انطونيوس الكبير فامه الى البرية فدهش بسيرته وبدل زيه واقام عنده شهرين او ثلاثة متأملاً بنسكه ومعجباً بفضائله ثم عاد مع بعض الرهبان الى موطنه فوجد والديه درجا بالوفاة فدفع الى اخوته ما خصهم من الارث ووزع نصيبه على الفقراء غير مبقٍ لنفسه على شيء واعتزل في برية يكثر فيها اللصوص غير مبالٍ الا بمرضاة ربه وعكف على العيشة القشفة والصوم فكان يطوي النهار كله ولا يقتات الا بقليل بعد مغرب الشمس وكانت التجارب تطرقه فينتصر عليها قامعاً امياله متسلحاً على ابليس بالخشوع لله واقام اولاً اربع سنين في كوخ يقيه الحر والمطر ثم ابتنى له صومعة علوها خمس اقدام

وطولها اكثر قليلاً لتكون اقرب الى هيئة قبر من هيئة بيت وقال القديس
ايرونيمس انها كانت باقية الى ايامه وكان فراشه من تبن ومأكله في بعض سني
نسكه من العدس نقيعاً وفي بعضها من الخبز اليابس مع الملح والماء وفي بعضها
الاعشاب وكان يحفظ الاسفار المقدسة عن ظهر قلبه ويتلو صلواته كانه ماثل امام
الله وذكر القديس ايرونيمس كثيرًا من الآيات التي اجراها الله على يده منها ان
لصوصاً اتوه ليلاً فاضلهم الله طريقهم حتى لم يهتدوا اليه الليل كله ولما طلع النهار
وجدوه فقالوا اما تخاف اللصوص فقال لِمَ يخافهم العريان قالوا اما تخشى ان
يقتلوك قال لا اخشى لاني مستعد ان اموت فعجبوا من شجاعته واقروا له بان الله
اعماهم عنه ووعدوه باصلاح سيرتهم ومن اياته ان امرأة شريفة عاقرًا جسرت
ان تدنو اليه ففر منها فقالت لِمَ تهرب من سائلة انظر الى بائسة ولد من جنسها
المخلص الذي قال ان الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب بل الاعلاء فسألها عن علة
اتيانها اليه وبكائها فلم تكتمه امرها فرفع عينيه الى السماء وباركها فرزقت بعد ذلك
ابناً ومنها ايضاً ان امرأة اليديوس الذي نصب بعدًا رئيساً على الحرس الملكي
مضت لزيارة انطونيوس مع زوجها وثلاثة بنين لها ولما بلغت غزة مرض ابناؤها
ويئس الاطباء من شفائهم فامت ايلاريون قائلة له استحلفك بيسوع الجزيل الرأفة
ونشدتك بصليبه ودمه ان ترد عليَّ ابناءي فقال لم اعتد دخول المدن ولا القرى
فالحت اليه مذرفة الدموع السخينة ولم تنصرف الى ان وعدها ان يأتي الى بيتها
بعد مغرب الشمس فاتى ودعا باسم يسوع فطفحت اجسام الغلمان بالعرق وانتعشوا
وطلبوا القوت وعاودتهم العافية وشكر الجميع الله الى كثير غير ذلك من الآيات
التي ذكرها ايرونيمس في ترجمته وكانت بينه وبين القديس انطونيوس مكاتبات
وكان اذا لجاء بعض السوريين الى انطونيوس قال لهم لِمَ تتجشمون المشقات
بالاتيان اليَّ وابني ايلاريون عندكم

وذاعت اخبار آياته فتقاطر الناس اليه من كل فج وآمن كثيرون منهم بالمسيح وسأله كثيرون ان يتخذوا الطريقة الرهبانية تحت تدبيره قال ايرونيمس ولم تكن اديار في فلسطين ولم يعرف احد الى حينئذٍ راهباً في سورية فكان ايلاريون مؤسس هذه الطريقة في هذا الاقليم وكان لله انطونيوس الشيخ في مصر وايلاريون الشاب في فلسطين وانشأ ايلاريون اديارًا كثيرة وكان يتعهدها ويشجع النساك فيها ويحضهم على الكمال ولما كان يجتاز في القرى كان الناس حتى الوثنيون يتراكضون لطلب بركته ويجثون صارخين بلغتهم السريانية بارخ اي بارك (هذه بينة اخرى على ان لغة الشعب في فلسطين كانت السريانية) ولما كثر ازدحام الناس اليه فرَّ من وجههم واعتزل تنكباً لمجد العالم فمضى الى صقلية فلم تخفَ مدينة مبنية على جبل وتقاطر الناس اليه وصنع الله على يده معجزات ثم فر الى دومة ولما عرف هناك بما هو عليه برح المدينة متنكرًا واتى قبرس معتزلاً مخالطة الناس ومع ذلك صنع الله على يده هناك آيات اخرى وقد ادركته المنية في هذه الجزيرة ودفن فيها واتى تلميذه هاستكيوس وطلب ان يقيم في البستان الذي دفن فيه فسرق جثته المباركة بعد عشرة اشهر من دفنها ونقلها الى ديره القديم في فلسطين ولم يكن الفساد عراها ولا طرأ عليها ولا على ملابسه تغير وقد اجرى الله معجزات بشفاعته بعد موته في المحلين اي في قبرس حيث دفن وفلسطين انتهى كلام القديس ايرونيمس ملخصاً وموجزًا وعن غيره من المؤرخين ان ايلاريون ولد سنة ٢٩٢ وكانت وفاته نحو سنة ٣٧٢

عد ٥٩٧

في القديس ملخس

قد دون القديس ايرونيمس ايضاً ترجمة هذا القديس واعتد العلماء كلامه فيها من منتخبات اقواله فصاحة وبلاغة وقد ترجمها لافنتان الى الافرنسية نظماً فكانت

من ابدع شعره قال ايرونيمس اتيت سورية اذ كنت شاباً واقمت في قرية اسمها مارونية بعيدة عن انطاكية نحو ثلاثين ميلاً شرقاً قلت هذا لابين كيف اتصلت الى معرفة ما ساكتبه فكان هناك شيخ اسمه ملخس وتأويل اسمه ملك وكانت امرأته قد شاخت ودنت من الاجل وكانا بادين كزكريا واليصابات ولكن لم يكن لهما يوحنا فسألتهما ابروح الله كان زواجهما ام بروح العالم فقال لي ملخس قد ولدت في نصيبين وكنت وحيداً لوالدي وكان ابي يهددني وامي تملقني لاتزوج بغية لحفظ نسلهما واخذ ارثهما وكنت اجيبهما اني أوثر ان اكون راهباً ولما الحا عليَّ بالتزوج هربت من البيت ولم استطع الفرار نحو المشرق لتوقد الحروب بين الفرس والرومانيين فسرت الى كاشيس (وهي قنسرين) بين ايماس (لعلها حمص) وحلب فوجدت رهباناً اقمت عندهم طالباً قوتي بعمل يدي وبعد سنين هاجني الشوق الى العود الى وطني لاعزي امي على فقد والدي وبعت ما كنت قنيته وهو نزر يسير فوهبت شيئاً منه للدير وشيئاً للفقراء ولا اخجل من ان اقول اني استبقيت لنفسي شيئاً لانفقه في سفري فصاح بي رئيسي هذه تجربة ابليس وهذا عود الكلب الى قيه وكان هو ورهبانه يونبوني مذكرين لي بامثلة من الاسفار المقدسة فلم اذعن لرأيهم لزعمي ان غرضهم نفعهم بمالي لا فائدة نفسي فسافرت من حلب نحو الرها وكانت الطريق محفوفة بالمخاطر فلا يجسر احد ان يسافر منفرداً وكان صحبنا نحواً من سبعين نفساً واذا بكتيبة على ظهور الخيل والجمال وثبت علينا فابتزت ازودتنا وكل ما معنا حتى ملابسنا واستاقنا هولاء الى اماكن كثيرة ثم اقتسمونا فكنت انا مع امرأة في نصيب مولى واحد وبعد ان انتهينا الى منزل مولانا في اقصى البرية اقامنا في خدمته وخدمة عياله وتعلمت هناك ان اعيش عرياناً ليس عليَّ الا منزر يستر ما يستحى بكشفه واقامني مولاي على رعاية غنمه فذكرتني حالتي بيعقوب وموسى وكان قوتي اللبن والجبن وسلواي

الصلوة والترنم بالمزمورات التي تعلمتها في الدير ويلذ لي اسري فاشكر الله على لطفه بي لاني وجدت في البرية ما فقدته في موطني

ولكن يا لدهاء ابليس ويا لشدة مكره فقد حسدني على حالتي التعيسة فان مولاي رأى نمو قطعانه برعايتي وتيقن امانتي اذ كنت عاملاً بوصية الرسول ان نخدم الموالي كخدمة الله فاراد مكافاتي بتزويجي بالاسيرة التي كانت رفيقتي في اسري فجاهرته باني مسيحي لا يحل لي ان اتزوج بامرأة زوجها حي (لانه كان معنا فوقع في اسر مولى اخر) فاستشاط مولاي وانتضى سيفه ولولا انني تنحيت لسفك دمي وترك لي المرأة وكلانا يأنف الدنو من الاخر فاحسست حينئذٍ باسري وندبت نفسي وبكيت من جرى ما آلت اليه حالي وقلت لنفسي لا مناص لك من الهلاك او الظفر فاخذت مدية اطعن بها جسدي مفضلاً هلاك الجسد على هلاك النفس وقلت للمرأة دونك شهيدًا لا زوجاً فانطرحت على قدمي قائلة استحلفك بيسوع المسيح وبالضيق الذي نحن فيه في هذه الساعة ان لا تريق دمك من اجلي وان لم تنثنِ فاقتلني اولاً واقسم لك باني احفظ العفاف الذي عودني عليه الاسر ولو عاد اليَّ رجلي واني أوثر الموت على تزوجك بي فاتخذني اذًا عروس العفاف ولتكن بيننا محبة النفس لا محبة الجسد فيظنك مولانا زوجي ويعرفك المسيح اخي فدهشت بهذه المرأة واحببتها اكثر من زوج لي وعشت معها وما نظرت جسمها ولا مست جسدي وبقينا على ذلك اياماً طوالاً

وقد سئمت نفسي الاسر وجدبي الوجد الى العيشة في الاديار ورأيت النمل وحركتها في معاونة بعضها بعضاً واذكرتني قول الحكيم انظر الى النملة وتعلم طرقها فصرت في المساء الى الخباء كئيباً فسألتني المرأة ما علة حزني فكاشفتها بامر تعويلي على الفرار فطاوعتني عليه فذبحت كبشين جعلت جلودهما قربتين واعددت لحمهما زادًا للطريق ولما جن الليل سرت معها ويصف ما حاق بهما من المخاطر

وما تجشماه من المشاق وما تولاهما من الخوف اذ جدَّ مولاهما في طلبهما واختبأ في مغارة خرج منها اسد فافترسه وغلامه ونجا هو والمرأة الى ان عاد الى ديره فوجد رئيسه قد درج بالوفاة ورد نفسه على رهبانه وعاشت المرأة بين العابدات المتبتلات واختتم ايرونيمس كلامه بقوله هذا ما نصَّ عليَّ ملخص الشيخ وانا حدث واقصه الان وانا شيخ ليكون مثالاً للعفاف وتذكرونه لمن يخلفكم ليعلموا ان من اتقى الرب يسوع لا تبعده عن العفاف السيوف ولا الصحارى ولا الاعداء ويستطيب الموت ولا يسهل انقلابه ٠ وكنيستنا المارونية تعيد لذكر ملخس في ٢١ من تشرين الاول

عد ٥٩٨

(في توادورس الكاهن وتوادورس الشاب ويوليانس الانطاكيين)

اما توادورس الكاهن فقد اخبرنا عنه سوزومانس (ك ٥ من تاريخه ف ٨) وتوادوريطس ايضاً (ك ٣ فصل ٨ و ٩) انه كان كاهناً في كنيسة انطاكية على عهد الملك يوليانس الجاحد وقد عهد اليه اسقفه بحفظ آنية الكنيسة الثمينة وامر الملك يوليانس بان تؤخذ تلك الآنية الى خزينته وان تقفل الكنائس فهرب الكهنة وبقي توادورس لالتزامه بالمحافظة على آنية الكنيسة ممانعاً من نقل الملك لها فقبض عليه اعوانه واذاقوه مر العذاب فما انفك مجاهراً بتشبثه بعرى ايمانه فامر يوليانس احد انسباء الملك بقطع رأسه واخذ آنية الكنيسة وجلس على بعضها متلفظاً بشتائم للمسيح ودينه فاصيب بمرض في مقعده وسافلته حتى نتن وتهرأ وكثر الدود فيه ولم ينجع به دوا فهلك

واما توادورس الشاب فقد اخبرنا عنه سوزومانس (ك ٥ من تاريخه ف ٢٠) وسقراط (ك ٣ فصل ١٩) وتوادوريطس (ك ٣ فصل ١٠) فقالوا ما ملخصه ان يوليانس الجاحد مضى الى دفنه عند انطاكية يستميح مشورة ابلون صنمها

فسمع صوتاً يقول له انه ابكم بعد ان وضعت عظام بابيلا الشهيد (هو بطريرك انطاكية الذي ذكرناه في تاريخ القرن الثالث) على مقربة منه ولنا في كتب ليبانيوس الفيلسوف الوثني المعاصر ليوليان بينة على صدق هذا الخبر فقد قال ليبانيوس (في خطبة ٦) ان يوليان انجى ابلون من جوار احد الموتى الذي كان يزعجه فان الملك قد امر بنقل تابوت جثة الشهيد وعرف المسيحيون في انطاكية ذلك فخرجوا رجالاً ونساء واولاداً يحتفلون بنقل رفات الشهيد ويترنم المسبحون بمزمورات والشعب يجيب من ورائهم بقول المرتل تخزي من يعبد المنحوتات فاستشاط يوليانس من هذا الصنيع المهين له وامر بتعذيب المسيحيين الذين اقدموا عليه فقبض الوالي على كثيرين منهم وطرحهم في السجن وكان في جملتهم شاب اسمه توادورس عذبه اعذبة متنوعة وهشم جسده واثخنه جراحاً حتى تيقن انه لا يعيش بعداً ولم يفه توادورس بكلمة تضرع الى الوالي ولا بشكوى من الالام بل كان متجلداً صابراً مسروراً فاطلقه الوالي وفيه رمق فشفاه الله من جراحه وعاش بعد ذلك طويلاً واخبرنا روفينس (ك ١ فصل ٣٦) انه رآه وسأله كيف تحمل ما اصابه من التبريح فاجابه انه لم يكن يشعر الا بقليل من الوجع وكان يرى شاباً يمسح عرقه ودمه السائل ويشجعه حتى كان تعذيبه مدعاة لسروره اكثر من ضنكه وقد عاد الوالي الى يوليانس متعجباً من تجلد توادورس واخبره بما كان وحقق له انه لو لم ينكف عن تعذيب هولاء لجعل نفسه والملك سخرة لهم ومنقصة وعاراً في اعينهم

واما يوليانس فكان في ايام والنس الملك وقال فيه توادوريطس (ك ٤ فصل ٢٤) انه كان راهباً ناسكاً في البرية ثم عرف قداسته فضوع تلك الانحاء ولما تمادى الاريوسيون بشرهم في انطاكية استدعاه روساء الكاثوليكيين ان يأتي الى المدينة وينذر الشعب ويفند ضلال المارقين ويثبت المؤمنين في ايمانهم

فاتى واجرى الله على يده آيات شتى في المدينة وفي طريقه وعند اتيانه اليها وعوده منها ذكرها توادوريطس مفصلاً في كتابه الموسوم بفيلوثاوس (اي محب الله فصل ٢) وقال في المحل المذكور من تاريخه ان هذه الآيات شهد لها اعداء الحق انفسهم وقد ضارع بذلك القديس انطونيوس اذ ترك عزلته في البرية واتى اسكندرية يعظ الناس ان يتشبثوا بعروة دين الحق الوثقى وذكر السمعاني في المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ١٥٤) بين مقالات القديس افرام العربية المقالة ٤١ في يوليانس الراهب الى ان قال • نبه العلامة بارونيوس في كلامه في ٩حزيران وفوتيوس (كتاب ٢٦٨) ان يوليانس هذا غير يوليانس سابا الشيخ الذي ذكره توادوريطس (في المحال التي ذكرناها) وورد ذكره في السنكساري الروماني في ١٤ كانون الثاني وغير يوليانس الاخر الذي جاء ذكره في ١٨ تشرين الاول على ان سوزومانس ذكر يونيانس (في ك ٣ من تاريخه فصل ١٤) وذكره ايضاً نيكوفورس (ك ٩ فصل ١٥) فظهر من شهادتهما انه انما هو من ذكر القديس افرام اعماله في مقالته المذكورة وقد استشهد فيلوكسانس (في كتابه في احد اقانيم الثالوث الذي تجسد وتألم صفحة ١٣٣) بمقالة القديس افرام المذكورة وصرح بان اسمه يوليانس سابا لان كلمة سابا في السريانية تأويلها الشيخ ونراهم وصفوا بها كثيرين من النساك الافاضل • انتهى كلام السمعاني ويرجح منه ان يوليانس الذي روينا بعض ترجمته عن توادوريطس هو يونيانس الذي ذكره القديس افرام

﴿ عد ٥٩٩ ﴾

﴿ في شهداء اخرين في ايام يوليانس ﴾

من هولاء الشهداء كيرلس البعلبكي اخبرنا عنه توادوريطس (ك ٣ف ٣) قائلاً من يستطيع ان يقص ما جرى من الجور على كيرلس البعلبكي ولا تهطل

دموعه فهذا كان شماساً في كنيسة هذه المدينة وحطم كثيراً من اصنامها غيرة للرب في ايام الملك قسطنطين فاكن له الوثنيون الضغينة والحقد ولما ملك يوليانس وثبوا عليه وقتلوه ولم يكتفوا بقتله بل انتزعوا امعاءه وقطعوا جسده ارباً على ان من لا يخفى عليه شيء انتقم من كل من اشترك في قتله نقماً متنوعة فبعضهم فقيت اعينهم وبعضهم بليت السنتهم الى غير ذلك من المضار واخبرنا سوزومانس (ك ٥ فصل ١٠) انه كان في بعلبك عذراوان محصنتان قبض عليهما الوثنيون واقاموهما عاريتين في محل معرض لنظر المارة ثم قطعوا راسيهما وشطروا كلاً منهما الى نصفين وطرحوا لحومهما قوتاً للخنازير

ومنهم القديسان يوفنتينس ومكسيمينس وقد انبأنا توادوريطس (في الكتاب المذكور فصل ١١) بشهادتهما فقال ان يوليانس الملك بلغ من شره ان ينجس عيون الماء التي في انطاكية ودفنه بدم الذبائح التي تقدم للاوثان وبما خبث منهما وان ينضح من دم هذه الذبائح على الخبز واللحم والثمار والاعشاب ليأنف المسيحيون من اكلها وكان هذان القديسان من اكابر جنود الملك ودعيا يوماً الى وليمة فجاهرا بمذمة الملك على هذا الصنيع واستهجناه فوشى بهما احد من كانوا في المأدبة فاستدعاهما الملك اليه وسألهما فلم يخجلا من ان يجيباه نحن ربينا ايها الملك في التقوى وعملنا بالشرائع المطهرة التي سنها قسطنطين وابناؤه ونشمئز الان ونشكو من ان نرى كل ماكل ومشرب منجساً بدم الذبائح الخبيثة الذي يراق عليه فهذا ما نشكوه في ايام ملكك فلما سمع الملك كلامهما نزع برقع الحلم الذي كان يتظاهر به واستشاط وامر الجند بضربهما وتعذيبهما شديد العذاب حتى لقيا ربهما ونالا اكليل الظفر واخذ يعلن بانه لم يقتلهما لتقواهما او لانهما مسيحيان بل لتجاسرهما وتطاولهما عليه كيلا يكرمهما المسيحيون بمنزلة شهداء اما المسيحيون الانطاكيون فاعتدوهما من الابطال الذين دافعوا عن الايمان واقاموا لهما مدفناً عظيماً وما برحوا

الى اليوم يعيدون لذكرهما كل سنة

ومن هولاء الشهداء اوسابيوس ونستآب وزينون من غزة فقد انبأنا بخبر هولاء سوزومانس (ك ٥ من تاريخه فصل ٩) فقال ان هولاء كانوا اخوة مسكنهم غزة وكان الوثنيون من اهل هذه المدينة يبغضونهم فوثبوا عليهم في بيتهم وطرحوهم في السجن وجلدوهم ثم اجتمعوا في محفلهم واخذ بعضهم يهيج بعضاً على الانتقام منهم لانهم جدّوا بوقت ملائم لهم في نقض معابدهم ونسخ عبادة معبوداتهم ثم تسارعوا الى السجن فاخرجوهم منه وربطوهم بحبال واخذوا يجرونهم في الشوارع وبعضهم يرجمهم بالحجارة وبعضهم يقرعهم بالسياط او بالعصي وبعضهم يصب عليهم ماء غالياً فحطمت عظامهم وشجت رؤوسهم شجات دامغة حتى سال دماغهم ثم اخرجوهم خارج المدينة الى الموضع الذي تلقى فيه جيف الحيوانات واضرموا ناراً احرقوا جثثهم فيها وما لم تبده النار من عظامهم القوها بين عظام الجمال والحمير كي لا يهتدي اليها على ان الله الهم امرأة تقية ان تجمع هذه العظام ليلاً وتدفعها الى نسيب للشهداء اسمه زينون واقام بعد ذلك اسقف غزة في ايام الملك تاودوسيوس كنيسة في خارج هذه المدينة ونصب مذبحاً وضع تحته عظام هولاء الشهداء

ان عدد الشهداء في هذا القرن في سورية كثير ولا سيما في اضطهاد ديوكلتيان في مبادي القرن الخامس واضطهاد قسطنس ويوليان الجاحد ووالنس ولكننا نقتصر ممن نعرفهم على ذكر هولاء تحاشياً عن ملل القارئ ومن احب الوقوف على اخبار شهداء وقديسين اخرين فعليه بمطالعة تراجم القديسين المعروفة بالسكنساري وكتب البولانديين وكتاب مروج الاخيار الذي طبعه الاباء اليسوعيون من بضع سنين في بيروت

الفصل السابع

في ما كان من البدع والمبتدعين في سورية في القرن الرابع

عد ٦٠٠

في اريوس وبدعته

لم يكن اريوس سورياً بل مصرياً لكن بدعته اقلقت سورية وسائر المشرق بل المغرب ايضاً فقد ولد اريوس في ليبيا وبعد ان تعلم بعض الرياضيات والعلوم الدنيوية مضى الى اسكندرية طامعاً بنيل المراتب البيعية وكان لين العريكة لطيف المعاشرة لكنه محب للفخفخة والمجد عشاق للمعالي وتزلف الى القديس بطرس اسقف اسكندرية فرقاه الى الدرجة الشماسية ثم علم بانه من المشايعين لميليسيوس اسقف نيكوبولي الذي كان القديس بطرس قد عزله عن كرسيه لجرائم فظيعة وكثيرة فطرده من الاسكندرية وروى بارونيوس (في تاريخ سنة ٣١٠) ان اريوس اخذ يحتال على القديس بطرس ليرده الى شركته فظهر له المسيح وعليه ثوب ممزق وقال ان آريوس قد مزق ثوبي هذا فحذار من ان تقبله وقد شك نطاليس اسكندر (مقالة ٩ في القرن الرابع) في صحة الرؤيا لكن حجته عليها ليست بقاطعة فقد اثبتها كثيرون وذكرت في كتاب الفرض في عيد القديس بطرس المذكور وفي ترجمته القديمة على ان اكيلاس الذي خلف القديس بطرس في كرسي اسكندرية صالح آريوس ورقاه الى درجة الكهنوت (ايفان في بدعة ٦٩) ولما درج اكيلاس سولت لاريوس نفسه ان يخلفه في البطريركية ففضل عليه القديس

اسكندر ذا الحكمة الباهرة والمحامد العاطرة فشرع آريوس يعيبه في سيرته الحميدة بل في تعليمه ايضاً قائلاً انه يعلم ان الكلمة ابن الله مساوٍ لابيه جوهراً وقضى بان هذا التعليم يشف عن بدعة سابيليوس الذي غوى بانكاره الثالوث الاقدس وزعم اريوس ايضاً ان الكلمة اخذ في تجسده الجسد دون النفس وانه كان يمكنه اقتراف المآثم كباقي الناس لكنه تسامى بالفضائل فعصمه الله منها (القديس أثناسيوس ورسالة المجمع النيقوي المجمعية) واخذ اريوس يبث تعليمه اولاً خفية ثم ازداد تحة وطفق يبشر به علانية فنصحه القديس اسكندر فلم يتصح وتهدده فلم يرعوِ فجمع مجمعاً في اسكندرية نحو سنة ٣٢٠ شهده نحو مئة اسقف ودعي اريوس اليه ولم يخجل من ان يكابر متشبثاً بضلاله فطعنه آباء المجمع بالحرم له ولكل من شايعه فلم يبالِ وتمادى في نشر ضلاله واتخذ اوسابيوس اسقف نيكومدية محامياً عنه وكان اوسابيوس هذا اسقفاً على بيروت ثم دخل دعياً على اسقفية نيكومدية وكتب الى القديس اسكندر يسأله ان يرد اريوس الى شركة المؤمنين فلم يجب سؤله بل ابعد اريوس عن اسكندرية مع غيره من محازبيه (سقراط ك ١ فصل ٦ وغيره كثيرون)

فمضى أريوس الى فلسطين فاغوى كثيرين فيها حتى بعض الاساقفة منهم غريغوريوس اسقف بيروت وتوادوطس اسقف اللاذقية وجنح الى تعليمه اوسابيوس اسقف قيصرية الشهير فانفذ القديس اسكندر بطريرك اسكندرية رسائل الى كثيرين من الاساقفة فاجفلوا عن اريوس الذي لجأ الى صديقه اوسابيوس النيكوميدي وهناك نظم كتابه المعنون تاليا ينطوي على اشعار مشحونة من الخزعبلات والترهات ليضل السذج . وقد ظفر الملك قسطنطين في تلك الاثناء بخصمه ليشينيوس فسر باستتباب السلم في مملكته وغم عند سماعه في نيكومدية باخبار الخلاف بين الاساقفة في المشرق ولقنه اوسابيوس بان المباحث المختلف

فيها ليست ذات بال ويكفي صدور امره للفريقين بالصمت عن هذا الجدال فانخدع الملك وكتب الى اسكندر بطريرك اسكندرية انه لا يجمل به ان يقلق الكنيسة بمثل هذه المباحث وارسل اليه اوسيوس اسقف قرطبا (او ان البابا سلبسترس ارسله على قول اخر اعم) فعقد اوسيوس واسكندر مجمعاً اخر في اسكندرية جددوا به حرم اريوس (فلوري ك ١٠ فصل ٤٣ واورسي ك ١٢ فصل ٢١ وغيرهما)

ورفع اريوس بعد ذلك عريضة الى الملك يدافع فيها عن نفسه فتاكد الملك ضلاله واجابه برسالة مسهبة مفنداً ضلاله مؤنباً له وامر باذاعة رسالته فحنق اشياعه لذلك وخدشوا صورة وجهه في تمثاله وحرضه اعوانه على الانتقام منهم فمس وجهه قائلاً لا اشعر بخدش في وجهي وهم بعقد مجمع عام في نيقية فاجتمع فيه من الاساقفة الغربيين والشرقيين ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً وارسل اليه سلبسترس الحبر الروماني اوسيوس اسقف قرطبا ليرأس المجمع نيابة عنه وفيتون وفنشنس الكاهنين بمنزلة قاصدين من لدنه وافتتح المجمع في ١٩ حزيران سنة ٣٢٥ ودعي اريوس اليه نلبى الدعوة ولم يخجل من المدافعة عن ضلاله الوخيم وشايعه اولاً اثنان وعشرون اسقفاً ثم انقاد بعضهم مذعنين للتعليم الكاثوليكي ولم يبق منهم اخيراً الا اسقفان مكابران واجمع سائر الاباء على نبذ ضلال اريوس وحرمه واوسابيوس القيصري نفسه انشأ قانون الايمان كما مر في الكلام عليه وامتاز القديس اثناسيوس الذي كان حينئذٍ مرسلاً من بطريركه القديس كيرلس بالمناضلة عن الايمان ولذلك ابغضه الاريوسيون واضطهدوه عمره كله واصطلح الاباء حينئذٍ على ان يضيفوا الى قانون الايمان كلمة اوموسيون «اي مساوٍ للاب بالجوهر» منعاً لكل تأويل وشهد الملك قسطنطين المجلس الاخير من هذا المجمع ورفع اليه بعض الاساقفة عرائض يشكو بها احدهم الاخر فامر ان تلقى تلك العرائض بالنار

وقال ذاك القول الشهير الذي رواه كثير منهم روفينس (ك١ من تاريخه فصل١) وتوادوريطس (ك ١ فصل ١١) وهو ان الله اقامكم اساقفة لتحكموا علينا في امور الدين ولذا حق الحكم لكم علينا لا لنا عليكم وقد اعطيتم لنا الهة من لدن الله ولا يحل للانسان ان يحكم على الهته . ثم وقع الاساقفة على المجمع ما خلا اثنين تيونا اسقف مرمريكا وسكوندس اسقف عكا على ان بعض من وقعوا عادوا الى غيهم ولا سيما اوسابيوس النيكوميدي وتويني اسقف نيقية ووضع المجمع دستورًا لتعيد الفصح والقيامة في الاحد الواقع بعد الرابع عشر من مستهل نيسان كما مرَّ وانصرف الاساقفة بعد ان اولم لهم الملك قسطنطين واكرم جميعهم

واما اريوس فقد تمكن اوسابيوس اسقف نيكومدية من ان يجعل الملك يرضى عنه ويرده الى اسكندرية فعاد اليها ولكن اثار مشايعوه شغباً وقلقاً فاستدعاه الملك الى القسطنطينية وسأله هل يعترف بدستور الايمان الذي سنه آباء المجمع في نيقية فقال اعترف به قال الملك اكتب اعترافك خطاً واقسم على صحته ففعل مخادعاً ومتأولاً كلامه بحسب مذهبه فامر الملك بقبوله في شركة المؤمنين وشق ذلك على الكاثوليكين ولا سيما القديس كيرلس بطريرك القسطنطينية الذي مضى الى الكنيسة متضرعاً لله قائلاً اللهمَّ اما خذني من هذا العالم واما خذ اريوس منه لئلا يدمر كنيستك وطاف باريوس ذووه في الشوارع متفاخرًا بظفره وبلغ ساحة المدينة فشعر بمغص اليم فانحاز الى مرحاض خرجت فيه مع روثه امعاؤه ونفسه الخبيثة (روى ذلك سقراط ك ١ فصل ٣٧ وابيفان بدعة ٦٩ وتوادوريطس وغيرهم كثيرون) وكان ذلك سنة ٣٣٦ وما برح محازبوه يقلقون الكنيسة زماناً طويلاً كما رأيت

﴿ عد ٦٠١ ﴾

(في مكدونيوس عدو الروح القدس)

ان مكدونيوس كان كاهناً اريوسياً وارسله سنة ٣٣٥ الاساقفة المجتمعون في صور لعزل القديس اثناسيوس قاصداً من قبلهم الى الملك قسطنطين ولما توفي القديس كيرلس البطريرك القسطنطيني كان الاريوسيون يرغبون في ان يخلفه وفاز الكاثوليكيون بانتخاب بولس بطريركاً لكن الملك قسطنس عزله عن كرسيه وادخل عليه اوسابيوس اسقف نيكومدية ثم عاد بولس الى كرسيه فانتخب الاريوسيون مكدونيوس سنة ٣٤٣ وامر الملك احد اعوانه ان يمكنه من تعاطي رئاسته فادخله المدينة محفوفاً بالجنود فكان شغب بين الكاثوليكيين والاريوسيين وقتال سقط فيه نحو من ثلاثة الاف قتيل واخذ مكدونيوس يضطهد الكاثوليكيين ومن ينتمون الى بولس البطريرك الشرعي معذباً اياهم وقاتلاً بعضهم ايضاً ومخرباً كنائسهم حتى روى بعض الثقات من المؤرخين انه ارسل اناساً فخنقوا القديس بولس سالفه في منفاه ثم تغير عليه الملك قسطنس لانه نقل جثة ابيه قسطنطين من مدفن الى اخر فامر بطرده من كرسيه فطرد منه سنة ٣٦٠ على انه لما كان اسقفاً لم يكن يعلم من الضلال الا تعليم اريوس واما بعد عزله فاراد ان يكون مبدعاً بدعة حديثة وكان اريوس قد انكر ان يكون المسيح الهاً فانكر مكدونيوس ان يكون الروح القدس الهاً وبث ضلاله في كثيرين وعاجلته نقمة الله في منفاه ولكن لم تنته بدعته بموته بل غادر اتباعاً كثيرين منهم مرتنينو تلميذه اسقف نيكومدية وامتدت بدعته في اديار كثيرة للرهبان (سقراط ك ٢ فصل ٦ وغيره وسوزومانس ك ٣ فصل ٣ وغيرهما كثيرون)

وانتشرت بدعة مكدونيوس في تراسة وبيتينيا وكان الكاثوليكيون يسمون مشايعيه اعداء الروح ونبذت هذه البدعة وحرمت في مجامع عديدة منوا مجمع في

اسكندرية سنة ٣٦٢ عقده القديس أثناسيوس ومجمع في ايليريا سنة ٣٧٦ ومجمع عقده القديس داماسس البابا في رومية سنة ٣٧٣ واخيرًا في المجمع القسطنطيني الذي عقد سنة ٣٨١ شهده مئة وخمسون اسقفاً من الشرقيين ولم يحسب هذا المجمع من المجامع المسكونية الا بعد ان عقد البابا داماسس مجمعاً اخر في رومة سنة ٣٨٢ دعا اليه الاساقفة الغربيين فصادقوا واثبتوا ما سنه المجمع القسطنطيني وايده بالسلطان الرسولي

﴿ عد ٦٠٢ ﴾

﴿ في ابولينار وغيره من المبدعين ﴾

قد انبأنا سقراط (ك ٣ من تاريخه فصل ٤٦ وسوزومانس (ك ٥ فصل ١٨) انه كان في اللاذقية بسورية رجلان يسميان ابولينار احدهما ابن الاخر وكان الاب كاهناً والابن قارئاً وكلاهما عالماً باداب اللغة اليونانية وكان الاب يعلم نحو هذه اللغة والابن الفصاحة فيها واصل الاب من اسكندرية اتى بيروت فلم فيهاثم هاجر الى اللاذقية وتزوج فولد له ابنه ابولينار وكانا معاصرين ابيفان السفسطي الوثني وملازمين له صداقة وخشي توادوطس اسقف اللاذقية ان تبعثهما شدة ملازمتهما له على الانحراف عن المذهب الكاثوليكي فنهاهما عن الترداد اليه فلم يذعنا له ثم توفي توادوطس وخلفه جيورجيوس في اسقفية هذه المدينة فاهتم ايضاً بابعادهما عن السفسطي المذكور فلم يثنيا ففصلهما عن شركة المؤمنين وشق ذلك على ابولينار الصغير فابدع البدعة المنسوبة اليه وقال بعضهم ان علة الخلاف بينهما وبين اسقفهما كانت انهما رأياه تارة يقول ان ابن الله يشبه الاب وتارة يقول مقال اريوس فانشقا عنه وعلما تعليماً حديثاً ان ابن الله اخذ جسد البشر لكنه لم يأخذ نفساً بشرية لان اللاهوت ناب عنها ثم اظهرا التوبة والارعواء عن ضلالهما الاول لكنهما ما انفكا عن الضلال لانهما قالا ان المسيح اخذ النفس لكن دون

قوتها العاقلة لان اللاهوت ناب عنها . ودونك ما جاء عن ابولينار وابنه في التاريخ السرياني الماروني الذي نشره في هذه السنة ١٨٩٩ الاب نو استاذ كلية باريس الكاثوليكية مأخوذًا عن كتاب مخطوط في مكتبة لندرة عد ١٧٢١٦ معزوًا الى قيس الماروني قال المؤلف . وظهر في هذا الزمان (في القرن الرابع) ابولينار وهو اسكندري اصلاً كان يدرس العلوم الدنيوية ثم جاء من اسكندرية وصار معلماً في بيروت ثم انتقل الى اللاذقية بسورية فتزوج هناك ورزق ابناً سماه باسمه ابولينار وصار قسيساً وابنه قارئاً في ايام تاودوطس اسقف هذه المدينة وكانا يعلمان العلوم اليونانية يعلم الاب النحو وابنه الفصاحة وكانا يكثران من التردد الى ايفان السفسطي الوثني فمنعهما تاودوطس عن معاشرته لئلا توقعهما في الوثنية فاظهرا الامتثال لامر الاسقف ومات تاودوطس وخلفه جيورجيوس وظلا يلازمان ايفان حتى عند تقدمة الذبائح للاوثان فمنى جيورجيوس بكفهما عن ذلك وابيا الا ملازمة السفسطي فاقصاهما عن شركة المؤمنين فاستاء ابولينار الشاب وابدع اعتمادًا على سفسطته بدعة خبثية ومضى الى بعض اساقفة محرومين ورقوه الى اسقفية دون ان يعينوا له مدينة واخذ هو وابوه يبثان بدعتهما فكانا يعتقدان بطبيعة اللاهوت كما نعتقد لكنهما يسميان الاب الاعظم والابن الافضل والروح الاوفر وان الكلمة تجسد واتخذ نفساً لكنها تكن ناطقة بل حيوانية لان اللاهوت ناب مناب النفس الناطقة . فهذا ما جاء في هذا الكتاب وهو مطابق لما رويناه عن سقراط وسوزومانس وذكرناه لتأكيد الخبر وتعريف القراء بهذا الاثر

ولما امر يوليانس الجاحد المسيحيين ان يتفقهوا بعلوم اليونان نظم ابولينار بعض الاسفار المقدسة شعرًا في اللغة اليونانية وروى القديس غريغوريوس النيصصي (في خطبته في القديس افرام) ان ابولينار لما شاخ ودع كتاب ضلاله

عند احدى تلميذاته في انطاكية فاستعار القديس افرام الكتاب من المرأة والصق اوراقه الى بعضها بغري ورده عليها والتقى بابولينـار فاخذ يجادله ولما عجز عن الجواب طلب كتابه ليحجه به واراد ان يفتحه فوجده قطعـة واحدة لا تنفصل صفحـة عن اخرى فطرحه في الارض وولى هارباً وقد حرمت بدعتـه في المجمع الذي عقده القديس اثناسيوس في اسكندرية سنة ٣٦٢ ثم في المجمع الذي عقده البابا داماسس في رومة سنة ٣٧٣ ثم في المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١

وكان في انطاكية في هذا القرن ايريوس انشق عن اوسطاتيوس البطريرك وتبع الاريوسيين وزاد على ضلالهم انه كان يزعم ان لا فرق بين الكهنة والاساقفة وان الصلوة عن الموتى لا تفيدهم وان الصوم والاعياد حتى الفصح ايضاً لا منفعة منها وكان في هذا القرن ايضاً المصلون وقد المعنا بذكر بدعتهم في ما مرَّ وكان اراطقة يسمون اعداء مريم وهم فرع من الابوليناريين زعموا مع اليديوس ان العذراء لم تلبث بتولاً بل ولدت اولاداً اخرين من يوسف وفند القديس ايفان ضلالهم برسالة مسهبة انفذها الى المؤمنين (انتهى عن كثير من ثقاة المؤمنين)

هذه صورة ماكرين الملك مأخوذة عن تمثال له في الكابيتول برومة



الباب الخامس

في تاريخ سورية في القرن الخامس

القسم الاول

في تاريخ سورية الدنيوي في هذا القرن

الفصل الاول

في ذكر الملوك القسطنطينين الذين تولوا سورية في القرن الخامس

نصف هولاء الملوك بالقسطنطينين لانه بعد ان اقام الملك قسطنطين في

بيزنطية وسع ابنيتها وعظمها وسماها قسطنطينية نسبة اليه وقسم مملكة الرومانيين بين ابنائه وجعل القسطنطينية عاصمة مملكة المشرق واستمر ملوكها يلون سورية الى ان تقلصت سلطتهم منها بفتح الخلفاء المسلمين لها من سنة ٦٣٤ الى سنة ٤٣٨ ويسمون ملوك الروم او البيزنطيين او القسطنطينيين او الرومانيين ايضاً ويسمي الافرنج ملكهم الملك السافل لكثرة ما كان فيه من المكر والخلاعة وافعال السفلة كما سترى

﴿ عد ٦٠٣ ﴾

(في اركاديوس الملك)

قد مرّ ان الملك توادوسيوس لقي ربه سنة ٣٩٥ وخلفه ابناه انوريوس في مملكة المغرب واركاديوس في مملكة المشرق وكان اركاديوس بكر ابيه وتسنّم منصة الملك مستقلاً وعمره نحو من ثماني عشرة سنة وكان جباناً فاتر العزيمة ترك ازمة الملك لروفينس رئيس حرسه الذي كان ابوه قد جعله مدبرًا له وكان كثير الانقياد لاودكسية زوجه من ذلك مطاوعته لها في اضطهاد القديس يوحنا فم الذهب ونفيه وقد ايد الاريوسيين ولم يحسن مقاومة الخوارج من الغطط (هم الذين يسميهم المؤرخون العرب قوط) وغيرهم في انتشارهم في المملكة وسطوهم عليها ومات سنة ٤٠٨ وروى سقراط (ك ٦ من تاريخه فصل ٢٣) ان اركاديوس كان ملكاً حليماً رضياً وقد حسبه الناس في اخر عمره عزيزاً لدى الله لانه كان في جانب قصره شجرة جوز يقال ان اكاشيوس الشهيد علق فيها ونال اكليل الشهادة فبنى الملك كنيسة على اسمه حذاء تلك الشجرة ودخل اليها ليراها فادركته المنية هناك فتسارع اهل المدينة ليشهدوا الحفلة وتراكموا على اسطحة القصر فسقطت ولم يهلك احد منهم فصاح الجمهور ان صلاة الملك وقت من سقطوا التهلكة وقد ملك اركاديوس مع ابيه ثلث عشرة سنة وملك وحده اربع عشرة سنة

وجملة عمره احدى وثلاثون سنة

عد ٦٠٤

(في الملك توادوسيوس الصغير)

خلف اركاديوس ابنه توادوسيوس الثاني ويوصف بالصغير تمييزًا له عن جده توادوسيوس الموصوف بالكبير ولم يكن حينئذٍ له من العمر الا ثماني سنين وكان انتيمس رئيس حرسه واحكم اهل عصره يدبر الملك وكان لتاوادوسيوس اربع اخوات فلاشلا وبلوشاريا واركاديا ومارينا واثر بلوشاريا على اخواتها فسماها اغوسطا اي سلطانة اذ لم يكن لها من العمر الا ١٥ سنة وقد نذرت ان تتبتل لله وبعثت اخواتها على ان يقتدين بها واتحفت كنيسة القسطنطينية بمائدة للمذبح من ذهب ورصعتها بالدرر الثمينة ودربت اخاها واخواتها في طريق الفضيلة والتقى حتى كان قصرهم يظن ديرًا وكان توادوسيوس جلودًا على العمل يكثر من الصوم ولا سيما يومي الاربعا والجمعة ويحفظ الاسفار المقدسة عن ظهر قلبه ولم يضرب باحد بل لم يرَهُ احد مغضباً وسأله احد اعوانه يوماً لمَ لم يقتل احدًا ممن جنوا عليه فقال ليتني استطيع ان ابعث الموتى وكان يجل الكهنة وابطل صراع الرجال والضواري وعود الشعب مشاهد انيسة وقد تزوج وعمره عشرون سنة باتنيدا ابنة لاونس الفيلسوف اختارتها له اخته بلوشاريا وكانت جميلة عالمة عمدها ايكس بطريرك القسطنطينية وسماها اودكسية وحارب الفرس سنة ٣٢٤ فانتصر عليهم بعون الله واخذ منهم سبعة الاف اسير فباع اكاشيوس اسقف امد آنية كنائسه وعالهم وافتداهم وزودهم بثمنها فدهش بذلك ملك الفرس اذ رأى الرومانيين يقهرون عدوهم بالحرب والاحسان اليه (طالع ما رواه سقراط مسهباً الكلام في توادوسيوس وفضائله في ك٧ فصل ١٨ الى فصل ٢٣ وسوزومانس ك ٩ ف ١) وسن توادوسيوس شرائع نهى بها عن استخدام الوثنيين في الجندية والمناصب

الملكية (شريعة ٢١ من شرائعه) وامر بنفيهم واخذ املاكهم اذا تجاهروا بتقدمة الضحايا لاصنامهم (شريعة ٢٢) ومنع اليهود من بناء مجامع حديثة (شريعة ٢٧) وفرض مثل هذه الشرائع على اشياع المبتدعين (شريعة ٥٩ و٦٠ و٦١) وعني بالتئام المجمع الافسسي لمقاومة نسطور المبتدع وحظر تلاوة كتبه وامر بنفيه واجهد نفسه في تقدم العلم وقرب اليه العلماء واكرم المعلمين ونهى عن حضور الملاعب والملاهي ايام الآحاد واعياد ميلاد المخلص واعتماده والامه وفصحه وقيامته وحلول روحه واعياد الرسل قائلاً للتعبد وقت وللهو وقت (شريعة ٥) وامر بعصمة الكنائس ونهى عن ان يدخلها احد بسلاح (شريعة ٢٤ في من يلجأون الى الكنائس) وجمع مشاهير الفقها فوضعوا مجموعة الشرائع المنسوبة اليه سنة ٤٣٥ واذاعها سنة ٤٣٨ وهي اول مجموعة للقوانين وقد هذبها ونقحها يوستنيانس كما سيجيء وكان كثير الاجلال لذخائر القديسين فقد امر بنقل رفات القديس يوحنا فم الذهب الى القسطنطينية وقبل عينيه وجبهته وجثا خاشعاً لله ان يغفر بشفاعته لوالديه اللذين اساءا اليه(تاودوريطس ك ٥ من تاريخه فصل ٣٦) ونقل ايضاً رفات الاربعين شهيدًا (الذين نالوا اكليل الشهادة في سبسطية في ايام ليشينس) الى كنيسة القديس ترسس الشهيد في ضواحي القسطنطينية باحتفاء واجلال بعناية بلوشاريا وبروكلس بطريرك القسطنطينية روى ذلك سوزومانس (ك ٩ من تاريخه فصل ٢) مفصلاً خبر وجدان هذه الذخائر ونقلها وقال انه كان شاهدًا عيانياً وشهد حفلة نقلها

وروى نيكوفورس (ك ١٤ فصل ٤٤) انه في ايام هذا الملك نقلت رفات القديس اغناطيوس بطريرك انطاكية من رومة الى القسطنطينية ثم سمح الملك بنقلها الى انطاكية بحفلة كبرى. وروى كثيرون منهم فوتيوس في المكتبة (ك ٢٥٣) وسنكساري الروم في ٤ من آب و٢٢ من تشرين الاول انه وجد في ايام تاودوسيوس الشهداء السبعة الذين كان الوثنيون في ايام داكيوس قد سدوا عليهم في مغارة

ووثقوا ابوابها واستمروا فيها راقدين نحواً من قرنين وانهم هبوا من رقادهم في ايام توادوسيوس على ان بارونيوس امام المؤرخين (في حواشيه على السنكسار الروماني في ٢٢ تموز) وغيره انكروا صحة رقادهم وهبوبهم منه بعد هذا الزمان المستطيل وايدوا انكارهم بحجج قاطعة منها ان من كتبوا ترجمة هذا الملك لم يذكروا هذا الحدث العجيب ولو كان صحيحاً لما غفلوا عنه وكذا لم يأتِ ذكره في المجمعين الافسي والخلكيدوني وقد تصدى السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٣٣٥ الى ٣٣٨) لرد حجج بارونيوس في انكاره قيامتهم من الموت والحق اقول اني لم ارَ ذاك الرد كافياً لتخطئة بارونيوس فالاظهر ان يقال ان رفاتهم وجد في ايام هذا الملك كما وجد رفات الاربعين شهيداً ولم تكن جثثهم بالية فشاع على السنة الناس انهم استمروا احياء كانهم راقدون رقاداً وكان توادوسيوس يغالي في احترام الدين والكهنة فقد روى توادوريطس (ك ٥ من تاريخه فصل ٣٠) انه اتاه راهب يسأله حاجة والحّ في سؤاله مرات فلم يجبه الملك اليه فحرمه الراهب وقلق الملك ولم يشا ان يذوق طعاماً قبل ان يحل وارسل الى البطريرك يسأله ان يأمر الراهب بحله من وثاق الحرم فاجابه انه لا يطلق لكل اكليريكي ان يطعن بالحرم وما عليه ان يعبأ بذلك فلم ينفك عن تشبثه حتى عاد الراهب فحله وكان سهل التصديق لما يقال له وروى المؤرخون عنه اموراً من هذا القبيل تكاد لا تصدق وقد اضرت سهولة تصديقه ببعض مهام الكنيسة وكان زلزال في القسطنطينية في ايامه فخرج يصحبه البطريرك والكهنة والشعب يبتهل لله في خارج المدينة ورفعت الملائكة طفلاً في الجو وسمعهم يترنمون قائلين قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت فامر بروكاس البطريرك الشعب ان يترنم كذلك فزال الزلزال روى ذلك نيكوفورس (ك ١٤ من تاريخه ف ٤٦) وشدرانس في مختصر تاريخه وقد ادركت الوفاة توادوسيوس في ٢٨ تموز سنة

٤٥٠ وملك مع ابيه اركاديوس سبع سنين وثلاثة اشهر وبعد وفاة ابيه اثنين واربعين سنة وبعض اشهر

﴿ عد ٦٠٥ ﴾

(في بلوشاريا ومرقيان الملك)

وخلفت تاودوسيوس بلوشاريا اخته بعد وفاته ومرَّ انه كان قد سماها ملكة مذ بواكير ملكه وعند استوائها على منصة الملك امرت بمحاكمة كريساف الخصي وزير اخيها على جناياته فحكم عليه بالموت ونفذ الحكم بابساله بردان الذي كان هذا الخصي قد قتل اباه على ان هذه الملكة رأت انه لابد لتدبير الملك وكبح المعتدين عليه من رجل يقوم بمهامه ويرأس جيشه وكانت قد نذرت ان تتبتل لله وكان في الجيش قائد يسمى مرقيان حائزًا على رتبة سناتور (احد رجال الندوة) معروفاً بالفضل والتقى فاختارته ان يكون قريناً لها على شريطة ان لا يمسها رعاية لنذرها وكان عمره وقتئذٍ ثماني وخمسين سنة فاستدعته الملكة اليها وكاشفته بما فكرت وصرحت له بشرطها ان يصون عذرتها فوعد بذلك واقسم عليه فدعت البطريرك ورجال الندوة ورؤساء بلاطها وامراء الجيش واخبرتهم بعزمها فصوبوا جميعاً رأيها وكان مرقيان من تراسة مستمسكاً بالدين الكاثوليكي متقلباً في مناصب الجندية ومما روي عنه انه يوم عزم ان يدخل الجندية عثر في طريقه على جثة قتيل حملته الشفقة على ان يدفنها فقبض رجال الشحنة عليه واحضروه الى المحكمة ولما كانت قرينة وجدانه يدفن الجثة قوية حكم عليه بالموت ولكن قبل تنفيذ الحكم وجد الجاني واقر بجنايته فخلى سبيله وتراقى في مدارج الجندية بشجاعته وعفافه وتقواه حتى بلغه استيهاله رتبة رجال الندوة ومنصب قائد كبير في الجيش وبعد ان رقي الى اريكة الملك كان مثالاً للحكم والعدل والغيرة على الدين وكان وبلوشاريا على اتم الوفاق مع البابا لاون الكبير فكانت بذلك مصلحة

الكنيسة والملك معاً وعقد باتفاقهم المجمع الخليكدونى سنة ٤٥١ ونبذ فيه تعليم اوطيخا الذي زعم ان في المسيح طبيعة واحدة كما سيجيء وعاون مرقيان وبلوشاريا كثيرًا على اتفاق الاساقفة في عقائد الايمان الكاثوليكي ولقيت بلوشاريا ربها في شهر تموز سنة ٤٥٣ ومضت تنال الثواب على ما صنعت في حياتها من المبرات فانها بنت كنائس شتى واقامت كثيرًا من الاديار والمستشفيات والمآوى للفقراء والعجز والشيوخ ومقابر للموتى منهم وتكرم الكنيسة ذكرها في الـ ١٠ من ايلول

اما مرقيان فاستمر يدبر الملك بعدها كما كان يدبره معها حتى يحسب عصره العصر الذهبي في المشرق فقد اشبه قسطنطين بغيرته على الدين ولكن لم يعبه شيء مما عاب قسطنطين وحاكى توادوسيوس بحلمه وكرمه وتنزه عن نقائصه وسورات غضبه وكان يكافئ اصدقاه بالذهب الرنان ويجزي اعداءه بالصقيل البتار وقد روّع أتيلا ملك الهونيين الغازي الساطي على مملكة المغرب فلم يجسر ان يناويه وروى بعض المؤرخين انه كان يعد حملة على جنساريك ملك البندالة الذي كان قد استحوذ على قرطاجنة وبعض اعمال افريقية وايطاليا ولكن فاجأت المنية مرقيان في ٢٦ كانون الثاني ٤٥٧ وعمره ٦٥ سنة بعد ان ملك ست سنين وستة اشهر فاسف عليه القديس لاون الكبير الحبر الروماني صديقه واوجب ان يكرم تكريم قديس وكنيسة الروم تعيد لذكره ولذكر بلوشاريا في ١٧ شباط وكنيستنا المارونية تعيد لهما في الـ ١٠ من ايلول

عد ٦٠٦

في الملك لاون الكبير وحفيده لاون الثاني

قد اجمع روساء الجيش والامة بعد وفاة مرقيان على انتخاب لاون ملكاً وكان لاون من تراسة وقد تراقى في مناصب الجندية الى ان صار من القادة العظام

وكان من روساء الجيش وقتئذٍ رجل اسمه اسبار غطظي اصلاً آريوسيٌّ مذهباً لم يطمع حينئذٍ ان يرقى الى منصة الملك وان هاماً بها بل عني بترقية لاون اليها على شريطة ان يسمى احد اولاده الثلاثة قيصر معه وقد تسنم لاون اريكة الملك في ٧ من شباط سنة ٤٥٧ ووضع اناطوليوس البطريرك القسطنطيني التاج على رأسه فكان اول ملك كلله اسقف . وقد اجمع المؤرخون على انه كان كاثوليكياً مخلصاً وظن اسبار ان الملك سيكون طوع يديه فاخطأ ظنه لانه سأله يوماً انجاز وعده ومسك طرف برفيره قائلاً لا يليق بمن عليه هذا البرفير ان يخلف وعده فاجابه الملك ولا ان يجعل نفسه رقاً ولا سيما في ما يأول لمصلحة المملكة ولم ينفك اسبار ملحاً على الملك بانجاز وعده ولم يكن للملك ابن وكان لعقيلته وارينا اخ اسمه باسيليك يطمع في الملك وهو غير اهل له وكان للملك ابنة اسمها ارتيرنا زوجها بزينون الايسوري وكان بصره يطمح الى الملك ايضاً فكان مريدو الملك في دولة لاون ثلاثة ولكل منهم مريدون ومشايعون وعمد كل منهم الى الخيانة والغدر . واعد الملك اسطولاً كبيرًا ليحمل على جنساريك ملك البندالة الذي كان قد استحوذ على المغرب وازمع ان يلحق به المشرق وامر على الاسطول باسيليك اخا الملكة وامره ان يضرب جنساريك في افريقية نخشي اسبار وبنوه ان يعتز الملك بامتلاكه افريقيا فينفيهم من مملكته وكانوا يتوددون الى جنساريك لانه كان اريوسياً مثلهم فزينوا لباسيليك بانهم يعاونونه على ارتقائه الى منصة الملك اذا لم تنجح حملته على افريقيا فتقاعد عن اصلاء نار الحرب وطلب جنساريك اليه ان يهادنه خمسة ايام ليقرر معه شرائط الصلح فاجابه الى سؤله وبث جنساريك بين اسطول لاون حراقات القت النار في سفنه فاحرقت كثيرًا منها واباد كثيرين من شجعانها وقفل باسيليك الى القسطنطينية وخشي سخط الملك فلجأ الى كنيسة القديسة صوفيا ولكن شفعت به اخته فرضي الملك عنه . وقد نصب

الملك صهره زينون قائدًا لجيش المشرق سنة ٤٦٩ وارسله الى تراسة لكبت
بعض المعتدين وحسده اسبار وهيج الجنود عليه فتآمروا على قتله ففر الى سرديكا
وهي صوفيا قصبة البلغار ودرى الملك ان اسبار ينشئ هذه المكايد فاراد ان
يسترضيه باقامة احد ابنائه قيصر واثر بطريسيوس احدهم على اخويه وعهد اليه
بهذا المنصب وخطب له ابنته الثانية لاونية فهاج اهل قسطنطينية وصرحت الملكة
للملك باستيائها واهان الشعب بطريسيوس واقبل البطريرك والكهنة والرهبان
وجم غفير من الاهلين الى القصر يصيحون الى الملك ان ينصب قيصر كاثوليكيا
صحيح العقيدة لا اريوسيا كما كان ابن اسبار وان لا يعرض الكاثوليكيين لسؤ
المعاملة والاضطهاد كما كان في ايام قسطنس ووالنس فابان الملك لهم ان بطريسيوس
ارعوى عن ضلاله وانه سيبين للجمهور صحة عقيدته فاطمأنوا الى كلامه وكان اسبار
وبنوه قد فروا الى خلكيدونية عندما رأوا هذا الهياج فمضى البطريرك يأمنهم
ليعودوا فابوا الا ان يأتي الملك بنفسه فيرجعهم آمنين فاتى وصحبوه الى قصره
واكرم مثواهم وظن الراحة استتبت لكن اسبار العاتي حسب عفو الملك عنه
اهانة حديثة له فلم يبرح عاتيا فسئمت نفس الملك صلفه فاستدعاه وبنيه اليه
واغتاله وابنه اردابور احد الخصيان وطرح بطريسيوس مثخنًا بجراحه ثم لم يظهر
الا في ايام الملك أنسطاس وفر هرمنار ابن اسبار الثالث الى ايسوريا واستراح
الملك من شر اسبار وبنيه سنة ٤٧١

ورزق الملك لاون ابنًا لكنه مات حدثًا فهمّ ان يقيم زينون الايسوري
صهره خلفًا له فهاج شعب القسطنطينية لمقتهم كل ايسوري وقتلوا كثيرين من
الايسوريين وكان زينون ذميم المنظر وخلقه متناهيًا في شناعة الخلق فاضرب
الملك عن اقامة زينون واقام سنة ٤٧٣ ابنه المسمى لاون حفيد الملك (ابن بنته)
ولم يكن له من العمر الا اربع سنين فرضي الشعب عن هذا الامير رعاية لجده

الملك لا لابيه زينون الا ان الملك لاون لم يعش بعد ذلك الا قليلاً لان المنية ادركته في شهر كانون الثاني سنة ٤٧٤ وكان هذا الملك ورعاً مدافعاً عن الايمان الكاثوليكي ورسوم المجمع الخلكيدوني ضد الاوطاخيين وسنّ شرائع محكمة نافعة للدين والتقوى منها شريعته الآمرة بالامتناع عن الاعمال الخدمية ايام الاحاد والاعياد وشريعته الناهية عن الارتقاء الى المراتب البيعية بالرشوة والمال وبعد دفنه اخذت لاون الصغير امه وجدته الى احدى ساحات المدينة واجلستاه بحضرة الشعب على العرش وتقدم ابوه زينون اليه على سبيل التهنئة له فوضع له التاج على رأسه واعلن انه شريكه في الملك كما لقنته جدته وامه الا ان لاون الصغير لم يعش بعد تمليكه الا نحو تسعة اشهر وظن كثيرون ان اباه دس له سماً فقضي في شهر تشرين الثاني سنة ٤٧٤ (افاغريوس ك ٢ من تاريخه فصل ١٧ ونيكوفورس ك ١٥ فصل ٢٨)

عد ٦٠٧
في الملوك زينون وباسيليك ولاوس

لم يرقَ زينون الى منصة الملك الا وقد تمرغ باوحال نجاسته وملاذه حتى كان يحسب عاراً عليه ان يستتر عند اتيانه المعاصي ويستحل كل محرم وكان في عقيدته اوطاخياً ويؤيد اصحاب هذه البدعة . وكان جباناً وغداً جاهلاً يدبر كل شيءٍ بحسب امياله لا بالعدل والسداد وقد اثقل مسوديه بالخراج والضرائب منها ان خراج مصر كان خمسين ليرة من ذهب فجعله خمسمائة ليرة وكان يستشير القديس دانيال العمودي لكنه يستشير السحرة ايضاً ويعمل بمشوراتهم الخبيثة وكان له من امرأته الاولى ابن على شاكلته في نجاسته جزم ان يجعله خليفة له فعاجلته المنية وكان له اخوان فاقه احدهما في قسوته ورعونته وفاقه الاخر في تفاحشه وكلاهما جعلا اعمال المملكة في اسوإِ حال وصالا على المال والعرض والدم .

وكانت وارينا حماته التي احلته على منصة الملك تظن انها تنال كل ما تسأل ولما سألته يوماً حاجة ما انكرها عليها فكايدته وانشأت محالفة خفيةً عليه وعزمت ان تثل عرشه وتجلس عليه اخاها باسيليك واثقة بانه لا مناص من سقوطه اذا قاطعته ولما تم عقد الائتمار على خلعه ارسلت تنبهه اليه فراعه الخبر وانهزم الى خلكيدونية ثم الى ايسورية فاستراح الشعب من هذه الجائحة وحملوا على الايسوريين الذين كانوا كثيرين في القسطنطينية فقتلوا منهم جماً غفيراً ونودي في هذه المعمعة باسيليك ملكاً ووضعت وارينا اخته التاج على رأسه وسمي هو امرأته زينونيدة ملكة وابنه مرقس قيصر ثم امبراطوراً. على ان باسيليك جعل الناس بسوء اعماله يأسفون على خلع زينون فانه كان اقبح منه سيرة وسريرة اثار عليه ببخله وطمعه اعوان القصر والجنود والشعب فكان يحلل بالمال افظع ما حرمته الشرائع ويطلب من الاساقفة ما يبهظهم من مبالغ المال ويثقل العملة الصعاليك بضرائب يعجزون عن ادائها ودرى باسيليك ان اخته وارينا ارملة زينون متيمة بحب شاب اسمه بطريسيوس من متقدمي قصرها وخاف ان تتزوج به وتجلسه على التخت بدلاً منه فقتله وآلت وارينا ان تثأر بدمه وتهلك اخاها وتعيد زينون الى الملك وكانت زينونيدة امرأة باسيليك اوطاخية وغير امينة لله ولا لزوجها فاشربته ضلال اوطيخا فاستدعى تيموثاوس النمس الذي اختلس بطريركية اسكندرية من منفاه فاتى القسطنطينية كظافر واستقدم بطرس القصار الدخيل على بطريركية انطاكية من مخباه في دير مذ ثماني سنوات فاتى متشامخاً وكلاهما بعثا الملك على ابراز منشور يأمر به الاساقفة والكهنة والرهبان ان يحرموا البابا لاون والمجمع الخلكيدوني فاذعن بعض الاساقفة لامره على ان اكاشيوس البطريرك القسطنطيني نبذه وجمع الكهنة والرهبان والشعب في كنيسة قسطنطية وغشى المذبح وعرشه الاسقفي بستائر الحداد واقاموا الحجة على منشور الملك وكتبوا الى الحبر الروماني القديس

سمبليشيوس ينبئونه بما كان فكتب سنة ٤٧٦ اربع رسائل الى الملك والبطريرك وكهنة القسطنطينية ورؤساء اديارها يذكر الملك بما كان عليه مرقيان ولاون سالفيه ويشدد البطريرك والاكليريكيين في المناضلة عن الايمان القويم والمناصبة لتيمس والقصار واستمر الملك مصرًّا وخاف ان يدبر عليه زينون فيخلعه من الملك ويعود اليه فارسل ايلس احد عماله الى ايسوريا يقتل زينون فكتبت وارينا واخص رجال الندوة اليه ان لا يعمل بامر الملك بل ان يعاون زينون فآثر العمل بمرضاتهم على مرضاة الملك وانضم بجنده الى زينون ولحق بهم كثيرون من مريديه فهب زينون الى القسطنطينية بجيش كثيف وعلم باسيليك بذلك فاتى الى الكنيسة يعتذر عن اعماله جهارًا وينقض امره السالف ويحرم نسطور واوطيخا وكل المبدعين ويأمر برعاية الايمان الكاثوليكي واستمراره دون تغير على ما كان عليه من ايام الرسل وألب من بقي من الجنود في القسطنطينية وتراسة وما جاورهما وامر على الجيش ارماتيوس خليل امرأته بعد ان اقسم ايمانًا معظمة انه يرعى الامانة له فالتقى الجيشان حذاء نيقية وكادت الدوائر تدور على زينون واوشك ان ينهزم لو لم يمكنه ايلس مبينًا له انه يتيسر له كسب ارماتيوس ومضى ايلس الى معسكر ارماتيوس متنكرًا ووعده بان يجعله رئيس الحرس الملكي ما دام حيًا وبان يسمي ابنه قيصر له حق الخلافة بعد وفاة الملك فانست هذه الوعود ارماتيوس ايمانه وحبه لزينونيدة امرأة باسيليك ولكي يستر خيانته مضى في غير الطريق التي سار بها زينون الى القسطنطينية فوصل زينون اليها وابوابها مشرعة فدخلها آمنًا فالتقاه رجال الندوة والشعب ولا سيما وارينا الملكة فتسارع باسيليك ولجأ الى كنيسة القديسة ايرينا مع حرمه واولاده ونزع التاج عن رأسه ووضعه على المذبح فلم يجسر زينون ان ينتهك حرمة هذا الملجأ بل ارسل اليه ارماتيوس يؤكد له انه لا يقطع رأسه ولا يريق دم امرأته ولا اولاده اذا خرج من الكنيسة . وجمع زينون رجال الندوة ومن وجد من

الاساقفة في القسطنطينية يستشيرهم في ما يفعل وحكم على باسيليك بالنفي مع امرأته واولاده الى الكبادوك على ان زينون امر ان يلقوه في جب لا ماء فيه ووثق بابه واقام عليه الجنود كيلا يأتيهم احد بقوت وبعد ايام وجدوا موتى لشدة الجوع وقرص البرد معانقاً احدهم الاخر وحسب زينون انه برّ بيمينه بانه لم يقطع رأسه ولم يرق دم ذويه وعن بعضهم ان زينون نفاه الى الكبادوك بحسب الحكم عليه واماته هناك جوعاً وكان ذلك سنة ٤٧٧ (افاغريوس ك ٣ فصل ٧)

ولم يخلف زينون وعده لارماتيوس بل سماه رئيس الحرس الملكي وسمى ابنه قيصر على انه بعد مدة قتل ارماتيوس وهم ان يلحق به ابنه ولكن شفعت به الملكة فاكتفى ان يجرده من منصبه ويكرهه على ان يصير اكليريكياً وصار بعد ذلك اسقفاً على مدينة شيزيك (باسيا الصغرى) واقام باعباء مقامه كأن الله دعاه الى ذلك وانكف زينون عن معاصيه مدةً ما وكافأ رجال الندوة وشعب القسطنطينية على ما صنعوه اليه فغالوا في مدحه واقاموا له التماثيل ومضى يزور مع الملكة القديس دانيال العمودي ويعزو عوده الى صلواته وكتب الى البابا سمبليشيوس يشكر له على ارتياحه الى عوده الى الملك ويعد بان يستأصل ضلال اوطيخا وبناصب تابعيه ويعني بان يرعى الجميع رسوم المجمع الخلكيدوني وان يرد على الاسكندريين اسقفهم الشرعي فاجابه البابا في ٨ تشرين الاول سنة ٤٧٧ مبدياً سروره بعوده الى منصة الملك ومؤكداً له ان اعداء ملكه هم اعداء الله وان عليه ان يقابل احسان الله اليه بمدافعته عن كنيسته وعن رسوم المجمع الخلكيدوني وبابعاد تيموتاوس النمس عن كنيسة الاسكندرية وقد نقض زينون كل ما امر به باسيليك مما يعود على الايمان والكنيسة بالضر وعمل برغائب البابا بان عنى في عقد مجمع في الشرق حط فيه بطرس القصار ويوحنا اسقف اباميا وبولس اسقف افسس عن اسقفيتهم وكان الملك يريد ان يطرد النمس من الاسكندرية وقيل له ان هرم

وانه سيموت عما قليل وقد مات بعيد ذلك ويقال انه تناول سماً كيلا يطرد من كرسيه وانتخب مشايعوه بطرس الالثغ وكان رئيس الشمامسة في كنيسته ورقاه الى الاسقفية اسقف واحد ليلاً فطرده الملك ورد على الاسكندرية اسقفها الشرعي المسمى تيموثاوس سولوفاسيال وامر الاساقفة بطاعتـه (افاغريوس ك ٣ فصل ٨ وما يليه)

وكان للغطط ملكان اسم احدهما تيودريك امال واسم الاخر تيودريك لوش ولدى تنازع باسيليك وزينون الملك كان امال من جهة محازبي زينون ولوش من محازبي باسيليك فكافأ زينون امال بان سماه بطريقاً وقائدًا لحرس القصر وارسله يخضع لوش الى سلطانه ونوى ان يهلكه فاستلمح امال نيـة الملك ووائق لوش وحملا معاً على زينون في القسطنطينية واعلن زينون الحرب عليهما فاغناه هذا الاعلان عن جيش جرار لكنـه انغمس بترفه وملاذه واهمل جنوده فحنقوا عليه وهموا بان يقيموا ملكاً عليهم ففرق شملهم وعقد صلحاً مع الغطط فكانت وغادته داعياً للثورة عليه . وفي سنة ٤٨٤ عمات واريـنا ارملة الملك لاون على اهلاك ايلس المذكور آنفاً فنجاه زينون من مكيدتها وحجر عليها في قصر يسمى بابيريوس في ايسوريا ثم كادت له اريدنا ارملة زينون فجمع ايلس جيش المشرق ونادى بلاونس ملكاً وكان لاونس سورياً ولد في قنسرين وضليعاً في العلوم وصناعة الحرب وقائدًا في جيش تراسة ومضى ايلس ولاونس يزوران وارينا في محبسها فاقنعاها بالوعود واخذاها الى ترسيس وجعلاها تضع التـاج على رأس لاونس بحضرة الجيش وتكتب رسالة عامة الى جميع حكام المشرق ومصر وليبيا تقول فيها تعلمون ان الملك لنا واننا بعد وفاة قريننا رفعنا الى منصته زينون وكنا نؤمل ان يسعد شعبنا ويرقيه في مدارج التقدم فاحطه واثقله بطمعه وبخله ولذلك رأينا لازماً ان نولي عليكم ملكاً مسيحياً حقاً يدبر الملك بحسب قواعد الدين والعدل ويصلح شؤون

المملكة المتداعية للخراب ويكبح اعداءها فتوجنا لاونس المعروف بالفضل والتقى فاقروا له بالملك واخلصوا في الطاعة له ومن خالفه عدّ عاصياً فتقبل الاكثرون هذه الرسالة بالمسرة والاذعان ودان اكثر مدن سورية للاونس ولما رأى ايلس انه لم تعد حاجة في وارينا ردها الى محبسها في ايسوريا حيث ادركتها المنية بعيد ذلك واما لاونس فارسل اليه زينون تيودريك (لعله احد ملكي الغطط المشار اليهما آنفاً) فقتله بعد ان ملك ثلث سنين واتبع به ايلس وبعد ان تشاغل زينون بشؤن الكنيسة على غير هدي كما سيجي في القسم الديني ادركته المنية في شهر نيسان سنة ٤٩١ وقال بعض المؤرخين اليونان الحدثاء انه دفن حياً وقال قدماؤهم انه اصابه فالج قضى به وكان يريد ان يترك الملك لاخيه لنجين وهو غير اهل له فسعت امرأته اريدنا مع رجال الندوة فملكوا انسطاس

عد ٦٠٨

(في انسطاس الملك)

ان انسطاس ولد في درانش دورازو (مدينة على شاطي الادرياتيك شرقاً) سنة ٤٣١ وتقلب في المناصب الى ان صير رئيس الحرس المكاف بملازمة الصمت في القصر وكان متقلباً في ارائه ما زانته فضيلة الا عابته رذيلة وبعد وفاة زينون حاول اخوه لنجين ان يأخذ الملك فقاومه رجال الندوة واريدنا ارملة زينون والشعب واثروا عليه انسطاس سنة ٤٩١ وتزوجت اريدنا به بعد وفاة زوجها باربعين يوماً وكان جانحاً الى ضلال اوطيخا فلم يشأ اوفيميوس بطريرك قسطنطينية ان يتوجه الى ان جحد ضلاله واعلن انه مذعن لرسوم المجمع الخلكيدوني ودوّن اقراره بصك امضاهُ بيده ووقّع عليه وحفظ في خزانة كنيسة قسطنطينية وكان انسطاس ورعاً يبكر الى الكنيسة فلا يخرج منها الا بعد انصراف الشعب ويكثر من الاصوام والصدقات ولذلك اكثر الشعب من الاحتفاء بتمليكه والهتاف عند

ظهوره لاول مرة بالمطارف الملكية املك كما عشت على ان امه كانت تدافع عن المانويين وخاله كلارك يؤيد جانب الاريوسيين فاثر ذلك بادابه . ولما علم البابا فلكس بارتقائه الى منصة الملك كتب اليه مهنئاً حاثاً له على الذب عن المذهب الكاثوليكي ولم يصرح له بقبوله في شركة الكنيسة قبل ان يرى ما يكون من اعماله ثم ادركت الوفاة هذا الحبر في ٨ شباط ٤٩٢ وخلفه البابا جلاسيوس فكتب الى انسطاس الملك يبشره بارتقائه الى السدة الرسولية على ان هذا الملك لم يرعَ تعهده بالمحافظة على الايمان الكاثوليكي واخلف وعده الذي دونه لانه عزل ونفى البطريرك اوفيميوس الذي توجه وامل ان يكون مكدونيوس البطريرك الجديد اكثر ممالأة له وقد مالأه البطريرك اولاً على توقيعه على المنشور المعروف بالهانوتيكن (اي منشور الاتحاد الذي كان زينون قد اصدره) الا انه انكر عليه ان يرد له الصك الذي تعهد به بالمحافظة على رسوم المجمع الخلكيدوني بل عقد البطريرك مجمعاً فايد ما امر به هذا المجمع خطأً فاظهر الملك رضاه عن ذلك لانشغاله بما هو اهم منه وهو خروج قباد ملك الفرس على ارمينيا وما بين النهرين واستحواذه على مدينة آمد وبعد نهاية هذه الحرب التي دامت ثلث سنين الى سنة ٥٠٥ عاد انسطاس الى محاربة الكنيسة فقد صور في معبد قصره صوراً قبيحة تشير الى خزعبلات اخترعها المانويون فقلق الشعب لاعتياده ان لا يرى في المعابد الا الصور الباعثة على التقوى وهاجوا على الملك وانتهز الاراطقة هذه الفرصة ليسطوا على الكاثوليكيين فدفعهم هولاء بحدة وعظم الخطب وكان من عادة الملوك ان يحضروا في الكنائس كعامة الشعب وخشي انسطاس الغدر به فلم يحضر الى الكنيسة الا مخفوراً برئيس حرسه وكتيبة من جنده فاستطرقت هذه العادة وزاد القلق باستدعائه اخسنيا المانوي الذي كان بطرس القصار قد رقاه الى اسقفية ارابوليس (وهي منبج في شمالي سورية) واثار اهل سورية على افلابيانس

بطريرك انطاكية فاسخط قدومه الاكليرس والشعب في قسطنطينية حتى اضطر الملك ان يبعده سرًّا عن المدينة وكان مكدونيوس بطريركها يناصب الملك في هذه الشؤون فرشا رجلاً اثيماً ليغتاله فاخطات رميته البطريرك وعرف البطريرك الغادر فلم يطلب جزاءه بجنايته بل احتضنه بحمايته واوصل الرزق اليه والى عياله فلم تثنِ هذه الشفقة الملك عن عزمه على اهلاك البطريرك وابطال المجمع الخلكيدوني واثار عليه جحفلاً من الاراطقة فحاولوا الوثوب على داره فتألب حشد كبير من الكاثوليكيين واخذوا يطوفون ازقة المدينة هاتفين ها هوذا زمان الاستشهاد ايها المسيحيون فلا نتركنَّ ابانا ويقذفون الشتائم للملك ويسمونه مانوياً غير اهل للملك حتى ارتاع ووثق ابواب قصره واعد سفناً ليهرب وبعد ان كان في الامس آلى ان لا يرى البطريرك ارسل يرجو منه ان يأتي اليه فاتى متبسلاً مؤنباً الملك على انه عدو لكنيسة الله فراوغه الملك واعدًا بانه سيعضد الكنيسة وبعد مدة ارسل اليه خطاً يصرح به انه مذعن لما رسم في المجمعين النيقوي والقسطنطيني وصمت عن ذكر المجمعين الافسسي والخلكيدوني ففرط من البطريرك ان يثبت خطه لكنه انتبه للحال الى غلطه ومضى الى دير فكتب رسالة عامة صرح فيها باعتقاده كل ما رسم في المجمع الخلكيدوني وبتنزيله منزلة الاراطقة كل من لم يعتقد كذلك

وكان انسطاس هائماً في ان يسترد خطه الذي ابان فيه اعتقاده بالايمان الكاثوليكي فارسل شلر مدير بلاطه يطلبه فتمنع البطريرك من تسليمه واخذ الصك وضمه في صوان وختمه ووضعه تحت المذبح فلم يجسر شلر ان يختطفه من هناك لكن ابتزه احد خدمة الكنيسة ليلاً ودفعه الى الملك فشقه شققاً وطرحه في النار وطفق يكيد للبطريرك فرشا ماكرين وثلبا البطريرك بانه ارتكب الفحشاء امامهما فدفع تهمتهما بانه خصي فشفع الشعب ورجال الندوة والملكة في البطريرك فاعارهم

اذاً صماء ونفى البطريرك مكدونيوس واقام في اليوم التالي تيموثاوس خازن الكنيسة في كرسي قسطنطينية على ما كان عليه من التهتك وقلة المبالاة بالدين او الشرف وكان تارة يقر بما رسمه المجمع الخلكيدوني وطوراً ينكره وطرح كثيرين من الاكليريكيين في السجون وفرّ من جوره كثيرون بعضهم الى فونيقي وبعضهم الى رومة وحمل بعض الاساقفة المتملقين له على ان يحكموا على مكدونيوس البطريرك دون ان يسمعوا له او يروه فعظم الشغب في الكنيسة والمملكة وزاده انسطاس بانه كتب كتاباً اكثر فيه من الطعن في القديس سيماخس البابا فاجابه البابا بكتاب مسهب زيف فيه تهماته وكشف عن غواياته وأنبه على عداوته لله وكنيسته وكان افلابيانس بطريرك انطاكية وايليا بطريرك اورشليم يناصبان الملك في عزل مكدونيوس بطريرك قسطنطينية فسخط الملك عليهما وامر بعقد مجمع في صيدا سنة ٥١١ طامعاً ان يجبرهما على مخالفة المجمع الخلكيدوني فلم ينولاه مأربه واشتد سخطه عليهما وعزم ان يعزلهما فارسل الى انطاكية اخسنيا المانوي اسقف ايربوليس فجمع رهبان سورية الاولى (في شمالي سورية) واتى بهم الى انطاكية متملقين متفحين عازمين ان يكرهوا افلابيانس على ان يحرم المجمع الخلكيدوني فشق على البطريرك صنيعهم وثار الشعب على اولئك الرهبان فقتلوا بعضهم والقوا جثثهم في العاصي وسمع رهبان سورية الثانية (في وسط سورية) فاتوا للمدافعة عن البطريرك فتذرع الملك بذلك ونفى افلابيانس الى العربية واقام مكانه ساويروس وارسل بعض عماله الى انطاكية ليمكنوه في كرسيه ويخمدوا جذوة غضب الشعب فنفوا كثيرين من علية الاكليرس واجلسوا ساويرس على كرسي انطاكية سنة ٥١٢ واصدر منشوراً حرم به المجمع الخلكيدوني فلم يقبله اهل فلسطين بل طردوا مذيعيه واما الاساقفة فانخدع بعضهم واذعن بعضهم مكرهين ومزق بعضهم المنشور ولم يقبلوه ومن هولاء يوليان اسقف بصرى وايبفان اسقف صور وبعضهم تركوا

كنائسهم واعتزلوا في اديار فلسطين ومن هولاء بطرس اسقف دمشق وبعضهم حكموا على ساويروس بانه منحط عن مقامه وارسلوا اليه حكمهم ومن هولاء قزما اسقف حماه وسوريان اسقف ارتوسيا (كان موقعها عند مصب نهر البارد رنان في بعثة فونيقي) فامر الملك والي فونيقي ان يطردهما من كراسيهما فاجابه انه لا يمكن طردهما دون اراقة دم كثير لتشيع شعبهما لهما فرغب عن ذلك

وعلم ساويروس ان ايليا بطريرك اورشليم لم يقبل منشوره فارسله اليه سنة ٥١٣ مع بعض الاكليرس وعمال الملك ليكرهوه على قبوله فاتى القديس سابا من البرية مصحوباً بروساء الاديار واجتمع حشد مع الرهبان والعامة فطردوا من المدينة حاملي المنشور واجتمعوا حول الجلجلة يصيحون فليكن محروماً ساويروس ومن اشترك معه واراد ساويرس ان يستميل اليه المنذر احد ملوك الحيرة من بني غسان وكان قد سطا على ملك الرومانيين في العربية وفلسطين ولما رأى معجزات القديس سابا تنصر واعتمد فارسل اليه ساويرس اسقفين من اشياعه ليستغويه بضلاله فقال المنذر لهما اتتني رسائل تنبئ بان ميخائيل زعيم الملائكة قد مات فقال الاسقفان هذا محال مضحك فالملك لا يموت فقال المنذر ان صح قولكما فكيف مات المسيح وهو اله اذا لم تكن له طبيعة بشرية فخجلا وانصرفا من عنده كئيبين رواه توادورس القارئ (ك ٢ من تاريخه)

ولما علم انسطاس الملك ان ايليا بطريرك اورشليم لم يذعن لساويرس بطريرك انطاكية ارسل اوليمبيوس والي فلسطين الى اورشليم فاحتال في طرد ايليا من كرسيه وابعاده منفياً الى ايلة على البحر الاحمر واقام مكانه يوحنا بن مزشيان في ٣ ايلول سنة ٥١٧ لانه وعد بان يوافق ساويرس ولما علم القديس سابا وسائر روساء اديار فلسطين بعثوا يوحنا على اخلاف وعده الاثني وردى الملك بذلك فاستشاط غيظاً وارسل الى اورشليم انسطاس بن بمفيل بدلاً من اوليمبيوس الوالي فقبض على

يوحنا البطريرك والقاه في السجن فقال له يوحنا اخرجني من هنا لئلا يقال اني عملت برضاة الملك مكرهاً ونهار الاحد اصنع ما تأمر فرضي الوالي عنه واخرجه من السجن فاستدعى البطريرك رهبان فلسطين الى اورشليم فحضروا اليها وربا عددهم على عشرة الاف على ما يقال واجتمعوا نهار الاحد في كنيسة القديس اسطفانس فاخذ الشعب يصيح احرموا الهراطقة أيدوا المجمع الخلكيدوني فهتف الاباء المجتمعون وروساء الاديار فليكن محروماً نسطور واوطاخي وساويرس الانطاكي وكل من لا يذعن للمجمع الخلكيدوني ومن لا يقبل المجامع الاربعة كالاناجيل الاربعة فليكن محروماً فدهش الوالي وارتاع من حشد الرهبان ففرّ الى قيصرية واتصل الخبر بانسطاس فتمزق غيظاً وعزم ان ينفي البطريرك يوحنا ودفع اليه القديس سابا وروساء اديار فلسطين عريضة يؤنبونه بها على اقلاق الكنائس ولا سيما كنيسة اورشليم ويسألونه ان ينكف عن هذا التعرض لمسائل الدين وكان حينئذٍ ويتاليان احد قائدة الجيش ورئيس عصابة الكاثوليكيين يثير الحرب عليه لاضطهاده الكاثوليكيين فرغب الملك عن نفي البطريرك يوحنا الاورشليمي

اما ويتاليان المذكور فكان من احفاد اسبار وزير الملك لاون الكبير وقائدًا في جيش الملك فاقامته عصابة من الكاثوليكيين من بلاد التتر وتراسة وغيرها رئيساً لها فحمل سنة ٥١٥ على انسطاس بجيش جرار وخيم حول العاصمة فارتاع انسطاس وطلب عقد الصلح فطلب ويتاليان من جملة شروطه ان يرد مكدونيوس بطريرك قسطنطينية الى كرسيه وافلابيانس بطريرك انطاكية اليها وان يعقد مجمع يرأسه الحبر الروماني لمنع الاضطهاد عن الكاثوليكيين فرضي الملك هذه الشروط ووقع عليها واقسم على اتمامها وكتب الى البابا هرمزدا يسأله عقد هذا المجمع وان يحضره بنفسه في اول تموز سنة ٥١٥ فاجابه البابا مبدياً سروره وارسل اليه وفدًا من الاساقفة اصحبهم بارشاد مهم يمكن الاطلاع عليه برمته في تاريخ

روهربخر (ك ٤٣) على ان انسطاس لم يكن غرضه الا المخادعة والتسويف فارجع الوفد الى البابا متذرعاً بحجج واهية يعتذر بها عن عقد المجمع حينئذٍ وفي سنة ٥١٧ ارسل البابا الى القسطنطينيـة وفداً اخر على ان انسطاس جامل الوفد الاول واكرم مثواه خوفاً من ويتاليان واما الوفد الثاني فحاول ان يرشيه بالمال ليمالئه على رغائبه ولما لم ينل منهم مأرباً اصرفهم مهانين وانزلهم في سفينة مخفورين وحظر عليهم ان يحلوا في مدينة في طريقهم واجتمع بعض الاساقفة في هرقلية فخادعهم الملك ولم يدعهم يبتون شيئاً وفي اثر ذلك كتب روساء اديار سورية الثانية رسالتهم الشهيرة الى البابا هرمزدا التي سنأتي على ذكرها برمتها في الكلام على رهبان القديس مارون

وفي سنة ٥١٧ اخرب الغطط مكدونية واتصلوا الى تساليا والايبر واخذوا كثيرين من الاسرى ولم يتمكن انسطاس من افتدائهم وفي سنة ٥١٨ حمل ويتاليان ثانية على الغطط وحصلت زلازل شديدة في تراسة اخربت كثيراً من المدن وفي ليلة الاول من شهر تموز حصلت رعود وبروق حول قصر انسطاس فارتاع واخذ يفر من غرفة الى اخرى ثم وجد ميتاً في مخدع صغير ويظن انه اصيب بصاعقة وكان عمره ٨٨ سنة ودام على منصة الملك ٢٧ سنة (ملخص عن تاريخ روهربخر ك ٤٣ وعن افاغريوس وتوافان وشدرانس في مختصر تاريخه وبارونيوس وغيرهم) اسأل القراء معذرة لشرودي عن كتب التاريخ الدنيوي الى الكلام في التاريخ الديني فانسطاس وزينون اثرا العناية بامور الدين وتدبير الكنيسة كما يجب ان على العناية بشؤون المملكة وكبت اعدائها فلم يكن لانسطاس ما يذكر في جانب مصلحة المملكة الا رد عماله في فلسطين وسورية العرب عن سطوهم على هذه البلاد واسترجاع قادة جيشه بعض مدن ما بين النهرين وارمينية من يد الفرس وقد صالحهم صلحاً مذلاً له بل شراه بثمن فاحش وفي الجملة قد عمل على قهقرة المملكة

واقلاق شعبها والقاء عصا الشقاق بينهم فاضر بها وبالكنيسة وبنفسه

الفصل الثاني

في بعض الاحداث في سورية في هذا القرن

عد ٦٠٩

(في الحرب التي كانت بين الاسود احد ملوك الحيرة وبني غسان ملوك الشام)

قل ما عثرنا في ما لدينا من الكتب على اخبار احداث دنيوية مهمة في سورية في هذا القرن فقد اغفلت المسائل الدينية ولاتها وشعبها الاهتمام بغيرها وقل من كان فيها من المشاهير العلماء غير الدينيين واهم ما ذكره المؤرخون العرب من الحروب في سورية في هذا القرن انما هو الحرب التي كانت بين الاسود بن المنذر ابن النعمان من الملوك اللخميين في الحيرة بقرب الكوفة وبين الامراء آل غسان ولاة الشام وقد روى اخبار هذه الحرب كثيرون من المؤرخين العرب ومنهم ابو الفدا في الكتاب الاول من تاريخه (في كلامه على الملوك اللخميين في الحيرة) فقال ان الاسود انتصر على غسان عرب الشام واسر عدة من ملوكهم واراد ان يعفو عنهم وكان له ابن عم يقال له ابو أُذينة قد قتل آل غسان له اخاً في بعض الوقائع فقال ابو اذينة في ذلك قصيدته المشهورة يغري الاسود بقتلهم فمنها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوّغه المقدار ما وهبا
واحزمُ الناسِ مَن ان فرصةٌ عرضت لم يجعلِ السببَ الموصولَ منقضبا

وانصفُ الناسِ في كل المواطن مَن سقى المعادين بالكاس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضُربا
والعفوُ الا عن الاعفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمرًا وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجر الويلَ والحربا
لا تقطعن ذنبَ الافعى وترسلها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرًا واوقدوا النارَ فاجعلهم لها حطبا
ان تعفُ عنهم يقول الناس كلهم لم يعفُ حلماً ولكن عفوه رهبا
همُ اهلّة غسان ومجدهمُ عالٍ فان جادلوا ملكاً فلا عجبا
وعرضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وابلاً تروق العجمَ والعربا
ايحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علامَ تقبل منهم فديةً وهمُ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

قال ابو الفداء قد نقلت ذلك من مجموع بخط القاضي شمس الدين ابن خاكان ورأيت في تاريخ ابن الاثير خلاف ذلك ان الاسود قتله غسان وانتصرت عليه غسان ثم قال ابن الاثير وقيل غير ذلك انتهى كلام ابي الفداء ومما قاله المؤرخون العرب ايضاً ان النعمان بن امرئ القيس الثاني من هولاء اللخميين الذي ملك في هذا القرن غزا الشام مرارًا كثيرة واكثر المصائب في اهلها وسبى وغنم كثيرًا من الاموال وهو الذي نهض بثار رجل من بني غسان يقال له الضيزن واخذ ديته مئة الف دينار ممن كان في زمانه من ملوك الروم وهذا الملك هو الذي بنى الخورنق والسدير القصرين الشهيرين في الحيرة ويروى انه كان يقول

واذا سكرتُ فانني ربُّ الخورنقِ والسدير
واذا صحوت فانني ربّ الشويهة والبعير

وانه اعتزل الملك وزهد فملك مكانه المنذر ابنه ثم خلف المنذر ابنه الاسود الذي قدمنا ذكر حربه مع آل غسان لاهميته ويقال ان الاسود ملك سنة ٤٧٣ ولم يمكن القطع بصحة تاريخ السنين في ملك هولاء الملوك

﴿ عد ٦١٠ ﴾

(في غزوة ماوية لفونيقي وفلسطين وحرب ابنها المنذر مع آل غسان)

ماوية هي المعروفة في كتب المؤرخين العرب بماء السماء لحسنها وهي على قولهم بنت عوف بن جشم من ملوك الحيرة وقد ذكر سوزومانس (في ك ٦ من تاريخه فصل ٣٨) هذه الغزوة فقال ما ملخصه مات في تلك الأثناء (اي في ايام والنس الذي ملك من سنة ٣٦٤ الى سنة ٣٧٩) ملك السراكسة (يريد بهم العرب وهنا ملوك الحيرة) فانحلت مواثيق المعاهدة بينه وبين الرومانيين وكانت امرأته ماوية تدبر الملك فحملت على مدن فونيقي وفلسطين وضربت فيها ونكلت باهلها واتصلت الى تخوم مصر وكانت هذه الحرب شديدة هائلة وان مع امرأة حتى استدعى قائد جيش فونيقي رئيس الرجالة والفرسان المقيمين في المشرق لنجدته فسخر منه الرئيس وحظر عليه ان يدخل في المحاربة معها ولما تلظت نار الوغى بين الجيشين اضطر الرئيس ان يدخل المعمعة مع ماوية التي كانت تقود جنودها وارغم على الفرار وتولاه الخجل من قائد الجيش الذي كان سخر منه اما القائد فلما رأى الرئيس محفوفاً بالخطر قضى ان من الحمق ان يبقى خارجاً عن ساحة القتال كما امره الرئيس فاسرع لنجدته ولقي العدا فصدهم عن لحاقه وبسط سجافاً يصون الرئيس من ايصال نبال الاعداء اليه ويذكر هذا كثيرون من سكان تلك الانحاء ويترنم العرب باغاني موذنة به ولما طالت مدة الحرب واعضلت الرومانيين ارسلوا وفداً الى ماوية يلتمسون هدنة فانكرتها عليهم الا ان يعنوا باقامة ناسك في البرية القريبة منهم اسقفاً على امتها وكان ذلك الناسك اسمه موسى وقد نم عرف فضله

وتضوعت تلك الاقطار بذكر الايات التي كان الله يصنعها على يده فاخبر روساء الجيش الملك بذلك وحملوا موسى الى لوشيوس بطريرك الاسكندرية وكان اريوسياً ولما مثل موسى امامه وامام اعوانه والشعب المتسارع الى هناك قال للاسقف لست اهلاً للارتقاء الى مقام الاسقفية واذا اراد الله ذلك وانا غير اهل له فبالله خالق السماء والارض لا اطيقن ان تضع عليَّ يدين ملطختين بالقتل ودم القديسين فقال له الاسقف ليس من العدل ان تثلبني ايماني قبل علمك به وان كنت قد سمعت من بعض عذالي فاسمع الان مني وكن قاضياً عدلاً في ما قيل لك فاجابه موسى ان ايمانك بين لي ولي عليه بينات دامغة في الاساقفة والكهنة والشمامسة الذين حكمت عليهم في النفي او الشغل في حفر المعادن واقسم انه لا يقبل الكهنوت اذا كان لا بد للوشيوس من ان يضع عليه يده ولما سمع ذلك روساء الجيش الروماني اخذوه الى بعض الاساقفة المنفيين فرقوه درجة الاسقفية ومضى الى الحيرة يدبر شعبها وامرائها المتنصرين

وكان لماوية ابن يسمى المنذر ملك بعدها وكانت بينه وبين الحارث احد ملوك غسان ولاة الشام حروب واحداها من ايام العرب المشهورة يقال لها يوم عين اباغ قال ابو الفدا في ذلك (ك ١ صفحة ٨٤) كان هذا اليوم بين غسان ولخم وكان قائد غسان الحارث الذي طلب ادراع امرئ القيس من السموأل وقيل غيره وكان قائد لخم المنذر بن ماء السما بغير خلاف وقتل المنذر في هذا اليوم وانهزمت لخم وتبعتهم غسان الى الحيرة واكثروا فيهم القتل وعين اباغ بموضع يقال له ذات الخبار انتهى قول ابو الفداء وان صح قوله انه كان قائد لخم المنذر بن ماء السما بلا خلاف فتكون هذه الحرب في اوائل القرن الخامس لان امه ماء السما كانت في اواخر القرن الرابع كما روينا عن سوزومانس واما الحارث قائد بني غسان فان صح قوله هنا فيه كان الحارث بن الايهم اخا النعمان لكنه قال في

ذكره ملوك غسان ان جبلة بن النعمان هو الذي قاتل المنذر بن ماء السما واما وصفه الحارث بالذي طاب ادراع امرئ القيس فيشير به الى قصة السموأل الذي يضرب فيه المثل في الوفاء والامانة وذلك ان امرئ القيس بن حجر ملك كندة لما قتل بنو اسد اباه استنجد ببكر وتغلب من قبائل العرب فانجدوه وهربت بنو اسد منهم ثم تخاذلوا عنه وتطلبه المنذر بن ماء السما المذكور فتفرقت جموع امرئ القيس وخاف هو ايضاً من المنذر وصار يدخل على قبائل العرب حتى قصد السموأل بن عادياء اليهودي فاكرمه واقام امرئ القيس عنده اياماً واشير عليه ان يقصد قيصر ملك الروم (يظن سنداً الى ما مر ان قيصر هذا هو توادوسيوس الثاني او اركاديوس ابوه) واودع ادراعه عند السموأل وكانت مئة درع ومات امرئ القيس لدن عوده من عند قيصر فسار الحارث بن ابي شمر الغساني الى السموأل وطالبه بادرع امرئ القيس فتمنع من تسليمها اليه وكان الحارث قد اسر ابن السموأل فقال له الحارث اما ان تسلم اليَّ الادراع واما قتلت ابنك فابى ان يسلمها وقتل ابنه قدامه فقال السموأل في ذلك ابياتاً منها :

وفيت بادرع الكندي اني اذا ما ذم اقوامٌ وفيت
واوصى عادياً يوماً بان لا تهدم يا سموأل ما بنيت

وقد لهج الشعراء بوفاء السموأل وذكر الاعشى هذه الحادثة فقال :

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به في جحفلٍ كسواد الليل جرارِ
فشك غير طويلٍ ثم قال له اقتل اسيرك اني مانع جاري

واما المنذر الذي كان قد سطا على فونيقي وفلسطين في ايام الملك انسطاس وارسل اليه ساويرس الانطاكي اسقفين وهو في فلسطين ليستغويه بضلاله فهو غير المنذر بن ماء السما المذكور ولكنه من خلفائه

وكانت بين بني غسان ولاة الشام وبين بني لخم ملوك الحيرة حروب اخرى

في هذا القرن منها الحرب المعروفة بيوم مرج حليمة من ايام العرب وكانت الجيوش فيه قد بلغت من الفريقين عددًا كثيرًا واشتد القتال في ذلك اليوم واختلف في النصر لمن كان من الفريقين (ذكره ابو الفدا ك ١ من تاريخه صفحة ٨٤)

هذا ما عثرنا عليه من الاخبار عن احداث سورية المهمة في هذا القرن ولم يكن سطو هذه القبائل على سورية الا على سبيل غزوة واخذ غنيمة او تشفي بثار ولم يكونوا يملكون البلاد التي سطوا عليها بل ينكلون باهلها ويأخذون الغنائم ثم يقفلون الى بلادهم

الفصل الثالث

في مشاهير العلماء الدنيويين في سورية ومن عاصرهم في غيرها

عد ٦١١

في سوزومانس المورخ

نعتد سوزومانس من العلماء الدنيويين لانه لم يكن من اهل الكهنوت بل كان فقيهاً يحامي الدعاوى وان كان القسم الاكبر من التاريخ الذي دونه دينياً قد ولد سوزومانس ويسمى هرمياس في قرية اسمها بيتائل في جانب غزة غير بيت ايل المعروفة الان بيت ابن في ناحية نابلس وقال هو في قريته هذه (ك ٥ فصل ١٥) انها من قرى غزة توافر فيها عدد السكان وكثرة الهياكل وانه كان فيها هيكل (بنتأون) جمعت فيه تماثيل الالهة وبني على اكمة مصنوعة على

هيئة قوس وارى ان هذا الاسم بهذا الموضع اخذه اليونان عن لغة السريان ، (لان بيت ايل معناها بيت الالهة) وقال في اهله ان جده آمن بالمسيح بواسطة القديس ايلاريون وذلك ان رجلاً من قريته وربما كان من انسبائه ايضاً اسمه الافيون اعتراه الشيطان فلم يستطع اليهود بتعزيمهم ولا الاطباء بادويتهم ان يبرئوه فاتى ايلاريون فشفاه بمجرد دعوته باسم الله فآمن الافيون واهله كلهم وآمن جد سوزومانس واعتكف على درس الاسفار المقدسة وتفسيرها حتى اصبح ماهرًا في تفسيرها اذ كان لوذعياً ذكياً وكان ضليعاً في الرياضيات ايضاً وعزيزًا لدى المسيحيين في غزة وعسقلان وما جاورهما وكانوا يلجأون اليه في حل مشكلات الاسفار المقدسة فيحلها لهم ويزيل غموضها واشتهرت ذرية الافيون بقداسة السيرة وتساموا بالفضيلة والتقى ومحبة الفقراء وبنوا اديارًا وكنائس وكان منهم رجال قديسون عاشرهم وهو شاب وذكر منهم (في ك ٦ من تاريخه فصل ٣٢) سلمان وفسكون وملكيون وكرسيون وكانوا اخوة تلمذوا للقديس ايلاريون في السيرة الرهبانية وقال (في ك ٨ راس ١٤) ان احدهم كرسيون كان رئيس الشمامسة عند القديس ايفان اسقف سلمينا في قبرس ويظهر من كلامه انه كان بينه وبين آل الافيون نسابة وانه تربى بين الرهبان الذين كانوا من هذه الاسرة النقية

وقد انكب سوزومانس على درس علم الشريعة في مدرسة بيروت الشهيرة ثم اتى الى قسطنطينية يتعاطى مهنة محاماة الدعاوى كما يظهر من كلامه (ك ٢ ف ٥ من تاريخه) على انه يظهر ان شغله لم يكن كثيرًا لانه الف تاريخه اثناء اقامته في القسطنطينية وقد ضمن هذا التاريخ في تسعة كتب والف ايضاً كتابين اخرين اشتملا على تاريخ كل ما كان من صعود المخلص الى حط ليشينس عن الملك لكن هذين الكتابين لم يبلغا الينا ونفسه في كتب تاريخه ليس سامياً ولا سافلاً بل متوسطاً بينهما وهذا احرى بمن كتب امورًا دينية وكان معاصرًا لسقراط

المؤرخ وكانا معاً في القسطنطينية وبين كلاميهما مضارعة فلا بد من ان انتحل احدهما كلام الاخر ويعسر الحكم في ايهما استرق كلام رصيفه اذ كتب كلاهما في السنين الاولى من ملك تاودوسيوس الصغير على انه يظهر ان سوزومانس انتحل بعض كلام سقراط لانه كتب بعيده وان في عصر واحد بدليل انه زاد شيئاً على ما روى سقراط واصلح بعض خطائه وان اكثر المؤرخين قدموا ذكر سقراط على ذكر سوزومانس والله اعلم انتهى ملخصاً عن ترجمة سوزومانس المعلقة على كتب تاريخه في طبعة الاب مين سنة ١٨٦٤

وقد بدا سوزومانس في تاريخه بخبر تنصر قسطنطين وختمه بموت انوريوس ملك المغرب اي سنة ٣١٤ الى سنة ٤٣٩ ولم اعثر على من ذكر سنة مولده وسنة وفاته والمعلوم انه ولد في اواخر القرن الرابع او اوائل القرن الخامس وتوفي في اواسط هذا القرن وقد عابه القديس غريغوريوس الكبير (في رسالته ٣١) ولا سيما بتقريظه تاودورس المصيصي بانه كان الى يوم وفاته من اعاظم علماء الكنيسة مع انه لم يكن كذلك على ان كتب سوزومانس الباقية الى الان لا أثر فيها لتعظيم تاودورس المصيصي وقد انتقد كلام سوزومانس في محال عديدة

عد ٦١٢

(في ايناي الغزي وماريتس والدمشقي وغيرهم)

كان ايناي هذا فيلسوفاً تابعاً مذهب افلاطون ولد في غزة في القرن الخامس وادركته الوفاة سنة ٥٢١ وكان مسيحياً وتلميذاً لهيروقلس الفيلسوف الذي علم الفلسفة في الاسكندرية في هذا القرن وما نعلمه من تأليف ايناي انما هو سبع وعشرون رسالة اشهرها ما نوق بين الرسائل اليونانية التي عني بطبعها سنة ١٤٠٩ وله محاورة في خلود النفس وقيامة الاجساد الفها لما رأى الشهداء الذين اذاقهم البندالة مر الاعذبة في افريقية وقد طبعت في زوريك سنة ١٥٥٩ وترجمها الى

اللاتينية امبروسيوس لي كمالدول LE COmAL DOLE مذ سنة ١٥١٦ ثم اذاع بواسوناد BOiSSONADE نسخة اخرى منها مع ترجمة امبروسيوس اللاتينية لها في باريس سنة ١٨٣٦ ونشر لافاك خلاصتها وشرحاً لها في الافرنسية في باريس سنة ١٨٥٩

اما مارينس فهو فيلسوف افلاطوني ولد في سورية في هذا القرن الخامس واخذ العلوم في أثينا عن بروقلس ثم خلفه في منصة التعليم سنة ٤٨٥ ولم تبقِ لنا الايام من تآليفه الا ترجمة بروقلس استاذه نشرها فبريشيوس مع ترجمتها الى اللاتينية مذيلة بحواش سنة ١٧٠٠ في همبورغ وقد طبعها ايضاً بواسوناد في لبسيك سنة ١٨١٤ ثم جدد طبعها في مجموعة ديدو

واما الدمشقي ويسميه الافرنج داماشيوس فولد في دمشق نحو سنة ٤٨٠ وكان فيلسوفاً على مذهب الفلاسفة الذين لم يقيدوا انفسهم بمذهب لسلفائهم بل كانوا يختارون ما حسن لهم ويمكن تسميتهم بالاحرار وكان الدمشقي تلميذاً لمارينس المار ذكره وكان يعلم في أثينا لما امر يوستيانس باقفال مدارس الوثنيين سنة ٥٢٩ ففر الى كسرى ملك الفرس مع سمبليشيوس الفيلسوف الاسكندري شارح كتب ارسطو وخمسة فلاسفة اخرين فلم ينالوا في بلاد فارس الحرية التي كانوا يتطلبونها ولكن لما عقد كسرى الصلح مع الملك يوستيانس سنة ٥٣٣ نال لهم الرخصة منه بان يعودوا الى وطنهم ومما كتبه هذا الدمشقي تاريخاً لعمدة الفلاسفة الاحرار اوصل الينا فوتيوس بعض فقر منه ثم مقالة في المبادي والاصول نشر العالم كوب القسم الاول منها في فرنكفورت سنة ١٨٢٦ في اليونانية وللعالم روال الافرنجي مقالة في الدمشقي نشرها سنة ١٨٦١

وكان في هذا القرن ايضاً هرون ابن اشير من فلسطين وكان من الربيين الذين استنبطوا وضع النقط والحركات في اللغة العبرانية وروى اغاثيا محامي

الدعاوى في تاريخه (ك ٢ عد ٣٠) انه كان في اخر هذا القرن وفي القرن السادس هرميا وديوجان القونيقيان وايسودورس الغزي وشبههم بازهار في عصره ولم نعثر لهم على ترجمة

عد ٦١٣

في من عاصر هولاء العلماء في غير سورية من مشاهير العلم

الاول ممن نذكرهم من هولاء المشاهير سقراط ولد في القسطنطينية فقد شهد في تاريخه (ك ٥ فصل ٢٤) انه ولد في هذه المدينة واخذ فيها اولاً اصول اللغة وهو يافع مترعرع عن هيلاديوس وامونيوس النحويين اللذين هاجرا من اسكندرية الى قسطنطينية لما دمرت هياكل الاصنام في مصر بامر تاودوسيوس الملك وعليه فيكون مولد سقراط في اواخر القرن الرابع ثم انكب على درس الفصاحة على تروايلو الذي كان مشهودًا له بالفصاحة في قسطنطينية وانصب بعدئذٍ على درس الشرائع ليحسن محاماة الدعاوى وبعد ان مارس مهنة المحامي مدة اعتزل عنها واخذ يكتب تاريخه الشهير متحرياً الصدق والتدقيق وسهولة العبارة وسلاستها وضمن تاريخه في سبعة كتب وبدأ به من تاريخ تنصر الملك قسطنطين الكبير الى سنة ٤٣٩

وزعم بارونيوس في تاريخه وفيلبس لاباي في كتابه في المؤلفين الكنسيين ان سقراط كان من تباع بدعة نوفاسيانس سندًا الى انه ذكر روساء النوفاسيانيين في قسطنطينية وقرظ بعضهم وجنح الى بعض ما علموه في القناعة والامساك على ان توادورس القارئ الذي كان قريباً من ايامه في القسطنطينية وغيره من المؤرخين الصادقين برّأوا ساحته من الضلال واستشهدوا ببعض اقواله التي هي نص في مقاومة النوفاسيانيين ويحصيهم فيها بين الاراطقة كالاريوسيين والبلاجيين

وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي (في فصل ٢٨ من قصيدته) سقراط

وتاريخه وزاد على ذلك انه كتب تاريخ قسطنطين ويوفنيان وقال السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ٣ صفحة ٤١) لم ارَ احداً غير الصوباوي نسب هذا الكتاب الى سقراط واعلم ان عند السريان كتاباً في تاريخ قسطنطين ويوفنيان مجهول المؤلف فاظن الصوباوي عزاه تقديراً الى سقراط وقد ذكر كثيرون من القدماء سقراط وسوزومانس وتوادوريطس اسقف قورش الآتي ذكره وسموهم مكملي تاريخ اوسابيوس القيصري ابي التاريخ فانما هولاء مع القديس ايفان اسقف قبرس عمدة المؤرخين من ايام قسطنطين اي من اوائل القرن الرابع الى اواسط القرن الخامس

الثاني سريانس وهو فيلسوف من اصحاب المذهب الافلاطوني الحديث ولد في الاسكندرية سنة ٣٨٠ وادركته الوفاة سنة ٤٥٠ ودرس العلوم في اثينا على بلوترك الفيلسوف الافلاطوني ثم خلف استاذه في رئاسة مدرسة اثينا وكان من تلاميذه بركاس وقد عينه للرئاسة بعده والباقي من مؤلفات سريانس شروحه المعلقة على كتب ارسطو في ما وراء الطبيعة وقد طبع بوكاليني منها ثلثة كتب مع ترجمتها الى اللاتينية في البندقية ١٥٥٨ وله كتاب في فصاحة هرموجان وكانت له شروح على كتب افلاطون واومر لكنها لم تصل الينا

الثالث بروكاس او بروقلس وهو فيلسوف افلاطوني ولد في قسطنطينية سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٨٥ واقتبس العلوم في اسكندرية ثم في اثينا ثم اكمل علومه باسفاره وخلف سريانس الفيلسوف في رئاسة مدرسة اثينا وكان ضليعاً في الفلسفة والرياضيات وعني بان ينهض الوثنية بعد سقوطها مفسراً بعض عقائدها بمعنى رمزي او سري وكان يكرم آلهة قبائل عديدة على اختلافها واحسن مزية له انه جعل لمذهب الفلاسفة الاسكندريين نظاماً نهائياً وخلف تأليف كثيرة هلك بعضها بغير الزمان واخص الباقي منها مقالات في العناية الربانية وفي الحرية وفي الشر وكتاب

في العقائد اللاهوتية وكلام في اللاهوت على مذهب افلاطون وشروح لاقواله واغاني ومقالات في الحركة وفي الكرة الارضية وفي الاوضاع الفلكيـة وشرح على كتاب اقليدس وقد طبعت بعض تآليفه وترجماتها مرات في مواضع كثيرة واخرها في بريس سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٦٥

الرابع امونيوس بن هرمياكان فيلسوفاً من الفلاسفة الاحرار في اواسط القرن الخامس ومن تلامذة بروكلس له شروح كثيرة الفائدة على كتب شروح ارسطو طبعت في البندقية سنة ١٥٠٣ ثم سنة ١٨٤٦ وله كتاب في المقدر طبعه اورلي في زوريك سنة ١٨٤٤ ملحقاً به مقالات اخرى له وهو غـير امونيوس الفيلسوف الاسكندري الذي كان في القرن الثالث

هذه صورة كرديان الملك الروماني عن تمثال له في الـكابيتول برومة



القسم الثاني

في تاريخ سورية الديني في القرن الخامس

الفصل الاول

في بطاركة انطاكية واورشليم في هذا القرن

عد ٦١٤

في بطاركة انطاكية في القرن الخامس

ان اخر من ذكرناهم من بطاركة انطاكيـة في تاريخ القرن الرابع هو افلابيانس وقد لقي ربه سنة ٤٠٤ فخلفه برفيريوس وكان مخالفاً للقديس يوحنا فم الذهب ووقع على الحكم عليه على ما روى بلاديوس في ترجمة فم الذهب ولذلك انفصل كثيرون في سورية عن كنيسته وعامل بقسوة بعض مسوديه واكليرسه وقال سوزومانس (ك ٨ فصل ٢٤) خلف برفيريوس افلابيانس في كرسي انطاكية ولما كان قد وقع على الحكم بنفي فم الذهب انقطع كثيرون من سكان سورية عن الاشتراك معـه وكانوا يقيمون الصلوات والقداسات معتزلين عنـه فقاسوا محناً ومشاق كثيرة فان آل البلاط الملكي سنوا شريعة حباً بارسانيوس البطريرك القسطنطيني وبرفيريوس هذا وتوافيلس البطريرك الاسكندري بان من لا يشترك مع هولاء يطرد من الكنيسة على ان توادوريطس (في ك ٥ من تاريخه ف ٣٥)

قال في برفيريوس انه كان حكيماً فطناً وخلف آثاراً شتى دالة على رأفته وحلمه وروى العلامة باجيوس ان برفيريوس خرمته المنية سنة ٤١٣ فيكون قد اقام على منصة البطريركية تسع سنين

وخلف اسكندر برفيريوس سنة ٤١٣ وقال فيه توادوريطس (في المحل المذكور آنفاً) انه كان مثابراً على الرياضات الروحية محباً للفقراء طلق اللسان فصيحه وقد جمله الله بكثير غير ذلك من مواهبه وقد ازال بارشاده واغرائه ذلك الخلاف الذي كان بين الكاثوليكيين في انطاكية من ايام اوسطاتيوس ولم يتسنَّ لبولينس وافاغريوس ازالته واقام لذلك عيداً حافلاً واثبت باجيوس ان اسكندر استمر على البطريركية الى سنة ٤٢٠ او سنة ٤٢١ وتوجد رسائل منفذة من البابا اينوشنسيوس الاول اليه ولكن روى نيكوفورس انه مضى الى ربه سنة ٤١٨ (عن لاكويان في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) وعن ابن العبري في تاريخ بطاركة انطاكية ان اسكندر استمر في البطريركية عشر سنين • وخلف تاودوتس اسكندر سنة ٤٢٠ او سنة ٤٢١ وقال توادوريطس في رسالته الاولى الى ديوسقورس الاسكندري ان هذا البطريرك كان شهيراً بسيرته المثلى وتضلعه بالعلوم الالهية وانه بقي على الكرسي البطريركي الى سنة ٤٢٧ او سنة ٤٢٨ وصرح بانه استمر بطريركاً ست سنين ونيفاً وروى افاغريوس (ك ١ من تاريخه) انه كان حياً لما انتخب نسطور بطريركاً لقسطنطينية سنة ٤٢٨ فهذه الاقوال يظهر انها اصح من قول نيكوفورس انه استمر في البطريركية اربع سنين فقط • وانبأنا الفونس التوري (في الحواشي التي علقها على الكتاب الثالث من المراسيم الرسولية) ان تاودوتس هذا كتب مقالة يفند بها زعم الابوليناريين (ملخص عن لاكويان في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) وقال ابن العبري في تاريخ بطاركة انطاكية انه في ايام هذا البطريرك نشر الفتية السبعة الذين كانوا قد اووا الى مغارة او

كهف في جهة افسس هرباً من اضطهاد داكيوس الملك فامر الملك بسد باب المغارة عليهم ودفنهم احياء ثم بعثوا في ايام توادوسيوس الصغير بعد مئة وثماني وثمانين سنة ودخل احدهم المدينة ليمتار لهم طعاماً الى اخر هذه القصة المعروفة اوقال السيدان ابولس ولامي (في حواشيهما على تاريخ ابن العبري) ان ما رواه ابن العبري يوافق لما رواه يعقوب السروجي وغريغوريوس التوروني وللآثار السريانية التي شهرت حديثاً وان ايليا النصيبني روى ان بعث هولاء الفتية كان سنة ٧٤٨ يونانية (توافق سنة ٤٣٧ م) مورداً شهادة من تاريخ يوحنا اليعقوبي قال فيها . في هذه السنة بعث الفتية الذين في مدينة افسس بعد ان رقدوا في المغارة مئة وثماني وثمانين سنة . هذا ما روى هولاء العلماء ونجنح الى ان نرى الاولى الاعتماد على اقوال بارونيوس (في حواشيه على السنكساري الروماني في ٢٢ تموز) ونطاليس اسكندر (فصل ٧ في تاريخ القرن الخامس) ورورهربخر وغيرهم الذين انكروا صحة هذا الرقاد المستطيل وبعثهم منه وان الاظهر ان وفاتهم وجد في تلك الايام (طالع ما ذكرناه في عدد ٦٠٣ في هذا الشأن)

وخلف يوحنا الاول توادوتس بعد وفاته سنة ٤٢٨ على الاظهر وكان قد تربى في دير القديس اومبرايوس القريب من انطاكية وكان في جملة زملائه هناك توادوريطس الذي صار بعدًا اسقفاً على قورش ونسطور المبتدع الذي صار بطريركاً على القسطنطينية . وعقد في ايامه المجمع الافسي لنبذ ضلال نسطور وكان يوحنا مشايعاً له مع غيره من الاساقفة الشرقيين ولما حصحص الحق ونبذ نسطور ارعوى يوحنا وآثر الصواب وصالح كيرلس البطريرك الاسكندري مرسلاً اليه بولس اسقف حمص مصحوباً بدستور ايمانه فاثبته كيرلس وسائر اساقفة الكنيسة وتابع يوحنا على ذلك غيره من الاساقفة الشرقيين تباعاً ولم يبقَ الا الاساقفة المصرون المكابرون (عن لكويان في المحل المذكور) وفصل ابن العبري

خبر محازبة يوحنا هذا لنسطور وارعوائه الى الصواب بقوله ان يوحنا تبطأ في قدومه الى افسس وكان نسطور يحتج بانه لا يحضر المجمع قبل بلوغه اليه ولما طال الانتظار حكم المجمع بحط نسطور وبلغ يوحنا بعد ذلك ومعه ستة وعشرون اسقفاً موافقون جميعاً لرأيه الا رابولا اسقف الرها واكاشيوس اسقف حلب فلام يوحنا كيرلس على اسراعه بحط نسطور وعدم انتظاره قدومه للبحث معه عن امره واعلن يوحنا انه مشايع لنسطور لخطه كيرلس والمجمع فاجتمع هو والاساقفة المحازبون له وحكموا على كيرلس البطريرك الاسكندري وممنون اسقف افسس بالحط عن مقامهما فاستدعى الملك يوحنا والاساقفة محازبيه وامر باجتماعهم مع باقي الاساقفة للبحث الدقيق فاجتمع الفريقان في القسطنطينية فظهر محازبو كيرلس على يوحنا واصحابه بايراد شهادات ساطعة من الاسفار المقدسة فاذعن يوحنا ومن اتبعه للصواب بامر الملك وعاد كل من الاساقفة الى ابرشيته وكان اخص هولاء يوحنا الانطاكي وتوادوريطس اسقف قورش واندراوس اسقف سميساط واسكندر اسقف منبج وايريناوس اسقف صور وغيرهم انتهى كلام ابن العبري ملخصاً وقضى يوحنا نحبه سنة ٤٤١ بعد ان دبر كنيسة انطاكية ثلث عشرة سنة

وخلف دومنس يوحنا الاول خاله سنة ٤٤١ وكان دومنس من رهبان القديس اوتيموس في فلسطين ولما سمع اخبار جنوح خاله الى ضلال نسطور سأل القديس اوتيموس ان يرخص له بالانطلاق الى انطاكية ليقنع خاله بالاقلاع عن هذا الضلال فضى اليه واقام عنده الى يوم وفاته وخلفه بعدها على ما روى كاتب ترجمة القديس اوتيموس وقد شهد سنة ٤٤٩ مجمع افسس الموصوف باللصي وكان مشايعاً لاوطاخي المبتدع الذي زعم ان في المسيح طبيعة واحدة ووقع على مراسيم هذا المجمع مخالفاً القديس افلابيانس البطريرك القسطنطيني والاساقفة الكاثوليكيين على ان ديوسقورس البطريرك الاسكندري انقلب عليه وقضى عليه بالعزل عن

بطريركية انطاكية بعد ان دبرها ثماني سنين على ما روى نيكوفورس . فعاد دومنس الى فلسطين وقضى ما بقي من حياته معتزلاً مخالطة الناس هذا ما رواه لكويان في المشرق المسيحي (في بطاركة انطاكية) ولكن قد وجدت من عهد قريب في المتحف البريطاني نسخة سريانية من اعمال مجمع افسس اللصي وقد ترجمت الى الانكليزية والالمانية وقد ترجمها الى الافرنسية احد اصدقائنا الاب مرتينس كاهن كنيسة القديسة جنفياف في بريس وطبع ترجمته في هذه المدينة سنة ١٨٧٥ فالذي في هذه الترجمة ان دمنس لم يشهد هذا المجمع بل شكاه اليه كاهن اسمه سيرياك وقدم كتاباً ضمنه فقرات من رسائل دمنس او خطبه يثبين منها ان المخلص ذو طبعين الهي وبشري فتأول مبغضوه كلامه بانه يقول باقنومين فيه وتوافرت الرسائل بينه وبين ديوسقورس بطريرك اسكندرية الذي كان مترأساً على المجمع اللصي واخيرًا حكم عليه هذا المجمع بالعزل عن كرسيه وترى كل ذلك مثبتاً في ترجمة اعمال هذا المجمع من صفحة ١٣٢ الى صفحة ١٧٥ . قال الملك يوستينانس في مرسومه في الفصول الثلاثة (التي هي لتوادوريطس اسقف قورش وتوادورس اسقف المصيصة وايهيبا اسقف الرها وسنأتي على ذكرها) ان دمنس اسقف انطاكية طعنه المجمع الخلكيدوني بالحرم بعد وفاته لانه جسر ان يكتب ان حروم القديس كيرلس الاثني عشر يلزم الصمت عنها لكن اعمال هذا المجمع لا اثر فيها لهذا الحرم بل قال افاغريوس (ك ٢ فصل ٣٠) الذي نقب عما كتبه هذا المجمع ونشر خلاصته انه لا يعلم ما كان لدمنس بعد مجمع افسس اللصي (ملخص عن لكويان في المحل المذكور من المشرق المسيحي) بل يؤخذ عن المجمع الخلكيدوني (في مجلس ١١) ان مكسيمس خليفة دمنس طلب الى قضاة المجمع ان تفرض نفقة من بطريركيته لدمنس سالفه فاجابه المجمع الى ذلك وترك تعيين مقدار النفقة لاختياره في مجمع اقليمي يستشيره في ذلك

وخلف مكسيمس دمنس سنة ٤٤٩ ورقاه الى البطريركية اناطوليوس بطريرك قسطنطينية فان ديوسقورس بطريرك اسكندرية زين للملك توادوسيوس واغراه بان البطريرك الانطاكي يلزم ان يرقيه البطريرك القسطنطيني لمظنة الضلال في الاكليرس الانطاكي وكان ذلك مخالفاً لقوانين الكنيسة ولرضى الاكليرس والشعب في البطريركية الانطاكية على ان المجمع الخلكيدوني والبابا لاون صححا ترقية مكسيمس الى كرسيه ولهذا البابا رسائل كثيرة ناطقة بان ترقية البطريرك القسطنطيني للبطريرك الانطاكي شذوذ عن قوانين الكنيسة وكان في المجمع الخلكيدوني خلاف بين مكسيمس هذا ويوفنال البطريرك الاورشليي اذ حاول يوفنال ان يفصل فونيقى الثانية والعربية عن بطريركية انطاكية ويلحقها ببطريركية اورشليم فدافع مكسيمس عن حقه ولم يصوب الاباء المجتمعون دعوى يوفنال (مجلس ٧) وحكموا بان تبقى فونيقي وبعض اعمال العربية لبطريركية انطاكية وان يكتفي يوفنال باعمال فلسطين الثلاثة اي اليهودية والسامرة والجليل . وعن نيكوفورس ان مكسيمس تنزل عن الطبريركية بعد ان دبرها اربع سنين ولا دليل على صحة قوله في اثار المؤرخين بل يظهر من رسالة البابا لاون الـ ١١٨ ان الملك مرقيان ذكر ان باسيليوس خلف مكسيمس سنة ٤٥٦ فيكون قد دبر البطريركية سبع سنين

وخلف باسيليوس مكسيمس سنة ٤٥٦ اذ نرى البابا لاون قال في رسالته المذكورة انه اطلع في رسائل الملك مرقيان على ان باسيليوس خلف مكسيمس تلك السنة وفي سنة ٤٥٧ انشبت المنية انيابها بالملك مرقيان وخلفه الملك لاون وعرض حينئذٍ مقتل بروتوريوس البطريرك الاسكندري فانفذ الملك رسائل الى اساقفة اسيا والى القديسين سمعان العمودي وبردات فرفع القديسان جوابهما الى الملك على يد باسيليوس البطريرك كما انبأنا افاغريوس (ك ٢ من تاريخه فصل ١٠)

مثبتاً رسالة القديس سمعان الى باسيليوس البطريرك ولقي هذا البطريرك ربه سنة ٤٥٨ فلم يبق في البطريركية الا سنتين وبعض اشهر

وخلفه اكاشيوس على ما روى نيكوفورس ولم يقم على الكرسي البطريركي الا سنة واربعة اشهر وروى افاغريوس (ك٢فصل ١٢) انه في ايامه عرض زلزال اخرب انطاكية وكان حدوثه في السنة الثانية للملك لاون في الرابع عشر من ايلول نحو نصف الليل وقد اسقط ابن العبري اسمي باسيليوس واكاشيوس من عداد بطاركة انطاكية لانهما كانا كاثوليكيين وذكر بعد مكسيمس مرتيريوس الاتي ذكره

وخلف مرتيريوس اكاشيوس ٤٦٠ وجاء في موجز تاريخ نيكوفورس وفي جداول تاوافان انه اقام على الكرسي البطريركي ثلث عشرة سنة اي الى سنة ٤٧٣ قال لكويان (في المحل المذكور) لا صحة لهذا الزعم لان مرتيريوس تخلى عن البطريركية للقلق الذي اثاره بطرس القصار في انطاكية في ايام جناديوس بطريرك قسطنطينية ومما لا مرية فيه ان جناديوس ادركته الوفاة سنة ٤٧١ وقد روى توافان نفسه (في تاريخ ٤٦٨) ما ملخصه . ان بطرس القصار استمال اليه بعض المشايعين لابوليناروأثار قلقاً وشغباً على مرتيريوس مخالفاً له في عقائد الايمان ورشق بالحرم من لا يقول ان الاله صُلب وزاد على التقديسات الثلاثة يا من صلبت لاجلنا وانقسم الشعب الى حزبين فمضى مرتيريوس الى الملك لاون فاعزه واكرم مثواه بعناية جناديوس بطريرك قسطنطينية وعاد الى انطاكية ولما رأى الشعب ما برح مصرًا متقسماً خطب في الكنيسة قائلاً اني متخلٍ عن هذا الاكليرس غير المطيع وعن هذا الشعب المعنت وهذه الكنيسة التي عابها الرجس ومستبقٍ لنفسي المقام الكهنوتي ولزم العزلة فاغتصب بطرس القصار كرسيه وانتهت اخبار هذه الشؤون الى جناديوس بطريرك قسطنطينية فرفعها الى الملك

فامر بنفي بطرس القصار ، انتهى ما قاله توافان وعليه فلم يقم مرتيريوس على الكرسي البطريركي الى سنة ٤٧٣ بل غادره قبلها واما بطرس القصار فلما علم امر نفيه انهزم واختفى في احد الاديار وكان بطرس هذا راهباً في احد الاديار في ضواحي قسطنطينية وكانت مهنته غسل الثياب فلقب بالقصار

فاختار المؤمنون باجماع الكلمة يوليانس وعقد مجمعاً اقليمياً سنة ٤٧١ حط فيه بطرس القصار عن مقام الاسقفية الا ان يوليانس قضى نحبه سنة ٤٧٦ فهب القصار من مخبئهِ فاغتصب الكرسي الانطاكي ثانيةً وكان حينئذٍ ان الملك باسيلسكس اثل عرش زينون الملك وتولى الملك مكانه كما مر وكان تيموتاوس البطريرك الاسكندري الملقب بالنمس عزيزاً لدى باسيلسكس الملك ومن القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح كالقصار فاستمال الملك الى القصار فثبت مدة في الكرسي الانطاكي الى ان تغلب زينون على باسيلسكس وعاد الى الملك كما مرَّ بك فنفى بطرس القصار الى بنطس على ما روى توافان وكان القصار قد رقى الى الاسقفية كاهناً اسمه يوحنا وارسله ليكون اسقفاً في اباميا فلم يقبله اهلها فاقام عنده في انطاكية ولما نفي القصار اغتصب كرسيه وسمي يوحنا الثاني لكنه لم يلبث عليه الا ثلاثة اشهر على ما روى نيكوفورس فاختير بعده اسطفانس وكان كاثوليكياً وجاء في كتاب يوناني في المجامع ان المجمع الذي عزل القصار اقام مكانه اسطفانس هذا لكنه توفي بعد ترقيته الى البطريركية فاختير مكانه اسطفانس اخر على ان نيكوفورس روى في تاريخه ان اسطفانس الاول استمر في البطريركية ثلث سنين وتابعه على ذلك توافان في جداوله فتكون وفاته سنة ٤٨١

وبعد وفاته خلفه اسطفانس الثالث وقد ورد ذكره في كتاب المجامع المذكور وفي تاريخ نيكوفورس . وقال فيه توافان في تاريخ سنة ٤٨٠ ، ادركت الوفاة في هذه السنة اسطفانس بطريرك انطاكية فاختير بايماز زينون الملك اسطفانس آخر

وكان كاثوليكياً فخنق عليه اعداء الايمان متشيعين لبطرس القصار واماتوه بنخس قصب بروه كالسهام وطرحوا جثته في العاصي • وروى كذلك يوحنا ملالاس ولم يلبث اسطفانس هذا في البطريركية الا سنة واحدة على ما روى توافان ونيكوفورس

وبعد مقتل اسطفانس امر زينون الملك اكاشيوس بطريرك القسطنطينية ان يقيم بطريركاً على انطاكية فاختار كاهناً اسمه كالنديون ورقاه الى البطريركية وقبل ان يعلم الانطاكيون بترقيته اعادوا يوحنا الثاني المار ذكره الى الكرسي الانطاكي روى ذلك توافان بعد ذكره مقتل اسطفانس على ان يوحنا ارعوى بعدئذٍ الى جادة الحق فنقله كالنديون البطريرك الانطاكي الكاثوليكي الى كرسي صور الذي كان الكرسي الاول بعد الكرسي البطريركي في انطاكية وقد ارتقى كالنديون كرسي انطاكية سنة ٤٨٢ فرحب به الانطاكيون وعني بتضميد جراح رعيته ولكي يوفق الخلاف الذي كان بينهم على الترنيم بالتقديسات الذي زاد القصار عليه « يا من صلبت لاجلنا» ادخل عليه عبارة ايها المسيح الملك الذي صلبت لاجلنا لتدل على توجيه الكلام الى المسيح الاله المتجسد لا الى الثالوث الاقدس • على انه لم يقم في البطريركية الا اربع سنين على ما روى نيكوفورس في موجز تاريخه وتوافان في جداوله لان زينون الملك نفاه واعاد بطرس القصار الى كرسي انطاكية المرة الثالثة وكان اكاشيوس بطريرك قسطنطينية علة هذه المحن والشرور كلها

ولما رأى البابا فاليسكس الثالث تعاظم الشر في المشرق عقد مجمعاً في رومه طعن فيه القصار بالحرم سنة ٤٨٥ وحطه عن بطريركية انطاكية فطفق القصار يضطهد من يعتقدون ما رسم في المجمع الخلكيدوني فاخمد الله انفاسه سنة ٤٨٨ على ما روى توافان في جداوله ونيكوفورس في موجز تاريخه وفي تلك السنة نفسها عاجلت المنية اكاشيوس بطريرك قسطنطينية وكان القصار علة لتأصل مذهب

الطبيعة الواحدة ورسوخه في انطاكية حتى اعيا استئصاله البطاركة والملوك الكاثوليكيين مدة طويلة

وبعد وفاة بطرس القصار اقيم على الكرسي الانطاكي بلاديوس سنة ٤٩٠ وقال توافان في جداوله ونيكوفورس في تاريخه انه استمر في البطريركية عشر سنين قال لكويان (في المشرق المسيحي) الاظهر انه اقام ثماني سنين فقط لان توافان نفسه قال في تاريخه ان خليفته افلابيانس رقي البطريركية سنة ٤٩٨ وكان بلاديوس اراتيكاً لانه كان مشايعاً لبطرس المعروف بالالثغ وخلفائه الهراطقة في كرسي اسكندرية

وبعد وفاة بلاديوس خلفه افلابيانس الثاني سنة ٤٩٨ باختيار الملك انسطاس له وكان راهباً في احد اديار سورية الثانية وكان مخالفاً لمراسيم المجمع الخلكيدوني ومنذ ارتقائه الى البطريركية حازب يوحنا بطريرك اسكندرية المخالف لهذا المجمع لكنه افاق من ضلاله واقلع عن محازبة يوحنا المذكور واتفق مع مكدونيوس بطريرك قسطنطينية وايليا بطريرك اورشليم وكانا على جادة الايمان الصحيح وعقد في سنة ٥٠٩ مجمعاً في انطاكية صرح فيه باعتقاده المجامع الثلاثة العامة الاولى اي النيقوي والقسطنطيني والافسي وصمت عن المجمع الخلكيدوني مطاوعة لامر زينون الملك وحرم تاودورس الترسيسي وتاودورس المصيصي وتاودوريطس القورشي وايهيبا الرهاوي (جميعهم اساقفة) وغيرهم ممن كان فيلوكسانس اسقف منبج الاراتيكي يتدهم نسطوريين لاعتقادهم بالطبعين في المخلص فكان افلابيانس هذا متقلباً يناصر طوراً الاوطاخيين وطوراً الكاثوليكيين ويظهر انه ارعوى اخيراً ولزم الايمان الكاثوليكي ولذلك نفاه الملك انسطاس الى بلاد العرب سنة ٥١٨ ومات سنة ٥٢١ (لخصنا ترجمة هولاء البطاركة عن لكويان في المشرق المسيحي مجلد ٢ في بطاركة انطاكية وزدنا عليه بعض فوائد عثرنا عليها)

﴿ عد ٦١٥ ﴾

(في بطاركة اورشليم في القرن الخامس)

كان الفراغ من كلامنا في بطاركة اورشليم في القرن الرابع بذكرنا ترجمة يوحنا الثاني الذي لقي ربه سنة ٤١٧ وخلفه تلك السنة براليوس وقد ذكره توادوريطس في خاتمة الكتاب الخامس من تاريخه في عداد بطاركة اورشليم وجاء في كتاب تراجم القديسين انه كان خورياً اسقفياً في ايام يوحنا الثاني سالفه حتى ظنه تلمون يوحنا نفسه لتسمية يوحنا اسماء متعددة. وقد خدع بيلاجيوس الاراتيكي براليوس البطريرك فكتب الى البابا زوزيمس يشهد له بان بيلاجيوس صحيح المعتقد كما يظهر من رسالة هذا البابا المؤرخة في ١٧ ايلول سنة ٤١٧ التي اثبتها بارونيوس في تاريخه على ان براليوس افاق من غلطه بعد ذلك واصلح خطاه كما يتبين من تاريخ ماريوس المعروف بمركاتور (اي التاجر فصل ٣) واختلف في سنة وفاته في ما اذا كانت سنة ٤١٨ او سنة ٤٢٢ او سنة ٤٢٥

وخلفه يوفينال واختلف في سنة خلافته للاختلاف في سنة وفاة سالفه وربما كان بطريركاً مذ سنة ٤١٨ وقد شهد سنة ٤٣١ المجمع الافسسي وتابع القديس كيرلس وسائر الاساقفة على حرم ارطقة نسطور وحطه عن مقامه ويظهر من رسالة البابا لاون الـ ٩٢ المنفذة الى مكسيمس البطريرك الانطاكي ان يوفينال افرغ قصارى جده في هذا المجمع لمد سلطة بطريركيته الى بعض مدن فونيقي والعربية فلم يجارهِ اساقفة المجمع على سؤله لكنهم لم يروا ان يصدوه عنه بعنف خشية ان يزيغ عن الايمان فلم ييأس من الفوز لاننا نراه استأنف طلبته في المجمع الخلكيدوني وكان في جملة الاساقفة الثمانية الذين ارسلهم المجمع الافسسي الى الملك تاودوسيوس الثاني لكبت محاولات اصحاب نسطور . وفي سنة ٤٤٩ شهد مجمع افسس الموصوف باللصي وشايع ديوسقورس بطريرك اسكندرية ثم تصحب

الاوطاخي المبتدع ووقع على الحكم بعزل افلابيانس البطريرك القسطنطيني وغيره من الاساقفة الارتودكسيين مجاراة لدمنس بطريرك انطاكية لكنه استغفر عن سؤ تصرفه هذا سنة ٤٥١ في المجمع الخلكيدوني وصرح باعترافه بالايمان القويم فقبل في المجمع بعد ان كان قد منع منه كغيره من الاساقفة الذين حازبوا ديوسقورس في المجمع اللصي ومنهم اوسطاثيوس اسقف بيروت فهولاء الاساقفة ارعووا عن رأيهم الاول ووقعوا على مراسيم المجمع الخلكيدوني وعلى رسالة البابا لاون واصلح آباء المجمع بين يوفنال وبين مكسيمس البطريرك الانطاكي على ان بطريرك اورشليم يلي اعمال فلسطين الثلاثة وهي اليهودية والسامرة والجليل وبطريرك انطاكية يلي العربية وفونيقي الاولى والثانية واجاز سفراء الحبر الروماني هذا الوفاق. وكان كثيرون من رهبان فلسطين قد اتوا الى المجمع الخلكيدوني يرأسهم توادوسيوس احد روساء الاديار فاثاروا قلقاً في المجمع لمشايعتهم لاوطاخي ثم سبقوا يوفنال الى فلسطين فهيجوا الرهبان والشعب على المجمع الخلكيدوني واقاموا توادوسيوس بطريركاً على اورشليم وعاد يوفنال اليها فلم يمكنه ان يردعهم فقفل خفية الى الملك مرقيان ودخل توادوسيوس ومحازبوه اورشليم فارتكبوا فظائع وحرقوا بيوتاً وكانت اودكسية ارملة توادوسيوس الصغير تناصر هذا الدخيل على البطريركية فاضطهد تباع المجمع الخلكيدوني في اورشليم بل في فلسطين كلها مدة عشرين شهراً الى ان امر الملك مرقيان دوروثاوس والي فلسطين ان يبعث بتوادوسيوس اليه ففرّ الى جبل سينا وعاد يوفنال الى كرسيه وهم باصلاح شؤون رعيته وعقد مجمعاً في سنة ٤٥٤ لتأييد الايمان القويم الى ان توفاه الله اليه سنة ٤٥٨ بعد ان دبر هذه البطريركية ٣٥ او ٤٠ سنة

وخلف انسطاس يوفنال وكان انسطاس تلميذاً للقديس بساربون الراهب ثم خازناً في كنيسة القيامة ثم خورياً اسقفياً واجمع شعب اورشليم على اختياره سنة

٤٥٨ وروى افاغريوس (في ك ٣ من تاريخه فصل ٥) ان ذكريا ملالا قد اتهمه بانه وقع على رسالة من الملك باسيلسكس تخالف المجمع الخلكيدوني على ان افاغريوس فند هذه التهمة ودحضها ايضاً بادونيوس في تاريخ سنة ٤٧٦ وتلمون (في مجلد ١٦ من تاريخه صفحة ٣٠٢) حيث روى ان الهراطقة ادخلوا عليه الانبا جيورجيوس وسموه بطريركاً ففعل شرّاً مما فعله توادوسيوس في ايام يوفينال سالفه وتلك بينة قاطعة لبراءة انسطاس البطريرك فلو وقع على رسالة مخالفة للايمان منفذة من الملك باسيلسكس لم يقاومه الهراطقة بل كانوا راضين عنه وقد نشبت المنية اظفارها فيه سنة ٤٧٨ بعد ان دبر بطريركية اورشليم ١٩ او٢٠ سنة

وخلف مرتيريوس انسطاس سنة ٤٧٨ وقد انبأنا كيرلس اسقف شيتوبولي (هي باسان) في ترجمة القديس اوتيمس ومكملو تاريخ البولانديين في ترجمة هذا القديس ان مرتيريوس اتى من الصعيد يصحبه ناسك اخر اسمه ايليا واعتزلا مع القديس اوتيميوس للنسك في فلسطين ولما لقي اوتيميوس ربه نسك مرتيريوس وايليا في اريحا وبعد وفاة انسطاس اختير مرتيريوس خلفاً له قال افاغريوس (ك ٣ فصل ١٦) ان هذا البريرك بعث رسالة الى بطرس الالثغ بطريرك اسكندرية ويؤخذ من ذلك انه قبل رسالة منه ايضاً وهو من الاوطاخيين الحسين فان صح خبر هذه المراسلة تبين منها ان بطرس الالثغ اخفى ضلاله واظهر صحة عقيدته فكاتبه مرتيريوس ولما افتضح ضلاله ومكره قاطعه ونابذه لان افاغريوس قال بعد ذلك ان مرتيريوس وغيره من الاساقفة نابذوا بطرس الالثغ لانه حرم المجمع الخليكدوني علانية • وقال كيرلس اسقف باسان (في ترجمة القديس سابا) ان مرتيريوس مضى الى ربه بعد ان اقام في البطريركية ثماني سنين فتكون وفاته في سنة ٤٨٦

وخلف سالوستيوس مرتيريوس سنة ٤٨٦ كما روى كيرلس المذكور قال

بعضهم ان هذا البطريرك وقع على امر الملك زينون المعروف بهانتيكون (اي مرسوم الاتحاد) وكان يواد اثناسيوس خليفة بطرس الالثغ في اسكندرية بل قال سعيد ابن البطريق انه كان يعقوبياً على ان الصحيح ان مرسوم زينون المذكور لم يحوِ ضلالاً بيناً فقد يكون هذا البريرك وقع عليه كلفاً باتحاد الكنائس كما كان مصرحاً فيه ان الملك اذاعه لهذا الغرض وقد امتدح كيرلس اسقف باسان هذا البطريرك كثيرًا ولا سيما بصحة عقيدته وقد توفاه الله سنة ٤٩٣ على ما في كتاب البولانديين والاظهر انه توفي سنة ٤٩٤

وخلف ايليا الاول سالوستيوس سنة ٤٩٤ وكان عربياً اصلاً ورفيقاً لمرتيريوس في نسكهما في الصعيد ثم اتيانهما الى القديس اوتيميوس في فلسين كما مرّ وقال فيه كيرلس اسقف باسان المذكور (في ترجمة القديس سابا) انه لم يكن ياكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى بعد ان رقي الى البطريركية وبنى ديرًا في جانب مقامه البطريركي اسكن فيه النساك وكانت الكنيسة الشرقية في ايامه على اسوأ حال بسبب ارطقة اوطاخي فقد كان بطاركة اسكندرية وبلاديوس بطريرك انطاكية مشايعين له ولم يبق صحيح العقيدة الا ايليا هذا واوفيميوس بطريرك قسطنطينية وعزل الملك انسطاس اوفيميوس من كرسيه سنة ٤٩٥ ونصب مكانه مكدونيوس وظهر لايليا من رسائله انه على سراط مستقيم في الايمان فآخاه وتودد اليه ومات بلاديوس بطريرك انطاكية وخلفه افلابيانس فالتحم مع ايليا ومكدونيوس وشق على الملك انسطاس اتفاقهم فنابذهم واضطهدهم فنفى اولاً مكدونيوس سنة ٥١١ واقام مكانه تيموثاوس ورغب الى افلابيانس وايليا ان يصوبا صنيعه ويؤيداه فانكرا المصادقة على عزله مكدونيوس فحنق الملك عليهما وكان من ذلك قلق كبير في بطريركيتي انطاكية واورشليم وارسل ايليا القديس سابا رئيس النساك سنة ٥١٢ الى الملك ليسترضية فلم يكن ليكف سخطه بل امر بنفي ايليا الى ايلة على شاطي

البحر الاحمر سنة ٥١٣ واقام مكانه يوحنا بن مرقيان لوعده بان يوافق ساويرس الذي كان الملك قد اقامه بطريركاً على انطاكية بعد ان نفى افلابيانس منها الى بلاد العرب • وحصل في فلسطين بعد نفي ايليا مجاعة وغشيها الجراد • وقد مضي ايليا للقاء ربه وهو في منفاه سنة ٥١٨ وتوفي في تلك السنة افلابيانس بطريرك اورشليم وهلك انسطاس الملك قبل وفاة ايليا بعشرة ايام وقد اوحى الله بذلك اليه وقصه على القديس سابا الذي كان قد مضى لزيارته في منفاه روى ذلك جميعه كيرلس اسقف باسان في ترجمة القديس سابا وغيره (ان كلما ذكرناه في بطاركة اورشليم ملخص عن لكويان في المشرق المسيحي مع شيء من الزيادة عليه)

الفصل الثاني

في من نعرفهم من اساقفة سورية في القرن الخامس

عد ٦١٦

في توادوريطس اسقف قورش

ولد توادوريطس نحو سنة ٣٨٧ في انطاكية من والدين حسيبين وقد كتب هو نفسه شيئاً من ترجمته مكرهاً عليه بحسد خصومه وتهمات شانئيه واعداء الكنيسة فاليك ما قال في رسالته ٨١ الى نونس القنصل • ان والديَّ نذراني لله قبل ان يحبل بي وبرًّا نذرهما بعد ان ولدت فعشت في الدير قبل ان اصير اسقفاً ولم اقبل الاسقفية الا مكرهاً وعشت في هذا المقام خمساً وعشرين سنة ولم تقم

عليَّ دعوى من احد ولا شكوت احدًا ولم يشهد احد من الاكليريكيين المنضوين الى ولايتي محكمة في هذه السنين كلها ولم اتقبل هدية ولا ثوباً من احد ولم يأخذ احد من خدامي رغيفاً او بيضة واحدة من احد ولم اشأ ان يكون لي من المقتنى الا الثوب المؤتزر انا به انشأت مأوى عمومية من دخل الكنيسة وبنيت جسرين واقمت حمامات عامة وجلبت الماء الى المدينة فكفيتها ماء ورددت الى الصواب ثماني قرى وضواحيها كان اهلها مغوين بضلال مرقيون وانرت بنور الحق قرية كان اهلها معمين بغواية اونوميوس وقرية اخرى كان اهلها متسكعين بديجور ضلال آريوس ولم يبقَ عندنا بنعمة الله اثر لبدعة ولم يتهيأ لي صنع هذه الامور دون خطر بل ريق من دمي مرات ورجمت مرات وطردت مرات الى ابواب منزلي ها قد صرت جاهلاً بافتخاري لكن الضرورة انما هي التي دعتني الى ذلك لاحبي الافتخار ، وقد روى كثيرون من المؤرخين انه بعد وفاة والديه باع كل ما خصه من ارثهما ووزعه على الفقراء واعتنق السيرة النسكية في احد الاديار حيث كان يصرف اكثر يومه بالصلوات ويعكف في باقيه على العلوم الدينية وقد تتلمذ توادوريطس في حداثته لتوادورس المصيصي وليوحنا فم الذهب ورقاه البطريرك برفيريوس المار ذكره الى درجة المرتل ثم صيره اسكندر خليفة برفيريوس شماساً الى ان رقاه توادوطس خليفة اسكندر الى الاسقفية على مدينة قورش في سورية الشمالية سنة ٤٢٠ على رواية كرنريوس على رواية بارونيوس خلفاً لايسدورس اسقف قورش الذي توفي وقتئذٍ وقد شهد توادوريطس المجمع الافسسي سنة ٤٣١ وقاوم مع يوحنا بطريرك انطاكية وغيرهما من الاساقفة الشرقيين القديس كيرلس الاسكندري وغيره من الاساقفة المجتمعين في افسس في دعوى نسطور وعاد ايضاً الى الوفاق معهما ولما عقد مجمع افسس اللصي سنة ٤٤١ حط فيه ديوسقورس بطريرك اسكندرية توادوريطس عن مقامه الاسقفي على ان المجمع الخلكيدوني الذي عقد سنة ٤٥١

رده الى اسقفيته بعد ان صرح بحرمه نسطور وتعليمه وقد تمادى توادوريطس بما كتبه خلافاً للقديس كيرلس والمجمع الافسسي في حين الجدال على تعليم نسطور وقد توفي سنة ٤٥٨ وقد حرم المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣ ما كتبه في تخطئة القديس كيرلس والمدافعة عن نسطور ولم يحرمه هو على ان اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة يشنأون توادوريطس وينبذون ذكره واليعاقبة يمقتونه الى اليوم حتى ان المتقدم منهم الى الدرجة المقدسة يلزمه ان يصرح في دستور الايمان الذي يتلوه عند ترقيته انه يحرم توادوريطس القورشي وبعكس ذلك النساطرة فانهم يجلونه لانه جنح اليهم وقتاً ما رواه السمعاني (في مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٠) وقد قال فيه الكردينال اورسي (مجلد ٢ من تاريخه فصل ٤٩) ٠ انه لولا مقاومته وقتاً ما للقديس كيرلس الذي كان بطلاً صنديداً للايمان ضد نسطور لما كان اسمه الان اقل توقيراً من اسم باسيليوس وفم الذهب وغريغوريوس اذ ربما لم يكن اقل علماً وفضيلة منهم

واليك خلاصة ما جاء في اعمال مجمع افسس اللصي عن نسختها التي وجدت في المتحف البريطاني بشان عزل توادوريطس ان بيلاجيوس كاهن انطاكية قال ان لديه كتاباً في توادوريطس ودمنس يسأل المجمع ان يأمر بتلاوته فقال يوفينال بطريرك اورشليم انه ينبغي قبول هذا الكتاب وتلاوته فتلا رئيس المسجلين اولاً رسالة بيلاجيوس المذكور التي رفعها الى المجمع ثم اردفها بتلاوة كتابه الذي ضمنه البرهان على ان توادوريطس خالف المجمع الافسسي وقدم كتاباً انشأه في التنديد على هذا المجمع ورسالة كتبها توادوريطس الى بعض الرهبان طعناً بالقديس كيرلس وتنديداً بحرومه ثم قرأ فقرات من احد كتب توادوريطس يتبين منها مدافعته عن آراء توادورس المصيصي وغيره من المختلي العقيدة ويظهر منه جنوحه الى تعليم نسطور فقال ديوسقورس بطريرك اسكندرية يظهر من ذلك

ان توادوريطس كان وما برح مدافعاً عن ضلال نسطور فيلزم نفيه من شركة المؤمنين وخلعه من المقام الكهنوتي وتلاه غيره من الاساقفة ومنهم اوسطاتيوس اسقف بيروت موجبين الحكم بالعزل على توادوريطس الى ان قال ديدبان المجمع ان الحكم على توادوريطس عادل فاطردوا الاراتيكي جميعنا نقول كذلك فكلنا راضون بعزل توادوريطس

اما ما الفه هذا الجهبذ فهو اولاً تاريخ بيعي ضمنه فى خمسة كتب ابتدأ فيه من سنة ٣٢٦ وانتهى سنة ٤٣٩ وهو جلي ولا يخلو من الفصاحة ايضاً وقل ما كان فيه محل للانتقاد الا في تاريخ بعض السنين ثانياً تاريخ سماه دينياً او تقوياً جمع فيه تراجم خمسين ناسكاً منهم القديس مارون . ثالثاً كتاب تفسير لرسائل القديس بولس كلها وله ايضاً كتاب في تفسير نبوات الانبياء الصغار الاثني عشر وفي نبوات اشعيا (ذكره السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد ٣ صفحة ٤٠ ومجلد ١ صفحة ٦٠٥) رابعاً كتابه في انتقاد حروم القديس كيرلس الاسكندري الاثني عشر لنسطور وليت هذا الكتاب لم يكن . خامساً كتاب يخطئ به اوريجانس انكره عليه كافاليس واثبته عبد يشوع الصوباوي في قصيدته والسمعاني في شرحه لها سادساً كتابه في التجسد ذكر ماريوس مركاتور فقراً منه في اللاتينية . سابعاً كتاب في تفسير نبوة دانيال ذكره عبد يشوع في قصيدته المذكورة . ثامناً كتاب سماه عبد يشوع « محاماة لابائنا » النساطرة وقال السمعاني الصحيح ان المراد بهذا التأليف خمسة كتب كتبها توادوريطس في تجسد الكلمة يندد بها بالقديس كيرلس وآباء المجمع الافسسي محاماة لنسطور بطريرك القسطنطينية ويوحنا بطريرك انطاكية وغيرهما من الاساقفة الشرقيين وذكر ماريوس مركاتور فقراً منها تاسعاً كتاب له سماه عبد يشوع رداً على الفلاسفة وهو كتابه المعروف بمعالجة اميال اليونانيين منطوياً على اثني عشر سفراً كتبه مقاوماً به الملك يوليانس الجاحد

عاشرًا واخيرًا رسائله وهي مئة وست واربعون رسالة واذاع كرنريوس خمس عشرة رسالة اخرى وقال نيكوفورس (ك ١٤ فصل ٥٤) انه كان لديه منها ما ينيف على خمسين رسالة وله ايضاً مقالات شتى جزيلة الفائدة (ملخص عن السمعاني في مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٠ و٤١)

﴿ عد ٦١٧ ﴾

(في توادورس اسقف المصيصة)

لم يكن توادورس هذا اسقفاً في سوريه بل كان سورياً ولد في انطاكية في منتصف القرن الرابع وكان من اقران فم الذهب في اقتباس العلوم وكان نسطور وتوادوريطس من تلاميذه وقد قاوم اولاً تباع ابوليناري شديد المقاومة فجوزي بان رقي الى اسقفية المصيصة في كيليكيا وقد قرظه تلميذه توادوريطس (ك ٥ من تاريخه فصل ٣٩) واصفاً اياه بمعلم الكنيسة كلها من ناصب جميع البدع ظافرًا بها لكنه تهور في اضاليل كثيرة ولا سيما ضلالي بيلاجيوس ونسطور ويسميه النساطرة اباهم ويخصه السريان باسم المفسر لانه اشتهر بتفسيره كثيرًا من الاسفار المقدسة وقال ريناودوسيوس (في مجلد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٦٢٢) في تفسيراته ، انها وان كانت لرجل فسد ايمانه بغوايات نسطور لم يأنف الكاثوليكيون من الاعتماد عليها ولذلك تجد فقرًا كثيرة منها في تفاسير الآباء اليونانيين ، وجاء في كرونيكون (تاريخ السنين) الرها ، انه في سنة ٧١٤ (يونانية توافق ٤٠٣ للميلاد) اخذ توادورس المصيصي يفسر الاسفار المقدسة ، وكانت هذه السنة هي التاسعة من حبريته وعليه فيكون رقي الى الاسقفية سنه ٣٩٤ كما حقق السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٤٠٠) لا سنة ٣٩١ كما وهم بعضهم ولا سنة ٣٩٧ كما زعم ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه لان توادوريطس قال في (ك ٥ فصل ٣٩ من تاريخه) ، انه دبر كنيسة المصيصة ستاً وثلاثين سنة ،

وقد ادركته الوفاة سنة ٤٢٩ لانه كان حياً سنة ٤٢٨ اذ سمي نسطور بطريركاً على قسطنطينية فقد جاء في تاريخ افاغريوس (ك ١ فصل ٢) ان نسطور مرّ بالمصيصة عند سفره الى العاصمة واجتمع بتوادورس اسقفها واذ سمع تعليمه زاغ عن محجة التقوى .

وقد كتب توادورس مؤلفاته باليونانية وترجمت من تلك الايام الى السريانية وعني بترجمتها ايهيبا اسقف الرها لانا نرى كهنة الرها وهم صمويل وقورش ومادا واولوجيوس يشكون اسقفهم بهذه الترجمة في المجمعين اللذين عقدا في بيروت وصور كما يظهر من المجلسين التاسع والعاشر من المجمع الخلكيدوني واهتم ايهيبا باذاعة هذه الترجمة فاعتمدها النساطرة في مجامعهم وتآليفهم بمنزلة دستور لمعتقدهم كما حقق ابن العبري في تاريخه السرياني في ترجمة معان جاثليق سلوقية . وعدد عبد يشوع الصوباوي في قصيدته مصنفاته (السمعاني في مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٠) فقال انها منطوية في واحد واربعين مجلداً حاوية خمسين كتاباً كما يظهر من تعدادها فوضع اولاً في تفسير سفر التكوين ثلثة مجلدات وروى فوتيوس في مكتبته (ك ٣٨) ان الاول من هذه المجلدات منقسم الى سبعة كتب ثانياً فسر زبور داود في خمسة مجلدات ونسب بعض علماء اليعاقبة اليه المزمور المثبت في فروض طائفتنا وهو ܒܟܘܠܗܘܢ ܒܪܘܟܐ ܕܠܚܕܐ
وقد اثبت السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٦٠) ان هذا المزمور ليس له بل للقديس افرام السرياني موردًا لذلك ادلة قاطعة منها ثبوت هذا المزمور في كل نسخه القديمة معزوًا صراحةً الى القديس افرام ومنها ان سريانيته فصيحة بحتة وتوادورس كتب باليونانية . ثالثاً كتب تفسير نبوات الاثني عشر نبياً في مجلدين . رابعاً فسر سفري صمويل اي السفرين الاولين من اسفار الملوك في مجلد واحد . خامساً فسر سفر ايوب في مجلدين ارسلهما الى البطريرك كيرلس

الاسكندري العدو الالد لنسطور ولذلك ذكر عبد يشوع اسمه مصغرًا . سادساً فسر سفر الجامعة بكتاب واحد . سابعاً فسر نبوات اشعيا وحزقيال وارميا ودانيال في اربعة مجلدات لكل نبوة مجلد . ثامناً اسفار العهد القديم كلها بأثنين وعشرين مجلدًا واسفار العهد الجديد بتسعة كتب . تاسعاً له كتاب في الاسرار وكتاب في الايمان اي شرح دستور الايمان وكتاب في الكهنوت وكتابان في روح القدس وكتاب في التجسد وكتابان في الرد على اونوميوس وكتابان فى الرد على من زعم ان الخطية ملازمة للطبيعة وقد اثبت ماديوس مركاتور ان توادورس وضع هذين الكتابين ردًا على عقيدة الخطية الاصلية وعلى القديس اوغوسطينس او على القديس ايرونيمس اللذين دافعا عنها ولذلك نزل توادورس منزلة اب للبيلاجيين ونعلم ان النساطرة لا يحسنون الى الان الاعتقاد بهذه العقيدة عاشرًا له كتابان في الرد على المجوس اي على مذهب الفرس وكتاب الى الرهبان وكتاب في غموض الكلام واخر في كمال السيرة وخمسة كتب في الرد على المجازيين اي على اوريجانس واتباعه الذين يفسرون الكتاب بالمعني المجازي لا بالمعنى الحقيقي وكتاب محاماة للقديس باسيليوس تخطئة لاونوميوس وكتاب في الآخذ والمأخوذ ردًا على ابوليناد الذي زعم ان المسيح اتى بجسده من السماء وكتاب الفرائد او الدرر جمعت فيه رسائله واخيرًا كتابه في الاشتراع وهو خاتمة كتبه انتهى ملخصاً عن قصيدة عبد يشوع الذي هو نسطوري فاطال كلامه في هذا الامام للنسطورية

قال السمعاني (مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٠) وعندنا في المكتبة الواتيكانية من هذه الكتب التي اثبت الصوباوي وجودها عند السريان النساطرة ليتورجية (اي رتبة اقداس) لتوادورس المصيصي معلقة في الكتاب القديم السرياني عد ١٨ من الكتب السريانية في المكتبة المذكورة وقد ذكرتها في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٨١ و٥٨٣ ثم كتاب مباحث في الاسفار المقدسة ذكرته

في المجلد الثاني صفحة ٤٨٧ وكتاب في مباحث واجوبة في الاسفار المقدسة اشرت اليه في المحل المار ذكره • وقصيدة اشرت اليها في المجلد ٢ صفحة ٤٨٨ وقد ترجم الليتورجية المذكورة الى اللاتينية رينودوسيوس (مجلد ٢ من الليتورجية الشرقية صفحة ٦١٠) وفاتحتها • ايها الرب الاله القوي • وقال ابو البركات (في كتابه في الفروض فصل ٧) ما حرفيتـه تواودورس المفسقان (اي المفسر) من ملافنة السريان له شرح لبعض الرسائل البولسية والقصص السليحية وللمذكور عند طائفته مزية كثيرة في علمه •

عد ٦١٨

في اسكندر وقورش واخسنيا اساقفة منبج

اما اسكندر فكان صديقاً لنسطور وعدوّا الد للقديس كيرلس الاسكندري حتى انه بعد ان صالحه يوحنا الانطاكي ومناصروه من الشرقيين لم يشأ اسكندر ان يشترك مع يوحنا بطريركه وقد اشتهر سنة ٤٣١ وذكره الصوباوي في قصيدته (فصل ١٣٠) وقال انه كتب كتاباً يضاد فيه يوليانس الجاحد وذكر له كافايوس في تاريخه مجلد ١ صفحة ٢٣٣) كتباً اخرى

اما قورش فاصله يوناني رقي الى اسقفية منبج في سورية الشمالية واستمر في هذه الاسقفية الى نحو سنة ٤٨٥ ولما توفي اقام بطرس القصار البطريرك الانطاكي خلفاً له اخسنيا المسمى ايضاً فيلوكسينس وكان قورش نسطورياً كما يظهر من ان خليفته اخسنيا الذي كان اوطاخياً حرمه مرات مع تواودورس المصيصي ونسطور وتواودوريطس وايهيبا وغيرهم وله من التـأليف مقالة في تقسم الاديان والبدع وله خطب عديدة روى ذلك الصوباوي في قصيدته (فصل ٢٤) والسمعاني في المكتبة الشرقية (مجلد ٣ صفحة ٣٨) وروى هناك انه كان في هذا العصر عالم آخر اسمه قورش كان طبيباً وفيلسوفاً فصار راهباً سنة ٤٦٠ وذكره جاديوس في

جملة المؤلفين البيعيين" (فصل ٨١) وقد كتب مقالات فصيحة سديدة في تخطئة نسطور على ان حدته في الجدال مع النساطرة اوقعته في ضلال اوطيخا فنبذ ما رسمه المجمع الخلكيدوني

اما اخسنيا خليفة قورش في كرسي منبج فقد كتب السمعاني ترجمته مطولة في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية (صفحة ١٠) فنوجز ما اسهب قال انه فارسي الاصل ابق من عند مولاه من فارس واتى الى سورية وتزلف الى بطرس القصار فرقاه حتى درجة الاسقفية في منبج والظاهر من رسالة انفذها الى رهبان دير سنون بعد منفاه الى تراسة سنة ٥١٨ انه رقي الى الاسقفية سنة ٤٨٥ لانه قال في هذه الرسالة انه دبر كنيسة منبج اربعاً وثلاثين سنة فان اسقطنا هذه السنين من سنة ٥١٨ كان الحاصل انه رقي الاسقفية سنة ٤٨٥ او سنة ٤٨٤ وبعد ان صير اسقفاً لم يألُ جهدًا في مقاومة المجمع الخلكيدوني ومناصبة من يذعنون لمراسيمه وحمل افلابيانس بطريرك انطاكية على قبول امر زينون المعروف بهانتيكون (اي منشور الاتحاد) على ما روى افاغريوس (ك ٣ من تاريخه فصل ٣١) وقد مضى مرتين الى قسطنطينية ليغري الملك انسطاس بمقاومة الكاثوليكيين ومطاوعة الاوطاخيين كما يتبين من رسالته الى الرهبان المذكورين وقد عني بعقد مجمع في صيدا فامر الملك انسطاس بعقده ورأس عليه سوتوريكس اسقف قيصرية في الكبادوك واخسنيا هذا اسقف منبج لمناصبتهما المجمع الخلكيدوني وتصحبهما لاوطيخا وديوسقورس على ما روى القديس كيرلس اسقف باسان في ترجمة القديس سابا فعقد المجمع في صيدا سنة ٢٠ لانسطاس وهي سنة ٥١٠ او سنة ٥١١ على ما روى توافان وديونيسيوس بطرك اليعاقبة وانتهى في بدء سنة ٥١٢ على ما حقق باجيوس على ان الاراطقة لم يقضوا من هذا المجمع وطرًا لمقاومة ايليا بطريرك اورشليم لهم معتضدًا بافلابيانس بطريرك انطاكية ونرى انسطاس الملك يشكو من

هذا الامر الى القديس سابا الذي كان البطريرك اوفده اليه كما يظهر من ترجمة القديس سابا التي نشرها كوتاريوس (مجلد ٣ صفحة ٣٠٠) ولذلك كتب اخسنيا وسوتوريكس رفيقه الى الملك انه اذا لم يبعد افلابيانس وايليا عن كراسيهما فيمسي جميع المؤمنين مدافعين عن المجمع الخلكيدوني وعلى هذا النحو تسبَّب اخسنيا بعزل هذين البطريركين كما مر ولما عزل الملك افلابيانس عن بطريركية انطاكية وادخل عليها ساويرس سنة ٥١٢ على ما روى افاغريوس (ك٣ فصل ٣٣) رأس اخسنيا المجمع الذي رقى ساويرس الى البطريركية كما يظهر من كلام كاتب ترجمته في الكتاب القديم السرياني في عد ١٣ من الكتب السريانية في المكتبة الواتيكانية. وقد اضطهد اخسنيا الكاثوليكيين في ايام ساويرس البطريرك كما يظهر من رسالة رهبان سورية الثانية الى البابا هرمزدا والى يوحنا ومنَّا بطريركي قسطنطينية والى المجمع الخامس المسكوني وان لم يصرحوا باسم اخسنيا فلا ريب في انه باتفاقه مع ساويرس كان علة تلك المحن والشؤون في بيعة الله

وروى دونيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون ان ساويرس واخسنيا عقدا مجمعاً في صور بامر الملك انسطاس سنة ٨٢٦ يونانية (سنة ٥١٥ للميلاد) وشهده كثيرون من اساقفة المشرق وفلسطين وفونيقي لبنان والعربية حرموا فيه المجمع الخلكيدوني ولكن قال السمعاني (في مجلد٢ من المكتبة الشرقية صفحة١٩) انه لا اثر لهذا المجمع في كتب المؤرخين اليونان واللاتين وقد ذكر انه كان فيه نواب من قبل ايليا بطريرك اورشليم الذي نفي من كرسيه سنة ٥١٣ وعليه فيظهر ان دونيسيوس لم يميز بين هذا المجمع ومجمع اخر عقد في صور سنة ٥١٨ بعد هرب ساويرس تأييدًا للايمان الكاثوليكي كما روى بارنيوس وباجيوس

ان العناية الربانية لم تدع اعداء الكنيسة الكاثوليكية يتمادون بشرهم الى زمان طويل فخرمت المنية الملك انسطاس سنة ٥١٨ وتسنم منصة الملك يوستينس

الكبير وانبأنا افاغريوس (ك ٤ من تاريخه فصل ٤) وتوافان ان هذا الملك نفى ساويرس البطريرك الانطاكي واخسنيا هذا اسقف منبج المسمى فيلوكسينس وبطرس اسقف اباميا وغيرهم من المصابين بادواء الضلال ويظهر من الكتاب القديم السرياني المأتي به من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية (عد ٢٧ من هذه الكتب) والمنطوي على رسالة اخسنيا الى رهبان دير سنون انه نفي الى فيلوبولي في تراسة اذ كتب هذه الرسالة منها ثم نقل منها الى كنكرا في بفلاغونية وهناك هلك مفطساً بالدخان فقد جاء في ترجمته المثبتة في الكتاب السرياني القديم عد ١٣ في المكتبة الواتيكانية . انه بعد ان افهم البيعة بالتعاليم الالهية وتفسير الكتب وفند معتقد النساطرة بكتبه نفوه الى مدينة كنكرا حيث خنقوه بالدخان . ويظهر ان ذلك كان سنة ٥٢٢ او سنة ٥٢٠ ويعيد اليعاقبة لذكره في ١٠ من كانون الاول وفي ١٨ من شباط ويعتدونه شهيدًا وقد كتب ما كتبه باللغة السريانية واعتده يعقوب الرهاوي من افصح من كتبوا بهذه اللغة وفضلاً عن ضلاله في تعليمه ان في المسيح طبعاً واحدًا قد انكر انبثاق الروح القدس من الابن كما يظهر من مقالة له في التجسد مثبتة في الكتاب القديم عد ٢٥ بين الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية وقد انكر جواز تكريم الصور ولا سيما اذا كانت لمن لا جسم له كصورة الله وروح القدس والملائكة

واما تآليفه فقد ذكرها السمعاني (مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٣) فقال هي اولاً تفسيره الاسفار المقدسة وما ذكره منها ديونيسيوس بن صليبا وابن العبري ويوحنا اسقف دارا انما هو تفسير الاناجيل . ثانياً ترجمة الاناجيل المقدسة من اليونانية الى السريانية على ما شهد توما الحرقلي في حاشيته على نسخة من هذه الاناجيل خطت سنة ٦١٦ وهي محفوظة في مكتبة دير القديس اغوسطينس في رومة

واما تاريخ ترجمة اخسنيا لها فيؤخذ عن كتاب سرياني قديم في مكتبة باريس الملكية قد خط على رق سنة ١١٩٢ وذيل بحاشية كتب فيها على ما روى ديونيسيوس (مجلد ٢ من الليتورجيات الشرقية صفحة ٣٨٩) ، هذا كتاب الاناجيل الاربعة المقدسة الذي ترجم من اللغة اليونانية الى السريانية بتعب جزيل وتدقيق دقيق اولاً في مدينة منبج سنة ٨١٩ لاسكندر المكدوني (توافق سنة ٥٠٨ مسيحية) في ايام القديس فيلوكسينس المعترف اسقف المدينة المذكورة ، وقد مدح هذه الترجمة كاتب دستور الايمان عند اليعاقبة في الكتاب القديم العربي المحفوظ في مكتبة مدرسة الموارنة في رومة (صفحة ٤١٤) فقال «فيلوكسينس المنبجي مفسر الانجيل الى اللغة السريانية الذي يستعمله من يقرا الانجيل بالسرياني من الملكية واليعاقبة والنساطرة والموارنة واما نحن السريان فعندنا نسخة الحرقل لتوما الحرقلي ، قال السمعاني قد كذب الكاتب اليعقوبي لان الطوائف الاربع التي ذكرها لا تستعمل ترجمة فيلوكسينس بل الترجمة التي يدعونها ܦܫܝܛܬܐ اي البسيطة وقد انتشرت في الكنيسة السريانية مذ ايام الرسل واليعاقبة وحدهم يستعملون الترجمة التي وصفها اولاً فيلوكسينس ثم اصلحها وهذبها الحرقلي وقد جعل ابن العبري ترجمة فيلوكسينس وترجمة الحرقلي واحدة وهو خطاين لان فيلوكسينس مات نحو سنة ٥٢٠ والحرقلي هذب ترجمته سنه ٦١٦ ولعل كلام ابن العبري شوهته زلة من قلم كاتبه

ثالثاً لاخسنيا نافور مثبت في الكتابين الثالث والرابع من الكتب المأتي بها من الاسقيط وفاتحته «ايها الرب الاله غير المدرك» وذكره البطريرك اسطفانس الاهدني في مؤلفي النافورات الاراطقة فصل ٧ ويعزى اليه نافور آخر فاتحته «ايها الاله الذي هو حياة ونور لكل شي» والصحيح ان هذا النافور لسمعان الفارسي . رابعاً لاخسنيا صلوة مترجمة من السريانية الى العربية ومثبتة في كتاب

٥٢ من الكتب العربية التي في المكتبة الواتيكانية • خامساً له رتبة لمنح سر المعمودية يستعملها اليعاقبة وهي مثبتة في كتب طقسهم • سادساً له ثلث مقالات في الثالوث والتجسد • سابعاً له عشر مقالات في ان احد اقانيم الثالوث الاقدس ولد وألم • ثامناً له مقالة في الايمان ورسائل شتى منها رسالة الى الملك زينون • تاسعاً له محاورة مع عالم نسطوري ومقالة في النساطرة والاوطاخيين واخرى في العفة ومن شاء اكثر تفصيل في ترجمته ومصنفاته فليراجع المكتبة الشرقية للعلامة السمعاني (مجلد ٢ من صفحة ١٠ الى صفحة ٤٦) الذي لخصنا كل ما مر عن اقواله

﴿ عد ٦١٩ ﴾

(في ايريناوس اسقف صور)

ان ايريناوس هذا كان كنتاً من كبراء دولة الملك تاودوسيوس الصغير وقد ارسله سنة ٤٣١ الى المجمع الافسسي نائباً عنه فيه فشايع نسطور وانتصر له في المجمع وبعده فعزله الملك من منصبه ونفاه الى مدينة حجر في العربية واستمر في منفاه أثنتي عشرة سنه كما يظهر من اعمال مجمع افسس اللصي التي وجدت من عهد قريب في المتحف البريطاني كما مر • حيث يقال في ايريناوس • ان دمنس (البطريرك الانطاكي) وضع يده عليه وان كان متزوجاً بامرأتين وعاش خارجاً عن شركة الكنيسة المقدسة أثنتي عشرة سنة اي مذ طرد نسطور من كرسيه الى ان صير (ايريناوس) اسقفاً • واما كيف عاد من منفاه وباية وسيلة فيظهر من رسالة كان بعضهم يعزوها الى تاودوريطس وقد تحقق الان انها لدمنس البطريرك الانطاكي ان دمنس لم يرقهِ الى الاسقفية الا برأي جميع اساقفة فونيقي ويقرظه كثيراً واليك كلامه (في رسالة ١١٠) • قد انقذت براي اساقفة فونيقي اعزاء الله الى ان ارقي الى الاسقفية ايريناوس عزيز الله واذ تبينت لي غيرته وعزة نفسه

ومحبته للفقراء وسائر فضائله وصحة عقيدته ونعلم انه لم يأب البتة ان يدعو العذراء والدة الله وانه لم يرَ رأياً مخالفاً التعاليم الانجيلية ، ومن ذلك يظهر جلياً انه اقلع عن غلطه وجحد ضلاله قبل ان يرقى الى الاسقفية واما سنة ترقيته الى الاسقفية فلا يمكن القطع بها لان قول المجمع اللصي المورد آنفاً انه اقام اثنتي عشرة سنة في المنفى لا يعلم ابدؤها سنة ٤٣١ التي عزل بها نسطور ام سنه ٤٣٥ التي صدر فيها امر الملك ضد النساطرة فان صح الاول كانت ترقيته ٣٤٣ او الثاني فسنة ٤٤٧ او سنه ٤٤٦ وقد رجح الاب مرتيس الثاني

وهاك ما كان في امره في مجمع افسس اللصي نورده ملخصاً على علاته ، قال يوحنا خوري اسكندرية ورئيس المسجلين يترتب علينا ان نخبر مجمعكم الطوباوي المسكوني ان ايرناوس اخص المعاضدين لضلال نسطور والمساعد لهذا المبتدع على نشر غواياته قد قضي عليه بالنفي وارسل الى المحل الذي عينه له ملوكنا الصالحون محبو المسيح ولا اعلم كيف امكن ان يرقى الى كرسي صور ولم يكن اهلاً لذلك لانه كان متابعاً لنسطور على تعاليمه السقيمة فضلاً عن انه كان متزوجاً بامرأتين ولم تكن سيرته حميدة في شبابه ولهذا كان للصوريين ذئباً خاطفاً بدلاً من ان يكون راعياً وهو مترد بثياب حمل ولم يكن وضع اليد عليه مطابقاً للقوانين فعزل وحط عدلاً واقيم مكانه فوتيوس الذي ترونه الان في مصاف قداستكم في هذا المجمع فالعدالة تقضي علينا بل الضرورة تلزمنا ان يبرز هذا المجمع حكماً قانونياً ومجمعياً خشية ان يتصل هذا الداء بغيره فيفسد الكثيرين

فقال ديوسقورس بطريرك اسكندرية قد اطلع هذا المجمع المقدس على سؤال يوحنا رئيس المسجلين ورأى اجابة سؤاله لائقة وعادلة ومطابقة للقوانين وان هذا المجمع المقدس يلزمه ان يؤيد حط ايرناوس المجدف وذي الزوجتين ولهذا فانا اول من يحطه عن شرف الكهنوت ويحظر عليه الاشتراك مع عامة

الناس ايضاً

وقال تلاسيوس اسقف قيصرية يكفي لحط ايريناوس عن المقام الكهنوتي انه ثبت عليه تشبثه بضلال نسطور فضلاً عن انه ثبت عليه الزواج بامرأتين خلافاً للقوانين ولهذا اعتده مقصى عن الكهنوت وعن شركة المؤمنين

وقال اسطفانس اسقف افسس انا كنت مخالفاً منذ البدء لترقية ايريناوس الى الاسقفية لانه رقى الى الكهنوت خلافاً للقوانين والنظام الكنسي ولهذا ارى لزوم اجابة سؤال رئيس المسجلين باقصائه عن الاسقفيه وشركة المؤمنين

وقال اوسابيوس اسقف انكورة فليكن ايريناوس المتزوج بامرأتين والمشكو بمشايعة نسطور منحطاً عن مقامه الاسقفي وقال غير هولاء من الاساقفة مثل ذلك الى ان قال اوسطاتيوس اسقف بيروت انه بمكر الشيطان اصبح الانسان مضطرًا الى تجسد ابن الله فاراد ابليس ان يضرنا فكان نافعاً لنا بتدارك رحمة الله لنا وعلى هذا النحو الناس الاشرار فانهم يهيئون لكنيسة الله الوسائل لنبذ التهم الواردة عليها فاذا استؤصلت جراثيمهم اتت الاشجار الباقية في جنة الله بثمار وافرة فايريناوس الذي دافع قبلاً عن ضلال نسطور الوخيم حطه طوباويتكم عدلاً عن مقامه فليكن محروماً من الاشتراك في الاسرار المقدسة لانه كان سبباً لشرور كثيرة بعد نسطور

وقال اخيرًا احد الاساقفة باسم المجمع انا جميعنا نقول كذلك وباجماع كلمتنا نبذ الاراطقة قد اصاب ملوكنا بما صنعوا ان كل ما عمله ايريناوس يلزم نبذه لانه رقي الاسقفية بوسائل رديئة وكل اعماله ممقوتة وحكم المجمع عليه عادل كحكم الملوك ٠

ومن بعد هذا الحكم على ايريناوس عزل بامر الملك توادوسيوس الصغير

عن كرسيه ولا مرية في ان ايريناوس شايع نسطور في المجمع الافسسي وفي انه كان متزوجاً قبل اسقفيته بامرأتين ولكن اكان بعد اسقفيته متشبثاً بضلال نسطور فما رويناه آنفاً عن رسالة بطريركه دمنس ينفي هذه التهمة عنه ويبرئ ساحته ولكن يظهر مما قال رئيس المسجلين انه كان قد عزل قبل المجمع اللصي واقيم فوتيوس مكانه . واليعاقبة يعتدونه من الهراطقة النسطوريين في دستور الايمان الذي يتلوه المتقدم الى الاسقفية عند ارتقائه اليها

ان ايريناوس بعد ان عزله الملك عن كرسي صور انكب على كتاب تاريخ لايامه ضمنه في خمسة كتب وقال فيه عبد يشوع الصوباوي (في قصيدته المذكورة فصل ٢٥) « ايريناوس الصوري وضع خمسة كتب في التاريخ البيعي على اضطهاد نسطور وكل ما جرى في ذلك الزمان » والمعلوم ان تاريخه هذا هو مجموع اوامر من الملوك واحكام من المجامع ورسائل من اساقفة ذلك العصر وله رسالة الى الاساقفة الشرقيين كتبها سنة ٤٣١ وله ايضاً مأساة كتبها في منفاه ببلاد العرب ولا نعلم مضمونها الا من تخطئة له فيها معنونة الرد على مأساة ايريناوس ذكره منسى في مجموع المجامع وتلمون (في مذكره ١٤ صفحة ٦٠٥)

عد ٦٢٠

في باقي اساقفة صور في هذا القرن غير ايريناوس

كان قبل ايريناوس قورش اسقفاً على صور وشهد المجمع الافسسي سنة ٤٣١ وكان فيه مشايعاً لنسطور واختاره اصحابه ليكون في جملة الاساقفة الذين اوفدوهم الى الملك توادوسيوس لاقامة الحجة على هذا المجمع لكنه مرض فاستناب عنه مكاريوس اسقف اللاذقية وقد وقع على كل ما كتب مدافعة عن نسطور فخلعه المجمع الافسسي من مقامه الاسقفي كباقي رفقائه كما هو بيّن في اعمال هذا المجمع ولا نعلم ما كان منه بعد ذلك

وخلفه برونيسيان ونعلم انه كان من الساعين للصلح بين القديس كيرلس البطريرك الاسكندري وبين الاساقفة الشرقيين للاتفاق على نبذ ضلال نسطور وعملاً برغبته كتب القديس كيرلس انه يلزم الاساقفة الشرقيين جميعاً ان يحرموا نسطور وينزلوا تجديفه على المسيح منزلة تجديف سيمون الساحر كما يظهر من رسالة القديس كيرلس الى ارسطولاس

وخلف ايريناوس المذكور برونيسيان وبعد عزل ايريناوس من كرسيه كما مر خلفه فوتيوس وقد عهد اليه الملك تاودوسيوس وافلابيانس بطريرك قسطنطينية ان يفحص مع اوسطاتيوس اسقف بيروت عما كتبه او قاله ايهيبا اسقف الرها وكان ذلك لسنة ٤٤٨ على ما روى بارونيوس او سنة ٤٤٩ على ما روى باجيوس الذي قص علينا هذا الخبر كما يأتي ملخصاً . ان بعض الاكليريكيين من الرها شكوا اسقفهم ايهيبا الى دمنس بطريرك انطاكية وكان صديقاً لايهيبا نلم يحفل بالشكوى فرفعوا شكواهم الى الملك تاودوسيوس والى افلابيانس بطريرك قسطنطينية فامر تاودوسيوس داماشيوس احد القضاة في ٢٦ تشرين الاول سنة ٤٤٨ ان يمضي سريعاً الى فونيقي ويهتم بالفحص عن دعوى ايهيبا بحضرة القضاة المفوض اليهم بسماعها وارسل افلابيانس مع داماشيوس اولوجيوس الشماس وكان القضاة المفوضون فوتيوس متربوليط صور واوسطاتيوس اسقف بيروت واورانيلوس احد الاساقفة الخاضعين لرئيس اساقفة الرها فدعا فوتيوس رفقاءه القضاة وايهيبا وشاكيه الى صور فاذاع الشاكون فيها ان ايهيبا قال لا احسد المسيح على انه صار الهاً لانه يمكنني ان اصير مثله اذا كان له ولي طبع واحد ولما علم فوتيوس ان هذا التجديف يكون معثرة للصوريين امر ان يخرجوا من صور فانتقل القضاة الى بيروت وارسل ايهيبا احد شمامسته من بيروت الى الرها ليأتيه برسائل من اكليرسها يشهدون فيها انه لم يفه بهذا الكلام تبرئة لساحته فارسل

اليه الاكليرس رسالة يبرئونه فيها من هذه التهمة ويسألون فوتيوس واسطاتيوس القاضيين ان يسرعا بارجاع ايهيبا الى رعيته ولا سيما لدنو عيد الفصح ولما لم تظهر صحة الشكوى بذل القضاة قصارى جهدهم في اصلاح ذات البين بين ايهيبا وشاكيه ورأوا ان هذا الصلح لا يبعد ان يكون فعادوا الى صور وهناك جرى الصلح ووقع على صكه بحضرة كثيرين في صور في ٢٥ شباط سنة ٤٤٩ ، وترى صك هذا الصلح مع التوقيع عليه في اعمال المجمع الخلكيدوني (مجلس ٩) على ان الشاكين على ايهيبا استأنفوا شكواهم في مجمع افسس اللصي فحطه هذا المجمع عن مقامه

وقد شهد فوتيوس هذا المجمع اللصي كما مر ثم اتى الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ واثبت اعماله وذكر في المجلس التاسع منه ما تصرف به في دعوى ايهيبا وكان اوسطاتيوس اسقف بيروت قد اعتدى عليه باتخاذه السلطة المتريبوليطية في بعض المدن الخاضعة لاسقفية صور سنداً الى جعل الملك توادوسيوس بيروت مدينة متريبوليطية فدافع فوتيوس عن حقه ففاز بدعواه اذ حكم هذا المجمع ان تبقى كنائس المدن المتريبوليطية على حقوقها ولو احدث الملوك مدناً او لقبوها القاباً مشرفة وقد وقع فوتيوس على جميع مراسيم المجمع الخلكيدوني كما يظهر من اعماله

وخلف دوروتاوس فوتيوس والذي علمناه من امره ان الملك لاون كتب الى كل من متريبوليطية الكنائس الشرقية ان يعقد كل منهم مجمعاً اقليمياً في كنيسته ويصرح برأيه في شأن المجمع الخلكيدوني فنرى دوروتاوس عقد مجمعاً واوفد الى الملك رسالة ووقع عليها باسمه دوروتاوس متريبوليط صور (لكويان في المشرق المسيحي في اساقفة صور)

ومن اساقفة صور بعد ذلك يوحنا كودوناتس كان مشايعاً لبطرس القصار

في انطاكية فصيره اسقفاً على اباميا فلم يقبله اهلها وبعد ان قتل اعداء المجمع الخلكيدوني اسطفانس الثالث بطريرك انطاكية اقاموا يوحنا هذا مكانه الا ان اكاشيوس البطريرك القسطنطيني اقام كالنديون بطريركاً على انطاكية بامر زينون الملك ولما اتى انطاكية ورحب به اهلها جعل يوحنا اسقفاً على صور كامر (في الكلام على بطاركة انطاكية) هذا ما رواه توافان في تاريخ السنة السابعة لزينون ولكن جاء في موجز تاريخ الاوطاخيين ان بطرس القصار رقى يوحنا هذا الى اسقفية اباميا ولما عاد القصار الى انطاكية ولم يقبله اهلها اخذ يوحنا كرسيه الانطاكي فحرم اكاشيوس البطريرك القسطنطيني كليهما اي القصار ويوحنا فجعل البطريرك الاسكندري ويوحنا اسقفاً على صور (ملخص عن المشرق المسيحي)

عد ٦٢١

في من نعرفهم من اساقفه صيدا وبيروث وجبيل في القرن الخامس

نعرف من اساقفة صيدا في هذا القرن دميانس ونرى توادوريطس وجه اليه رسالة هي في عدد اربعين من رسائله وانه كان من الاساقفة الذين وقعوا على الحكم في دعوى اثناسيوس اسقف بيريا (١) في المجمع الذي عقده دمنس بطريرك انطاكية سنة ٤٤٥ فان اثناسيوس كان اسقف بيريا الخاضعة لولاية متربوليط منبج وقد شكي بجرائم ثقيلة فعقد دمنس مجمعاً في انطاكية في السنة المذكورة ودعى اثناسيوس ثلثاً ليبرئ نفسه فلم يلبِ الدعوة فحكم المجمع بعزله واقيم مكانه سابينيان فارجع ديوسقورس في المجمع اللصي اثناسيوس الى كرسيه وحط سابينيان عنه وقد لجأ سابينيان الى المجمع الخليكدوني فنظر في دعواه في مجلس ١٤ وحكم ببقائه في اسقفيته الا ان يبرئ اثناسيوس نفسه من كل جريمة

(١) حاشية ويسميها الافرنج PERRHA واظنها البادة التي في ناحية ادلب وريحا الى الجنوب من ريحا على مسافة نصف مرحلة وهي مشهورة باطلال الهياكل والاديار والدور التي كانت فيها

في مدة ثمانية اشهر فيعود الى كرسيه ويكون ساپينيان معاوناً له وقد شهد دميانس المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ ووقع على مراسيمه. ونعرف ايضاً ماكان اسقف هذه المدينة مستدلين عليه بتوقيعه على رسالة رفعها مجمع عقد في فونيقي الى الملك لاون سنة ٤٥٨ او ٤٥٩ في شان مقتل برتوريوس اسقف الاسكندرية ونبذ تعاليم الاوطاخيين

ومن اساقفة عكا نعرف الاديوس ويتبين من اعمال المجمع الافسسي انه كان موافقاً فيه ليوحنا بطريرك انطاكية وغيره من الاساقفة الشرقيين في الدفاع عن نسطور فاستحق معهم ان يحطه هذا المجمع عن اسقفيته . ونعرف منهم ايضاً بولس شهد المجمع الذي عقده دمنس بطريرك انطاكية في دعوى أثناسيوس اسقف البادة وقد حضر ايضاً في المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه

ومن اساقفة بيروت في هذا القرن اوسطاتيوس المار ذكره وقد كلفه افلابيانس البطريرك القسطنطيني ان يفحص مع فوتيوس اسقف صور عن شكوى كهنة الرها اسقفهم ايهيبا فاتما ذلك في مجالس عقداها في صور وبيروت واصلحا بين ايهيبا وكهنته كما مر . وشهد اوسطاتيوس بعد ذلك مجمع افسس اللصي وكان فيه محازباً لديسقورس بطريرك اسكندرية وقد نال من الملك توادسيوس مرسوماً سمى فيه بيروت مدينة متربوليطية ونازع فوتيوس اسقف صور سيادته على بعض مدن فونيقي الى ان حكم المجمع الخلكيدوني ان يبقى مطران صور على سيادته كما كان قبل هذا النزاع وقد حضر اوسطاتيوس الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ ومحا وصمة العار التي تلطخ بها في المجمع اللصي اذ جحد ضلال اوطاخي وديوسقورس ووقع على مراسيم المجمع الخلكيدوني وقد بنى في بيروت كنيسة بديعة يقال ان آثارها باقية الى اليوم في احد المعابد وكتب اليه الملك لاون رسالة في مقتل القديس بروتاريوس اسقف اسكندرية وزى توقيعه في

الجواب المرفوع الى هذا الملك من اساقفة فونيقي مثبتاً بعد توقيع دوروتاوس اسقف صور وقد قاوم تيموتاوس المعروف بالنمس الدخيل على بطريركية اسكندرية وفي مكتبة مدرسة الاباء اليسوعيين في بريس فقرات من كتاب له يفند بها اراطقة كثيرين

وقد جاء في سنكساري الاحباش في ٢٤ من نيسان ذكر اريستس اسقف بيروت الا ان يقال ان المراد باريستس اوسطاثيوس المار ذكره الذي كان محازباً لديوسقورس بطريرك اسكندرية في المدافعة عن غوايات اوطاخي المتسكع الاحباش فيها. وجاء في ميناوون الروم في ١٩ من شباط ان القديس رابولا اسقف سميساط اتى فونيقي في ايام زينون الملك وكان يصحبه ناسك اشتهرت فضائله فبنى في وسط الجبل (لعل المراد جبل لبنان) ديرًا كبيرًا بعناية الملك زينون ومساعدة يوحنا مطران بيروت

ونعرف من اساقفة جبيل في هذا القرن بناتس ويرى توقيعه في جملة اسماء الاساقفة الذين شهدوا مجمع انطاكية سنة ٤٤٥ في ايام دمنس وحكموا على اثناسيوس اسقف البادة كما يظهر من اعمال المجمع الخلكيدوني (مجلس ١٤) ومن اساقفة جبيل اكويلينس حط عن اسقفيته وحرم في مجمع افسس اللصي بما انه نسطوري واليك ما كان في حطه ملخصاً عما جاء في اعمال المجمع اللصي المذكور . قال فوتيوس اسقف صور ان ايريناوس الذي قضي عليه بالحط انما هو الذي رقى اكويلينس الى اسقفية جبيل وان كان شرًا من نسطور واكثر حماقة من ايريناوس وقد استحقر المذبح والكنيسة والكهنوت وفضل عليها صداقة شريكه في الهرطقة وقد دعوته مرارًا ليأتي اليَّ او الى البطريرك دمنس فاختبأ وكتب اليَّ دمنس يسألني ان اقيم اسقفاً بدلاً منه ولم اتأخر عن العمل بامره الا لاننا دعينا الى هذا المجمع المقدس المسكوني فقال ديوسقورس بطريرك اسكندرية ان

اكويلينس الذي كان اسقفاً على جبيل قد اثبت على نفسه انه ليس اهلاً لشرف الكهنوت باصراره على مخالفة النظام المفروض وايثاره اتباع ايريناوس رفيقه في الضلال كما ابان رئيسه فوتيوس التقي فليكن له اذاً نصيب ايريناوس فانه لم يشأ البركة فتباعدت عنه فليكن معزولاً من اسقفيتــه وليكن معلوماً انه اذا ظهر ان احدًا من اساقفة فونيقي الخاضعين لفوتيوس المتربوليط مصاب بالضلال ومتشبث بتعاليم نسطور فيلزم المتربوليط ومجمعه ان يحطوه عن مقامه فالمتربوليط هو المطالب بتنفيذ ما يأمر به هذا المجمع وسأل المتربوليط ان يذيع ذلك ويرفع عرض كل ما يكون الى العرش الاسمى (اي الملك) فقال فوتيوس سابذل جهدي في ان لا يبقى اسقف او كاهن في فونيقي جانحاً الى بدعة نسطور واتوخى ان مجمعي الاقليمي يجاريني على رغائبي هذه العائدة لمجد المسيح وشرف هذا المجمع

وقال يوفينال بطريرك اورشليم : قال الرسول : اذا اراد غير المؤمن ان يذهب فليذهب وحيث ان اكويلينس دعي مرتين او ثلثاً ولم يشأ ان يمتثل كما افاد فوتيوس البار فيكون هو حط نفسه عن الكهنوت فقد قال الرسول ايضاً اهرب من الاراتيكي بعد ان تنبهه مرتين او ثلثا وقال اسطفانس اسقف افسس ان اكويلينس الذي كان اسقفاً على جبيل قد حط نفسه بتركه الكنيسة المسلمة اليه وتفضيله عليها صداقة ايريناوس الأثيم الذي رقاه الى كرسيها وعليه فارى ان يحكم عليه كما حكم على ايريناوس وبعد ان قال كذلك تلاسيوس اسقف قيصرية واوسابيوس اسقف انكورة ويوحنا اسقف سبسطية في ارمينية واوسطاتيوس اسقف بيروت قال مقدام المجمع اننا جميعاً نقول كذلك ونحط اكويلينس ونعزله عن اسقفيتــه

ومن اساقفة جبيل ايضاً روفينس شهد المجمع الخلكيدوني ونرى توقيعه على اعماله روفينس اسقف جبيل

عد ٦٢٢

في من نعرفهم من اساقفة البترون وطرابلس وعرقا وارتوسيا وارواد في القرن الخامس

نعرف من اساقفة البترون في هذا القرن برفيريوس وقد شهد المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه الا المجلس السادس عشر فقد وقع عليه فوتيوس اسقف صور بالنيابة عنه

ونعرف من اساقفة اطرابلس كومدس اتى مع يوحنا بطريرك انطاكية الى المجمع الافسسي سنة ٤٣١ واعتزل عن هذا المجمع مع غيره من الاساقفة الشرقيين ووقع معهم على الاحتجاج على هذا المجمع فجوزي بان ينفيه المجمع مع اصحابه من شركة الكاثوليكيين ونعرف ايضاً توادورس اسقف اطرابلس حضر الى المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه سنة ٤٥١ ثم وقع على رسالة مجمع اقليمه سنة ٤٥٨ الى الملك لاون في شان مقتل القديس بروتوريوس بطريرك اسكندرية ومن اساقفة هذه المدينة في هذا القرن اسطفانس جاء ذكره في ترجمة القديس اوتيميوس التي نشرها كوتيلريوس (مجلد ٢ من الآثار البيعية) وانه كان كاثوليكياً صحيح العقيدة وجاء في هذه الترجمة ان اسطفانس هذا خلف لاونتيوس وكان من انسبائه

ومن اساقفة عرقا في هذا القرن نعرف مرشلينس وانه حضر في المجمع الافسسي قبل ان يصل اليه يوحنا البطريرك الانطاكي وغيره من الاساقفة الشرقيين وكان في جملة من سألوا القديس كيرلس الاسكندري ان لا يفتتح المجمع قبل ان يبلغ يوحنا البطريرك ومن يصحبه الى افسس وقد وقع على اعمال المجمع ورسائله كما هو بيّن من الكتاب الموسوم بالرد على مأساة ايريناوس (فصل ١٣و٢٨) ومن اساقفة عرقا ايضاً ايفان شهد المجمع الانطاكي في ايام دمنس وكان في جملة قضاته في دعوى اثناسيوس اسقف البارة كما مر . ومنهم ايضاً اركايتس اذ نرى

في اعمال المجمع الخلكيدوني اللاتينية توقيع فوتيوس اسقف صور نيابةً عن بطرس اسقف جبيل واركليتس اسقف عرقا على اننا نرى توقيعه بنفسه على رسالة مجمع اساقفة فونيقي سنة ٤٥٨ الى الملك لاون في شأن مقتل بروتوريوس بطريرك اسكندرية

ومن اساقفه ارتوسيا (وهي بلدة كانت عند مصب نهر البارد على ما روى رنان في بعثة فونيقي) نعلم فسفورس شهد المجمع الانطاكي الذي حكم فيه اثناسيوس اسقف البارة ثم كان في المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه الا المجلس السادس عشر فقد وقع عليه فوتيوس مطران صور نائباً عنه ومنهم في هذا القرن نونس الذي نرى توقيعه على رسالة اساقفة فونيقي الى لاون الملك في شأن مقتل القديس بروتوريوس الاسكندري. ومنهم ايضاً نيلس رقاه الى الاسقفية لاونتيوس اسقف اطرابلس وكان متلمذاً في دير القديس اوتيميوس في فلسطين كما يظهر من ترجمة هذا القديس

ومن اساقفة جزيرة ارواد وانترواد وهي طرطوس موسى ورد اسمه في اعمال المجمع الافسسي في جملة الاساقفة الذين وقعوا على الحكم الذي قضى به مجمع الشرقيين على القديس كيرلس بطريرك اسكندرية وممنون اسقف افسس ثم على رسالتهم المجمعية الى الكنيسة الانطاكية وبعد ان اصطلح الاساقفة الشرقيون والقديس كيرلس ارعوى موسى عن المدافعة في دعوى نسطور وانفذ اليه القديس كيرلس الرسالة المثبتة في فصل ٢١١ من الرد على مأساة ايريناوس الصودي . ونعرف من هولاء الاساقفة ايضاً بولس ونرى توقيعه على اعمال المجمع الانطاكي في ايام دمنس مسمياً نفسه اسقف انترواد (طرطوس) ونرى في المجمع الخلكيدوني توقيع بولس اسقف ارواد واسكندر اسقف انترواد فظهر انه كان حينئذٍ لكل من المدينتين اسقف . ونعرف منهم ايضاً اتيكس ونرى توقيعه في رسالة اساقفة فونيقي الى الملك لاون في شأن مقتل القديس بروتوريوس

﴿ عد ٦٢٣ ﴾

(في من نعرفهم من اساقفة جبلة واللاذقية والسويديه وحلب في القرن الخامس)

نعرف من اساقفة جبلة ماراس وقد انبأنا خبره قزما الكاهن الذي كتب ترجمة القديس سمعان العمودي وقال السمعاني (المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٢٤٠) ان نسخة من هذه الترجمة محفوظة في المكتبة الواتيكانية بين الكتب المخطوطة فقال قزما فيها انه كان لسمعان اخوة كثيرون واحدهم المسمى شمشي اراد الاقتداء باخيه فرقاه الى الدرجات الصغار ماراس اسقف جبلة وعكف على السيرة الرهبانية وعليه فماراس خلف سفريانس الذي مر ذكره بين اساقفة جبلة في القرن الرابع . ونعرف ايضاً بطرس اسقف جبلة ونرى توقيعه بين تواقيع اساقفة سورية على المجمع الخلكيدوني . ونعرف ايضاً افلابيانس ونرى توقيعه على الرسالة المجمعية التي انفذها اساقفة سورية الى الملك لاون في شأن المجمع الخلكيدوني ومقتل بروتوريوس

ومن اساقفة اللاذقية عرفنا مكاريوس ويظهر من اعمال المجمع الافسي انه كان موافقاً ليوحنا البطريرك الانطاكي وغيره من اساقفة المشرق في مقاومة القديس كيرلس الاسكندري والمجمع الذي حرمه مع رفقائه وقد شهد سنة ٤٣٢ المجمع الذي عقد في انطاكية لتوطيد السلم بين الكنائس وكان من جملة الاساقفة الذين ارسلهم المجمع الانطاكي سنة ٤٤٠ على الاظهر الى القسطنطينية في دعوى توادورس اسقف المصيصة وقد شهد المجمع الخلكيدوني ووقع على اعماله ولا سيما المجلس السادس ويظهر انه رقي الى الاسقفية سنة ٤٢٩ لان اسمه ذكر في اخر اسماء الاساقفة الذين وقعوا على الرسالة المنفذة الى نسطور من المجمع الافسي سنة ٤٣١ وقد عرفنا من هولاء الاساقفة مكسيمس ايضاً ونرى توقيعه بين اسماء الاساقفة على رسالة اساقفة سوريا المذكورة مراراً الى الملك لاون . ومنهم ايضاً

بيسياس وكان اراتيكياً مخالفاً للمجمع الخلكيدوني وموافقاً لاخسنيا اسقف منبج ذكره افاغريوس (ك ٣ من تاريخه فصل ٣١)

ومن اساقفة السويدية عرفنا دوسيتاوس الثاني ذكره سقراط (في ك ٧ من تاريخه فصل ٣٦) قائلاً ان اسكندر بطريرك انطاكية نقله من كرسي السويدية الى كرسي ترسيس في كيليكيا. ومنهم جيرنتس شهد المجمع الافسسي اللصي ووقع على اعماله على انه اقلع عن ضلاله في المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه ولا سيما المجلس السادس ثم على رسالة اساقفة سورية الى الملك لاون

ومن اساقفة حلب عرفنا ان تواكليستس خلف سنة ٤٣٨ اكاشيوس الذي مر بنا ذكره في تاريخ القرن الرابع وكتب اليه توادوريطس رسالتيه الـ١٣٥ والـ١٣٥ وشهد المجمع الخلكيدوني ووقع على كل مراسيمه . وقد عرفنا منهم انطونيذس ايضاً وروى ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه انه كان في جملة الاساقفة الذين نبذوا مراسيم المجمع الخلكيدوني فنفاهم الملك يوستينس سنة ٥١٨ (طالع المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٣٢٧)

عد ٦٢٤

(في من نعرفهم من اساقفة دمشق وحمص وما يليهما في القرن الخامس)

نعرف من اساقفة دمشق في هذا القرن يوحنا الاول شهد المجمع الافسسي مع يوحنا بطريرك انطاكية وكان على شاكلته لانه وقع على كل ما كتبه مخالفو القديس كيرلس واساقفة المجمع المستقيمي الراي وكان في جملة الوفد الذي ارسله المخالفون الى قسطنطينية للاحتجاج امام الملك على اعمال المجمع

وعرفنا ايضاً توادورس خلف يوحنا المذكور وذكر يوحنا البطريرك الانطاكي ترقيته الى الاسقفية في رسالته الى بروكلس البطريرك القسطنطيني وقد شهد المجمع الانطاكي سنة ٤٣٥ في ايام دمنس بطريرك انطاكية حيث حكم

على أثناسيوس اسقف البارة وعزل عن كرسيه ثم حضر توادورس الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ ووقع على مراسيمه ولا سيما المجلس السادس . وخلفه يوحنا الثاني وقد كتب اليه الملك لاون عند سماعه بمقتل بروتوريوس بطريرك اسكندرية يسأله كما سأل غيره من الاساقفة ما يرون في هذه الجناية الشنعاء وفي شأن المجمع الخلكيدوني وقد وقع على رسالة الجواب الى الملك ويظهر منها صحة عقيدته

ومن اساقفة حمص في هذا القرن بولس الثاني وكان متابعاً يوحنا الانطاكي وغيره من الاساقفة الشرقيين في مقاومة القديس كيرلس الاورشليمي ثم ارسله يوحنا الانطاكي ومجمعه الى اسكندرية سنة ٤٣٢ واراد ان يكون وسيط الصلح والسلم في الكنائس وخطب في كنيسة اسكندرية فاكثر الشعب من التصفيق له عند كلامه في الايمان واتحاد الكنائس وقام بعده على كنيسة حمص بمبايوس وشهد سنة ٤٣٥ المجمع الانطاكي في ايام دمنس وجاء ذكره في اعمال المجمع الخلكيدوني (مجلس ٤) وكتب اليه توادوريطس رسالته الـ ٣٦ وخلفه اورانيوس ولم يشهد المجمع الخلكيدوني بل ارسل برفيريوس الشماس نائباً عنه وكتب اليه توادوريطس رسالته الـ ١٢٢ والـ ١٢٣ عند عزله عن كرسيه في قورش بحكم مجمع افسس اللصي وامر الملك تاودوسيوس ووقع اورانيوس بعد ذلك على رسالة الاساقفة الشرقيين الى لاون الملك

ومن اساقفة بعلبك في هذا القرن يوسف شهد مجمع انطاكية في ايام دمنس للحكم في دعوى أثناسيوس اسقف البارة وقام بعده بطرس ويرى توقيعه في الرسالة التي دفعها مجمع اساقفة فونيقي الثانية الى لاون الملك

ومن اساقفة الابلية (وهي المعروفة الان بسوق وادي بردا) جردان وقد شهد مجمع انطاكية الذي حكم على أثناسيوس اسقف البارة واعمال هـذا المجمع

مثبتة في المجلس الرابع عشر من المجمع الخلكيدوني وترى في اعمال هذا المجمع توقيع بترئس خوريه الاسقفي نائبًا عنه . وقام بعده يوحنا ترى توقيعه في رسالة اساقفة فونيقي الثانية الى لاون الملك في شأن مقتل برتوريوس بطريرك اسكندرية

ومن اساقفة يبرود عرفنا اوسابيوس اذ نرى توادورس متربوليط دمشق وقع على اعمال المجلس السادس من المجمع الخلكيدونى نائبًا عن الاساقفة الغائبين الخاضعين لولايته وفي جملتهم اوسابيوس اسقف يبرود

ومن اساقفة تدمر عرفنا يوحنا الاول اذ وقع توادورس اسقف دمشق بالنيابة عنه على اعمال المجلس السادس من المجمع الخلكيدونى ثم وقع بنفسه على رسالة مجمعه الاقليمي الى الملك لاون في شان مقتل القديس بروتوريوس . ونعلم من اساقفة بانياس اولمبيوس انه شهد المجمع الخلكيدوني ووقع على مراسيمه

وكان في هذا القرن اندراوس اسقف سميساط وقد امره يوحنا بطريرك انطاكية ان يدافع عن نسطور مخالفًا القديس كيرلس الاسكندري فوضع كتابًا في ذلك نحو سنة ٤٢٩ وذكر كيرلس هذا الكتاب ونشر لوبوس له ثماني رسائل بين رسائل المجمع الافسي وذكره الصوباوي في قصيدته في المؤلفين (فصل ١٣٥) وقال انه كتب بعض تفسيرات للاسفار المقدسة وكتابًا في المعارضة ولعل المراد كتابه الذي عارض نسخ حروم القديس كيرلس (طالع مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٠٢)

ونضرب عن ذكر اساقفة فلسطين وعبر الاردن فرارًا من ملل القارئ ولقلة ما يترتب على ذلك من الفائدة مكتفين بمن ذكرنا من بطاركة انطاكية واورشليم ومشاهير الاساقفة

الفصل الثالث

في غير هولاء البطاركة والاساقفة من المشاهير في سورية في القرن الخامس

تضمن هذا الفصل الكلام في من اشتهروا في سورية بالقداسة او العلم او تأليف الكتب كاثوليكيين كانوا او غير كاثوليكيين

عد ٦٢٥

في القديس سمعان العمودي

قد كتب توادوريطس ترجمة القديس سمعان العمودي (في فصل ٢٦ من كتابه في النساك) وكتبها ايضاً انطونيوس احد تلامذته بايجاز على ان قزما الكاهن من فنير احدى قرى سورية المجوفة دونها باكثر تدقيق وتحقيق اذ كان عشيرًا للقديس سمعان واثبت السمعاني هذه الترجمة في المجلد الاول من المكتبة الشرقية (صفحة ٢٣٩) اخذًا عن الكتاب الاول من الكتب التي اتى بها هو من المشرق الى المكتبة الواتيكانية وقد خط هذا الكتاب سنة ٤٧٤ اي بعد وفاة القديس سمعان بخمس عشرة سنة فقط فان هذا القديس لقي ربه سنة ٤٥٩ والكتاب خط سنة ٤٧٤ كما هو بين من الحاشية المعلقة على خاتمته وعليه فيظهر ان يد قزما خطته او نسخ عمّا خطته يده بعد حين قريب من اذاعة هذا الكتاب الذي حوى ايضاً رسالة انفذها قزما المذكور واهل قريته فنير الى القديس سمعان يبجلونه فيها

ويعدون ويقسمون على انهم يستسيرون بحسب ارشاداته بخوف الله والتقوى ومجانبة كل حيف وضر واليك ملخص ما كتبه قزما . ولد الطوباوي سمعان في قرية سيسان من بلاد قورش وكان له اخوة كثيرون واحدهم يسمى شمشي اقتدى باخيه ورقاه ماراس استف جبلة الى درجة المرتل وعكف على السيرة الرهبانية وقد ادركت الوفاة والديه قبل ان يدخل الرهبانية ثم ماتت عمة له وجعلته وارثاً لثروتها فترك هو العقارات لاخوته وباع الاثاث والملابس وتصدق باثمانها على الفقراء والاديار وكان في حداثته يرعى غنماً قبل ان ترهب وقد تمشق الكمال الرهباني لدن ترداده الى الكنائس وسماعه المشورات الانجيلية وتسيرها وحصول رؤية سموية له فاتى الى دير في قرية اسمها تولادا فدفع الى الرئيس ما كان استصحبه ودخل الى الدير الذي كان فيه احد انسبائه وكان في الدير المذكور مئة وعشرون راهباً . وعكف على التقشفات منها انه كان يصوم السبة كاملة ويحتزم بحزم من اوراق النخيل وانه احتفر لنفسه حفرة في زاوية من البستان تضى فيها مدة الصيف في سنتين ومنها انه قضى ايام الصوم في قبر فطرده رئيس تولادا من ديره لافراطه في التقشفات المضرة بصحته فخرج تائهاً الى ان هداهُ الله الى دير ماريس بن يرعتون في قرية تسمى تل نشين (اي تل النساء) فافرد الرئيس لسمعان قلاية يقضي فيها الصوم الاربعيني واغلق باس البرديوط بابها عليه وترك له ستة ارغفة وكوز ماء وبعد انقضاء الاربعين يوماً فتح باس الباب فوجد الخبزات الست كاملة وكوز الماء لم ينقص شيئاً ولقي سمعان جاثياً يصلي فناوله القربان الاقدس

وبنى له باس وماريس محبسة في جانب قرية تل النساء فاقام في قلاية حرجة عشر سنين قبل ان يصعد على عموده ولما انقضت ثلاثة اسابيع من الصوم رأى من نافذة قلايته التي كان يتناول القربان منها رجلاً مجللاً بنور ساطع جاثياً على صخرة يصلي

تارة باسطاً ذراعيه وطوراً ضاماً اياها الى صدره ثم وقف على الصخرة ثم عاد يصلي واستمر ثلثة ايام يترنم بالتسبيح لله تارة جاثياً وتارة منتصباً فعلم سمعان ان ذاك الرجل ليس الا ملاك يعلمه ان يقيم على صخر متعبدًا لله ولما اكمل صومه وفتح باب قلايته سأل ان يسوّى ذاك الصخر ليقيم عليه واستمر متهجدًا عليه ثلثة اشهر ثم سأل فاقيمت له اعمدة قصيرة ثم رفيعة الى ان كان العمود الاخير اربعين ذراعاً وانبأنا قزما ان مجمل حياته في السيرة النسكية كان ستاً وخمسين سنة كان منها في الدير تسع سنين متقشفاً متهجدًا وفي محبسة تل النساء وعلى الاعمدة سبعاً واربعين سنة منها في المحبسة عشر سنين وعلى الاعمدة القصيرة سبع سنين وعلى العمود الاخير ثلثين سنة ومن اعلاه لقي ربه في الثاني من ايلول يوم الاربعا في الساعة التاسعة سنة ٤٥٩ وقد ناهز السبعين من عمره لانه ولد نحو سنة ٣٩٠ وقد ذكر قزما من الآيات التي صنعها الله على يده اربعاً وثلثين آية واقتصر السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٤٦) على اربع منها ونقتصر نحن على ذكر آيتين منها الاولى ان بعض اهالي لبنان اتوا الى القديس سمعان يسألونه ان يقيهم بعض الضواري قائلين قلما خلت قرية من قراهم لا تفترس هذه الضواري منها كل يوم شخصين او ثلثة وكان اهل تلك القرى وثنيين (ربما صدق ذلك على القرى الآتي ذكرها في اعالي لبنان) فاجابهم القديس ان العلاج الفعال لنجاتهم ان يبادروا الوثنية وينالوا سر المعمودية ويدينوا بالدين المسيحي ويقيموا في جهات كل قرية من قراهم اربعة صلبان فوعدوه بان يتموا ما امر به ولما انجزوا وعدهم انقطعت عنهم رؤية هذه الضواري قال السمعاني عند ايراده هذا الخبر ان الموارنة سكان تلك الجهة قد اخذوا خبر هذه الآية الباهرة عن قدمائهم بل يدلون على الحجارة التي اقاموها وعليها صورة الصلبان ٠ وقال عن نفسه قد رأيت احد هذه الحجارة المرسومة عليها صور الصلبان في حصرون والثاني في ارض بشري (لعله

عند الينبوع المسمى ينبوع ماري سمعان) والثالث فوق اهدن والرابع في قيطو.
والآية الثانية رواها قزما نقلاً عن انطيوكس سابينس والي دمشق قال انطيوكس
ان النعمان امير العرب اتى يوماً الى برية دمشق ودعاني الى وليمة ودار الحديث
بين المدعوين على القديس سمعان فقال لي النعمان احب ان اعلم آلهاً تظنون
سمعان هذا ام بشرًا فاجبته كلا بل هو خادم الله فقال اليك ما دعاني الى هذا
السؤال لما ذاع سيط سمعان في العربية اخذ الناس يتقاطرون اليه وخشيت ان
يتنصر العرب فاصدرت امرًا نهيت فيه عن المضي الى سمعان متهددًا من
يخالف بقطع الراس وبينما كنت راقدًا في الليلة التالية ظهر لي رجل بهيئة بديعة
ومن ورائه خمسة رجال ظننتهم جنودًا له فارتعدت من هذا المنظر وسقطت على
رجليه فقال لي مغضباً اتجسر ان تنهي شعب الله ان يأتي اليَّ واوعز الى جنوده
فاوثقني اربعة منهم بيديَّ ورجليَّ وطفق الخامس يجلدني ولم يكن من يشفع بي
او ينجيني من هذه الهلكة ولما لم يبق لي الا رمق امر ان يحلوني من وثاقي
وهددني قائلاً حذارِ ان تمنع الناس من الذهاب الى سمعان وقد حكمتني التجربة
ففي الغد جمعت وجهاء الشعب واذعت امرًا ان لا يعترض احدٌ مَن يريدون
الذهاب الى سمعان او مَن يريدون ان يتنصروا ولولا خضوعي لملك الفرس
لمضيت انا اليه وتنصرت ومن بعد امري هذا قد توافر عدد الكنائس في ولايتي
يتردد اليها كثير من الاساقفة والكهنة دون معارض . قال السمعاني في الحاشية
ان ترداد جم غفير من العرب الى القديس سمعان وتنصر كثيرين منهم على يده
ذكره تواودوريطس ايضاً في ترجمة القديس سمعان واما النعمان امير العرب فليس
هو النعمان ابن المنذر الذي تنصر في ايام موريق الملك كما روى افاغريوس (ك ٦
فصل ٢٢) بل يظهر انه النعمان الذي قتله قواد ملك الفرس سنة ٥٠٣ كما
يظهر من تاريخ يشوع العمودي (المثبت في المجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٦٦

وما يليها)

وبعد وفاة القديس سمعان خاف تلاميذه ان ينزلوا جثته من على العمود فيختطفها الجم الغفير المحدق بها فابقوها الى ان يعين الاسقف محل دفنه ولما انتشر خبر موته تسارع الى عموده الاساقفة والكهنة والرهبان وشعب يشذ عن العدد من جميع القرى والمدن القريبة اليه واتى قائد الجيش الشرقي وكثير من الاشراف والحكام لحمل الاساقفة والكهنة جثته الى قرية شيح البعيدة عن العمود اربعة اميال فوضعوها هناك في مركبة وساروا امامها بالشموع والبخور مترنمين بالمزمودات والتسابيح والطرق غاصة بالملاقين والمشيعين الى ان بلغوا بها الى كنيسة انطاكية التي انشأها الملك قسطنطين فدفنوها وكان البطريرك والكهنة يجتمعون كل يوم على ضريحه مرتلين الزبور وموقدين الشموع ولم يكن مثل ذلك لاحد ممن تقدموا سمعان من القديسين ولم يدفن في هذه الكنيسة الملكية احد قبله واجرى الله آيات كثيرة عند مرور جثته الى انطاكية

وما نعرفه مما كتبه القديس سمعان اربع رسائل كتبها بالسريانية الاولى الى الملك توادوسيوس الصغير يؤنبه بها على ان الشيأد الوالي يحاول ان يرد على اليهود المجامع التي اخذت منهم ذكر هذه الرسالة افاغريوس (ك١ فصل ١٣) ونيكوفودس (ك ١٤ فصل ٥١) واثبتها قزما في ترجمته واليك فقرة منها « قد ترفع الان قلبك ونسيت الرب الهك الذي منَّ عليك بتاج الوقار ومنصة الملك فصرت صديقاً وشريكاً لليهود ومحامياً لهم فسينفذ بك دون مهلة قضاء عدل الله ويدرك كل مَن مالأك على ذلك فترفع يديك الى السماء وتقول عند ضيقتك لا غروَ ان حل بي هذا المصاب لاني كذبت على الرب الهي » وقد كتب القديس سمعان رسالتين الى المجمع الخلكيدوني اثبت افاغريوس (ك ٢ فصل ١٠) نسخة منهما وذكرهما نيكوفورس (ك ١٥ فصل ١٩) وروى في هذا الكتاب (فصل ١٣) رسالة

انفذها الى الملكة اودكسيا وذكر فقرًا منها ونعزى اليه (في مكتبة الاباء مجلد ٧) خطبة في خروج النفس من الجسد

قد زار العالم دي فكواي الجبل المعروف اليوم بجبل سمعان وتمهد آثار الدير والقلعة المنسوبة الى هذا القديس واتحفنا (في كتابه في ابنية سورية الوسطى صفحة ١٤١) بفوائد نلخص منها ما يأتي ان هذا القديس اتى سنة ٤١٢ الى دير تل النساء المعروف الان بدير سمعان وتوافر عدد المساكن في حياته وبعد وفاته حول العمود الذي نسك عليه وانه وجد هناك اطلالاً عديدة مثبتة رأيه وانه بعد عهد قريب بنيت كنيسة على العمود واخذ الناس يحجون اليها تبركاً واقام رهبان كثيرون في ظل تلك الكنيسة واطلال مساكنهم باقية الى الان وان التاريخ لم يعين الوقت الذي انشئت الكنيسة فيه على ان افاغريوس زار هذا المعبد سنة ٥٦٠ ووصف هيئة بنائه واطلال الكنيسة الباقية الى الان والتي صور دي فكواي مثالها توافق ما وصفها به افاغريوس فلزم ان يكون بناء هذه الكنيسة على اثر وفاة هذا القديس سنة ٤٥٩ ومما وجده هناك دي فكواي ورسم مثاله العمود الذي نسك عليه هذا القديس مزيدًا عليه شيء في اوقات مختلفة

عد ٦٢٦

في القديس اسحق الكبير

كان اسحق هذا كاهناً في انطاكية في ايام الملكين تاودوسيوس الصغير ومرقيان اي في منتصف القرن الخامس وقد تتلمذ لزينوبيوس تلميذ القديس افرام كما يظهر من الحاشية التي علقها يوحنا ابن شوشان بطريرك اليعاقبة على ذيل الكتاب الرابع من الكتب السريانية التي اتى بها السمعاني من المشرق الى المكتبة الواتيكانية واثبته القس ابرهيم المارونى وذكره السمعاني وهو بين مما كتبه القديس اسحق في رد مزاعم النساطرة والاوطاخيين وخاصة من قصيدته في خراب

انطاكية الذي كان سنة ٤٥٩ وكل ما مرَّ يثبت ان اسحق لم يكن تلميذًا للقديس افرام الذي لقي ربه سنة ٣٧٣ او سنة ٣٧٨ بل لزينوبيوس تلميذ افرام خلافاً لابي البركات ابن كبار (في فصل ٧ في المؤلفين اليعيين) ولابي الفرج ابن العبري في تاريخ الدول وابن الراهب في التاريخ الشرقي الذي ترجمه ابرهيم الحاقلي المادوني الى اللاتينية وليجورجيوس ابن عميد ولم يفرق مرهج بن نيرون الباني المارونى (في كتابه افوبليا اي سلاح الايمان صفحة ٤٧) بين القديس اسحق هذا الذي كان بعيد المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ واسحق اسقف الرها الذي كان في القرن السادس (روى كل ذلك السمعاني في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٠٧) وقال بن العميد ان منشا القديس اسحق الرها وقال ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون انه كان من آمد ولا خلاف في انه كان كاهناً في انطاكية وقال مؤلف تاريخ الرها انه كان رئيس دير لم يعين محله ولكن يظهر انه كان في جهات انطاكية اذ سماه اكثر المؤرخين كاهناً انطاكياً وترى في الكتاب الحادي عشر من الكتب السريانية التي اتى بها السمعاني من المشرق الى المكتبة الواتيكانية رسالة من القديس يعقوب السروجي الى صمويل رئيس دير القديس اسحق في جبلة وصحح السمعاني في المحل المذكور ان المراد بجبلة هذه مدينة فونيقي في جنوبي اللاذقية لا جبلة التي هي قرية في ما بين النهرين وجبال جبلة تتصل بانطاكية وقد مضى القديس اسحق الى لقاء ربه سنة ٤٦٠ لان خراب انطاكيـة بالزلزال كان سنة ٥٠٧ للتاريخ الانطاكي وهذا التاريخ يبتدي بحسب قول المحققين قبل التاريخ المسيحي بثماني واربعين سنة فيكون حصول هذا الزلزال سنة ٤٥٩ وقد عاش اسحق بعده اذ نرى له قصيدة في هذا المصاب وقد سماه علماء السريان العلامة والكبير تميزًا له عمن تسموا باسمه ولانه فضاهم بكثرة تآليفه وقد كتب جميعها باللغة السريانية الفصيحة البحتة ولا مراء في انه كان كاثوليكياً صحيح العقيـدة وقد

اثبت القديس يوحنا مارون (في كتاب رده على النساطرة والاوطاخيين) باربع شهادات من كتبه ان في المسيح اقنوماً واحدًا وطبيعتين ماخوذة عن خطبة في الايمان الصحيح وفي قانون الايمان وفي مركبة حزقيال وفي التجسد ولا يحفل بكون اليعاقبة يجلونه ايضاً كابن العبري وابن الراهب وابن العميد لانهم يكرمون القديس سمعان العمودي مع مقاومته ضلالهم برسائله الى المجمع الخلكيدوني ومن عادة الهراطقة الشرقيين ولا سيما النساطرة واليعاقبة ان يحبوا ويكرموا من اشتهروا بالفضل والعلم وان لم يكونوا من المشايعين لهم ويعيد لذكر القديس اسحق جميع السريان فيعيد له في طائفتنا في ٢٠ تشرين الثاني وعيده عند اليعاقبة في ١٤ تشرين الاول وعند النساطرة في يوم الجمعة من السبة الخامسة بعد الدنح وهو عيد عام لجميع ملافنة السريان قال جاديوس مكمل كتاب القديس ايرونيمس في المشاهير (فصل ٦٦) في مؤلفات القديس اسحق . ان اسحق كاهن كنيسة انطاكية كتب باللغة السريانية كتباً كثيرة في مدة زمان طويل واخصها ما فند به مزاعم النساطرة والاوطاخيين وقد رثا خراب انطاكية بقصيدة طويلة بوزن القصيدة التي رثا بها افرام الشماس خراب نيقومدية . وقد انحل مرشلينس في تاريخ سنة ٤٥٩ كلام جاديوس برمته . قال السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢١٤) اما كتب اسحق الجدلية فقل ما بقي لنا منها لاغفال النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة نسخها لتفنيدها ضلالهم واما كتبه الروحية والادبية فقد كثر تداول الايدي لها ثم ذكر ما وجده منها في الكتب القديمة في المكتبة الواتيكانية فكان عددها مئة واربع قصائد او خطب منها ستون خطبة او قصيدة اخذها عن الكتاب الرابع من الكتب السريانية التي اتى بها من المشرق الى المكتبة الواتيكانية وقد ذكر فواتحها في المجلد الاول من المكتبة الشرقية (من صفحة ٢١٤ الى صفحة ٢٢٩) وهذه الكتب خطت سنة ١٥٢١ يونانية (توافق ١٢١٠ مسيحية)

والباقي عن الكتاب الخامس من هذه الكتب واليك مثالاً لكلامه ماخوذاً عن خطبته التاسعة في الايمان ، رأيت قصعة على مائدته فاذا هي ملأى من الدم بدلاً من الخمر وفي وسطها جثة موضع الخبز ابصرت الدم فارتعت والجثة وغشيني الاضطراب واوعز اليَّ الايمان ان كل واصمت واشرب ولا تفحص ، الى ان قال ، ارنى (الايمان) جسداً قتيلاً وادخل جزءًا منه في شفتي وناجاني متلطفاً ان ابصر ما تاكل ودفع اليَّ قلم الروح وامرنى ان اكتب فاخذته وكتبت معترفاً ان هذا هو جسد الله وكذلك تناولت الكاس فشربت في مأدبته وفاحت لي رائحة الجسد الذي تناولت منه وما قيل في الجسد انه جسد الله قلته في الكاس انها دم مخلصنا ،

﴿ عد ٦٢٧ ﴾

(فى القديس اوتيميوس وبعض تلامذته النساك)

ولد القديس اوتيميوس لوالدين حسيبين في ملاطية بارمينيا نحو سنة ٣٧٥ ونبغ في الفضيلة والعلم حتى عدَّ اهلاً للارتقاء الى درجة الكهنوت ولتدبير اديار الرهبان والنساك التي كانت في ملاطية على انه أثر العزلة والانفراد على الانهماك بهذه المهام فانساب خفية ميمماً اورشليم وبعد ان روى غليله بزيارة الاماكن المقدسة مضى يتعهد النساك في برية اليهودية فزادته سيرتهم شوقاً الى الانفراد ووجد صومعة فاحتبس فيها يطوي الاسبوع كله لا يذوق طعاماً الا يوم الاحد ويقضي ليله متهجداً لا يعلم طعم الوسن وتعرف الى راهب يسمى تيوكتيست فكانا يخرجان الى البرية بعد عيد الدنح فيتفرغان للصلوة والتأملات الروحية مقتاتين بالنبات ولا يعودان الى مأواهما الا في احد الشعانين وبعد ان استمرا على ذلك خمس سنين اعتزلا في مغارة بعيدة اربع فراسخ عن اورشليم الى جهة اريحا وقد انكشف امرهما وضاع عرف فضلهما فامهما راهبان من برية فاران اسم

احدهما مارين واسم الاخر لوقا فتلمذا لهما وتوافر عداد المنضوين اليهم وكان منهم تاودوسيوس الذي صار رئيساً على النساك وانشأ اديارًا كثيرة في فلسطين منها ديرٌ في بيت لحم

اما اوتيميوس فتخلى لرفيقه تيوكتيست عن العناية بقبول الطلبة وارشادهم وتدبير الدير آثرًا الاختلاء والصمت مجتزياً بارشاد من اتى اليه من اخوته كاشفاً ضميره سائلاً ان يعالجه بما يرى ولم يكن يسمح للحدثاء في الرهبانية بالافراط من الصوم والتقشف اكثر مما استطرقه القدماء لتكون فضيلتهم مستترة كما علم الانجيل واخذ الناس يتقاطرون من كل فج لزيارة هذا الناسك والاستشفاء من امراضهم بل كثر تَرداد العرب والوثنيين اليه لمثل ذلك فصنع الله على يده معجزات شتى لكنه كان هائماً بالانفراد ففر الى البرية المسماة الان برية الاربعين للتقليد بان المخلص اعتزل صائماً فيها اربعين يوماً ومضى يزور في عين جدي المغارة التي اختبأ فيها داود من وجه شاول وصنع الله هناك على يده آية ابراء ممسوس فامسكه اهل تلك القرى وبنوا له ديرًا ففر من هناك مع تلميذه دومطيان نحو ديره ووجد على مقربة منه محلاً صالحاً للخلوة فاختلى به وعرف به تيوكتيست فالحّ عليه ان يعود الى الدير فابى الا ان يزور اخوته كل احد عند اجتماعهم وكان من رهبانه دمنس ابن اخت يوحنا بطريرك انطاكية ولما علم ان خاله مشايع لنسطور استأذن اوتيميوس ان يمضي اليه فيرده عن غيه فمانعه عن سفره قائلاً له لا خير لك في هذا السفر فلم يتعظ ومضى فمات خاله وخلفه لكنه حط عن بطريركيته بعد بضع سنين فعاد الى اوتيميوس نادباً سوء منقلبه وقضى عمره في الدير وكان اوتيميوس متقدًا بنار الغيرة على الايمان الصحيح يناضل ويناصب اراطقة ايامه حتى ان بعض الاساقفة لم يوقعوا على اعمال المجمع الخلكيدوني الا بعد استشارته على ان راهباً اسمه ديونيسيوس اغواه ابليس فلم ينقد لرسم هذا المجمع واستمال

الملكة اودكسية اليه وغصب بطريركية اورشليم فامست كنائس فسلطين في اسوأ حال ولم يبق الا القديس اوتيميوس ورهبانه يدافعون عن الايمان ويأبون الاشتراك مع هذا البطريرك الدخيل ولدى احتضاره سأل رهبانه من يحبون ان يرأسهم بعد وفاته قالوا دوميطان قال لا يعيش بعدي الا سبعة ايام وكذلك كان فاختاروا مكانه ايليا وكان منشأه من اريحا ومضى اوتيميوس ينال اكليل جهاده سنة ٤٧٣ في ٢٠ كانون الثاني وعمره سبع وتسعون سنة وكان من تلامذته مرتيريوس وايليا وقد ارتقيا الى بطريركية اورشليم كما مر وهما اللذان اويا جثته التراب في مغارة نسكه ثم نقلت في السنة التالية في ٧ ايار الى كنيسة جميلة بناها بطريرك اورشليم على اسمه واخذ المؤمنون يعيدون له كانطونيوس وايلاريون ودومطيان تلميذه لحقه الى جنة الابرار بعد سبعة ايام كما انبأه وكان من تلاميذه القديس سابا الاتي ذكره وكنيستنا المارونية تعيد لذكره في ٢٠ من كانون الثاني . وقد كتب ترجمة اوتيميوس كيرلس اسقف باسان احد تلاميذه وعنه اخذ كل من طالعنا اخباره في كتبهم من المؤرخين

عد ٦٢٨

في القديس سابا

قد كتب كيرلس اسقف باسان المار ذكره ترجمة القديس سابا هذا وكان معاصرًا له فقال انه ولد في قرية مصاقبة لقيصرية الكبادوك سنة ٤٣٩ ودخل مذ حداثته ديرًا قريباً من بلدهِ ثم استأذن رئيسه بان يحج الاماكن المقدسة في فلسطين فاتى اورشليم وصرف فصل الشتاء في دير القديس بساريون ثم مضى الى القديس اوتيموس فتلمذ له منضوياً الى رهبانه ولما لقي اوتيموس ربه اعتزل سابا في مغارةٍ ناسكاً الى ان انضم اليه كثير من التلامذة فابتنى لهم الدير المعروف باسمه الى اليوم في الجنوب الشرقي من اورشليم عند الطريق المودية منها الى البحر

الميت قريباً من الوادي المسمى وادي النار ويسمى هناك وادي الراهب وقام سابا يدبر هولاء الرهبان بل جميع النساك في مغاور تلك الناحية وكانوا كثيرين وعلى هيامه بالصمت والخلوة اضطر ان يغادر عزلته مرات ويمضي الى المدن للمدافعة عن الايمان الصحيح وتقوية الكاثوليكيين فخرج الى اورشليم سنة ٥١٣ مناصباً جنود الملك انسطاس الذي كان يؤيد الهراطقة القائلين بطبيعة واحدة في المسيح وان يحرم جمهرة من يبثون هذه البدعة خلافاً لما رسمه المجمع الخلكيدوني وفي سنة ٥٣٠ ثار السامريون في نابلس في ايام الملك يوستينانس على المسيحيين فقتلوا كثيرين منهم واحرقوا كنائسهم فارسل الملك اليهم جحفلاً يردع سطوهم ويجزيهم على ما جنت ايديهم فأثخن الجنود فيهم ومضى ارسانيوس احد مناصريهم الى القسطنطينية يستعطف الملك يوستينانس الى الشفقة عليهم ومما قاله ان النصارى كانوا علة لهذه الشؤون فسأل المسيحيون القديس سابا ان يذهب الى الملك ليدافع عنهم فهب للحال الى القسطنطينية على هرمه وعمره وقتئذٍ نيف وتسعون سنة فهيبه الملك واجله واولاه كل ما سأل لمصلحة النصارى الا انه برح دار الشقا الى عالم البقاء بعيد عوده من هذا السفر فاكتست كنائس فلسطين مطارف الحداد وعمت الكآبة رهبان ديره واجرى الله على يده آيات عديدة وكنيستنا المارونية تعيد لذكره في ٥ من كانون الاول على ان الذي في بعض نسخ كتاب تراجم القديسين انه توفي في سنة ٤٢٤ وهو خطأ اظنه زلة من قلم الناسخ والصواب ان يقال انه توفي سنة ٥٣٠ او سنة ٥٣١ . اما ديره فقد انتهبه جنود كسرى ملك الفرس عند حملته على الارض المقدسة ٦١٤ وقتل بعض رهبانه ثم حل به مثل هذا المصاب سنة ٧٩٦ ثم سنة ٨١٢ بعد وفاة هرون الرشيد الذي كان يحمي حمى النصارى تجلة لصداقته مع كرلس الكبير ملك افرنسة وعند اتيان النصارى من المغرب الى الارض المقدسة وجدوا فيه اربعين راهباً من رهبانية القديس باسيليوس

ثم دمر بعد ذلك مرات ولكن جدد بناؤه بعد ولاية سلاطيننا العثمانيين العظام وأوى اليه كثير من الرهبان واصلح نقاديوس بطريرك الروم اسواره سنة ١٦٦٤ الى سنة ١٦٦٨ لكنهما لم تصدّ العرب سنة ١٨٣٢ وسنة ١٨٣٤ عن مهاجمته والسطو على رهبانه وفي سنة ١٨٤٠ دمم بناء هذا الدير وزيد فيه بعناية دولة روسيا . انتهى ملخصاً عن كادان في المجلد ٣ في اليهودية صفحة ٩٩ و١٠٠

عد ٦٢٩

في برصوما الارشيمندريت

كان برصوما من سميساط في ناحية الفرات في سورية وقد ذكره ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه سنة ٤٣٥ ووجد السمعاني (مجلد ٢ صفحة ١ من مكتبته الشرقية) ترجمته في الكتاب السادس عشر من الكتب السريانية التي اتى بها من المشرق الى المكتبة الواتيكانية واورد فقرات من ترجمته في كتاب تراجم القديسين عند القبط والمستحصل من ذلك انه فرّ من عند والديه ونسك في مغارة عند نهر الفرات وانضوى اليه كثيرون واخذوا عنه السيرة الرهبانيـة وقد عظم المؤرخون الاوطاخيون قدره وعزوا اليه آيات ومعجزات كثيرة ومما قالوا فيه انه اقام في محل صنعه لنفسه اربعة وخمسين عاماً لم يجلس فيها واذا نام نام منتصباً وانه كان يصوم اسبوعاً اسبوعاً ولذلك دعوه برصوما وتأويله في لغتهم السريانية ابن الصوم لانه ربي صائماً وقالوا انه زار القديس سمعان العمودي وتبارك احدهما بالاخر على ان رياء برصوما بصنعه مثل هذه العبادات والتقشفات كان شديد الضر بالكنيسة السريانية وممهدًا لبثه ضلال اوطاخي فان اهل المشرق بعد حرم نسطور في المجمع الافسسي انقسموا الى فرقتين فدافع بعضهم عما سنه المجمع الافسسي وفي مقدمتهم رابولا اسقف الرها وكيرلس بطريرك اسكندرية وانتصر بعضهم الاخر لنسطور وفي رأسهم يوحنا بطريرك انطاكية لبغضه للقديس كيرلس المذكور على

ان هذا الفريق انقسم بعد ذلك الى قسمين فبعضهم اصر على المناصرة لنسطور وبعضهم صالح القديس كيرلس ومنهم البطريرك يوحنا المذكور وكان الرهبان على شاكلة اساقفتهم في هذا الانقسام وكان برصوما وقتئذٍ راهباً خامل الذكر على شاطي الفرات على انه اشتهر في سورية بمقاومته للنسطوريين لكنه خدشهم والكاثوليكيين معاً بتطرفه في القول بان في المسيح اقنوماً واحداً خلافاً لتعليم نسطور الى القول ان فيه طبعاً واحداً طبق تعليم اوطاخي فاغوى برصوما السريان كما اغوى اوطاخي اليونان وكان الاوطاخيون يعتدون نسطورياً كل من لم يكن اوطاخياً ويظهر من كلام المجمع الخلكيدوني (في مجلس ١) ان برصوما صرح في مجمع افسس اللصي بمتابعته اوطاخي على ضلاله اذ قال في توقيعه على اعمال هذا المجمع • اني متابع بمنزلة ابن للآباء ومصادق على شهادة الارشيمنديت اوطاخي الكلي القداسة والتقوى للايمان الكثوليكي وموافق له واهنئه برده الى درجته الكهنوتية وخدمته المقدسة • وقد صرح بذلك ابن العبري (في كتابه الموسوم ܟܬܒܐ ܕܙܠܝܩܐ • اي كتاب الاشعة •) ولا بدع فهو اوطاخي ايضاً

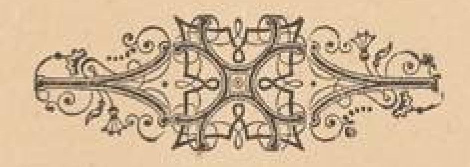
وقد شهد برصوما مجمع افسس اللصي فقد خدع الملك تاودوسيوس بتظاهره بالعبادة والورع فرخص له بان يحضر في هذا المجمع وقد ورد في المجمع الخلكيدوني ذكر ثلث رسائل انفذها هذا الملك الى مجمع افسس اللصي احداها لبرصوما المذكور والثانية لديسقورس بطريرك اسكندرية والثالثة ليوفينال بطريرك اورشليم وفي رسالته الى برصوما يأمره ان يكون نائباً عن روساء الاديار والذي يظهر من اعمال المجمع اللصي التي تليت في المجمع الخلكيدوني ان برصوما لم يتابع اوطاخي على غواياته فقط بل قد تسبب بقتل القديس افلابيانس بطريرك قسطنطينية وقد حرم في المجمع الخلكيدوني ومشايعوه يعظمون اعتبار الملك مرقيان له ويروون عنه اقاصيص لا تصدق وقد ادركته الوفاة سنة ٧٦٩ يونانية (توافق سنة ٤٥٨ مسيحية)

على ما يظهر من ترجمته في الكتاب ١٦ من الكتب السريانية التي اتى بها السمعاني من المشرق الى المكتبة الواتيكانية • ويعيد له الادمن في اليوم الاول من شباط يوم وفاته واليعاقبة في اليوم الثالث منه يوم دفنه

وقد عني ديوسقورس بن ضو اسقف اليعاقبة المقيمين في اورشليم بادخال عبادة برصوما عند الموارنة في لبنان فان موسى المسمى ابن عطيه ونوح البقوفاوي وقسوساً يعاقبة ارسلهم موسى المذكور الى المقدم عبد المنعم والي ناحية بشري الذي كان قد تعلم عند قسيس من اليعاقبة فاغووا بعض اهل بشري بضلالهم فبنى المقدم في القرية المذكورة معبداً على اسم برصوما لهولاء القسوس كما روى البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٧ وقد ذكر عبد المنعم نفسه هذا المعبد في ما علقه على كتاب الانجيل في السريانية والعربية الذي كان في مكتبة مدرسة الموارنة في رومة صفحة ٩ فقال • لما كان في سنة ١٧٧١ (توافق سنة ١٤٥٩) من سني اسكندر اليوناني ابن فيلبس وقف هذا الانجيل الطاهر المقدمان عبد المنعم ابن زين وبدر بن قمر عن انفسهما وانفس والديهما واولادهما وعن نفس المقدم رزق الله وولده يعقوب وقفاه للقديس برصوما الفاضل الطاهر الكائن في قرية بشري كتبه عبد المنعم ابن زين • وقد كانت وفاة عبد المنعم هذا سنة ١٤٦٩ على ما قال الدويهي في تاريخه لتلك السنة وسماه عبد المنعم ابن سيفا بن يعقوب وقد كان معبد برصوما بني في قرية بشري سنة ١٤٥٩ كما يظهر مما رويناه عن عبد المنعم بخطه المار ذكره فلم يكن اذاً صحيحاً قول الدويهي في تاريخه على سنة ١٤٨٧ ان هذا المعبد بناه عبد المنعم ايوب الذي روى انه توفي سنة ١٤٩٥ ومثل ذلك انخدع ميخائيل الرزي بطريرك الموارنة اذ ظن ان المعبد الذي بني في بشري لم يكن على اسم برصوما الاراتيكي بل على اسم برصوما الشهيد اذ ذيل كتاب الاناجيل المذكور بحاشية علقها على الصفحة الثالثة قال فيها ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܠܥܠܡ

ܦܢܩܝܬܐ ܦܢܩܝܬܐ ܕܩܕܝܫܐ لما كان تاريخ سنة ١٨٨٢ من سني اسكندر اليوناني (توافق سنة ١٥٧١) نهبت قرية بشري واخذ انجيل كنيسة ماري برصوما وبقي سنة الى ان اشتراه القس سركيس ابن الخوري هارون من القرية المذكورة بمبلغ اربع مائة (غرش) ووقفه للقديس المذكور وكل من اخذه يكون مارى برصوما خصمه . على ان الصحيح ان برصوما الذى بني له المعبد في بشري انما هو برصوما الراهب الاراتيكي لا برصوما الشهيد الرهاوي وهذا بيّن مما ذكره الدويهي في تاريخه وجبرائيل القلاعي في رسائله الى اهل لبنان ومما رواه من يدافعون عن اليعاقبة ومن يخالفونهم ومن كتاب فرض الصلوة في عيد برصوما الذي تركه اليعاقبة في جبل لبنان

وقال اليعاقبة ان مقدامهم هذا كتب رسائل عديدة الى ابناء ملته تتداولها ايديهم في ما بين النهرين الى الان . قال السمعاني وقد اخبرني صديقي العلامة المطران اسحق رئيس اساقفة نينوى السرياني الذي اتى رومة لاضطهاد اليعاقبة له لاقلاعه عن بدعتهم واعتناقه المذهب الكاثوليكي انه قرأ بعض كتب روحية لبرصوما لكنه في ريبة هل هي له حقيقة لان قدماءهم عظموا قداسته وبالغوا في ذكر معجزاته لكنهم لم يصفوه بالعلم وتأليف الكتب (ملخص عن المكتبة الشرقية للعلامة السمعاني مجلد ٢ صفحة ١ وما يليها)



الفصل الرابع

في من عاصر هولاء المشاهير من امثالهم في غير سورية

تضمن هذا الفصل ذكر من اشتهروا في القرن الخامس بالعلم والقداسة في غير سورية تعميماً للفائدة وجرياً على ما اعتدنا في تاريخ القرون السابقة موجزين ما امكن لخروج الكلام في هولاء عن دائرة غرضنا

عد ٦٣٠

في القديس اغوسطينس

ان القديس اغوسطينس اعظم الاباء القديسين اللاتينيين ولد في سنة ٣٥٤ في مدينة تاكست في بلاد النوبة وكان ابوه وثنياً وامه مسيحية تسمى مونيكا وهي في مصاف القديسات وبعد ان صرف ايام شبابه لاهياً متهتكاً تلبك بمذهب ماني المضل واقام على ذلك تسع سنوات وعلم الفصاحة في تاكست مدينته ثم في قرطاجنة ورومة واخيرًا في مديولان (بايطاليا) حيث استدعته مواعظ القديس امبروسيوس الى اعتناق الدين المسيحي سنة ٣٨٦ فاعتمد هناك وعاد الى تاكست مدينته فوزع مقتناه على الفقراء وعكف على الزهد والصوم والصلاة فرقاه فالريوس اسقف هيبون سنة ٣٩٢ الى درجة الكهنوت ثم خلفه في اسقفية هذه المدينة سنة ٣٩٥ فعاش عيشة مشتركة مع اكليرس كنيسته الذي كان يعده لدرجة الكهنوت المقدسة فوضع بذلك طريقة المدارس الاكليريكية وناصب اراطقة ايامه بخطبه

ومؤلفاته الغرّاء وارشد شعبه بمواعظه الخالبة العقول وكان بمنزلة اب للفقراء وعني بالمحافظة على التهذيب البيعي عاقداً لذلك مجامع عديدة الى ان ادركته الوفاة سنة ٤٣٠ بينما كان البندالة محاصرين هيبون مدينته الاسقفية

اما مؤلفاته فاحسنها وادقها واكملها مؤلفه الموسوم بمدينة الله ينطوي على اثنين وعشرين سفراً ومقالاته في النعمة والحرية التي اكسبته لقب ملفان النعمة ومقالات في الله والنفس البشرية وكتاب دعواه ارعوى فيه عن اقوال وآراء كان قد كتبها في شبابه وكتاب في اعترافاته يعدد فيه سقطاته وغواياته ويذكر اقلاعه عنها بآيات صنعها الله اليه بصلوات امه وله مقالات جدلية يرد فيها مزاعم اصحاب البدع في ايامه اي المانويين والدوناتين والبيلاجيين والبريشيليانين والاريوسيين وتلاميذ اوريجانس وكتب كتباً في الاسفار المقدسة وتفسيراً للزبور وثلث مئة وثلث وستين خطبة روحية موعبة بالنوافذ الخارقة وله من الرسائل ما يشذّ عن العد وبعضها طويل حتى نسقها بعضهم بين مقالاته ومدار اكثرها على المباحث الدينية التي كانت في ذلك العصر ولا سيما الاعتراف وقد عثر في مكاتب فيرنسا ومون كاسيان بايطاليا على بعض خطب له لم تكن معلومة قبلاً فاذاعها الاب كاليان مطبوعة سنة ١٨٤٢ وقد كشف الكردينال ماي عن خطب آخرى فنشرها في كتابه الموسوم بمكتبة الاباء الحديثة سنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٥٣ وقد امتاز القديس اوغسطينس بسعة معارفه وطول باعه في العلوم مع انه كان يجهل اللغة العبرانية ولا يحسن معرفة اليونانية وقد حاز قصبات السبق بفصاحته وتورعه وانتقده بعضهم بدقة كلامه وغموض بعضه وتلهب مخيلته وافراطه في المعارضة والمقابلات ومذهبه في الفلسفة مذهب افلاطون يرجحه على كل ما سواه ويعتمد عليه في مباحث عديدة واما في علم اللاهوت فكان يعتمد على علم النفس البشرية وسقوطها عن حال البرارة وعلى النعمة حتى تذرع تباع يانسانيوس في القرن السابع عشر ببعض

اقواله للمدافعة عن تعليمهم واحسن طبعة قديمة لمؤلفاته هي طبعة الاباء الدومينيكيين سنة ١٦٧٩ في ١١ مجلدًا واحسن الطبعات الحديثة طبعة الاب مين ين مكتبة الاباء اللاتينيين في مجلد ٣٢ الى مجلد ٤٧ وقد ترجمت بعض مؤلفاته الى الافرنسية وترجم كتاب مناجاته الى العربية الخوري انطون آصاف وعربه المثلث الرحمة المطران جرمانس الشمالي اذ كان كاهناً . والكنيسة الرومانية وكنيستنا المارونية تعيدان له في ٢٨ آب

عد ٦٣١

في القديسين كيرلس الاسكندري وايسيدورس الفرمي

اما القديس كيرلس فكان ابن اخت توافيلس بطريرك اسكندرية على ما روى سقراط (في ك ٧ من تاريخه فصل ٧) او ابن اخيه على ما روى توادوريطس ورجح فالسيوس (في حواشيه على كتاب سقراط) انه ابن اخته وزعم بعضهم انه انضوى الى رهبانية الكرمليين على ان بارونيوس امام المؤرخين انكر هذا الانضواء ومن اعظم حججه عليه ان من عاصروا كيرلس كالقديس ايرونيمس وبلاديوس وافاغريوس وكاسيانس وتوادوريطس وغيرهم لم يفوهوا ببنت شفة عنه . وبعد وفاة توافيلس عم كيرلس او خاله سنة ٤١٢ او سنة ٤١٣ خلفه في الكرسي الاسكندري في ١٨ تشرين الاول مفضلاً على تيموثاوس رئيس شمامسة هذا الكرسي وطفق يناصب اصحاب البدع واولاً النوفاسيانيين فانه اقفل كنائسهم في اسكندرية واستولى على آنيتها واثاثها على ما روى سقراط في المحل المذكور ثم امر بطرد اليهود قاطبة من اسكندرية فكان من ذلك قتال وشغب اذ قتل اليهود كثيرين من النصارى في كنيستهم وحمل النصارى على اليهود في مجمعهم فطردوهم منه ومن المدينة ايضاً فشق ذلك على اورست والي مصر وكتب الى الملك فبين له كيرلس اعتداء اليهود على المسيحيين ويظهر ان الملك مالأ النصارى على عملهم

فلم يعد اليهود الى اسكندرية بعد ان كانوا قد توطنوها منذ ايام اسكندر الكبير الذي بناها وعظم الخصام بين كيرلس والوالي وارسل البطريرك اليه يطلب الصلح معه مستحلفاً اياه بالانجيل الذي ارسله اليه فابى الوالي المصالحة وطال النزاع بينهما اياماً

ولما افتضح نسطور ببدعته وامر البابا شالستينس الاول بعقد المجمع الافسسي لنبذ ضلاله رأس القديس كيرلس هذا المجمع سنة ٤٣١ نيابة عن الحبر الروماني وكتب حينئذٍ كتابه متضمناً اثني عشر حرماً لضلال نسطور وخالفه في ذلك اولاً يوحنا بطريرك انطاكية وغيره من الاساقفة الشرقيين منتصرين لنسطور لكن يوحنا وغيره من اولئك الاساقفة عادوا الى الوفاق مع القديس كيرلس كما رأيت وقد روى سقراط (في ك ٧ من تاريخه فصل ١٤) ان رهبان الاسقيط علموا ما كان بين البطريرك كيرلس واورست الوالي من النزاع فاتى الى اسكندرية منهم خمس مئة راهب والتقوا بالوالي في طريقهم فاهانوه وضربه احدهم المسمى امونيوس بحجر فشج رأسه فحكم الوالي عليه بالقتل ونفذ حكمه فاستحضر البطريرك جثته الى الكنيسة فأبنه وسماه شهيداً على ان المحققين لم يثبتوا صحة رواية سقراط هذه واعتدوها من البينات على انتصاره للنوفاسيانيين الذين كان كيرلس يناصبهم وقد مر ذكر ما اجراه عليهم وعلى اسقفهم وكذلك اتهمه الدمشقي المؤلف الوثني بانه تسبب بقتل ايباسية ابنة تيون الفيلسوف الشهيرة بفلسفتها وعلمها على ان المحققين اثبتوا ان القديس كيرلس براء من هذه التهمة ايضاً ولا مصدر لها الا ما كان بين البطريرك والوالي من الشحناء وقد انتقل القديس كيرلس به سنة ٤٤٤ بعد ان دبر بطريركية اسكندرية اثنين وثلاثين سنة وقد وُصف في كتاب تراجم القديسين في كنيسة الروم بالرجل العلامة والمناضل الصنديد عن الايمان الكاثوليكي وفخر الكهنة اجمعين وجهبذ الاباء وفي السنكساري الروماني باشهر المناضلين عن الايمان

الكاثوليكي واشرف من اتصفوا بالعلم والقداسة وكنيستنا المارونية تعيد له في١٨ كانون الثاني ولكن في السنكساري انه رقد بالرب سنة٤٣٢ ونظن ذلك زلة من قلم الناسخ فالصحيح ما رويناه . اما الكتب التي الفها فاولها كتاب حرومه الاثني عشر ضمنه الشرح لسر تجسد كلمة الله واثبته الكنيسة في المجمع الافسسي ووردت مطاعن توادوريطس وغيره من الشرقيين عليه والثاني تفسيره انجيل يوحنا ضمنه في عشرة اسفار قال نطاليس اسكندر (في كلامه فيه في تاريخ القرن الخامس) ان الاسفار الخامس والسادس والسابع والثامن كانت مفقودة فنسج كايكتوفاوس اللاهوتي البريسي على منواله هذه الاسفار فعزاها بعضهم الى كيرلس ثم عثر على السفرين الخامس والسادس برمتهما وعلى فقر من السابع والثامن فطبعت في باريس بعناية يوحنا او برنس ويعزى اليه كتاب في الثالوث الاقدس على ان المحققين انكروا نسبة هذا الكتاب اليه لاشتماله على الكلام ان في المسيح مشيئتين وفعلين وهذا المبحث لم يكن الا بعد قرنين من عصر كيرلس فالاوجه ان هذا الكتاب للقديس يوحنا الدمشقي والاثنا عشر فصلاً الاولى منه انما هي من الكتاب الاول من كتب الدمشقي. والثالث كتابه الموسوم بالكنوز وهو له حقيقة لشهادة القدماء بصحة نسبته اليه والرابع مؤلفه في آثار الدين المسيحي اثبت به حقائق الدين ورد به مزاعم يوليانس الجاحد وغيره من الوثنيين منقسماً الى عشرة اسفار وله ايضاً ستون رسالة او مقالة نشرهاً مع تفسيرة لبشارة يوحنا الاب سميث في اللغة السريانية في اكسفرد سنة ١٨٢٢ واحسن طبعة لكتبه هي التي نشرها الاب مين سنة ١٨٥٩ بين كتب مكتبة الاباء الشرقيين

اما القديس ايسدورس المعروف بالفرمي فولد في اسكندرية نحو سنة ٣٧٠ واثر السيرة الرهبانية في دير فرما المعروفة عند القدماء ببالوز فنسب اليها وقد رقي الى درجة الكهنوت المقدسة وكان الاساقفة يعزونه ويثنون عليه وكان تلميذاً للقديس

يوحنا فم الذهب واشتهر في ايام الملكين اركاديوس وتوادوسيوس الصغير وقد اطراه افاغريوس (في ك ١ من تاريخه فصل ١٥) فقال انه كان طائر الشهرة بفصاحته وعلمه وتقشفاته حتى عاش في الارض عيشة ملكية وصنف كتباً عديدة موعبة بالفوائد وانفذ بعضها الى القديس كيراس الاسكندري وهذا مؤذن جلياً بانه كان في ايامه وقال فيه نيكوفورس كاليستس (ك ١٤ فصل ٥٣) ما ملخصه « انه كتب رسائل كثيرة في مواضيع متنوعة يفسر في اكثرها آيات الاسفار المقدسة ويهذب اخلاق الناس وهي تشهد له بطول الباع وبسعة الاطلاع وبما كان عليه من الحمية والغيرة على التقوى ومحاماة تعليم الكنيسة وكثيرًا ما ونب من لا يحسنون التصرف بالمقام الاسقفي والسيرة الرهبانية وكان شديد المدافعة عن استاذه فم الذهب وقد اكثر من العتاب للملك اركاديوس ولكيراس الاسكندري ولعمه توافيلس البطريرك لعدم تقديرهم فم الذهب حق قدره » ورسالته ١٥٢ الى سيماخس ورسالتاه ٣١٠ و٣٧٠ تبين كم كان شديد المحبة لفم الذهب وكم كان له من الحمية في المدافعة عنه وقد لقي ايسدورس ربه نحو سنة ٤٤٠ مخلفاً مقالات شتى لاهوتية ذات نفع جزيل وقد جمعت رسائله فكانت خمسة مجلدات ونفسه في هذه الرسائل سام منسجم سهل المأخذ وكنيستنا المارونية تعيد لذكره في ٤ شباط ولم نرَ في نسخة السنكساري التي لدينا تاريخ سنة وفاته

عد ٦٣٢

(في القديس ماروتا اسقف ميافرقين)

ان ماروتا اشتهر في اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس ولم ينبئنا قدماء المؤرخين من اللاتينيين والروم باي المدن كان اسقفاً ولكن صرح المؤرخون السريان انه دبر كنيسة تكريت على انهم سموا هذه المدينة اسماء كثيرة اي تكريت وميافرقين ومدينة الشهداء وكان يزدجرد ملك الفرس يضطهد المسيحيين في مملكته

فدعته شفقته عليهم ان مضى الى قسطنطينية يسأل الملك ان يعنى بنجاتهم فارسله الملك تاودوسيوس الصغير الى ملك الفرس يطلب اليه ان يكف سخطه عن المسيحيين ويوالي الرومانيين" وانبأنا سقراط (ك ٧ من تاريخه فصل ٨) بما كان له في بعثته هذه فقال . ان ملك الفرس كان يعلم ما كان تحلى به ماروتا من التقوى والورع فاجله ورحب به وعظم مثواه فحسده المجوس الذين كان لهم مكانة رفيعة عند الملك ووجسوا بانه يصير مسيحياً ولا سيما لان ماروتا ابرأه من صرع كان مستحوذاً عليه فعمدوا الى الحيلة وكان الفرس يعبدون النار وكان للملك عادة ان يتعبد للنار المضرمة في احد البيوت فاخفوا رجلاً في مخبأ احتفروه تحت البيت ولقنوه ان يصيح على مسمع الجميع بحضرة الملك اطردوا الملك من هنا لانه أحب كاهناً مسيحياً ولما سمع الملك هذا الصياح فكر في ان يسرح ماروتا من عنده فكشف له خدعة المجوس واسر اليه ان يحفر تحت البيت ففعل وتبين له مكر المجوس فعذبهم واطلق لماروتا ان ينشىء كنائس ومعابد حيث اراد فوفر انتشار الدين المسيحي في بلاد فارس . وعاد ماروتا الى قسطنطينية فاوفده الملك ثانية الى فارس فكاد له المجوس بان القواجئة منتنة في طريق الملك وقالوا ان النصارى القوها وتبين للملك بعد البحث ان تلك مكيدة اخرى اصطنعها المجوس فعذب كثيرين منهم ايضاً وزاد في اكرام ماروتا ووالى الرومانيين على يده واوشك ان ان يتنصر لكن عاجله الموت . انتهى كلام سقراط ملخصاً

وانبأنا ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه لسنة ٧٢٥ (يونانية توافق سنة ٤١٤ م) ان ماروتا عقد تلك السنة مجمعاً في قطيسفون في ايام يهب الله اسقف هذه المدينة واتبع فيه الفرس دستور المجمع النيقوي وقال السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ١٧٦) ان المراد بهذا المجمع الثاني الذي عقده ماروتا في فارس فانه عقد مجمعاً اخر في بعثته الاولى الى هذه البلاد في ايام اسحق اسقف

سلوقية وقطيسفون ذكره رينودوسيوس (مجلد٢ في الليتورجيات الشرقية صفحة ٢٧٢) وعن فوتيوس (في ك ٥٢ من مكتبته) ان مارونا شهد المجمع الانطاكي الذي عقد في ايام افلابيانس وحرم مع باقي الاباء الذين شهدوا هذا المجمع ضلال المضلين الهراطقة وعن ماري وعمرو النسطوريين ان مارونا حضر المجمع القسطنطيني الاول سنة٣٨٢ وكذلك روى ابن العبري في تاريخه السرياني قسم٣ في ترجمة اسحق المذكور وروى عمرو في ترجمة فيوما ان مارونا كان طبيباً ماهراً ويظهر من كلام السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٧٨) ان الموارنة والملكية كانوا يعيدون لذكر مارونا في ١٦ شباط ولم نجد له ذكراً في السنكساري الذي نستعمله الان ولم نعلم في اية سنة ولد ويظهر انه توفي بعد سنة ٤٢١ لانه ذكر قصة استشهاد يعقوب المقطع وقال انه حاز اكليل الشهادة سنة ٧٢٢ يونانية التي توافق سنة ٤٢١ م

واما تآليف مارونا فقد ذكرها السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٧٩) واولها نافور للقداس وجد مثبتاً في كتب كثيرة مخطوطة وطبع في كتاب قداسنا في رومة سنة١٥٩٤ وقال فيه العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني (في مؤلفي النوافير ، مارونا رئيس كهنة تكريت الذي كان صديقاً ليوحنا فم الذهب ... الف النافور الذي فاتحته ܐܠܗܐ ܛܒܐ ܒܟܝܢܗ ايها الاله الصالح طبعاً ، وثانيها تفسير الانجيل قال فيه السمعاني (في المجلد المذكور) انه لم يعثر عليه برمته ولكن عثر على فقر منه ذكر بعضها وثالثها تاريخ للشهداء الذين استشهدوا في بلاد فارس وترانيم مشتملة على تقاريظ لهم وكثير من هذه الترانيم مثبت في كتب فروض السريان اي الموارنة واليعاقبة والنساطرة مختلطة بترانيم افرام واسحق السريانيين وغيرها ولم نعثر حتى الان على كتاب ترانيم مارونا لنعلم اي هذه الترانيم له ، واما تاريخه للشهداء فجزآن الاول منهما حوى تاريخ الشهداء

الذين نالوا الاكليل في الاضطهاد الاول على عهد الملك سابور والثاني تاريخ من استشهدوا في ايام يزدجرد وفاراران في الاضطهاد الثاني والجزء الاول يشتمل عليه الكتابان الاول والثاني من الكتب المخطوطة التي اتى بها السمعاني من المشرق الى المكتبة الواتيكانية . واما الجزء الثاني فقال فيه السمعاني انه لم يعثر منه الا على قصة شهادة مرسابور وقصة يعقوب المقطع في الكتاب الثاني من الكتابين المذكورين وان شهادتهما كانت في السنة الثانية لفاراران وهي سنة ٧٣٣ او سنة ٧٣٢ يونانية (الموافقة سنة ٤٢١ او سنة ٤٢٢ م) والرابع من الكتب التي وضعها ماروتا يشتمل على القوانين التي سنها في المجمع الذي عقده في سلوقية وقطيسفون مع اسحق اسقفها وهي مثبتة في كتاب مخطوط في مكتبة فرنسا ذكره رينودسيوس (في مجلد ٢ في الليتورجيات الشرقية صفحة ٢٧٢) وقال ان هذه القوانين جميعها موضوعها التهذيب البيعي الا القانون الثاني فانه حاوٍ شرح دستور الايمان مع رسالة من ماروتا يقال فيها انها كتبت لدن اجتماع اربعين اسقفاً في بلاد فارس بحضرة اسحق رئيس اساقفة تلك المدن واخيه ماروتا . والخامس تاريخ المجمع النيقوي ترجمه ماروتا من اليونانية الى السريانية مع قوانين هذا المجمع واسف السمعاني لضياع هذا الكتاب النفيس وهذه القوانين هي ٧٣ قانوناً ويليها عشرون قانوناً ترجمت بعد ذلك وهذه القوانين سماها العلماء اللاتينيون العربية لانها ترجمت الى اللاتينية عن نسخة عربية وشرحها ابرهيم الحاقلي الماروني بعد ان عارضها بست نسخ منها وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي في قصيدته هذه الكتب لماروتا (فصل ٥٧) انتهى ملخصاً عن السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٧٤ وما يليها)

﴿ عد ٦٣٣ ﴾

(في رابولا وايهيبا اسقفي الرها)

اما رابولا فارتقى الى كرسي الرها سنة ٤١٢ اذ جاء في تاريخ هذه المدينة • في سنة ٧٢٣ يونانية (توافق سنة ٤١٢ م) صير رابولا اسقفاً على الرها وبنى بامر الملك كنيسة القديس اسطفانس وكانت مجمعاً لليهود ، واستمر على هذا الكرسي الى سنة ٤٣٥ اذ جاء في التاريخ المذكور • في سنة ٧٤٠ (يونانية توافق سنة ٤٣٥ م) برح رابولا هذا العالم في ٨ آب وخلفه ايهيبا ، وقال توادوسيوس القاري (في ك ٢ من تاريخه) • ان رابولا كان اعمى وقد شكا اندراوس اسقف سميساط بانه رد حروم كيرلس الاسكندري الاثني عشر ، وكان رابولا اولاً من اتباع يوحنا بطريرك انطاكية ونبذ الحروم التي اعدها كيرلس ليعتمد عليها المجمع الافسسي الا انه ارعوى عن رأيه ودافع عن القديس كيرلس شديد الدفاع وعقد مجمعاً في الرها وابى فيه الاشتراك مع يوحنا الانطاكي ومن تابعه من اساقفة المشرق ونبذ ما كتبه توادوريطس واندراوس السميساطي رداً على القديس كيرلس واحرق كتبهما وبعد ان اصطلح يوحنا الانطاكي مع كيرلس استمر رابولا يخالف توادوريطس واندراوس السميساطي مدافعاً عن كيرلس وقد قاوم بدعة نسطور شديد المقاومة كما يظهر من احدى رسائل كيرلس اليه وكان يعنف برسائله ديودورس اسقف ترسيس وتوادورس اسقف المصيصة حتى شكاه اندراوس اسقف سميساط لمتربوليطه اسكندر رئيس اساقفة منبج بانه يضطهد توادورس المصيصي وقد جعل نفسه عدواً للاساقفة الشرقيين كما يظهر من رسالة اندراوس هذه المثبتة في فصل ٤٣ من كتاب المجامع

ونعلم مما كتبه رسالة الى القديس كيرلس وهي مثبتة في المجلد الخامس من كتاب لاباي في المجامع (صفحة ٤٦٩) وقد تلي في المجمع الخامس (مجلس ٥)

جواب كيرلس لرابولا وقد ذكر ابن العبري مرات في كتابه الموسوم بكتاب اليهود القوانين التي فرضها رابولا في مجمع الرها وهي مثبتة في كتاب سرياني مخطوط في المكتبة المادينية الخاصة ذكره رينودوسيوس (في مجلد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٢٧٢) انتهى ملخصاً عن السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ١٩٧ وما يليها)

واما ايهيبا (تأويل اسمه الموهوب اوهبة الله) فخلف رابولا في كرسي الرها سنة ٤٣٥ كما مرَّ وجاء في تاريخ هذه المدينة «انه بنى كنيسة حديثة هي المسماة اليوم كنيسة الرسل» ولما كان كاهناً كان يقاوم استقفه ربولا في نبذه كتب تاودورس اسقف المصيصة كما يظهر من رسالة اندراوس اسقف سميساط الى اسكندر رئيس اساقفة ايرابولي (منبج) المار ذكرها ولهذا لما صار اسقفاً ناصبه اصدقاء رابولا وشكاه صموئل وقورش ومادا واولوجيوس كهنة الرها الى الملك تاودوسيوس الصغير وبركلس بطريرك قسطنطينية بانه القى الفتنة بين اساقفة المشرق واساقفة مصر وانه ترجم كتب تاودورس المصيصي الى اللغة السريانية واذاعها في كل المشرق الى غير ذلك من الشكاوى وقد مرَّ ان هذه الشكاوى بحث عنها في مجمع صور وبيروت واصلح بينه وبين خصومه (طالع ما ذكرناه في عد ٦٢٠) ثم شكوه ثانية في مجمع افسس اللصي فحطه هذا المجمع عن اسقفيته كما يظهر من اعمال المجمع الخلكيدوني (مجلس ١٠) واقام مكانه نونس فاستمر في الاسقفية سنتين كما يتبين من تاريخ الرها اي الى ان اعاد المجمع الخلكيدوني ايهيبا الى اسقفيته سنة ٤٥١ واستمر فيها الى بدء سنة ٤٥٨ حين ادركته الوفاة فقد جاء في تاريخ الرها «في سنة ٧٦٩ يونانية (توافق سنة ٤٥٨ م) في ٢٠ من تشرين الاول توفي ايهيبا اسقف الرها وخلفه نونس» المذكور

واليعاقبة لنبذهم المجمع الخلكيدوني يعتبرون ايهيبا نسطورياً ويحرمونه في

دستور الايمان الذي يتلوه المتقدم الى الدرجة المقدسة بحضرة الاسقف كما يظهر من الكتاب المخطوط في المكتبة الواتيكانية وهو الرابع بين الكتب المعزوة الى ابرهيم الحاقلي الماروني ومما اشتهر من تآليفه رسالته الى ماري الفارسي في ابّان الخلاف بين الاساقفة الشرقيين والمصريين وكان ايهيبا متابعاً يوحنا بطريرك انطاكية فيؤنب في رسالته كيرلس الاسكندري وسالفه رابولا ويندد بالمجمع الافسسي ويثني على نسطور ويجهد نفسه باثبات تعليمه ورسالته هذه مثبتة في المجلد الخامس من مجموعة المجامع للبتالي (صفحة ٦٦١) وقد نبذها وحرمها آباء المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٣٦ بعد موت ايهيبا مع ما كتبه في هذا الشأن تاودوريطس اسقف قورش وتاودورس اسقف المصيصة وهذه المقالات تسمى الفصول الثلاثة وقد طال الجدال والخلاف فيها بين العلماء الشرقيين في القرن الخامس الى ان حرمت في القرن السادس في المجمع الخامس المذكور وهو القسطنطيني الثاني كما سوف ترى على ان العلامة الكردينال بارونيوس (في تاريخه لسنة ٥٣٦) اثبت جلياً ان المجمع الخامس حرم رسالة ايهيبا لا شخصه لانه جحد البدعة النسطورية في المجامع الاربعة التي عقدت في انطاكية وصور وبيروت وخلكيدونية واقام بينات على ان تلك الرسالة ليست له بل زورها باسمه خصماؤه انتهى ملخصاً عن السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٩٩ وما يليها)

عد ٦٣٤

في بعض المشاهير الغربيين

ساويرس سوليبسيوس ولد سنة ٣٦٣ في اكويتانيا من اسرة شريفة غنية وقد هاجر العالم نحو سنة ٣٩٢ بعد وفاة امرأته واعتزل للسيرة الروحية ثم اقام في دير برسيليا سنة ٤٠٩ الى ان توفاه الله سنة ٤٢٥ وله تاريخ منقسم في كتابين بدأ فيه من خلق العالم الى سنة ٤١٠ وله ايضاً ترجمة القديس مرتينس صديقه وهو مؤلف

روحي منبيء بحالة السيرة الروحية في تلك الايام وتعزى اليه عشر رسائل ثلاث منها لامرية في انه مؤلفها وسبع يختلف في صحة نسبتها اليه وترى تأليفه بين كتب الآباء في طبعة الاب مين في بريس

اوروز ولد في اسبانيا في اواخر القرن الرابع وكان تلميذاً للقديس اوغسطينس وقد سافر الى فلسطين سنة ٤١٥ وصرف عنايته بمناصبة بدعة البيلاجيين وحض القديس اغوسطينس على تزييف هذه البدعة ووضع كتاباً يدافع به عن حرية الانسان على ان ما خلد ذكره انما هو كتاب تاريخه للدين المسيحي مقسوماً الى ثمانية اسفار قاوم به الوثنيين وضمنه تاريخاً من خلق العالم الى سنة ٤١٧ للميلاد وفند به مزاعم من كانوا يعزون تقهقر المملكة الرومانية الى دخول الدين المسيحي فيها وقد طبع كتابه في لايد سنة١٧٣٨وله ترجمتان انكليزية وافرنسية

يوحنا كاسيان ولد في افرنسة على الاظهر ودخل منذ صبائه ديرًا في بيت لحم ثم زار النساك في برية تيبايس ثم مضى الى قسطنطينية فاستخدمه القديس يوحنا فم الذهب في كنيسته الى ان انتقل الى مرسيليا وانشأ فيها الدير المعروف بدير القديس فيكتوز وادركته الوفاة سنة ٤٥٠ ويظنه كثيرون منشئاً بدعة البيلاجيين المتوسطين كما يسمونهم وكان من اكبر خصوم القديس اغوسطينس وله مؤلف في الرسوم الرهبانية اشتمل على اثني عشر كتاباً ثم اربعة وعشرون خطاباً مع آباء البرية اي رهبان مصر اخذ عنها ارنولد كتاب تراجم آباء البرية ووضع مقالة في تجسد المخلص منقسمة الى سبعة اسفار وكتب مخالفاً نسطور سنة ٤٣٠ وذكر له جناديوس في جدول المؤلفين كتباً اخرى مفقودة وقد اذاع الاب مين تأليفه في مجلد ٤٩ من مكتبة الآباء

القديس بطرس كريسولوغس ولد في ايطاليا لوالدين حسيبين ورقاه البابا سيستس الثالث الى مقام الاسقفية على مدينة رافانا نحو سنة ٤٣٣ فدبر رعيته

احسن تدبير ولقي ربه سنة ٤٤٩ او سنة ٤٥٠ وكان خطيباً مصقعاً وقد اكسبته فصاحته لقب غريسولوغس وتأويله العسجدي النطق وله ١٧٦ خطبة قد طبعت في اغوسطا سنة ١٧٥٩

القديس بروسبر ولد في اكويتانيا سنة ٤٠٣ وادركته المنية سنة ٤٦٣ وكان من اكليرس مرسيليا مشهوراً بعلمه وفصاحته وكانت له مراسلات عديدة مع القديس اغوسطينس وألف قصائد لاتينية مسهبة يندد بها بالبيلاجيين المتوسطين ويرد مزاعمهم ويسميهم ناكري الاحسان لغمطهم فضل نعمة الله وله ايضاً تاريخ يعتمد عليه وقد ترجم قصائده اللاتينية الى الافرنسية شعراً الامستر دي ساسي سنة ١٦٤٦ وتعيد الكنيسة اللاتينية لذكره في ٢٥ حزيران

وكان في هذا القرن اعظم من هولاء جميعاً البابا لاون الاول الملقب بالكبير ولد في رومة وتسنم منصة الحبرية العظمى سنة ٤٤٠ واستمر يدبر كنيسة الله الى سنة ٤٦١ قد رذل ما اجراه مجمع افسس اللصي سنة ٤٤٩ وامر بعقد المجمع الخلكيدوني المسكوني سنة ٤٥١ وحرم به اوطيخا ومشايعه والبيلاجيين وصد أتيلا ملك الهونيين عن مهاجمته رومة سنة ٤٥٢ لكنه لم يتسنَّ له ان يوقف عنها جنساريك سنة ٤٥٥ وله مواعظ كثيرة كان يلقيها في الكنيسة وهي آية في الفصاحة والبلاغة والفقاهة وله رسائل تشذ عن العد للمناضلة عن العقائد الكاثوليكية واصلاح التهذيب البيعي وشؤون الكنائس وردع مخالفي القوانين المقدسة وقد نشر الاب كوسنال تآليفه كلها سنة ١٦٧٥ في باريس واذاعها الاب كاشياري في رومة سنة ١٧٥١ ويعيد لذكر هذا البابا العلامة في رومة في ١١ نيسان وفي باريس في ١٠ تشرين الثاني وكنيستنا المارونية تعيد له في ١٨ من شهر شباط انتهى وكل ما في هذا العدد خلاصة اخذناها عن كثيرين من المؤرخين الموثوق بصدقهم

الفصل الخامس

في البدع والمبدعين بسورية في القرن الخامس

عد ٦٣٥

في بيلاجيوس وبدعته

كان بيلاجيوس بريطانياً كما يتبين من محاماة اوروز ومن رسالة القديس اغوسطينس الـ ١٠٦ وكان يستسير السيرة الرهبانية في بيته متقشفاً متورعاً ولذلك قال فيه القديس اغوسطينس انه كان اشبه براهب ولم يرق الى الدرجات المقدسة كما يتبين من رسالة البابا زوزيمس الى اورليوس حيث يصفه بالرجل العامي وقد اتى الى رومة وعرف فيها بالفضل الا ان صداقته لكاهن سرياني يدعى روفينس اوقعته في ضلال يخالف الاعتقاد بنعمة الله وكان هذا الضلال منبثاً في المشرق وقد تورط فيه توادورس اسقف المصيصة ناسباً اياه الى اوريجانس وكان روفينس قد اتى الى رومة سنة ٤٠٠ ولم يجسر ان يذيع هذا الضلال بنفسه فاستخدم بيلاجيوس لبثه سنة ٤٠٤ او سنة ٤٠٥ فاشمأز السامعون من غواياته وانكروها عليه فاخذ يروغ ويحتال ليفلت من تحريم ضلاله وآخى راهباً اسمه شالستيوس كان اكثر جراءة منه فطفق يبث ضلالهما علانية واضطرا ان يفرا من رومة واتيا قرطاجنة فافتضح شرهما وشرع القديسان ايرونيمس واغوسطينس يزيفان هذا الضلال ويفندان مزاعم من يقول به فبرح بيلاجيوس افريقيا واتى الى فلسطين وخادع يوحنا بطريرك اورشليم فعقد مجمعاً في هذه المدينة سنة ٤١٥ وبدلاً من ان يحرم

تعليم بيلاجيوس امره وخصماءه ان يلزموا الصمت عن العقائد المختلف فيها الى ان يحكم عليها الحبر الروماني (اورسي ك ٢٥ وفلوري ك ٢٣) وقد شهد اوروز المار ذكره هذا المجمع اذ كان القديس اغوسطينس قد ارسله الى القديس ايرونيمس في فلسطين وبين في المجمع ان ضلال بيلاجيوس حرم في افريقية سنة ٤١٢فرفع الامر الى البابا اينوشنسيوس الاول وذكر كل ذلك اوروز في محاماته مع بيان ما كان في ذلك المجمع الذي ذكره القديس اوغوسطينس ايضاً (في كتابه في اعمال بيلاجيوس فصل ١٤) ثم عقد مجمع آخر في تلك السنة في ديوسبولي المعروفة الان باللد وشهده اروس ولازورس من اساقفة افرنسة (وفي رواية لم يشهداه لمرض احدهما) مع اربعة عشر اسقفاً من فلسطين فخدع بيلاجيوس هولاء الاساقفة اذ تظاهر بانه يقبل العقائد الكاثوليكية المخالفة لضلاله فرخصوا له ان يشترك مع الكاثوليكيين فاستغنم هذه الفرصة ليزيد في بث غواياته ولذلك دعا القديس ايرونيمس (في رسالته ٧٩) مجمع ديوسبولي مجمعاً تعساً الا ان القديس اينوشنسيوس البابا لم يصدق تمويهات بيلاجيوس وابى ان يرخص له بالاشتراك مع المؤمنين وزاد بيلاجيوس تحة فكتب رادًا مقالات القديس ايرونيمس في اربعة كتب عنونها بالاختيار المعتوق (عن القديس اوغوسطينس في كتابه في اعمال بيلاجيوس فصل٣٣) وعقد في افريقية مجمعان اخران حرما تعليم بيلاجيوس ومشايعيه سنة ٤١٦ وفي سنة ٤١٧ ايد البابا اينوشنسيوس احكام هذين المجمعين وحرم بيلاجيوس ومحازبيه وقال القديس اغوسطينس (في خطبته ١٣١) انه بعد حكم الحبر الروماني بهذه الدعوى لم يعد من سبيل للجدال فيها. ولما علم بيلاجيوس وشالستينس حكم البابا عليهما استغاثا بحكمته السامية من حكم اساقفة افريقية عليهما واكثرا من التمويه وكان البابا اينوشنسيوس مضى لملاقاة ربه حينئذٍ وخلفه القديس زوزيمس البابا فبعد امعان النظر في دعواهما حرم تعليمهما ثانية (اورسي

ك ٢٦ فصل ١٦) فعاد بيلاجيوس الى فلسطين التي كان يحبها آملاً ان يقبل فيها ولكن قد كان الخفاء برح عن ضلاله فطرد من هناك ولا يعلم بما كان له بعد ويظن انه عاد الى بريطانيا موطنه يبذر زوان تعليمه فارسل اساقفة افرنسة القديس جرمانوس اسقف اكس لمقاومته

اما ضلال بيلاجيوس ومتابعيه فكان انهم زعموا اولاً ان آدم وحواء خلقهما الله مائتين ولم يضرد اثمهما بذريتهما بل بنفسيهما لا غير وهو جحود لعقيدة الخطية الاصلية ثانياً ان نعمة الله ليست ضرورية للانسان ليعمل بوصايا الله وينتصر على التجارب ويبلغ الكمال الروحي بل يكفيه اختياره المعتوق اي حريته الطبيعية وهو جحود لعقيدة نعمة الله ومن هذين الاصلين فرع بيلاجيوس ومشايعوه اضاليل اخرى منها ان الانقياد للشهوة ليس اثماً ولا شراً وان الفضائل هي مواهب طبيعية لا مدخل لنعمة الله فيها الى غير ذلك من الترهات . ان الجدال الذي كان بين البيلاجيين وبين القديس اغوسطينس الذي رد مزاعمهم في كتب كثيرة انشأ بين الكاثوليكيين ضلالاً اخر ذلك ان البعض المعروفين بالتقوى والعلم من الكاثوليكيين اثروا ان يوفقوا بين تعليم اغوسطينس وبيلاجيوس بايجادهم حدّاً متوسطاً بينهما فقالوا ان القديس اغوسطينس قد تخطأ الحد بنسبته الى النعمة الحركة الاولى في عمل الخير وبيلاجيوس تجاوزه بانكاره لزوم النعمة مطلقاً فزعموا ان مبدأ الخلاص والفضيلة انما هو منا لا مدخل للنعمة فيه وان الثبات في عمل الخير والانتخاب للمجد نستطيع الحصول عليهما بالقوى الطبيعية وجعلنا انفسنا اهلاً لذلك وان النعمة تساعدنا على ذلك مساعدة غير لازمة وان بعض الاطفال يموتون قبل المعمودية او بعدها لعلم الله السابق بالخير او الشر الذي يصنعونه لو بقوا احياء فسمي هولاء نصف بيلاجيين او البيلاجيين المتوسطين وكان منهم يوحنا كاسيان الذي مرّ معنا ذكره في العدد السابق لكن الكنيسة

الكاثوليكية اعتدت تعليم هولاء ايضاً مخالفاً الايمان الصحيح بحرمته . ان التعليم الكاثوليكي بضرورة النعمة مؤسس على ان الوسائط يلزم ان تكون مطابقة للغاية الموجهة اليها وغاية الانسان الخلاص الابدي وهو يقوم بالتنعم بالله وهو امر فوق الطبيعة فيلزم ان تكون الوسائل المبلغة اليه وهي الاعمال الصالحة صادرة عن مصدر فائق الطبيعة وهو نعمة الله وآي الاسفار المقدسة المثبتة ذلك كثيرة منها قوله تعالى . لا احد يقدر ان يأتي اليَّ ما لم يجتذبه الآب الذي ارسلني . (يوحنا فصل ٦ عد ٤٤) . انا هو الكرمة وانتم الاغصان ... لانكم بدوني لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً . (يوحنا فصل ١٥ عد ٥) ان الله هو الذي يعمل فيكم ان تريدوا وان تكملوا (فيلبسيوس ٢ فصل ١٢ عد ١٣) وهلمَّ جرًّا

وان شئت الاطلاع على ما يزيدك بياناً فطالع كتاب البدع ودحضها للقديس الفونس ليكوري الذي ترجمته الى العربية وطبعته في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير طاميش سنة ١٨٦٤

عد ٦٣٦

في نسطور وبدعته

ولد نسطور في مرعش ونشأ في دير القديس اوبريبوس في نواحي انطاكية ورقي الى درجة الكهنوت واقامه اسقفه على شرح عقائد الدين للطالبين والمدافعة عنها ضد الهراطقة فجد في مقاومة الاريوسيين والابوليناريين والاوريجانيين راغباً في التشبه بفم الذهب والاقتداء به فذاع صيت علمه وفصاحته وورعه اذ كان الناس يرونه نحيف الجسم اصفر اللون مرتدياً اطماراً اخلاقاً وقد توفي وقتئذ سيسينيوس بطريرك قسطنطينية وكثر الخلاف في انتداب خلف له فأثر الملك تاودوسيوس الصغير ان ينتخب للبطريركية كاهناً لم يرشحه احد لها فاستدعى نسطور من انطاكية وعني بترقيته الى كرسي قسطنطينية فسر الشعب بانتخابه وقال هو في

خطبة تبوئه الكرسي البطريركي للملك « سلمني ايها الملك الارض منقاة من الهراطقة فاسلمك السماء استأصل معي اصحاب البدع فاستأصل معك الفرس » وكلامه يشف عن غيرة لكنه مشعر بكبريائه وكانت بواكير اعماله تعقبه اصحاب البدع على انه ظهر بعدًا انه لم يصنع ذلك الا لينتهج السيل الى بدعته وحدها فقد صحبه من انطاكية كاهن اسمه انسطاس وقال في خطبة القاها كيف تدعون مريم ام الله وهي خليقة ومن اين للخليقة ان تلد الهًا فتسارع الجم الغفير الى البطريرك يسألونه ردع كاهنه عن هذا التجديف فصعد نسطور الى المنبر والشعب يؤمل ازالة العثار فقال « كيف يكون لله ام فان صح ذلك كان معثرة للوثنيين باتيانهم بامهات آلهتهم الى هياكلهم وذكرهن في اقاصيصهم كلا ان مريم لم تلد الهًا فلا يلد الجسد الا جسدًا وما يلده الروح فهو روح لا تستطيع الخليقة ان تلد الخالق بل ولدت انسانًا هو آلة لله » فعظم الخطب على السامعين وعم القلق المدينة وقضوا بان راعيهم امسى ذئبًا فهددوه بانهم يقتلونه ويلقونه في البحر فلم يرعوِ بل انكر ذات يوم ميلادي كلمة الله الازلي والزمني فقال اوسابيوس (الذي صار بعدًا اسقفًا على دوريلا) له في وجهه وبحضرة الجمهور ليس الامر كما تزعم بل ان كلمة الله المولود من الآب منذ الازل هو هو نفسه ولد من العذراء في الزمان فحنق نسطور من هذا الكلام واوسع قائله اهانات داعيًا اياه تعسًا وشريرًا وانتشرت اقاويل نسطور في المشرق واتصلت الى اديار الرهبان في مصر ووفرت المشاحنات ودرى بها القديس كيرلس البطريرك الاسكندري فانفذ رسالة الى رهبان مصر يرشدهم بها الى الايمان الصحيح وبلغت رسالته الى قسطنطينية فاثنى عليها كثيرون من رجال دولة تاودوسيوس شاكرين للبطريرك وامتعض نسطور وحمل رجلاً اسمه فوتيوس على ان يرد تلك الرسالة منددًا بكاتبها فكتب القديس كيرلس الى نسطور رسالته المشهورة ومما قال له فيها « ان هذا القلق لم

تحدثه رسالتي بل ما قلته انت وكتبته بنفسك او بواسطة غيرك وهو ما دعاني الى معالجة هذا الداء القتال بليسم رسالتي فاصلح ما قلت وازل العثار وادعُ مريم ام الله وكن موقناً اني لا اخشى في هذا لومة لائم بل اني متأهب لتحمل كل ما يرد عليَّ وان سجناً او موتاً حباً بايمان المسيح ، ولم يكن جواب نسطور الأ ايضاح استيائه من رسالة كيرلس وتهديده له فخاب امل كيرلس من اصلاح نسطور ورأى ضلاله يزداد انتشاراً فرفع عريضة الى القديس شالستينس الحبر الروماني منبئاً له بكل ما كان وانفذ رسائل مطولة الى الملك توادوسيوس والاميرات اخواته (ذكرت في المجمع الافسسي) وجسر نسطور ايضاً ان يكتب الى الحبر الرومانى مغالياً بذكر متاعبه في مناصبة اصحاب البدع واردف ذلك بقوله ان البعض يدعون العذراء ام الله مع انه لا يمكن ان تدعى الا ام المسيح وان هذا ما حمله ان يرسل اليه بعض ما كتبه (اثبت هذه الرسالة بارونيوس في تاريخ سنة ٤٣٠) وبعد ان اطلع البابا على رسالتي كيرلس ونسطور عقد مجمعاً في رومة سنة ٤٣٠ فحرم تجاديف نسطور وامر ان يحط عن مقامه اذا لم يقلع عن ضلاله علانية بعد تبليغه هذا الحكم بعشرة ايام وعهد الى القديس كيرلس بتنفيذ هذا الحكم • فعقد القديس كيرلس مجمعاً في اسكندرية دعا اليه اساقفة مصر وبلغ نسطور حكم الحبر الروماني ورسالة من هذا المجمع تبين له انه اذا انقضت العشرة الايام ولم يقلع عن غواياته علانية يجانب اولئك الاساقفة الاشتراك معه ويقبلون في شركتهم كل من حطهم نسطور او حرمهم وارسل القديس كيرلس حكم البابا وهذه الرسالة مع اربعة اساقفة من مصر وانفذ معهم رسالتين احداهما الى اكليرس قسطنطينية وشعبها والاخرى الى روساء الاديار فبلغ هولاء الاساقفة الى قسطنطينية في ٧ كانون الاول سنة ٤٣٠ وبلغوا نسطور الحكم والرسالة ومضت الايام العشرة واستمر نسطور مصرّاً وكان الملك توادوسيوس عني قبل وصول

الوفد الاسكندري بعقد مجمع عام للحكم بهذا الخلاف فكتب القديس كيرلس الى البابا يكاشفه في ذلك وفيما اذا ارعوى نسطور عن ضلاله هل يباح للمجمع قبوله بصفة اسقف او ينفذ فيه الحكم عليه فاجابه الحبر الروماني آمرًا بعقد المجمع ومؤجلاً عزل نسطور رجا ان يقلع عن ضلاله

وامر البابا شالستينس ان يترأس القديس كيرلس على هذا المجمع نائباً عنه وارسل اليه من لدنه اركاديوس وبروكتس الاسقفين وفيلبس الكاهن وعين محل المجمع في افسس واجتمع الآباء هناك في ٧ حزيران سنة ٤٣١ وربا عدد الاساقفة على المئتين وامر القديس كيرلس بعقد المجلس الاول في حزيران في كنيسة العذراء التي كانت اكبر كنائس افسس واستدعى نسطور في ٢١ منه ليحضر المجمع فرفع اليه عريضة يحتج بها على افتتاحه قبل وصول الاساقفة المنتظر حضورهم فابى القديس كيرلس والسواد الاعظم من الاساقفة الا الاجتماع في اليوم المعين وقبل الشروع في المداولة استدعى الاساقفة نسطور ثانياً وثالثاً فلم يلق الاساقفة المرسلون اليه الا الاهانة والتهديد من الجند الذين اقامهم نسطور لحراسته وافتتح الاباء المجمع فتليت اولاً رسالة القديس كيرلس الثانية وجوابه عليها ثم حكم البابا شالستينس على نسطور بالحط عن مقامه ان اصرّ على ضلاله بعد تبليغه الحكم بعشرة ايام وبعد البحث الطويل ابرز آباء المجمع على نسطور الحكم الذي ترى نصه عند الكلام في هذا المجمع ووقع مئة وثمانية وتسعون اسقفاً على هذا الحكم واستمر المجلس منعقدًا من الصباح الى ما بعد مغيب الشمس على طول النهار في ذلك الفصل وفي اليوم التالي بلغ نسطور الحكم واذيع وعاد بعض الاساقفة الذين رفعوا الاحتجاج مع نسطور فوقعوا عليه على ان يوحنا بطريرك انطاكية لم يبلغ الى افسس الا بعد ابراز الحكم فشق عليه ان باقي الاساقفة لم ينتظروه وان يرى نسطور صديقه وابن وطنه

محروماً فعقد مجمعاً اخر في افسس ومعه اربعون اسقفاً فعزلوا القديس كيرلس بطريرك انطاكية وممنون اسقف افسس عن منصبهما الا ان القديس كيرلس لم يعبأ بهذه الجسارة واستدعى يوحنا ورفقاءه الى المحاكمة وهددهم بانزال الحرم بهم الى ان جرى الصلح بعدئذٍ بين كيرلس ويوحنا البطريركين وعاد اكثر الاساقفة الذين شاركوا يوحنا الى الوفاق ووقعوا على حرم المجمع لنسطور ولجأ نسطور الى الملك وساعده بعض محازبيه من اعوانه فحال دون انفاذ حكم المجمع عقبات ومكائد على الاساقفة الحاكمين الى ان برح الخفاء وتيقن الملك صحة حكم المجمع فامر بحشر نسطور في دير القديس اوبريوس في ضواحي انطاكية حيث كان اولاً على انه ما انفك يبث ضلاله فنفاه الملك الى افريقيا حيث ادركته المنون واختلف في منيته فمن قائل انه استحوذ عليه اليأس فكسر رأسه ومن قائل انه خسف في الارض ومن قائل انه اصابته آفة في لسانه فاكله الدود وهو عقاب يستوجبه اللسان الذي جدف على المخلص وامه العذراء

واما اضاليله فاخصها اولاً ان الانسان الذي تجسد في حشى العذراء هو غير كلمة الله الوحيد وما التجسد الا حلول كلمة الله في ذلك الانسان بمنزلة هيكل له وعليه فالله لم يولد ولم يتألم ولم يمت والمسيح ليس الهاً بل هيكلاً لله وكان فيه اقنومان الهي وبشري لا اقنوم واحد ثانياً وهو مأخوذ من الاول ان العذراء لا تدعى ام الله بل ام المسيح اذ لم تكن اماً لله الذي لم يتجسد على زعمه بل اماً لذلك الانسان الذي حل الله فيه انتهى ملخصاً عن كثيرين من مشاهير المؤرخين منهم بارونيوس ونطاليس اسكندر واورسي واعمال المجمع الافسسي ويؤخذ من كلام السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٠٣) ان ارطقة نسطور نشأت اولاً في سورية ابتدعها بولس السميساطي بانكاره ان المسيح اله حقيقة وتوسل بنشرها تاودورس المصيصي وتاودوريطس القورشي وايهيبا الرهاوي

بعقاومتهم القديس كيرلس الاسكندري ومكن جراثيما نسطور وكان في الرها مدرسة للفرس تشبث اساتذتها وتلاميذهم بهذا الضلال فعاونوا كثيرًا على نشرها في ما بين النهرين وبلاد فارس فناصبهم رابولا اسقف الرها لكنهم تقووا في ايام ايهيبا قبل اقتلاعه عن ضلاله ولم يستطع نونس خليفته ان يردعهم واستمروا يعثون الى ان قام على كرسي الرها قورش فاقفل هذه المدرسة ونفوا من كانوا فيها الى فارس سنة ٤٨٠ فاضلوا نصارى هذه البلاد وبلاد الكلدان وانبسط هذا الضلال الى بعض اقاليم الهند واستمرت هذه الشيعة الى الان وهم المعروفون بالنساطرة والنسطوريين ومن عاد منهم الى حظيرة الايمان الكاثوليكي هم الكلدان الكاثوليكيون

ان بدعة نسطور تبطل سري التجسد والفداء وتدك اس محبة الله السامية للبشر فانه اذا كان المسيح ليس الهًا بل بشرًا حل الله به كحلوله في غيره من القديسين وان بنوع اسمى فلا يكون الكلمة تجسد ولا الله افتدانا بابنه الوحيد بل ارسل الى العالم رسولاً كاحد الرسل او الانبياء ويكون استحقاقه ومحبته ووساطته بين الله والبشر متناهية عادية وهذا يقلب تصور المسيحية برمته وآي الاسفار المقدسة بينة جلية مؤيدة التعليم الكاثوليكي منها قول يوحنا (فصل ١ عد ١٤) « والكلمة صار جسدًا » اي بشرًا وانه « واضع نفسه آخذًا صورة العبد » (فيلبسيوس فصل ١ عد ١٦) بهذا تعرف محبة الله لانه بذل نفسه دوننا (رسالة يوحنا فصل ٦٣) ولو عرفوا لما صلبوا رب المجد (قرنتية ١ فصل ٢ عد ٨) ان الله لم يشفق على ابنه الوحيد بل بذله عن جميعنا (رومة فصل ٨ عد ٣٢) وهلم جرًا ومن شاء زيادة بيان فليطالع كتابي ترجمة تاريخ البدع ودحضها للقديس الفونس ليكوري

عد ٦٣٧
في اوطيخا

كان اوطيخا (ويسميه بعضهم اوطاخي) راهباً كاهناً رئيس دير في ضواحي قسطنطينية اشتمل على عدد غفير من الرهبان وكان يناصب نسطور بطريركه في ضلاله وقد مضى بنفسه الى المجمع الافسي فشهد على الحاده واعتده القديس كيرلس الاسكندري من الصناديد المناضلين عن الايمان الصحيح وقد انفذ رسالة الى القديس لاون الحبر الروماني في شأن بدعة نسطور فاجابه البابا مثنياً على غيرته ومشجعاً اياه على جهاده الا ان حدته في الجدال مع اصحاب نسطور اوقعته في ضلال اخر مخالف لتعليمه فهم كانوا يزعمون ان المسيح انسان حل فيه اللاهوت فكان فيه اقنومان وزعم هو ان الطبعين الالهي والبشري في المسيح امتزجا فكان فيه طبيعة واحدة واقنوم واحد وعليه فلم يعد انساناً كاملاً فكان عند التجسد ذا طبيعتين واما بعده فصار ذا طبيعة واحدة وقد عزا البابا لاون (في رسالته ١٣ الى بلوشاريا الملكة) ضلاله الى جهله لا الى خبثه وكان اوسابيوس اسقف دوريلا بفريجية صديقاً لاوطيخا فدرى بمعاشرته له انه يتخطا الحدود في مقاومة نسطور معلماً ضلالاً اخر فافرغ مجهوده في نصحه ورده الى الصواب فلم يذعن له فبعثته غيرته على ان يشكوه الى القديس افلابيانس بطريرك قسطنطينية الذي عقد في تلك الاثناء مجمعاً في قسطنطينية لفصل خلاف بين بعض اساقفته فرفع اوسابيوس اسقف دوريلا عريضة الى المجمع يشكو بها اوطيخا بانه يتفوه بتجديف على المسيح ويعلم ضلالاً يغوي الشعب به وسال ان يدعى الى المجمع ليثبت عليه بدعته وكلف افلابيانس اوسابيوس ان يعيد النصح على اوطيخا عله يرعوي فقال انه يئس من اقلاعه عن غيه وعين المجمع كاهناً وشماساً ليدعوا اوطيخا ليأتي الى المجمع ويبرئ نفسه فابى ان يحضر وكردوا الدعوة له فاعتذر بانه لم يخرج قط من

ديره وبانه مريض الى ان اكره ان ياتي في المجلس السابع فاتى محتفاً بكتيبة من الجند وجماعة من الرهبان وكثيرين من الاعيان ولم يدعه هولاء يدخل المجمع ان لم يعدهم الاساقفة برده اليهم فاقام رئيس المجمع اوطيخا واوسابيوس شاكيه في الوسط وتلوا رسالة القديس كيرلس الى الاساقفة الشرقيين حيث صرح بان في المسيح طبعين فقال اوسابيوس ان اوطيخا لا يعتقد هذا فساله افلابيانس اسمعت ما قال شاكيك فما تقول قال اعتقد بطبعين فساله اوسابيوس اتعتقد بطبعين بعد التجسد وان المسيح مساوٍ لنا من حيث الجسد فاجاب ما جئت لاجادل بل لاصرح بما افتكر وقد كتبته في هذه الورقة فكان كلامه فيها ملتبساً غامضاً فقال له افلابيانس اتعتقد الان ان في المسيح طبعين فاجاب قد قرأت في كتب القديسين كيرلس واثناسيوس ان المسيح كان قبل التجسد ذا طبعين واما بعده فهما لا يقولان بطبعين بل بطبع واحد وكان في كلامه هذا بدعتان بدعته وضلال اوريجانس بقوله ان النفوس خلقت قبل الاجساد فجد الاباء في اقناعه واقلاعه عن ضلاله فلم يقلع عنه فحكم عليه المجمع بالحط عن كهنوته ورئاسة ديره وباقصائه عن شركة المؤمنين لئلا يضلهم ووقع على الحكم عليه اثنان وثلاثون اسقفاً وثلاثة وعشرون رئيساً من رؤساء الاديار . وكان ذلك لسنة ٤٤٨

وكتب اوطيخا الى القديس بطرس غريسولوغس اسقف رافنا (بايطاليا) متشكياً من حكم افلابيانس عليه وساله ان يعاونه لدى الملك والتينيان وامه بلاشيدا اللذين كانا يقيمان غالباً في رافنا فاجابه انه لم يرَ رسالة من افلابيانس ولم يسمع حججه واشار عليه ان يذعن لما يقوله البابا لاون الحبر الاعظم وكتب اوطيخا وافلابيانس الى البابا لاون الاول استغاثة مما اجراه عليه مجمع قسطنطينية والثاني انبأ بالاسباب العادلة التي دعت الى حط اوطيخا وحرمه وكان اوطيخا سأل ديوسقورس بطريرك انطاكية ان يرغب الى الملك تاودوسيوس ان يعقد

مجمعاً لفض الخلاف فانقاد الملك لمطلوبه وامر بعقد مجمع في افسس رأس ديوسقورس عليه فاجرى فيه على الاساقفة الكاثوليكيين من الجور ما لم يسمع بمثله في مجمع حتى دعي بصواب مجمع افسس اللصي وسنأتي على ذكره وقد ايد ديوسقورس حينئذٍ ضلال اوطيخا ورده الى شركة المؤمنين مع رهبانه الذين كان افلابيانس قد حرمهم وحط افلابيانس واوسابيوس اسقف دوريلا عن مقامهما مكرهاً الاساقفة حتى بالضرب على امضاء حكمه عليهما ولما قال افلابيانس انه مستغيث بالبابا لاون رفسه ولطمه وكان علة لموته لانه طرحه في السجن ثم ارسله الى المنفى فمات في طريقه واما اوسابيوس ففر الى رومة وكان ذلك سنة ٤٤٩

فلما طرقت هذه الاخبار المحزنة مسامع البابا لاون انفذ رسالة الى الملك توادوسيوس يسأله فيها ردع الاوطاخيين عن تعدياتهم واصلاح شؤون الكنيسة فلم يحفل بذلك بل اعاد اوطيخا الى مقامه الا ان هذا الملك توفي السنة التالية اي سنة ٤٥٠ نادماً على ممالئته الاوطاخيين ورقي مرقيان الى منصة الملك

وكان الملك مرقيان والملكة بلوشارية صالحين ورعين فكتبا الى البابا لاون ان يعقد مجمعاً يترأس عليه بنفسه او بقصاده ليخمد جذوة الاضطراب المتقدة في الكنيسة فسر البابا كل سرور بهذا السؤال وارسل خمسة قصاد من لدنه لينوبوا عنه في هذا المجمع الذي عقد في خلكيدونية سنة ٤٥١ فحرم آباء المجمع ضلال اوطيخا وصرحوا في حكمهم . بان في سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد طبيعتين دون تقسم ولا تغير ولا امتزاج وان اتحاده بالجسد لم يزل اختلاف الطبيعتين بل استمرت خواص كل طبيعة سالمة في اقنوم واحد وشخص واحد . اما اوطيخا فكان الملك نفاه سنة ٤٥٠ الى محل قريب من قسطنطينية وبعد اعلامه بما قرره المجمع ما انفك يغوي زائريه ومعاشريه فكتب البابا لاون الى القديسة بلوشاريا والملك مرقيان ان يبعدا اوطيخا الى مكان قفر فنفي الى مكان بعيد حيث مات ميتة سيئة يستحقها

اصراره انتهى ملخصاً عن اكابر المؤرخين كبارونيوس ونطاليس واودسي واعمال المجمع القسطنطيني المذكور والمجمع الخلكيدوني

على ان تحريم ضلال اوطيخا وموته لم يوقفا هذه البدعة عن الانتشار فان يعقوب البردعي الاتي ذكره بثها بين السريان حتى سمي القائلين بها منهم يعقوبيين او يعاقبة نسبة اليه وبرصوم نشرها بين الارمن حتى سمي من اتبع هذا الضلال منهم برصوميين او راصمة وديوسقورس اذاعها في مصر وتابعه على ذلك بعد وفاته تيموتاوس النمس ثم بطرس الالثغ اللذان اغتصبا بطريركية اسكندرية فسمي الاوطاخيون في مصر ديوسقوريين ويشمل جميعهم اسم مونوفيزتيين (لفظ يوناني تأويله القائلون بطبع واحد في المسيح) اما في سورية فلم يخضع بعض الرهبان في فلسطين لما رسم في المجمع الخلكيدوني وحرشوا غيرهم مشيعين ان المجمع الخلكيدوني بحتمه ان في المسيح طبيعتين ايد ضلال نسطور وكان في مقدمة هولاء رجل اسمه توادوسيوس كان اسقفه قد طرده من ديره لفواحشه ولم يخلع زيه الرهباني فاغتنم هذه الفرصة وضلل رهباناً كثيرين ولما عاد يوفنال البطريرك الاورشليمي الى كرسيه لم يتسنَّ له ردعهم بل حاولوا ان يكرهوا البطريرك على حرم المجمع الخلكيدوني والبابا لاون ولما لم يطاوعهم جمعوا جهوداً من السفلة والاشرار فدخلوا اورشليم عنوة واحرقوا بيوتاً وقتلوا كثيرين وفتحوا السجون واخرجوا السجنى وانتدبوا توادوسيوس رئيسهم اسقفاً على اورشليم فحاول قتل البطريرك يوفنال ففر البطريرك الى قسطنطينية فقتل من ارسلهم توادوسيوس القديس سفريان اسقف باسان اذ فاتهم قتل البطريرك فاستمر توادوسيوس يضطهد كل من يقاومه فعذب البعض واحرق بيوت غيرهم وطرد بعض اساقفة من كراسيهم واقام توادوتس الشرير اسقفاً على يافا وبلغت هذه الشؤون الملك مرقيان فعني بازالة الشغب والجور مهدداً من اصرّ على شره وغافراً لمن ارعوى عن غيه ورأى

تواودوسيوس شمله انفض عنه فقر خفية ومضى الى جبل سينا يستأمن بين النساك فلم يقبلوه فانساب في بلاد العرب وعاد يوفينال البطريرك الى كرسيه سنة ٤٥٣ (ملخص عن افاغريوس ك ٢ من تاريخه فصل ٥ والكردينال اورسي مجـ١٤ ك٣٣) وزاد هذا الضلال انتشارًا في سورية بطرس القصار الذي غصب بطريركية انطاكية سنين متطاولة كما رأيت

على ان ضلال اوطيخا ومشائعيه ظاهر البطلان لانه اذا كانت الطبيعة الالهية ابتلعت الطبيعه البشرية فلا يبقى المسيح انسانًا وعليه فيلزم اما انكار آلام المسيح وموته والتكذيب بكل ما ورد في العهد الجديد عن ذلك واما الزعم ان اللاهوت تألم ومات وهذا مستحيل ويأبى العقل البشري التسليم به وتتم الآلام والموت الآب والروح القدس لان اللاهوت واحد ثم اذا لم يكن في المسيح الا طبيعة واحدة فلا يخلو اما ان تكون الطبيعة الالهية ابتلعت الطبيعة البشرية او استحالت البشرية اليها وهذا منقوض بما مر اما ان تكون الطبيعة الالهية استحالت الى بشرية وهذا محال لان اللاهوت ازلي ولا يتغير واما ان تكون الطبيعتان امتزجتا وقام عنهما طبيعة ثالثة ولم يبق المسيح الهًا ولا بشرًا بل شيئًا آخر ثالثًا ثم هذا الضلال يخالف آيات عديدة صريحة من الاسفار المقدسة منها كل ما ذكره الانجيليون عن ميلاد المخلص ونموه وتعبه وصومه وجوعه وآلامه وموته وتسميته نفسه ابن الانسان الى غير ذلك معارضًا باقوالهم انه والآب واحد وان كل ما يعمله الاب يعمله الابن وان كل ما هو للآب هو له وانه كان قبل ان يكون ابرهيم وانه ان كان ابن داود فكيف يدعوه ربه فكل هذه الآيات وغيرها مما يشذ عن العد لا يمكن ان تدرك دون ان يكون في المسيح طبيعتان طبيعة هو بها والآب واحد وطبيعة هو بها ابن الانسان ينمو ويتعب ويتألم ويموت ولا يحتمل المقام اكثر من هذا البيان الموجز لاننا نكتب تاريخًا لا

مبحثاً لاهوتياً ومن شاء الاسهاب في رد هذا الضلال فليطالع كتاب ترجمتنا لتاريخ الارطقات ودحضها للقديس الفونس ليكوري

الفصل السادس

في المجامع التي عقدت في سورية او شهدها سوريون في القرن الخامس

عد ٦٣٨
في المجمع الافسسي المسكوني

لم يكن هذا المجمع في سورية بل شهده كثيرون من اساقفتها فقد التأم للبحث عن ضلال نسطور سنة ٤٣١ وقد ضرب ميعاد افتتاحه اليوم السابع من حزيران الذي كان واقعاً فيه عيد العنصرة وكان قائماً فيه مقام القديس شالستينس الحبر الاعظم الروماني القديس كيرلس البطريرك الاسكندري وقد ارسل اليه ايضاً الحبر الروماني اركاديوس وبرويكتس الاسقفين وفيلبس كاهن الكنيسة الرومانية وكان الملك توادوسيوس الصغير قد دعا اليه القديس اغوسطينس لكن لقي ربه قبل ابلاغه الدعوة فارسل خليفته نائباً عنه وعن اساقفته الى المجمع واتى نسطور البطريرك القسطنطيني الى المجمع مصحوباً بالكنت اريناوس والكنت كنديديان رئيس حرس الملك وتحت امرتهما كتيبة من الجند للمحافظة على السلم في المجمع وقدم اليه القديس كيرلس يصحبه خمسون اسقفاً من مصر ثم يوفينال

بطريرك اورشليم ومعه اساقفة فلسطين وجمع ممنون رئيس اساقفة افسس نحواً من اربعين اسقفاً من اسيا الصغرى وغير هولاء من اساقفة بلاد اليونان وقبرس حتى ربا عدد الاساقفة على المئتين وابطأ يوحنا بطريرك انطاكية واساقفته بالقدوم وكان ينتظر قدوم بعض اساقفة ايطاليا فمضى بعد يوم الاجل المضروب لافتتاح المجمع ستة عشر يوماً واخذ بعض الاساقفة يتشكى من هذا التبطيء لمرضه وبعضهم لعازته الى النفقة وكان يوحنا بطريرك انطاكيـة قد ارسل يقول للقديس كيرلس ابتدىء في اعمال المجمع اذا استبطأتني فافتتح المجمع في اليوم الثاني والعشرين من حزيران في كنيسة العذراء في افسس على مخالفة نسطور لافتتاحه بحجة انتظار باقي الاساقفة وكان الاساقفة المجتمعون في المجلس الاول مئة وتسعين اسقفاً وارسلوا اربعة اساقفة يستدعون نسطور الى المجمع فابى ان يحضر ثم كرروا الدعوة ثلث مرات فلم يلقَ المرسلون الا الاهانة من حاشيتـه فاخذ الاباء يتلون رسالة القديس كيرلس الى نسطور وجواب نسطور له ثم تلوا رسالة القديس شالستينس البابا الى كيرلس ثم رسالة اخرى كان القديس كيرلس قد كتبها الى نسطور ليبلغه امر البابا بانه اذا بقي عشرة ايام مصرًا بعد بلوغ حكم الحبر الروماني عُدَّ منحطاً عن كرسيه ثم قرأ المسجلون بعض فصول ورسائل للاباء المتقدمين تؤيد التعليم الكاثوليكي وبعد المفاوضة والتحري النهار بطوله اصدروا الحكم الاتي . لما كان نسطور قد ابى تلبية دعوتنا وقبول الاساقفة المرسلين اليه من قبلنا فضلاً عن مخالفات اخرى اضطررنا ان نباشر البحث عن غواياتهِ فثبت عليـه برسائله وبما كتبه وفاه به في خطبه في هذه المدينة ومن عهد قريب وبشهادات شهود عدل انه ارتأي وعلم ضلالاً مبيناً فقضت علينا القوانين المقدسة ورسالة ابينا الاقدس شالستينس حبر الكنيسة الرومانية ان نبرز عليه هذا الحرم واعيننا ذارفة الدموع السخينة فسيدنا يسوع المسيح الذي جدف عليـه قضى بواسطة هذا المجمع انه

منحط عن كل مقام اسقفي ومقصي عن كل اجتماع بيعي . ووقع على هذا المجمع الاساقفة الحاضرون وكان عددهم مئة وثمانية وتسعين اسقفاً واكثر الشعب من الاحتفاء والابتهاج بهذا الحكم والثناء على الاساقفة وبلغ هذا الحكم الى نسطور في اليوم التالي واذيع في شوارع المدينة وكتب آباء المجمع الى اكليرس قسطنطينية ينبئونهم بهذا الحكم ويحرصون حاشية البطريرك على الاحتفاظ بكل ما خص الكنيسة الى قيام بطريرك آخر وحالت دون تنفيذ الحكم على نسطور عراقيل من منفذي الملك الى المجمع تشيعاً لنسطور

وفي اليوم السابع والعشرين من حزيران بلغ يوحنا بطريرك انطاكية الى افسس مع اربعة عشر اسقفاً وعلموا بحكم جميع الاساقفة على نسطور فعقدوا مجمعاً وادخلوا معهم الكنت كنديديان منفذ الملك وانضم اليهم اساقفة آخرون حتى صار عديدهم ثلثة واربعين اسقفاً وقضوا على القديس كيرلس وممنون رئيس اساقفة افسس بالحط عن كراسيهما ووقع الاساقفة المذكورون على الحكم وكتموا امره الى وقت . وخرج يوحنا البطريرك الى مكالمة الاساقفة الموفدين اليه من قبل المجمع ولما بلغوه ما كلفهم آباء المجمع ان يثبوه له طوى كشحه عنهم ولم يجبهم بكلمة واهانهم اصحابه بل ضربوا بعضهم ايضاً فعادوا الى القديس كيرلس يشكون مما اصابهم من الاهانة والضرب فاخذ المجمع شهادتهم وحلفهم اليمين على صحة ما رووه من سؤ المعاملة لهم وفصل الآباء يوحنا من الاشتراك معهم وبلغوه حكمهم واذاعوا صورته معلقة في الشوارع وقد دروا بما قضى به يوحنا على كيرلس وممنون فلم ينكفا في اليوم التالي عن تقدمة ذبيحة القداس وعلم بذلك يوحنا البطريرك فسأل الكنت كنديديان ان يكفهما عن ذلك فقمل قائلاً انه يلزم انتظار امر الملك فلم يعبأ كيرلس وممنون بكلامه اذ لا سلطة ليوحنا عليهما ومكر بثوادوسيوس الملك منفذوه واوصلوا اليه رسائل يوحنا واصحابه

مشفوعة بمصادقتهم عليها واعاقوا رسائل كيرلس واصحابه فلم يحصحص له الحق وكتب الى المجمع مبيناً سخطه وعدم اعتباره لشيء مما كان الى وقتئذٍ وحظر على كل منهم الخروج من افسس الى ان يفحصوا جميعاً ويبتوا الخلاف في الايمان واوفد اليهم معتمداً آخر يسمى بلاّد فكتب كل فريق منهم الى الملك ما يؤيد رأيه ويصوب عمله وكان محازبو نسطور في قسطنطينية يمسكون رسائل الكاثوليكيين عن ان تصل الى الملك الى ان كتب كيرلس واصحابه رسالة الى بعض الرهبان الفضلاء في قسطنطينية ضمنوها الاخبار عن كل ما هو جارٍ ووضعوها في قصبة حملها فقير متسول فمضى جمهور من الرهبان الى الملك وفي مقدمتهم دلماس احد روساء الاديار فاطلع الملك على حقيقة ما جرى فشكر الله لبراح الخفاء واظهر رضاه عما عمله المجمع ورخص لخمسة اساقفة ان يأتوا اليه من قبل المجمع كما كانوا قد سألوه

وفي العاشر من شهر تموز بلغ قصاد البابا الى افسس وعقد بحضرتهم المجلس الثاني من المجمع في دار الاسقف وتليت رسائل البابا شالستينس التي كان قد اصحبهم بها بعد ترجمتها من اللاتينية الى اليونانية فضجَّ الاباء بالثناء على البابا وصرحوا باذعانهم لكل ما اجراه في مجمعه في رومة وما ضمنه في رسائله وطلب القصاد الى المجمع ان يطلعوهم على ما رسموه في المجلس الاول ليصادقوا عليه وفي النهار التالي ١١ تموز عقد المجلس الثالث في دار الاسقفية واطلع القصاد على اعمال المجلس الاول وعلى الحكم بحط نسطور فجاهروا بان كل ذلك كان مطابقاً للقوانين المقدسة وطلبوا ان تعاد تلك الاعمال على الآباء فتلاها بطرس كاهن كنيسة الاسكندرية رئيس كتاب المجمع فاثبتوا الحكم على نسطور وقالوا ان هذا الا حكم جميع الكنائس فان اساقفة المشرق والمغرب شهدوا معاً هذا المجمع بانفسهم او بواسطة نوابهم واضيف ما جرى في هذا المجلس الى باقي اعمال المجمع

ووقع عليها القديس كيرلس والقصاد والاساقفة وكتب آباء المجمع الى الملك ينبئونه بنهاية مجمعهم وحرمهم نسطور وعزله عن كرسيه وسألوه ان يرخص لهم بالانصراف ووقع على هذه العريضة القديس كيرلس وجميع الاساقفة الذين حرموا نسطور ويربو عديدهم على مئتي اسقف

ولم يذكر الاساقفة في هذه العريضة شيئاً عما صنعه يوحنا بطريرك انطاكية من حطه القديس كيرلس وممنون اسقف افسس معتقدين ان الاولى ازدراء عمله لمخالفته القوانين ولانه لا سلطة له على حطهما وليس له ان ينفرد بجمع عام في مثل هذا الحط دون ان يستدعي المحكوم عليهما ويسمع حججهما على ان القديس كيرلس لما درى ان يوحنا رفع حكمه الباطل الى الملك كتب هو وممنون رسالة الى الملك يشكوان بها من عمل بطريرك انطاكية واستدعيا الاساقفة الى الاجتماع في مجلس رابع في ١٦ تموز ولما تليت رسالتهم استحسن الاساقفة ان يدعى يوحنا البطريرك الى ذلك المجلس ليجيب عن نفسه وارسلوا اليه ثلاثة أساقفة فوجدوا داره يحدق الجنود به فلم يمكنوهم من ان يروه او يكلموه فرأى المجمع ان يردهم ثانية اليه عملاً بالقانون فعادوا فوجدوا الجنود مستلين سيوفهم وكان هناك بعض كهنة صاحوا بهم ان يبلغوا المجمع ان البطريرك لا يريد ان يتعاطى مع رجال محرومين وطلب كيرلس الى المجمع ان يحكم ببطلان حكم يوحنا عليه وعلى ممنون فقالوا انهم سيقررون ذلك لا محالة بعد ان يستدعوا يوحنا المرة الثالثة واذاع يوحنا في الشوارع اتهامه لكيرلس وممنون ببدع وعزله لهما وحرمهما

واجتمع الاساقفة في اليوم التالي ١٧ تموز في المجلس الخامس وابان القديس كيرلس ان تمنع يوحنا واصحابه من الحضور الى المجمع بينة قاطعة على انه ليس لهم حجة في اتهامهم له واقام هو الحجة على انه لم يجنح الى شيء من الضلال الذي علمه ابوليناروآريوس او امونيوس وحرم صراحة امام المجمع هولاء المبدعين

وسابيليوس وفوتينس وبولس السميساطي والمانويين وبيلاجيوس ونسطور وكل المبدعين وطلب ان يستدعى يوحنا واصحابه كيلا تبقى لهم حجة عليه واذا ابوا ان يحضروا لا تبقى صعوبة في الحكم بكونهم مفترين فارسل المجمع اليهم ثلثة اساقفة ومسجلاً فابى يوحنا ان يكلمهم وارسل اليهم مع رئيس شمامسته ورقة تمنع الوفد من قبولها فاحتدم آباء المجمع غيظاً من تصرف يوحنا هذا وارادوا ان يعزلوا يوحنا واصحابه وان يحرموهم كما فعلوا هم بكيرلس وممنون لكنهم اثروا ان يؤجلوا ذلك الى ان يحكم الحبر الروماني في هذه المسألة واقتصروا على ان يمنعوهم من التصرف بسلطانهم الاسقفي ومن الاشتراك معهم في الروحيات الى ان يعرفوا خطاءهم ويأتوا الى المجمع ويبرئوا ساحتهم وذكر المجمع اسماءهم فكانوا خمسة وثلاثين اسقفاً (لان بعضهم ادعوى) منهم تواددوريطس اسقف قورش وحكم المجمع ايضاً ببطلان دعاويهم واحكامهم على كيرلس وممنون وكتب الآباء الى الملك ينبئونه بذلك كله

ثم عقد المجمع المجلس السادس في ٢٢ تموز واثبت فيه قانون المجمع النيقوي مع الزيادة عليه • ان الكنيسة الرسولية تحرم كل من يقول انه كان زمان لم يكن فيه ابن الله او انه خلق من العدم او ابدع من جوهر آخر • ونبذ المجمع قوانين اخرى عرضت فيه ثم عقد المجلس السابع وهو الاخير في اليوم الحادي والثلاثين من شهر تموز على الاصح فحصت فيه دعوى بعض اساقفة قبرس الذين شكوا من ان بطريرك انطاكية سطا على حقوقهم بترقية بعض اساقفة في جزيرتهم مع ان سلفاءه من بطاركة انطاكية لم يتدخلوا في رسامة الاساقفة في هذه الجزيرة والعادة المستمرة ان اساقفة هذه الجزيرة يجتمعون فيرقون الاسقف الحديث الى الكرسي الفارغ من اسقفه فحكم المجمع بعد البحث ان يبقى اساقفة قبرس على ما كانوا عليه من عادتهم ولم يستحسن ان يدعو يوحنا بطريرك انطاكية ليورد

ما له من الحجج خيفة ان لا يلبي الدعوة كما فعل ثم وضع المجمع ستة قوانين مدارها على من يتبع بدعة نسطور او انشقاق يوحنا الانطاكي

وكان الملك تاودوسيوس قد ارسل الكنت يوحنا لازالة الخلاف الذي كان بين الاساقفة فبلغ الى افسس في غرة شهر آب فزار كل فريق من الاساقفة منفردًا ثم طلب ان يجتمعوا لديه فاجتمعوا وطلب الاساقفة الكاثوليكيون ان يبعد الكنت نسطور عن الاجتماع معهم لانه محروم وطلب المنشقون ابعاد كيرلس فابعد الكنت نسطور وكيرلس لكنه لم يتمكن من التوفيق بين الطرفين فرفع عريضة الى الملك بما كان وكتب كل من الفريقين الى محازبيه في قسطنطينية ما يؤيد دعواه فامر الملك ان يخفر على نسطور وكيرلس وممنون وان يرسل اليه مفوضون من قبل كل فريق فارسل الكاثوليكيون فيلبس الكاهن احد قصاد البابا وسبعة اساقفة وارسل المشاقون ثمانية اساقفة منهم يوحنا بطريرك انطاكية ويوحنا اسقف دمشق وبولس اسقف حمص ومكاريوس اسقف اللاذقية وتوادوريطس اسقف قورش فامر الملك ان يتلبثوا في خلكيدونية ثم حضر اليها ومثلوا امامه مرات فلم تكن من وسيلة لتوفيقهم وكان الختام انه امر نسطور ان يتوجه حيث يشاء الا قسطنطينية فمضى الى الدير الذي تربى فيه في ضواحي انطاكية ورخص لكيرلس ان يعود الى كرسيه في اسكندرية ولممنون ان يبقى في كرسيه بافسس واستدعى الاساقفة الكاثوليكيين ان يأتوا الى قسطنطينية ويرقوا الى كرسيها بطريركاً مكان نسطور وانصرف كل من آباء المجمع الى محله ملخص عن معجم المجامع للاب بالتيا طبعة الاب مين

عد ٦٣٩

في مجمع افسس المنعوت باللصي

قد رأيت في الكلام على اوطيخا انه بعد ان حرمه مجمع قسطنطينية لجأ الى

ديوسقورس بطريرك اسكندرية فسأل الملك تواودوسيوس ان يعقد مجمعاً فامر بعقده سنة ٤٤٩ في افسس والتمس برصوما رئيس احد الاديار المار ذكره ان يرخص الملك له بان يشهد هذا المجمع نائباً عن سائر روساء الاديار فرخص له وكان هذا ايضاً مغوياً بغواية اوطيخا وارسل البابا لاون الكبير قصاداً الى هذا المجمع ورخص الملك للاساقفة الذين حرموا اوطيخا في مجمع قسطنطينية ان يشهدوا المجمع وحظر ان يكونوا قضاة فيه لانه سيكون الكلام على حكمهم ورأس ديوسقورس على هذا المجمع فافتتح في اليوم الاول من آب سنة ٤٤٩ وكان الاساقفة المتشمون فيه مئة وثلاثين او خمسة وثلاثين اسقفاً وطلب الاساقفة ان يبحثوا اولاً في عقائد الدين فانكر ذلك ديوسقورس واراد ان يبحث في شكوى اوطيخا وادخله الى المجمع فقدم كتاب شكواه على القديس افلابيانس يقول فيه انه على علمه انه لا يخرج من ديره طلبه ان يأتي الى المجمع ظاناً انه لا يأتي فيحكم عليه حكماً غيابياً ولما اتى وصرح بانه يؤمن بكل مارسم في المجمعين النيقوي والافسسي اراد افلابيانس ان يزيد على ذلك شيئاً ولما تمنع من الزيادة عملاً بالقانون حرمه وعزله فطلب افلابيانس ان يدخل اوسابيوس اسقف دوريلا الذي شكا اوطيخا فاجابه اليد منفذ الملك انه لم يبق محل لدخول اوسابيوس بهذه الدعوى لانه نال ما ابتغى بشكواه اوطيخا وبقي على من حكم ان يجيب عن حكمه واراد قصاد الحبر الروماني ان تتلى رسائله في المجمع فانه لم يكتبها الا بعد ان استوضح دعوى اوطيخا فقال اوطيخا ان لم يعد له ثقة بقصاد الحبر الروماني لحلولهما عند خصمه افلابيانس وقال ديوسقورس الاولى ان تتلى اعمال المجمع القسطنطيني الذي شجب اوطيخا ثم يصار الى تلاوة رسائل حبر رومة التي لم تُتلَ في المجمع قط فتليت اعمال المجمع ولما بلغ القاري الى تلاوة شهادة من كتب القديس كيرلس يقول فيها ان في المسيح طبيعتين نهض اوسطاثيوس اسقف بيروت فقال ان كيرلس

قال في محل آخر ان في المسيح طبيعة واحدة لئلا يكون قول كيرلس بيّنة لاوسابيوس ولما قرأ ان اوسابيوس اسقف دوريلا طلب من اوطيخا ان يعترف ان في المسيح طبيعتين صاح كثيرون من الاساقفة احرقوا اوسابيوس احرقوه حياً شقوا شطرين من قال ان في المسيح طبيعتين ولم يكتفِ ديوسقورس بهذا الهتاف بل طلب ان يحرم الاساقفة كل من يقول بطبيعتين فصاحوا فليكن محروماً وسألهم ان يبدي كل رأيه منفرداً فقال يوفينال بطريرك اورشليم ان اوطيخا صرح دائماً بانه متمسك بقانون المجمعين النيقوي والافسسي فمعتقده اذاً صحيح ويلزم ان يعود لتدبير ديره وقال دمنس بطريرك انطاكية انه صادق على رسالة مجمع قسطنطينية المتضمنة حرم نسطور ولكنه الان يرى رده الى مقامه لانه صرح باعتقاده ما رسم في المجمعين النيقوي والافسسي وتابعهم على ذلك اساقفة المجمع الا قصاد الحبر الروماني ورفع بعض رهبان اوطيخا عريضة الى المجمع يشكون فيها افلابيانس انه منعهم من مناولة الاسرار لمجرد محبتهم لاوطيخا فحلهم المجمع دون ان يسأل افلابيانس عن امرهم وهو في المجمع

ثم امر ديوسقورس ان يتلى ما رسم في المجمع الافسسي الاول في شان الايمان فتلي وكان هذا المجمع ينهى تحت عقوبة الحط والحرم من يؤلف او يستعمل دستوراً للايمان غير دستور المجمع النيقوي فقال ديوسقورس من حيث ان افلابيانس واوسابيوس اسقف دوريلا احدثا شيئاً خلافاً لنهي مجمع افسس الاول وكان عملهما معثرة في جميع الكنائس فنحكم عليهما بالحط والحرم فقال افلابيانس اني مستغيث من حكمك عليَّ فنهض كثير من الاساقفة وانطرحوا على ركب ديوسقورس سائلينه ان لا يقتحم هذا الامر الذي سيكون مستغرباً في العالم كله ولما رأى ديوسقورس تكاثر عدد الاساقفة الذين يأبون عزل افلابيانس صرخ اين الجنود فدخل مرخصو الملك وكتيبة من الجند الى الكنيسة وقد سل بعضهم

سيوفهم وشرع بعضهم عصيهم ولم يكن يسمع الا الهتاف حطوا اعزلوا انفوا كل من يخالف ديوسقورس ووقف هو على منبره ورفع يده قائلاً «كل من لم يوقع على الحكم فليعلم انه يضادني حذارِ من الخلاف» فروية الجنود وتهديد الرهبان المحدقين ببرصوما والخوف من العزل والنفي ارعب الاساقفة فوقعوا على عزل افلابيانس واوسابيوس على ورقة بيضاء ولم يبق الا قصاد البابا فهولاء اقاموا الحجة على هذا التعدي والجور واراد بعض الغلاة اجبارهم على التوقيع واهانتهم ففروا من المجمع وبعد ان اجرى ديوسقورس هذا الحكم الجائر على افلابيانس قد تسبب بموته فقد روى كثيرون من المؤرخين انه تقدم اليه ولطمه على وجهه ورفسه برجله فاقلبه وداس في بطنه ثم اقتاده الجند الى المنفى حيث مات في طريقه بعد ثلاثة ايام والمجمع الخلكيدوني يعزو موت افلابيانس الى ديوسقورس واما اوسابيوس فتمكن من الفرار ومضى الى رومة انتهى ملخصاً عن معجم المجامع المذكور

قد عثر في المتحف البريطاني على نسخة سريانية لاعمال مجمع افسس اللصي في عد ١٤٥٣٠ قديمة العهد قد اذاعها السيد باري مع ترجمتها الانكليزية في لندرة سنة ١٨٦٧ ثم نشرها العالم هفمان في اللغة الالمانية وعني الاب مرتين الافرنسي احد كهنة كنيسة القديسة جنفياف في باريس بترجمتها ونشرها في اللغة الافرنسية سنة ١٨٧٥ واضاف اليها مقالات وشروحاً طامية بالفوائد التاريخية والعلمية واهدى الينا نسخة من كتابه هذا على ان نسخة الاعمال المذكورة خلت من اعمال المجلس الاول الذي برّئ فيه اوطيخا وحكم فيه على القديس افلابيانس وجل ما انطوت عليه امر الملكين تاودوسيوس الثاني ووالنتيان الثالث بافتتاح المجمع وجعل ديوسقورس رئيساً فيه ثم حكم المجمع في مسألة ايهيبا اسقف الرها وعزله وعزل دانيال اسقف شار وايريناوس اسقف صور واكليتس اسقف جبيل ومحاكمته

صفرونيوس اسقف ثلة وعزل تودوريطس اسقف قورش وحكمه على دمنس بطريرك انطاكية وحل بعض الاكليريكيين من التأديبات المطلقة عليهم وشرح الحكم على دمنس المذكور وامر الملك تاودوسيوس في اثبات هذا المجمع ورسالة ديوسقورس العامة الى الاساقفة وقد استشهدنا بشيء من هذه الاعمال في كلامنا على بعض الاساقفة السوريين في هذا القرن

عد ٦٤٠

في المجمع الخلكيدوني العام

لما رأى القديس لاون الحبر الروماني انه لا بد من عقد مجمع مسكوني تلافياً للخلل في الايمان الذي احدثه مجمع افسس اللصي وللمعاثر التي وضعها سأل الملك تاودوسيوس الصغير ان يعنى بالتئام مجمع عام لازالة هذه الشؤون وادركت المنية في هذه الأثناء الملك المذكور وخلفته الملكة بلوشارية واختارت مرقيان للملك معها فكتب الملك والملكة الى البابا لاون يسألانه عقد مجمع وان يرأسه بنفسه ان امكن فاجابهما البابا برسالة في ٧ حزيران سنة ٤٥١ انه كان سأل الملك تاودوسيوس عقد هذا المجمع وان القلق السياسي الحاصل في المغرب لا يؤذن للاساقفة الغربيين بمزايلة كنائسهم الى ان اتفقا على عقد هذا المجمع في المشرق وكان البابا قد اوفد لوشنتيوس اسقف اسكولي وباسيليوس الكاهن الى اناطوليوس بطريرك قسطنطينية ليعاوناه على اعادة الاتحاد والسلم واردف معهما بسكاسينس اسقف ليبيا وبونيفاس كاهن الكنيسة الرومانية ليكون الاربعة قصاداً من قبله في المجمع ودفع الى بونيفاس مذكرة ترشدهم الى ما يتصرفون به في المجمع واوصاهم ان يتساهلوا مع من يرغب في اصلاح نفسه حقيقة وان ينبذوا ويعزلوا من اصر على ضلاله وان لا يتسامحوا في ان يكون ديوسقورس بين القضاة في المجمع بل يلزم ان يكون بين المشكوين وان يترأسوا هم على المجمع نيابةً عنه واجتمع الاساقفة

في خلكيدونية (قاضي كوي) في شهر ايلول سنة ٤٥١ وكان عددهم نحواً من ستمائة اسقف جميعهم من مملكة المشرق الا قصاد البابا واسقفين من افريقية وكان اول مجلس في ٨ تشرين الاول في كنيسة القديسة اوفيميا الشهيدة وكان هناك تسعة عشر شخصاً من كبراء دولة الملك مرقيان وما من قائل ان الملك شهد بنفسه هذا المجلس الاول ولكن لا شك في انه شهد المفاوضات السابقة له لانه ورد ان تاودوريطس اسقف قورش رفع اليه عريضة يبين له فيها ما قاساه من الجور والضغط عليه فامر ان يدخل المجمع ولا مراء ايضاً ان الملك شهد المجلس السادس

ولما التأم الاساقفة في المجلس تقدم بسكاسينس القاصد الى الوسط فقال للقضاة ان البابا لاون اسقف رومة رئيس الكنائس جمعاء امره ولسائر القصاد ان لا يلبثوا في المجمع اذا لم يخرج منه ديوسقورس فسأل القضاة هل من شكوى خاصة على ديوسقورس فاجاب القصاد انه يلزمه ان يبرئ ساحته من طائلة حكمه في افسس حيث جعل نفسه قاضياً وجسر ان يعقد مجمعاً خلافاً لسلطان الكرسي المقدس وهذا لم يسبقه اليه غيره ولم يكن مسموحاً به قال وليس لنا ان نخالف امر البابا ونتجاوز قوانين الكنيسة وبعد منازعات امر القضاة ديوسقورس ان يقوم في الوسط مقام مشكو او مدعى عليه ونهض اوسابيوس اسقف دوريلا وسأل ان تتلى عريضته التي رفعها الى الملك ميناً فيها جور ديوسقورس وضلاله وكان الملك ارسلها الى المجمع فامر القضاة بتلاوتها واجلسوا اوسابيوس في الوسط مجلس المدعي وكان من فحوى عريضته ان ديوسقورس نبذ الايمان الصحيح وايد بدعة اوطيخا وانه حكم على اوسابيوس حكماً جائراً في مجمع افسس وطلب ان تتلى اعمال هذا المجمع بياناً لصحة دعواه فوافقه ديوسقورس على هذا الطلب ولكن لما اخذ المسجلون يتلون هذه الاعمال طلب ديوسقورس ان يبحث المجمع

اولاً في الايمان فلم يعبأ القضاة بسؤاله فقرأوا رسالة الملك تاودوسيوس المؤذنة بفتح المجمع اللصي حيث كان ينهى عن حضور تاودوريطس فيه وكان القضاة قد ادخلوه في مجمع خلكيدونية بناء على امر الملك مرقيان فصاح الاساقفة المصريون المحازبون لديوسقورس اخرجوا كيرلس وتاودوريطس لحضورها ينافي قوانين الكنيسة وصاح مخالفوهم الاولى طرد ديوسقورس وهولاء القتلة فانهم اعداء الايمان وخصوم افلابيانس فقال القضاة ان يبقى تاودوريطس في المجمع في مقام شاكٍ فقام في الوسط بجانب اوسابيوس اسقف دوريلا واستؤنفت تلاوة اعمال المجمع اللصي فقال ديوسقورس انه لم ينفرد بالحكم فيه بل شاركه يوفينال بطريرك اورشليم وتلاسيوس اسقف قيصرية فان الملك كتب اليهما ما كتبه اليه فلم يلتفت الشرقيون لكلامه بل شكوه بما اجراه عليهم من العنف والضغط فقالوا هُدِّدنا بالنفي وضغط علينا الجنود بعصيهم وسيوفهم حتى وقعنا على ورقة بيضاء فاجابهم ديوسقورس ساخراً منهم كيف تسنى لكم ان توقعوا على مالم تستوضحوه وشكوه ايضاً بانه ابعد احد قصاد البابا عن المجمع ولم يشأ ان تتلى رسائل الحبر الروماني مع انه وعد ست مرات بان سيأمر بتلاوتها وسأل القضاة ديوسقورس عما يجيب فلم يكن منه الا المراوغة ونسبته بعض اعماله الى اليد مفوض الملك

وبعد الفراغ من تلاوة اعمال مجمع افسس قرأت اعمال مجمع قسطنطينية فاجمع الاساقفة على ان معتقدهم ان في المسيح اقنوماً واحداً ثم تلي تقرير قدمه اوسطاثيوس اسقف بيروت فكان من فحواه انه يلزم الاعتقاد ان في المسيح طبيعة واحدة لا طبيعتين فصاح الاساقفة هذا ما يقوله اوطيخا وديوسقورس فقال القضاة هل يتفق هذا مع قول القديس كيرلس في رسالته التي تليت في المجمع فقال اسقف بيروت ان كيرلس قال في كتاب آخر ما قاله هو وان افلابيانس قال قوله فقال له القضاة لِمَ عزلته اذاً عن منصبه وصرح مستقيمو

الراي باعتقادهم بان في المسيح طبيعتين فانتقل يوفينال بطريرك اورشليم من جهة ديوسقورس الى جهة قصاد البابا وحذا حذوهم اساقفة اخائيا ومكدونيـة والايير وكثيرون غيرهم ورأى ديوسقورس نفسه منفردًا فقال لي اسوة بالاباء الذين طردوا يعني اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس وقد اعتقـدوا ما اعتقدت ان في المسيح بعد التجسد طبيعة واحدة وكان المتحصل من تلاوة اعمال المجمع اللصي انه ظهر علانيةً الاعتساف والجور اللذان اجراهما ديوسقورس ليثبت ضلال اوطيخا ويعزل القديس افلابيانس وبانت للقضاة براءة هذا القديس الشهيـد واوسابيوس اسقف دوريلا وقالوا ان في عزمهم ان يحكموا على ديوسقورس بالعزل عن منصبه ويتبعوا به شركاءه في مجمع افسس اي يوفينال بطريرك اورشليم وتلاسيوس اسقف قيصرية واوسابيوس اسقف انكوره واوسطاتيوس اسقف بيروت وباسيليوس اسقف سلوقية فصاح الشرقيون ان هذا الحكم عادل ان يسوع المسيح يأمر بحط ديوسقورس وعزل القاتل ولم يقولوا شيئًا في الاخرين وارجأوا البحث في الايمان الى المجلس الاتي وسألوا الاساقفـة ان يدون كل منهم ما يراه في شأن المعتقد

وعقد المجلس الثاني في ١٠ تشرين الاول وطلب فيـه القضاة الى الاساقفة ان يقرروا حقيقة الايمان فاجابوا ان في دستور الايمان الذي وضع في مجمع نيقيـة غنى عن دستور حديث وان لزم زيادة شيء عليـه ردًا لبدعة اوطيخا ففي رسالة الحبر الروماني الى افلابيانس بيان كافٍ لذلك ووقعوا جميعًا على هذه الرسالة وهتف الاساقفة هذا هو معتقد الاباء هذا هو تعليم الرسل فليكن محرومًا من لم يعتقـد كذلك ان بطرس تكلم بفم لاون وارفض الاساقفة ثم عقـد المجلس الثالث في ١٣ تشرين الاول واستدعي ديوسقورس ثلثًا لتكملة محاكمته فابى تلبيـة الدعوة متمحلاً اعذارًا واهنة وقد تقدم حينئذٍ الى المجمع بعض اكليرسه في اسكندرية

يشكونه بجرائم فظيعة ولما يئس الآباء من جلبه الى المجمع حكموا عليه بالعزل عن مقامه الاسقفي وبالحط عن كل خدمة كهنوتية لظهور ما اجراه من الجور والاعتساف في مجمع افسس ولقبوله اوطيخا في شركته وقد حرمه اسقفه ولاصراره على الضلال الذي ايده في ذلك المجمع ولمنعه من تلاوة رسائل الحبر الروماني ووقع القصاد والاساقفة على هذا الحكم وبلغوه الى ديوسقورس واذاعوه في قسطنطينية وخلكيدونية ونفاه الملك الى كنكر في بفليغونيا حيث عاجلته المنية سنة ٤٥٤

وقد التأم الاساقفة في المجلس الرابع في ١٧ تشرين الاول وفيه سأل القضاة القصاد ما يرون في امر دستور الايمان فقال بسكاسينس ان المجمع يعتمد على الدستور الذي وضع في مجمعي نيقية وقسطنطينية وعلى ما شرحه القديس كيرلس في المجمع الافسسي وما كتبه القديس لاون دحضاً لبدعتي نسطور واوطيخا فقال الاساقفة كذلك نرى جميعاً وقدم مئة وخمسون اسقفاً ورقة متابعتهم على ذلك وصرح الباقون بمثل ذلك مشافهةً واغتنم بعض الاساقفة فرصة حصول هذا الاجتماع فسألوا القضاة في رد يوفنال ورفقائه المعزولين الى مناصبهم فتوقف القضاة عن مجاراتهم في ذلك الى ان يروا ما يحسن لدى الملك فقال اولئك الاساقفة ان الملك فوض الينا الحكم في كل شيء فرخص ليوفنال ورفقائه بالدخول الى المجمع فدخلوا وجلسوا في مصاف الاساقفة وفي هذا المجلس فصل الاساقفة الخلاف الذي كان بين فوتيوس اسقف صور واوسطاتيوس اسقف بيروت ذلك ان فوتيوس كان يدعي انه وحده متربوليط فونيقي الاولى ويشكو من ان اوسطاتيوس اسقف بيروت نال من الملك توادوسيوس الصغير بواسطة ديوسقورس امراً بان تكون بيروت مدينة متربوليطية وبقوته اتخذ الولاية على جبيل والبترون واطرابلس وارتوسيا وعرقا وطرطوس واخذ يرقي اساقفة فيها مع ان امر الملك

لا ذكر فيه لهذه التجزئة بل صنعها مجمع قسطنطينية سنة ٤٤٩ واراد اوسطاتيوس ان يؤجل بت هذا الخلاف فقال انه يلزم التوقيع على دستور الايمان قبل كل ما سواه وتليت صورة دعوى فوتيوس فسأله اوسطاتيوس كيف تريد حسم الخلاف ابحسب قانون الكنيسة ام بحسب الاوامر الملكية فاجابه بحسب قانون الكنيسة وقال القضاة ان الملك امر ان مشاغل الاساقفة تقضى بحسب دستور الكنيسة دون التفات الى غيره وعليه حكموا بناء على القانون الرابع من مجمع نيقية ان فوتيوس اسقف صور مسلط ان يرقي في جميع مدن فونيقي الاولى وان اوسطاتيوس لا يكسبه امر الملك حقاً على غيره من اساقفتها وان الاساقفة الذين رقاهم فوتيوس وعزلهم اوسطاتيوس يردون الى مناصبهم ولم يقل المجمع شيئاً في شأن من رقاهم اسطاتيوس

وعقد المجلس الخامس في ٢٢ تشرين الاول ودار الكلام فيه على وضع دستور للايمان وكان خلاف على وضع بعض عبارات فيه واجمع الآباء على تفويض اثنين وعشرين اسقفاً لانشأ هذا الدستور فاجتمعوا مع القضاة في معبد فوضعوا الدستور الاتي ذكره ملخصاً . فذكروا اولاً الدستور الذي وضع في مجمعي نيقية وقسطنطينية ثم قالوا ان هذا الدستور كافٍ لمعرفة حقيقة الايمان على ان اعداء الحق ادخلوا عليه بعض عبارات بعضهم لانكارهم سر التجسد وتسمية مريم العذراء ام الله وبعضهم لاثبات زعمهم انه لم يكن في المخلص للجسد واللاهوت الا طبيعة واحدة وان الطبيعة الالهية في ابن الله خاضعة للالام والموت ولهذا اراد آباء هذا المجمع المسكوني اصلاحاً لهذا الخلل ان يعلنوا اولاً ان الدستور الذي وضع في مجمع نيقية يستمر مرعياً سالماً ومثله ما رسمه المجمع القسطنطيني في شأن الاعتقاد بلاهوت روح القدس واما في عقيدة سر التجسد فهذا المجمع يعتمد على رسالتي القديس كيرلس الى نسطور والى الشرقيين فانهما داحضتان ضلال نسطور

ومفسرتان لمعنى الدستور الحقيقي وكذلك يعتمد على رسالة الحبر الروماني القديس لاون الى افلابياذس في تفنيد ضلال اوطيخا وعليه فنحكم باجماع الآراء ان سيدنا يسوع المسيح هو واحد كامل في اللاهوت وكامل في الناسوت اله حقاً وانسان حقاً ذو نفس ناطقة وجسد وهو مساوٍ لابيه جوهراً بحسب اللاهوت ومساوٍ لنا جوهراً بحسب الناسوت ما عدا الخطية مولود من الآب قبل كل الدهور من حيث اللاهوت ومولود في الزمان من العذراء ام الله من حيث الناسوت وهو مسيح واحد وابن وحيد لله ذو طبيعتين دون اختلاط ولا تغيير ولا تقسم ولا انفصال ودون ان يزيل الاتحاد الفرق بين الطبيعتين بل حفظت كل طبيعة خواصها الجوهرية مجتمعتين في اقنوم واحد ، ونهى المجمع عن ان يعلم احد ايًا كان ما يخالف هذا الدستور ومن خالف ان كان اسقفاً او اكليريكياً فيعزل عن منصبه وان راهباً او عالمياً فيكون محروماً وتلي هذا الدستور في المجمع فاثبته الاساقفة جميعاً

وفي ٢٥ من تشرين الاول بينما الاساقفة مجتمعون في المجلس السادس اقبل الملك مرقيان يحف به القضاة وحاشيته فخطب في الاساقفة باللاتينية لغة المملكة ثم باليونانية مبيناً انه لم يكن له نية بدعوتهم الى المجمع الا المحافظة على الايمان وانه لم يرد ان يشهد المجمع اقتداء بالملك قسطنطين الا تأييدًا للايمان لا لمباشرة شيء من سلطته ثم تلي بحضرته دستور الايمان الذي انشيء في المجلس السابق ووقع عليه ثلث مئة وخمسون اسقفاً في مقدمتهم قصاد البابا وقال الملك كل من يجاهر من الان فصاعدًا بخلاف مس عقائد الايمان ينفى من قسطنطينية وان كان ذا منصب روحي او عالمي يعزل عن منصبه فشكر له المجمع هذا الامر واقترح عليهم بعض قوانين مدارها حفظ نظام الاكليريكيين اليعي والمدني ومجانبة المعاثر في تصرفهم فوضعها الاساقفة واثبتوها باتفاق الكلمة ٠ وفي ٢٦ من

الشهر المذكور عقد المجمع المجالس السابع والثامن والتاسع ففي المجلس السابع
أثبتوا الاتفاق الذي حصل بين مكسيمس بطريرك انطاكية ويوفينال بطريرك
اورشليم على ان فونيقي الاولى والعربية تستمران تحت ولاية بطريرك انطاكية
واعمال فلسطين الثلاث اي اليهودية والسامرة والجليل تستمر تحت ولاية بطريرك
اورشليم . وفي المجلس الثامن رد توادوريطس الى اسقفيته بعد ان حرم نسطور
ونبذ ضلاله ووقع على دستور هذا المجمع وكان قد وقع على رسالة البابا لاون
الى افلابيانس . وفي التاسع سأل ايهيبا اسقف الرها ان يلغي المجمع الحكم
الغيابي الذي اصدره عليه مجمع افسس اللصي وان يرد الى كرسيه فتلي الحكم
الذي اصدره فوتيوس اسقف صور واسطاتيوس اسقف بيروت في ٢٥ شباط
سنة ٤٤٨ في صور وظهر منه ان ايهيبا صرح بايمانه الصحيح وغفر لمن شكوه وفي
المجلس العاشر الذي عقد في ٢٧ تشرين الاول تليت اعمال المجمع الذي عقد في
بيروت في ١ ايلول سنة ٤٤٨ فظهر منها ان ايهيبا سقطت عنه الدعوى وحكم بعوده الى
كرسيه وطلب القضاة ان يتلى ما كتب في مجمع افسس عليه فعارض قصاد
البابا هذه التلاوة لان الحبر الروماني النى وابطل كل ما كتب في هذا المجمع الا
ترقية مكسيمس اسقفاً على انطاكية لان البابا قبله في شركته وارتأوا ان في ما
قرأوه من البينات ما هو كاف لرد ايهيبا الى مقامه فطلب القضاة ان يحرم ايهيبا نسطور
واوطيخا فحرمهما للحال واجمع الآباء على رده الى كرسيه . وعقد المجلس الحادي
عشر في ٢٩ تشرين الاول والثاني عشر والثالث عشر في ٣٠ منه ونظر الاساقفة
في هذه المجالس باختلافات كانت بين باسيان واسطفانس اسقفي افسس وبين
اونوميوس اسقف نيكومديا وانسطاس اسقف نيقية نضرب عن ذكرها خشية
من ملل المطالع السوري . واما المجلس الرابع عشر الذي عقد في ٣١ من تشرين
الاول فحص فيه عن دعوى سابنيان اسقف البارة (في شمالي سورية) ذلك ان

سابنيان كان اساقفة اقليمه رقوه الى اسقفية البارة عوضاً عن اثناسيوس الذي عزل عن هذا الكرسي لجرائم فظيعة ثم رده مجمع افسس اللصي اليه وطرد سابنيان فدافع اثناسيوس عن نفسه بان دعواه حكم بها القديس كيرلس والقديس بروكاس بطريرك قسطنطينية ولكن بعد موت كيرلس استدعاه دمنس بطريرك انطاكية ليحضر الى مجمع في انطاكية لفحص دعواه فلم يحضر لان دمنس كان عدوًا له وتليت اعمال مجمع انطاكية في هذه الدعوى وسأل القضاة هل لم يكن احد من الاساقفة الحاضرين في خلكيدونية وقتئذٍ شاهدًا مجمع انطاكية فقال تاودورس اسقف دمشق وستة اساقفة اخرون انهم شهدوا مجمع انطاكيـة وان اثناسيوس دعي ثلثاً فلم يلبِّ الدعوة فحكم القضاة بان الحكم على اثناسيوس بالعزل كان عادلاً وان يبقى سابنيان على كرسيه والغوا حكم مجمع افسس عليه بالعزل وابطلوا حكمه لاثناسيوس بالعود الى كرسي البارة وعهدوا الى مكسيمس بطريرك انطاكية ان يدقق في هذه الدعوى في مدة ثمانية اشهر فاذا تحقق ان اثناسيوس ارتكب ولو جريمة واحدة مما شكي به لا يحط فقط عن الاسقفية بل يجزى بحسب الشريعة واذا مضت ثمانية اشهر ولم تلاحق الدعوى او لم يثبت جرم عليـه فيعود الى كرسيه ويكون سابنيان معاوناً له بجعل لا يتجاوز تحمل كنيسة البارة واثبت المجمع هذا الحكم

وعند نهاية هذا المجلس طلب بعضهم ان ينظر في دعوى تتعلق بالكرسي القسطنطيني فقال القصاد ان البابا لم يأمرهم بشيء من ذلك وقال القضـاة ان المجمع لا ينظر في شيء خلوًا من القصاد وخرج القصاد والقضاة من المجمع فوضع من بقي فيه من الاساقفة قانوناً مفاده ان اسقف قسطنطينية التي اصبحت رومة حديثة يكون له التقدم في الجلوس على جميع الاساقفـة الا اسقف رومة وان تنبسط ولايته على متربوليطية بنطس واسيا الصغرى وتراسة فلم تسلم الكنيسة

الرومانية بهذا القانون الا في مبادي القرن الثالث عشر في المجمع اللاتراني الرابع في ايام البابا اينوشنسيوس الثالث ووضع المجمع الخلكيدوني في مجالسه المذكورة سبعة وعشرين قانوناً وزيد عليها القانون الثامن والعشرون وهو الذي نوهنا به هنا انتهى ملخصاً عن معجم المجامع المذكور

عد ٦٤١

في المجامع الخاصه التي عقدت في سورية في هذا القرن

عقد في اورشليم في هذا القرن مجمعان الاول سنة ٤١٥ ويظهر انه لم يكن فيه من الاساقفة الا يوحنا اسقف اورشليم وكان في جملة الكهنة الذين شهدوه اوروز المار ذكره مرسلاً من القديس اغوسطينس الى القديس ايرونيمس للمذاكرة في بدعة بيلاجيوس الذي كان اتى الى فلسطين يبث ضلاله كما مرّ فاستدعي بيلاجيوس ودخل المجمع فشكاه اوروز بانه علّم ان الانسان يستطيع ان يكون دون خطية ويسر له حفظ وصايا الله ان اراد فلم ينكر بيلاجيوس انه علّم ويعلم كذلك فقال اوروز ان هذا الا الضلال الذي حرمه مجمع افريقية ونبذه اغوسطينس مشمئزًا ودحضه ايرونيمس في رسالة الى قطسفون فطاب يوحنا البطريرك ان اوروز ومن مالأه يدعون دعوى رسمية على بيلاجيوس ويفحمونه امامه بضلاله فقالوا يكفينا ان نبين ان هذا الضلال مخالف للايمان القويم ولتعليم آباء الكنيسة ولسنا قضاة في هذا الامر بل من ابناء الكنيسة المتعلمين لا المعلمين وكان يوحنا يجنح الى تبرئة بيلاجيوس لولا معارضة اوروز واتفقا اخيرًا على ان يرفعا الدعوى الى البابا اينوشنسيوس وينتظرا حكمه وامر البطريرك بيلاجيوس بالصمت عن بث تعليمه وامر خصومه ان لا يعتدوه مبدعاً قبل حكم الحبر الروماني وانتهى المجمع

اما المجمع الثاني فعقد سنة ٤٥٣ ورأسه يوفينال بطريرك اورشليم وشهده

اساقفة فلسطين وكان الداعي لعقده ان راهباً اسمه توادوسيوس حرّش بين رهبان فلسطين وحملهم على التشيع لاوطيخا وعلى انتخابه بطريركاً على اورشليم قبل عودة يوفنال من المجمع الخلكيدوني فحط هذا المجمع توادوسيوس عن المقام الذي غصبه وكتب رسالة مجمعية الى الكهنة ورؤساء الاديار ورهبان فلسطين يفند بها تهم توادوسيوس للمجمع الخلكيدوني ويبينون عدالة هذا المجمع بحكمه على اوطيخا

وعقد في ديوسبولي وهي اللد مجمع في ٢٠ كانون الاول سنة ٤١٥ بدعوى يلاجيوس ايضاً شهده اربعة عشر اسقفاً من فلسطين وفي مقدمتهم الوجيوس اسقف قيصرية واتفق ان كان هناك وقتئذٍ اسقفان من افرنسة وهما اروس اسقف ارل ولازار اسقف اكس فرفعا اليه مذكرة في الاضاليل التي بثها يلاجيوس وتلميذه شلستيوس في كتبهما على ان احد الاسقفين الافرنسيين دهمه مرض عضال فلم يتمكنا ان يشهدا المجمع فكر يلاجيوس بباقي الاساقفة وراغ وموّه حتى ظنوه لا يخالف الايمان الصحيح بشيء ولا سيما ان تلك المذكرة كانت باللغة اللاتينية وهم لا يفهمونها ويلاجيوس يحسن الكلام باليونانية واقر بفمه ما كان يجحده بقلبه فانخدع اولئك الاساقفة بانه كاثوليكي مستقيم الايمان وقبلوه في شركتهم ولكنهم حرموا الاضاليل التي كان يتبرأ منها ولهذا قال القديس اغوسطينس (في كتابه في اعمال يلاجيوس) « ان اساقفة هذا المجمع برأوا رجلاً كان ينكر البدعة ولكنهم حرموا البدعة التي كان يبثها »

وعقد في انطاكية في هذا القرن تسعة مجامع الاول سنة ٤١٨ والاظهر سنة ٤٢٤ عقده تاودوتس اسقف انطاكية تفنيد ضلال يلاجيوس ولا يعلم علماً اكيداً افي سنة ٤١٨ كان عقده كما روى منسي ام في سنة ٤٢٤ كما في مجموعة المجامع للباي وايد هذا القول الاخير باجيوس وغيره ممن قالوا ان تاودوتس لم

ترق الى كرسي انطاكية الا في سنة ٤٢٠ او سنة ٤٢١ بعد وفاة اسكندر سالفه التي كانت سنة ٤٢٠ كما في المشرق المسيحي للكويان (مجلد ٢ صفحة ٦٧٩)

والثاني عقده سنة ٤٣١ او سنة ٤٣٢ يوحنا بطريرك هذه المدينة وتوادوريطس وغيرهما من اساقفة بطريركية انطاكيـة وحكموا فيه مرة اخرى بعزل القديس كيرلس الاسكندري ومنعوا رابولا اسقف الرهأ من شركتهم وحظروا على اساقفة اقليمه الاشتراك معه الى ان يحكم بالدعوى عليه حكماً قانونياً فان رابولا كان محازباً يوحنا المذكور ثم خالفه وتابع كيرلس الاسكندري على تعليمه وكتب الاساقفة الى الملك ان الاكليرس والشعب الانطاكي مستمسكون برسوم المجمع النيقوي ويشمئزون من حروم كيرلس ويسألونه ان يؤيد تعليمهم الصحيح. والثالث عقد سنة ٤٣٥ او سنة ٤٣٦ ورأسه يوحنا الانطاكي وكان الغرض منه الانتصار لتوادودس اسقف المصيصة اذ ارسل بروكلس بطريرك قسطنطينية الى يوحنا بطريرك انطاكية كتاباً يندد فيه بتوادودس المذكور وكتب الاساقفة المجتمعون ثلث رسائل احداها الى الملك توادوسيوس والثانية الى القديس كيرلس الاسكندري والثالثة الى بروكلس بطريرك قسطنطينية يدافعون بها عن توادودس المذكور والمجمع الرابع عقد سنة ٤٤٠ لداعي ان بعض الرهبان من ارمينيا رفعوا ملخصاً من كتب توادودس الى بطريرك قسطنطينية ونشأ عن ذلك قلق في الشعب فكتب بطريرك قسطنطينية الى يوحنا الانطاكي فعقد هذا المجمع قال منسي الى هذا المجمع الاخير تعزى الرسائل الثلث المنوه بها وقد اسند منسي قوله الى كتاب ليباراتس شماس قرطاجنة الموسوم بوجز تاريخ النساطرة والاوطاخيين والخامس التئم سنة ٤٤٥ فان دمنس بطريرك انطاكية دعا كثيرين من اساقفته للنظر في الدعوى على اثناسيوس اسقف البارة في شمالي سورية بجرائم عديدة ودعي هو فلم يأتِ ليبرئ نفسه فحكم المجمع عليه بالعزل عن كرسيه واقيم مكانه سابينيان

على ان ديوسقورس اعاد أثناسيوس الى منصبه في مجمع افسس اللصي سنة ٤٤٩ فرفع سابينيان دعواه الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ فقضى بها في المجلس ١٤ كما رأيت في العدد السابق

والسادس عقد في انطاكية سنة ٤٤٨ بعد الفصح فان بعض كهنة الرها شكوا اسقفهم ايهيبا المار ذكره مرات انه يؤيد ضلال نسطور واوردوا عليه شكاوى اخرى عديدة فجمع دمنس بطريرك انطاكية بعض اساقفته واخذ في سماع الدعوى على ان الكهنة الشاكين توهموا ان دمنس تحمله محبته لايهيبا ان لا يقضي لهم عليه فمضى بعضهم الى قسطنطينية ورفعوا الدعوى الى الملك تاودوسيوس وافلابيانس البطريرك فعهد الملك والبطريرك بسماع الدعوى الى فوتيوس اسقف صور واسطاثيوس اسقف بيروت كما سترى في الكلام على مجمع صور وبيروت والمجمع السابع الانطاكي عقد سنة ٤٧٢ اجتمع فيه بعض الاساقفة الكاثوليكيون وعزلوا بطرس القصار الذي كان قد غصب الكرسي الانطاكي سنة ٤٧١ وكان قد عقد مجمعاً وزاد فيه على التريصاجيون (اي قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت) « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » تمكيناً لضلال اوطيخا انه ليس في المسيح الا طبيعة واحدة وهذه الزيادة مشعرة واضحاً بان الثالوث الاقدس صلب نعوذ بالله من هذا الكفر . والمجمع الثامن عقد سنة ٤٧٨ امر بعقده زينون الملك فاثبت الاساقفة المجتمعون ما رسمه المجمع الخلكيدوني وحرموا بطرس القصار ونفاه الملك واقاموا مكانه رجلاً فاضلاً اسمه اسطفانس على انه لم يعش الا قليلاً ومضى الى لقاء ربه فانتخبوا للكرسي الانطاكي بطريركاً آخر سمي اسطفانس ايضاً . والتاسع عقد سنة ٤٨٢ فان الاوطاخيين قتلوا البطريرك اسطفانس المذكور تلك السنة فكلف الملك زينون اكاشيوس بطريرك قسطنطينية ان يختار خلفاً له فاختار كالنديون ورقاه الى الاسقفية ولكن اجتمع الاساقفة في انطاكية

فرقوا الى كرسيها يوحنا كندوناتس واتى كالنديون الى انطاكية واثبت صحة ترقيته امام مجمع من الاساقفة واتفق معهم ان يكتب الى البابا سمبليشس فصحح الحبر الروماني ترقيته واقام كالنديون كندوناتس مزاحمة متريبوليطاً على صور ترضية له

وحقد بجمع في صور وبيروت سنة ٤٤٨ فقد مرَّ بك ان بعض كهنة الرها شكوا اسقفهم ايهيبا انه مغوي بغواية نسطور وبعد ان اقيمت الدعوى عند دمنس بطريرك انطاكية لجأ بعض الشاكين الى الملك تواودسيوس وافلابيانس بطريرك قسطنطينية فعهدا بسماع الدعوى الى فوتيوس اسقف صور واسطاتيوس اسقف بيروت وكان معهما اورانيوس احد اساقفة ايهيبا وكان الشاكون يروون عن ايهيبا من الضلال ما خشي فوتيوس ان يكون معثرة لشعبه في صور فنقل المجمع الى بيروت وبرأ ايهيبا ساحته من الضلال وسعى القضاة بالصلح بينه وبين خصومه ورأوا ان الفريقين يجنحان اليه فعادوا الى صور وهناك وقعوا على الحكم ببراءته وصك الصلح بينه وبين خصومه طالع ما مرَّ بك في عدد ٦٢٠ وعد ٦٣٣ وعد ٦٤٠

ملحق
في
تاريخ الموارنة

قد عزمنا ان نلحق بتاريخ هذا القرن الخامس وما يليه تاريخ طائفتنا المارونية فنفرد في اخر تاريخ كل قرن ملحقاً نتكلم فيه في تاريخها الديني والدنيوي بقدر ما تمكننا الحال من التوصل الى معرفته على بعدنا من كنوز المعارف التي احرزتها المكاتب والمتاحف الاوربية حتى اذا اتاح الله لنا انجاز اجزاء هذا التاريخ تيسر ان يؤخذ عنه تاريخ وافٍ لهذه الطائفة يعلم منه ما كانت عليه من حين نشأتها منفصلة عن غيرها من الطوائف الى اليوم وما تقلب عليها من الاحوال ومن كان بطاركتها واساقفتها وعلماؤها وحكامها الى غير ذلك من اخبارها . وما الموارنة الا جماعة من السريان السوريين دانوا بالدين المسيحي مذ كان في مهده واستمروا متشبثين بعرى الدين الكاثوليكي لدى ثوران عواصف البدع في سورية بارشاد القديس مارون ورهبانه الافاضل ولذلك نفتتح تاريخهم بذكر القديس مارون الذي يعتبر اباً لهذه الطائفة وقد اتخذته شفيعاً

عد ٦٤٢
في القديس مارون الناسك

نروي خبر القديس مارون عن تاودوريطس اسقف قورش الذي كان معاصراً ومجاوراً له ولا يبعد ان يكون عشيراً له فان تاودوريطس قال في مقدمة كتابه في النساك حيث تكلم في القديس مارون . وكان يلذ لي ان اطوف في براري قورش وانعم عيناً بهذه الازهار العجيبة التي يزري عرفها بافخر الطيوب ، ومن المؤكد ان تاودوريطس رقي الى كرسي اسقفية قورش سنة ٤٢٣ والقديس مارون

كان كاهناً في اوائل القرن الخامس كما يظهر من رسالة فم الذهب اليه من منفاه وسنأتي على ترجمتها وفم الذهب توفي سنة ٤٠٧ واذا كان القديس مارون لقي ربه نحو سنة ٤٣٣ على قول بعضهم فيكون عاشر تاودوريطس اسقفاً وان كانت وفاته سنة ٤١٠ على قول اخرين فيكون عاشره كاهناً . فشهادة تاودوريطس للقديس مارون اذاً لا مرد لها ولا معترض عليها لانهما كانا في عصر واحد وبلد واحد وتاودوريطس ثقة واليك ترجمة ما قاله في كتابه في النساك فصل ١٦

« سيلي ان اذكر بعد هذا (اي شبسيماس) مارون فان هذا ايضاً جمل عقد القديسين الالهي فانه عزم ان يصرف حياته في البرية لا يأوي منزلاً فتسلق الى قمة جبل (في قورش) وكان هناك هيكل للوثنيين يعبدون فيه الابالس فكرسه لله وكان يتردد اليه ونصب لنفسه مظلة حقيرة قل ما اوى اليها وكان يجهد نفسه في الاعمال اليدوية التي اعتادها النساك بل استنبط زيادة عليها حاشداً ثروة الحكمة واثقاً بان المجاهد يزداد نعمة ما ازداد عملاً فمن عليه الله الجواد بموهبة شفاء الامراض سابغة حتى ذاعت شهرته في كل قطر واستأتت اليه الزائرين من كل فج فكان يحقق خبرهم الخبر وكنت ترى الحمى تزول بطل بركته والابالس ينهزمون من الممسوسين والمبتلين باي نوع كان من المرض يشفون بعلاج واحد فللاطباء في كل داء دواء واما القديسون فلهم دواء واحد في كل الادواء وهو الصلاة ولم يكن يشفي الامراض الجسدية فقط بل كان يبرىء ايضاً النفوس المعتلة فيشفي هذا من داء البخل وذاك من مرض الغضب معلماً هذا القناعة وشارحاً لذاك وصايا العدل والبر حاثاً البعض على العفاف والطهارة ومحرضاً غيرهم على الدعة والتواضع وقد انكب على الحراثة الروحية فغرست يداه اغراساً كثيرة مونعة فيها ثمار الحكمة وهذه الجنة المخضلة المزهرة الان في قورش انما هي لله من صنع يديه ومن ثمار هذه الحراثة يعقوب الكبير (يريد يعقوب تلميذ مارون

الاتي ذكره) الذي حق له ان يخص به القول النبوي « الصديق كالنخل يزهر ومثل ارز لبنان ينمي » وغيره ممن سنأتي على ذكر كل منهم ان شاء الله وبينما كان منصباً على هذه الحراثة في كرم الرب شافياً النفوس والاجساد دهمه مرض خفيف فقضى به منتقلاً الى ربه فكان نزاع شديد بين مجاوريه على جثته ولما كان اهل البلد الاقرب اليه اكثر عدداً وقد اتوا جميعهم هزموا الباقين واختطفوا هذا الكنز النفيس وبنوا له هيكلاً عظيماً ويتفعون الى اليوم بمعونته ويكرمون هذا البطل الظافر بحفلات عامة واما نحن فنغنم ببركاته وان كنا بعيدين عنه ويغنينا ذكره عن قرب ضريحه الينا » انتهى مترجماً عن كتاب توادوريطس في النساك الموسوم بالتاريخ الديني عن طبعة الاب مين (مجلد ٨٢ من مكتبة الاباء الشرقيين)

وكان القديس مارون صديقاً صدقاً للقديس يوحنا فم الذهب يجمعهما ولاء مستديم وحب قديم تدل على ذلك رسالة كتبها اليه فم الذهب في منفاه وهي السادسة والثلاثون من رسائله التي نشرها الاب مين (في المجلد ٥٢ من مكتبة الآباء الشرقيين) واليك ترجمتها بما امكن من الدقة

« الى مارون الكاهن الراهب

اما بعد فان علاقات المودة والمعروف التي تضمنا اليك تجعل ابصارنا شاخصة اليك كانك قائم هنا فان بواصر المحبة من طبعها ان لا يحجبها بعد المسافات ولا يوهنها طول الزمان وكان في ودنا ان تكون مكاتباتنا اليك متتالية ولكن يحول دون ذلك مشقة الاسفار وندور المسافرين والان نهدي اليك طيب السلام ونسألك ان تتيقن اننا نذكرك كل حين وان لك في فؤادنا منزلة اينما حللنا فاهتم انت اذا بان تواتر الينا انباء عافيتك فان اخبار صحتك على بعدنا بالجسد تولينا عظيم السرور وتخولنا تعزية كبرى في غربتنا ووحدتنا ويلذ لنا كثيراً ان نعلم انك متعافٍ وجل

ما نسألك اياه ان تصلي وتبتهل لله من اجلنا ٠

وهذه الرسالة لم تكن مؤرخة ولكن لا بد من انها كتبت في احدى السنين من سنة ٤٠٤ الى سنة ٤٠٧ التي كان فيها فم الذهب في المنفى وقد انبأنا العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني (في كلامه في تاريخ الموارنة على القديس مارون) ان هذا القديس لم يقتصر على الامانات والتقشف والعكوف على الصلوات وهو منتصب على قدميه بل باشر اعمال الرسالة فانه كان يجول احياناً متعهداً النساك والمجاهدين حاضاً لهم على تحمل مشاق سيرتهم وعلى التقدم في الكمال والحكمة الروحانية ويطوف في القرى والمدن مستميلاً الكفرة والائمة الى سواء السبيل حاثاً المؤمنين على مجانبة الرذائل والجد في السير في طريق الفضيلة داعياً الموسرين الى مباشرة اعمال الرحمة معزياً البائسين الى غير ذلك من اعمال الرسالة

اما سنة وفاة القديس مارون فلم يذكرها تاودوريطس ولم نعثر في كتب القدماء على ما يعينها والذي رواه العلامة البطريرك بولس مسعد (في كتابه الدر المنظوم صفحة ١٣١) انه لقي ربه سنة ٤١٠ وجاء في المعجم التاريخي الجغرافي لبويليا (في طبعته الحادية والثلاثين التي صححها وهذبها عمدة من العلماء) ٠ القديس مارون ناسك ورع كان في سورية في القرن الخامس رقي الى درجة الكهنوت سنة ٤٠٥ وادركته الوفاة سنة ٤٣٣ وقد نسك على جبل قريب من قورش واستدعى اليه جمعاً كبيراً من التلامذة فانشأوا اديارًا عديدة ويعيد لذكره في ٩ و١٤ شباط ٠ وحبذا لو كان مؤلف هذا المعجم او مصححوه انبأونا عمن من القدماء اخذوا رواية تاريخهم لترقي القديس مارون الى الكهنوت ولوفاته اما المعبد الذي اقيم على ضريحه ثم صار ديرًا لرهبانه فلم يذكر تاودوريطس محله ولا اسم البلد الذي اهله اختطف جثة القديس مارون لان ذلك كان معلوماً عند ذلك الجيل والذي عليه

المحققون ان المعبد والدير كانا على شاطي العاصي بين حماه وحمص كما حقق السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة٤٩٧) مفسراً كلام توادوريطس ومستشهداً باجيوس (في تاريخ سنة ٤٠٠ عد ١٩) الذي قال « ان هذا الدير نزله الجميع منزلة اول الاديار في سورية الثانية كما يتبين من اعمال المجمع الخامس المسكوني الذي شهده بولس الشماس ويوحنا الكاهن ووقعا على رسائل رهبان ذلك الاقليم الى يوستيانس الملك والى منّا بطريرك قسطنطينية بمنزلة نواب دير القديس مارون اول اديار سورية الثانية »

وقد اخذ المؤمنون يعيدون للقديس مارون بعد وفاته كل سنة بحفلات عامة كما رأيت في كلام توادوريطس وتعيد الكنيسة الرومانية له في ١٤ شباط ومثل ذلك كنيسة الروم وتسميه مارونيوس بحسب صيغة نهاية الاسماء اليونانيـة وكان الموارنة قديماً يعيدون له في الخامس من كانون الثاني وهو اليوم الذي كرس فيه القديس يوحنا مارون كنيسة دير كفرحي باسمه في اواخر القرن السابع قال العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي (في تاريخ الموارنة) تشهد للتعيـد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني نسخ الشحيم المخطوطة احداها خطها الشماس الياس بن داود من بلاد اطرابلس سنة ١٨٠٥ يونانية توافق سنة ١٤٩٤م واخرى خطها جرجس البردوط ابن يوحنا بن بشاره التحومي سنة ١٥٣٣ في قبرس بقرية قرباسيـة وكان الموارنة يعيدون للقديس يوحنا مارون البطريرك في ٩ من شباط وصاروا يحتفلون لذكر القديسين مارون ويوحنا مارون في يوم واحد كما يظهر من فهرست اعيادنا المطبوع في رومة مرات وفي سنة ١٧٨٧ نقل البطريرك يوسف اسطفان عيد القديس يوحنا مارون الى الثاني من اذار واستمر عيـد القديس مارون في ٩ من شباط الى اليوم (ملخص عن الدر المنظوم وتاريخ الاهدني)

واما الاديار التي بنيت على اسم القديس مارون فكثيرة منها الدير المذكور

الذي بني في محل مدفنه بين حماه وحمص بالرستن ويقال انه كان فيه ثمانمائة راهب وكان يسمى دير البلور ومنها دير قريب من مخرج نهر العاصي ويسميه ابو الفدا مغارة الراهب وقد نقرت مخادعه كلها في صخرة صماء ومنها دير على مقربة من دمشق قال الدويهي فيه قد استدللنا برسومه واطلاله الباقية الى الان على عظمته وحسن رونقه وقد ذكره ابن الحريري المؤرخ في كلامه على الملك الحاكم بامر الله في تاريخ سنة ٣٨٦ للهجرة الموافقة لسنة ٩٩٥ م حيث قال ، ان الملك كان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهر يزيد وتورا وقيل هي فوق نهر يزيد قرب دير مارون ، ومن اديارة الشهيرة دير بناه القديس يوحنا مارون في بلاد البترون في شرقي قرية كفرحي فان هذا البطريرك لما فر من وجه جيش يوستنيانس الاخرم سنة ٦٩٤ سار على ما قيل من انطاكية الى دير الرستن فاخذ هامة القديس مارون ولما استقر في كفرحي بنى هيكلاً وديراً على اسم القديس مارون ووضع هامه هنالك وسمي ذلك الدير ريش مارو ܪܫܐ ܕܡܪܘܢ اي راس مارون او ܪܫܐ ܕܡܪܢ (ريش مارن) اي راس سيدنا وامر ان يعيد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني كما مرَّ ذكراً لنقل هامته الى هذا الدير

قال العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) روى لودوفيكس بن يعقوب في كتاب له جمع فيه تراجم القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينته فوليذو بايطاليا انه في سنة ١١٣٠ قدم الشام احد رهبان القديس مبارك وطاف في الاماكن المقدسة وبعد ان اتم زيارته جال في لبنان وظفر بهامة القديس مارون ففرح بها فرحاً عظيماً واخذها الى وطنه وطفق يخبر الشعب بفضائل هذا القديس وبالمعجزات التي اجراها الله على يده والامة المنتمية اليه فبنى له اهل فولينو كنيسة ووضعوا فيها هامة القديس مارون في ١٨ آب فانتشر ذكره في تلك الاصقاع وكثر عداد من يحجون الى كنيسته وفرضوا عيداً سنوياً له ومنح احد

الاحبار الرومانيين غفران مئتي يوم لمن زار كنيسته يوم عيده . ثم ان لوقا اسقف فولينيو نقل سنة ١١٩٤ راس القديس مارون من هذه الكنيسة الى كنيسة الاسقفية وعمل له المؤمنون صواناً من فضة ويعيدون له كل سنة في العاشر من اذار ويطوفون به امام الشعب بالتجلة والاحتفاء

هذا ما رواه العلامة الدويهي ونقله عنه العلامة البطريرك بولس مسعد وقد تسنى لي مدة اقامتي في رومة سنة ١٨٨٧ ان قابلت اسقف فولينيو وحدثته في هذا الشان فحقق لي ان التقليد عندهم ينطبق على ما رويته وانه ما برح في كنيستهم شيء من هامة القديس مارون يعطون منه المؤمنين ذخائر فسألته ان يتحفني بشيء منها فاهدى اليّ خمساً منها فكنت له شاكرًا لهدية اثمن عندي من الذهب والجواهر

وقد تعطف الحبر الاعظم الروماني البابا اكليمنضس الثاني عشر ومنح في براءته المؤرخة في ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤ وفي براءة اخرى مؤرخة في ٢١ كانون الثاني سنة ١٧٤٠ غفراناً كاملاً يغنمه من اعترف بخطاياه وتناول القربان الاقدس وزار احدى كنائس الرهبان او الراهبات اللبنانيين او رهبان القديس اشعيا في ٩ شباط الذي يعيد به الموارنة للقديس مارون ثم عمم العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر في براءته المؤرخة في ١٢ آب سنة ١٧٤٤ هذا الغفران الكامل لكل من يزور اية كنيسة كانت من كنائس الطائفة المارونية المبنية وقتئذٍ والتي سوف تبنى يوم عيد القديس مارون في ٩ شباط ومن شاء الاطلاع على هذه البراءة فليراجعها في كتاب الدر المنظوم للمثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٣٢

عد ٦٤٣

في تلامذة القديس مارون

قد اشار تاودوريطس في كلامه في القديس مارون الى انه الغارس والحارث

لجنة الله في قورش كما رأيت وانه قد اينع من هذه الجنة ثمار شهية ذكر منها يعقوب معيناً وقال انه سيأتي على ذكر الباقين مفصلاً وعليه فيظهر ان اكثر النساك الذين ذكرهم بعد مارون انما هم باجمعهم تلاميذه او متابعوه في طريقته وقد صرح تاودوريطس في كلامه على كثيرين منهم بانهم من تلاميذ القديس مارون اخص هولاء اولاً يعقوب الناسك الذي وصفه تاودوريطس بالكبير وقال انه زاره وقد كان مضى على جهاده نحو من ثماني وثلاثين سنة فرأى منه ما يدهش العقول وانه يروى عنه لا ما رواه له غيره بل ما رآه بنفسه من جهاده وتقشفه ولبسه المسح واثقاله نفسه بالحديد وتعرضه لحر الشمس صيفاً وللبرد القارس والعواصف والثلج والجليد شتاء واقتياته بقليل من العدس المبلول وصرفه اكثر نهاره وليله بالصلوة والتأمل وان الله قد منَّ عليه بموهبة صنع المعجزات وقص تاودوريطس اخبار كثير منها وفي جملتها اقامته ابن فلاح من الموت وقال هذا المؤرخ عند ذكره هذه الآية . اني رأيت بنفسي هذا الغلام وسمعت اباه يخبر بهذه الآية الرسولية وذكرتها لكثيرين عالماً بما يكون من الفائدة من هذا الخبر وجاء في سنكسادي طائفتنا في ٢٠ شباط ان هذا القديس اقام ابنة فلاح من الموت ولا شك في ان ذلك زلة من قلم الناسخ لان تاودوريطس المعزو خبر الآية اليه قال ان المنبعث ابن لا ابنة . ومن آيات القديس يعقوب التي رواها هذا المؤرخ العلامة الثقة مساعدته له في مضايقه بنوع عجيب وابراؤه كثيرين من المرضى امراضاً عضالة واخراج الابالس من الممسوسين وطرده الشيطان اذ تراءى له بصورة وحش ليخرجه من الجبل الذي كان ناسكاً عليه واذ تراءى لاحد تلاميذه بهيئة معلمه وكان يأخذ من يده الماء الذي استقاه له ويريقه على الارض ليعذب القديس بالظماء فتقاطر الناس اليه من كل صوب حتى ان الجبل الذي كان خامل الذكر قبل نسكه عليه اصبح يؤمه الناس من كل طبقة ويأخذون من ترابه ويتهادون

به تبركاً وطلباً للشفاء

ومن تلامذة القديس مارون القديس تلاسيوس المسمى ليمناوس ايضاً وقد كتب تواودوريطس ترجمته في الفصل ٢٢ من كتابه المذكور قائلاً ان ما رواه عنه رآه بنفسه اذ اجتمع به وانس بحديثه العذب مرات وانه اتى الى مارون العظيم اذ كان عنده يعقوب المار ذكره ثم نسك في جبل قورش قريباً من القرية المدعوة جرجلة او ترجلة واقام له حظيرة من حجر وحبس نفسه فيها لا يخرج منها ولا يدخل احداً اليها بل يخاطب الناس من كوة في جدارها ولم يفتح بابها لاحد الا لتوادوريطس عند زيارته له وقد شابه الرسل بآياته فكان يبرئ المرضى ويشفي الممسوسين وقد اعتراه المرض المعروف بالقولنج فلم يعالجه الا بالصلوة وداس في طريقه ارقم فلدغه عشر لدغات في يديه ورجليه فتحمل من ذلك آلاماً مبرحة صابراً وسمح الله بمصابه تبياناً لصبره الجميل ولم يتداوَ الا بطليه محال اللدغات بمرهم الصليب والصلوة ورأى كثيرين من العمي يستعطون الصدقة فابتنى لهم مخادع حوله وكان ينفق عليهم من صدقات المؤمنين ويعلمهم التسبيح لله واستمر على جهاده كيعقوب ثماني وثلاثين سنة ويعيد لذكره في ٢٢ من شباط

وذكر تواودوريطس بعد هذين يوحنا الناسك الذي انفرد في جبل بشمالي قورش واقام به خمساً وعشرين سنة غطاؤه الجو وفراشه الارض وطعامه الخبز والملح ولباسه المسح مسمرة به صفائح من حديد ثقيلة . ثم موسى الناسك الذي صرف سنين متطاولة في قمة جبل شامخ حذاء قرية تدعى راماص . ثم انطيوكس وانطونينس اللذين زهدا في شيخوختهما وعكفا على الصلاة والسهر والصوم المديد ثم زابينا الشيخ الذي كان القديس مارون يحبه حباً شديداً ويجله لتقدمه عليه سناً ويدعوه اباً ومعلماً له وكان يرسل اليه من يقصدونه ليستمدوا البركة منه حتى ارسل اليه تلميذه يعقوب المار ذكره ليلبسه اللباس الشعري ولما كان زابينا

توفي قبل مارون اوصى مارون تلاميذه ان يدفنوه في قبر زابينا ومن هولاء ايضاً بوليكرونيوس وموسى آخر ودميانس ويعقوب اخر ذكر جميعهم توادوريطس واخذ عنه العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) موجز تراجمهم

ومن مشاهير هولاء بردات ويسميه السريان ܒܪܕܗܕܕ (بار هدد) ذكره توادوريطس في الفصل السابع والعشرين ووصف جهاده ونسكه العجيب وقد اشتهر هو ويعقوب الكبير المار ذكره بفضائلهما بل بعلمهما ايضاً حتى انبأنا افاغريوس (ك ٢ من تاريخه فصل ٩) . ان الملك لاون كتب رسائل عامة الى جميع اساقفة المسكونة والى مَن تساموا في السيرة الرهبانية يسألهم عما يرون في شأن المجمع الخلكيدوني وترقية بطرس الالثغ الى كرسي اسكندرية .. ومن هولاء سمعان العمودي ... وبردات الراهب ويعقوب السريانيأن . وروى كذلك توافان في تاريخ سنة ٤٥٢ قائلاً ان الملك لاون كتب ايضاً الى القديس سمعان العمودي وبردات الراهب ويعقوب صانع العجائب واستحلفهم ليجيبوا كانهم يأدون لله حساباً عما يرون في هذه المسائل المختلف فيها . وقد ذكرهما ايضاً افرام البطريرك الانطاكي كما اثبت فوتيوس (في مكتبته ك ٢٢٨) حيث قال ان افرام هذا كتب رسالة ومما قاله فيها . انه يلزم الاقتداء بسمعان (العمودي) وبردات ويعقوب الذائع صيت فضائلهم في المسكونة كلها وقد صرفوا حياتهم برمتها في السيرة الرهبانية . وقال (في ك ٢٢٩) في افرام ايضاً . ان هذا كان مبشراً باسلاً بالمجمع الخلكيدونى الذي اثبته ثلث مئة وسبعون اسقفاً بتوقيعهم وايد هذا الايمان سمعان ويعقوب وبردات العجيبة سيرتهم .. ونرى رسالة بردات الجواب للملك معلقة في ذيل المجمع الخلكيدوني عدد ٦١ طالع المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ٢٥٥ وصفحة ١٩)

ولم يكن للقديس مارون تلاميذ فقط بل كانت له تلميذات ايضاً منهن

مارانا وكورة فهاتان كانتان من حلب من اسرة شريفة فتركتا مجد العالم وزهوه وحبستا نفسيهما في غرفة حجرة ولم تتركا منفذًا فيه الا كوة صغيرة تتناولان الطعام منها وعكفتا على الورع والتهجد والصلوة واقتدتا بايليا النبي بصومهما اربعين يوماً ولم تكونا تكلمان احدًا الا في الخمسين يوماً من احد القيامة الى احد العنصرة بل مارانا وحدها كانت تكلم الزائرين والمسترشدين وكوره لم يسمعها احد تتكلم وكان لباسهما خشناً وتثقلانه بالحديد حتى حدبت كورة لضعف جسمها وقال توادوريطس انه زارهما وقد قصدتا زيارة الاماكن المقدسة ومضيتا ماشيتين لم تذوقا زادًا في سفرهما ولما اتمتا زيارتهما تناولتا قوتاً ثم عادتا صائمتين الى حلب هذا ما وجدته في نص توادوريطس (في طبعة الاب مين) واراه اصح مما روى في تاريخ الدويهي المطبوع حديثاً وفي سنكساري طائفتنا في ٢٨ شباط من انهما لم تاكلا شيئاً في سفرهما ذهاباً واياباً وقال العلامة الدويهي « ان منزلهما في حلب كان معروفاً الى ايامه بدار كورة »

ومن هولاء التلميذات دمنينا قال توادوريطس فيها (فصل ٣٠) أنها اقتدت بالقديس مارون في نسكها وكانت ابنة والدين حسيبين غنيين ولما توفيا ضربت كوخاً من هشيم الذرة في بستان امها وكانت تقضي يومها كله مصلية باكية على ذنوبها وتبل فراشها الشعري بدموعها وكان طعامها العدس النقيع وكانت تنفق من مال امها على من ذكر من النساك والمعوزين . قال توادوريطس : ان كثيرات من النساء احببنَ هذه الطريقة فاثر بعضهنَّ السيرة المنفردة وبعضهن العيشة المشتركة حتى ربا عدادهنَّ الى نحو مئتين وخمسين عابدة ياكلنَ طعاماً واحدًا ويرقدنَ على الحصر ويغزلنَ الكتان وافواههنَّ تترنم بالتسابيح لله . انتهى

الباب السادس

في تاريخ سورية في القرن السادس

القسم الاول

في تاريخها الدنيوي

الفصل الاول

في الملوك القسطنطينيين في هذا القرن وما كان في سورية في ايامهم

عد ٦٤٤

في الملك يوستينس

مرّ في الباب السابق ان انسطاس الملك استمر على منصة الملك الى سنة ٥١٨ وقد خلفه بعد وفاته يوستينس الملك وكان قد ولد في تراسة سنة ٤٥٠ واصله من قبيلة الصقالبة وكان في حداثته راعياً للمواشي او عاملاً في الارض الى ان اتى قسطنطينية في ايام الملك لاون وتجند وترقى في مناصب الجندية حتى ضمه الملك الى حرسه وجعله الملك انسطاس من رجال الندوة ثم امره على الحرس الملكي ولما خرمت المنية انسطاس نادى به الجند والشعب ملكاً في ٩ تموز سنة ٥١٨ وروى بركوب المؤرخ المعاصر له انه لم يكن يحسن القراءة ولا كتابة اسمه وربما كان

المراد انه لم يكن يحسن كتابة اسمه باللاتينية لكنه كان منصفاً حليماً كريماً راسخاً في الايمان الكاثوليكي ومما روي عنه ان رجلاً اسمه اولاتيوس كان موسراً فذهب ماله واوصى لدى احتضاره ان يكون الملك وارثاً له ليربي ثلث بنات له ويجهزهن ويفي دينه فتقبل الملك الوصية واتم كل ما دونه الموصي بها

ومما كان في ايامه انه كان بين الحميريين في اليمن كثير من المسيحيين لكن الملك كان يهودياً اسمه دميون فسطا على قافلة لتجار رومانيين عند مرورها ببلاده الى الحبشة فوقف دولاب التجارة مع الحبشة واستاء يوستينس وملك الحبشة من هذا الصنيع فحمل ملك الحبشة بامداد يوستينس على دميون فقتله وانتهب بلاده واقام مكانه ملكاً مسيحياً وكان ملك الحبشة وثنياً اسمه اليسبان وقد نذر ان يتنصر ان عاد ظافراً وارسل بعد عودته رجلين من شرفاء بلاده الى يوستينس يسأله ان يرسل اسقفاً وكهنة لينصروه وشعبه وهذا مؤذن بان الوثنية تغلبت على النصرانية عند الاحباش بعد وفاة فرومنسيوس الذي كان قد نصرهم في ايام الملك قسطنطين والقديس اثناسيوس فكتب الملك يوستينس الى والي مصر ان يتفق مع البطريرك الاسكندري الذي حقق السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد١ صفحة ٣٨٢) انه كان كاثوليكياً واسمه استريوس فارسل الى الحبشة يوحنا بعد ان رقاه الى الاسقفية على مدينة اكسوم عاصمة الحبشة حينئذٍ فعمد الملك وكثيرين من كبراء دولته وشعبه وانتشر الدين المسيحي ثانيةً في الحبشة بعناية الملك يوستينس على ان الملك المسيحي الذي اقامه ملك الحبشة في حمير لم يعش الا قليلاً وانتهز اليهود فرصة الشتاء بين سنة ٤٢٣ وسنة ٤٢٤ فاقاموا ملكاً يهودياً اسمه دونان وقتلوا جماً غفيراً من النصارى وحولوا كنائسهم الى مجامع وقتل دونان مئتين وثمانين كاهناً والحق بهم كل من بقي في اليمن من الاحباش ومضى الى نجران بجيش لا يقل عن مئة وعشرين الف مقاتل فدخل المدينة بحيلة وانتهب

كل ما فيها واحرق الكنيسة بمن لجأ اليها من الكهنة والشعب واخرج عظام القديس بولس اسقفها الذي كان قد توفي منذ سنتين فاحرقها وابسل كل من لم يجحد دينه مع اطفالهم ونسائهم وكان اميرهم اسمه حارث وكان له من العمر خمس وتسعون سنة فاماته مع امرأته رحمة وبناته وثلث مئة واربعين رجلاً من اعيان نجران والكنيسة الرومانية تعيد لذكر هولاء الشهداء في ٢٤ من تشرين الاول وكنيستنا المارونية تعيد في ذلك اليوم للشهيد حارث المذكور ويقال ان استشهاده كان في ايام الملك يوستيانس لان السريان يسمون احياناً يوستينس يوستنيانس كما حقق العلامة السمعاني (في المجلد المذكور)

ان كل ما مرَّ خلاصة رسالة كتبها سمعان اسقف مدينة تسمى بيت ارشم في بلاد فارس الى سمعان رئيس دير جبلة في سنة ٨٣٥ يونانية الموافقة لسنة ٥٢٤ للميلاد ذكرها السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٦٤) بحروفها عن يوحنا اسقف اسيا عن ديوانسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون ومآل هذه الرسالة ان سمعان الاسقف كاتبها سافر من حيرة النعمان في ٢٠ كانون الثاني سنة ٨٣٥ يونانية (سنة ٥٢٤م) مع ابرهيم القس ابن افردس المرسل من الملك يوستينس الى المنذر ملك السراكسة (غير المنذر الذي كان قد تنصر في ايام الملك انسطاس) ليسعى بتأمين النصارى في بلاد الحميريين وانهما بلغا الى المنذر في المحل المدعو رمله بعد عشرين يوماً من سفرهما فتلا المنذر عليهما رسالة وردت اليه من دونان ملك حمير اليهودي يقص عليه كل ما اجراه على النصارى في ملكه ويحثه على اهلاك النصارى في ولايته وقد ضمن سمعان في رسالته رسالة دونان بحروفها وعنها لخصنا ما رويناه آنفاً وفي تلك الرسالة ما يستنزف الدموع اشفاقاً على هولاء الشهداء ولا سيما النساء والاطفال منهم وما يدهش العقول من ثباتهم وشجاعتهم والرسالة مسهبة لا يسمح القيام باثباتها هنا

ثم ان يوحنا اسقف اسيا ينجز اخبار هذه الاحداث ويروي ديوانيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون كلامه الاتي ملخصاً . لما عرف ملك الحبشة ما اجراه دونان واليهود على النصارى في اليمن احتدم غيظاً وغيرة وجيش جحفلاً زحف به الى دونان فقبض عليه وقتله وبدد عسكره واثخن باليهود واقام ملكاً مسيحياً على اليمن اسمه ابرهيم فاجتمع اليه النصارى المبددون وبنى ملك الحبشة لهم كنيسة . وكان الملك يوستينس قد كتب الى استريوس بطريرك الاسكندرية ليحث ملك الحبشة على حجب دماء النصارى في اليمن فكتب اليسبان ملك الاحباش الى استريوس يبشره بهذا الظفر فاخبر الملك يوستينس بما كان وارسل اسقفاً الى اليمن هو القديس كراجنتيوس فكرس الكنيسة وجمع شمل النصارى المبددين وربح غيرهم من اليهود والوثنيين واقام كهنة وشمامسة ومضى اليسبان الى نجران واقام كنيسة جمع اليها عظام اولئك الشهداء وعاد الى اكسوم عاصمة ملكه والقديس كراجنتيوس جادل علماء اليهود امام الملك جدالاً استمر اربعة ايام فافحمهم وابكمهم فتنصر كثيرون منهم

نقول استطرادًا ان ما مرَّ هنا وما رواه السمعاني في محال عديدة من المكتبة الشرقية وغيره من المحققين عن اساقفة العرب وكراسيهم في هذه القرون يبين بطلان زعم كثيرين من العلماء الاوربيين انه لم يكن نصارى في العربية قبل ظهور الاسلام فقد كان من العرب قبل ظهور الاسلام اساقفة كثيرون وكنائس مزهرة وشهداء صناديد كمن ذكرناهم وعلماء وشعراء مسيحيون ولهم اشعار ذكروا فيها الصليب وعيد الفصح والقداس والقربان ومن مشاهير شعراهم امرؤ القيس والاخطل وليس من يقيم نكيرًا على كونهما مسيحيين

ومن اعمال يوستينس الملك انه طرد ساويرس من بطريركية انطاكية واخسنيا من اسقفية منبج وبعنايته ادخل في شملاية القداس ذكر المجامع الاربعة المسكونية

اي النيقوي والقسطنطيني والافسسي والخلكيدوني وكان ذلك سنة ٨٣٠ يونانية اي سنة ٥١٩م على ما في تاريخ كنيسة الرها وقد عقد صلحاً مع تيودريك ملك الغطط وحارب الفرس وظهر عليهم واقام بالبصار الاتي ذكره والياً في دارا وكانت له ايادي تذكر فتشكر عند ما خربت انطاكية بالحريق والزلازل كما سترى في العدد التالي وقد لقي هذا الملك الصالح ربه في العاشر من شهر آب سنة ٨٣٨ يونانية الموافقة لسنة ٥٢٧م كما في التاريخ الرهاوي وعمره سبع وسبعون سنة بعد ان ملك تسع سنين

عد ٦٤٥

في خراب انطاكية في ايام الملك يوستينس

قد خربت انطاكية بالزلازل مرات اشهرها الزلزال الذي كان في ايام ترايان الملك سنة ١١٥ على ما روى بارونيوس ثم الزلزال الذي كان في ايام الملك لاون بين سنة ٤٥٧ او سنة ٤٥٨ او سنة ٤٥٩ على اختلاف الاقوال واظهرها انه كان سنة ٤٥٩ على ما حقق السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢١١وما يليها) سنداً الى اقوال افاغريوس (ك٢من تاريخه فصل ١٢) ويوحنا ملالا وديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون حيث قال «سنة ٧٧٠ (يونانية توافق سنة٤٥٩م) حدث زلزال شديد خربت به انطاكية المرة الرابعة في الساعة الثالثة من ليل الاحد» وقد رثاها حينئذٍ القديس اسحق الكبير برثيته الشهيرة اما الزلزال الذي فيه كلامنا الان فكان سنة ٥٢٦ واليك ما قيل فيه بالتاريخ الرهاوي . في سنة ٨٣٧ يونانية (الموافقة سنة ٥٢٦ م) في التاسع والعشرين من ايار في الساعة السابعة من يوم الجمعة كان زلزال شديد عنيف اقلب اكثر ابنية انطاكية وطمر بنيها وخنق سكانها ومات بهذا الزلزال افراسيوس بطريركها مطموراً تحت الانقاض ويقال انه استمر اليوم كله يصيح من تحت الردم ،ولم يكن له من مغيث وقد وصف هذه

النازلة افاغريوس (ك ٤ من تاريخه فصل ٥ و ٦) وبروكوب (ك ٢ فصل ١٤) وتوافان ويوحنا ملالا بما ملخصه انه قد وقع حراق في كنيسة القديس اسطفانس وارتفع اللهيب حتى انتشر في وقت وجيز في محال كثيرة واتلف كثيرًا من البيوت فارسل الملك يوستينس الفي ليرا ذهباً اغاثة للمصابين وما انقضت هذه النازلة الا تلتها اخرى اشد منها وهي زلزال مرعب قلّب ابنية المدينة مبتدئاً من جهتها الغربية وجعلها اكواماً من الانقاض ولما كانت النار مشعلة في اكثر مواقد المدينة لاعداد طعام الغذاء احاثها الزلزال فشبت في البيوت ومد الهواء لهيبها فالتهم بيوتاً اخرى واجتمعت البليتان الزلزال من اسفل والنار من اعلى وقل من تمكن من الفرار وزاد في الطين بلة اكمان بعض الاشقياء للفارين فكانوا يسلبونهم ما حملوا ويسلون من قاومهم وكان اسعد حظاً من هولاء من سقطت عليهم بيوتهم فلم تهرسهم وقد كشف عن بعضهم احياء وبعضهم استمر تحت الردم عشرين يوماً واكثر وبقي في بعضهم رمق ولكن مات اكثر هولاء عند استنشاقهم الهواء ورووا ان بعض الحبالى ولدنَ تحت الردم وارضعنَ وان بعضهم تمكن من الاقتيات بشيء من المون التي كانت في بيوتهم واستمر هذا الزلزال على شدته ستة ايام وخربت به دفنه وسلوقية (السويدية) ايضاً

ان هذه الرزيئة صمت قلب يوستينس الملك فاوقف المشاهد والمحاضر في قسطنطينية وترك تاجه وبرفيره ولبس مسحاً وحثا الرماد على رأسه لانه كان يحب انطاكية وقد اقام فيها وهو جندي وكان في سبة العنصرة يمضي كل يوم الى الطواف في الكنائس مع رجال الندوة والشعب وعليه ملابس الحداد ويستمطر بدموعه غوث الله لشعبه وارسل اولاً الكنت كارنس ومعه خمسة الاف ليرا ذهباً لتنفق على من كانوا اشد احتياجاً ثم ارسل البطريقين فوقا واستريوس وزودهما مبلغاً كبيرًا من المال ليجددا بناء البيوت واقنية الماء وجسور العاصي

وبالغ بعض المؤرخين فقال ان ما انفقه يوستينس لتدارك هذه النازلة هو خمسون مليوناً من الليرات وان قدر ان كل ليرا قيمتها عشرون فرنكاً كانت النفقة ملياراً من الفرنكات وكان والي انطاكية واقليمها حينئذٍ رجلاً اسمه افرام بالغ في تخفيف ويلات الاهلين وسد اعوازهم والرفق بهم وكان تقياً ورعاً عالماً فاختاروه بطريركاً خلفاً لاوفراسيوس فكان بطريركاً صالحاً نفع الكنيسة بعلمه وعمله كما كان حاكماً عادلاً حليماً . انتهى ملخصاً عن افاغريوس وبركوب وتوافان في المحال المذكورة آنفاً

﴿ عد ٦٤٦ ﴾

(في يوستنيانس الملك)

كان يوستنيانس ابن اخي يوستينس الملك وقد ولد سنة ٤٨٣ واشتهر في دولة عمه ثم خلفه بعد وفاته سنة ٥٢٧ فكان اولاً ملكاً عادلاً ورعاً حليماً يحب العلم والعلماء وعند تسنمه منصة الملك تخلى عن كل ما كان يملكه لبعض الكنائس وكان يصرف ايام الصوم كما يصرفها احد النساك وانشأ كثيراً من الكنائس والاديار والمعابد وقد بنى وحصن نحواً من عشرين مدينة وعدد كل ذلك ووصفه بروكوب احد رجال دولته في كتابه في الابنية من ذلك تجديده بناء الهيكل المعروف باجيا صوفيا الذي كان قسطنطين الكبير قد بناه في قسطنطينية ودير القديس مارون على العاصي الذي كان الملك انسطاس قد نقضه وقتل رهبانه وكنيسة مغارة المولد في بيت لحم على بعض الاقوال الا انه عاب نفسه بدعواه ان يحكم في بعض المسائل اللاهوتية وهو ليس ابن بجدتها من ذلك حكمه على اوريجانس بجرم شخصه واتباعه بدعة من زعموا ان جسد المسيح كان غير قابل الالام ولا الانفعالات الجسدية كالجوع والعطش ونفيه بعض الاساقفة لانهم لم يطاوعوه على اغلاطه وعابه ايضاً انقياده في كل شيء لرغائب الملكة توادورا عقيلته على ما كانت عليه من الميل الى الاوطاخيين والتهتك . واهم اعمال يوستنيانس

العلمية التي اشغلته في اكثر ايام حياته انما هو تأليف كتب الشريعة ففي منشوره الذي انفذه الى رجال الندوة في ١٣ شباط سنة ٥٢٨ صرح بعزمه على ان يجمع في مجلد واحد جميع الشرائع التي تضمنتها الكتب التي جمعها من تقدمه اي غريغوريوس وهرموجنيان وتوادوسيوس الملك وان يضم اليه ما سنه الملوك بعد كتاب توادوسيوس واختار تريبونيان البمفيلي الفقيه الشهير وجعل تحت امرته تسعة فقهاء معروفين بالفضل والاجتهاد وسعة الاطلاع وسمح لهم ان يحذفوا من تلك الشرائع ما كان مكررًا او مناقضاً لغيره او ابطله الزمان او اجرى الاعتماد على خلافه وان يسقطوا المقدمات وكل ما كان فضلة لا لزوم له وان يزيدوا ما رأوه لازماً للتدقيق او زيادة البيان وان يجمعوا في باب واحد ما كان منشورًا ومشتتاً فبذل هولاء الفقهاء قصارى جهدهم فلم تمضِ سنة الا وابرزوا كتاباً ينطوي على اثني عشر سفرًا مشتملاً على جميع الشرائع التي سنها الملوك من ايام ادريان فصاعدًا فوقع عليه الملك آمرًا ان يعتمد عليه وذلك في منشوره المؤرخ في ٧ نيسان سنة ٥٢٩ على انه اذاع بعد خمس سنين نسخة اخرى موجزة عن الاولى وهي التي تتداولها الايدي الان وهي المعروفة بكود يوستنيان الا انه بقي ان يوضع كتاب اخر يشتمل على آثار الفقه القديم وسنن القدماء من الرومانيين وفتاوى ايمتهم فعهد الملك الى تريبونيان ايضاً بهذا المهم واباحه ان يختار من يعاونونه عليه فاختار احد القضاة الذين ساعدوه في المؤلف الاول واربعة من مدرسي الشرائع اثنين من قسطنطينيه واثنين من بيروت واحد عشر عالماً من محامي الدعاوي فامرهم الملك ان يسلكوا مسلك الاولين في ان يبدلوا او يحذفوا او يزيدوا وان يبتوا الخلاف في المسائل المشتبهة او الغامضة او المعترض عليها وان كل ما يقطعون به يثبته كانه بارز من فمه وكان يُظن انه يقتضي لتكملة هذا التأليف عشر سنين فاكمله هولاء الفقهاء في ثلث سنين فجاء كتاباً شاملاً جميع الفتاوى التي كان الفقها

الرومانيون يطبقون فيها المسائل الخاصة على قواعد الشرائع العامة او على الاستقامة الطبيعية وسمى هذا التأليف في اللاتينية ديجستا اي المنظم لنظام مواده ووضع كل مادة في بابها وسمي في اليونانية بندكتس اي الشامل او الحاوي كل شيء واثبته الملك يوستنيانس في ١٦ كانون الاول سنة ٥٣٣ على ان العجلة بتأليفه لم تخله عن الخلل والشوائب وبينما كان هولاء الفقهاء منصبين على تأليف الديجستا امر الملك تريبونيان وتوافيلس من اساتذة مدرسة قسطنطينية ودوروتاوس من اساتذة مدرسة بيروت ان يقتطفوا من كتب الفقهاء والقدماء الضوابط الاولى لعلم الشريعة والقواعد الاصلية وان يجمعوها في اربعة اسفار تيسيرًا لتعليم الشريعة فاتموا ذلك قبل الفراغ من الديجستا وسموه انستيتوتس اي الرسوم والمراسيم وهو اكمل هذه الكتب واصحها واثبته يوستيانس بمنشوره في ٢١ تشرين الثاني سنة ٥٣٣ وكتب يوستيانس هذه مفتحة بهذه الفاتحة البديعة • باسم ربنا يسوع المسيح كان متحتماً ان يستهل باسم من هو السلطان الحقيقي والمشترع الحق اعني باسم من قال بي تملك الملوك وبي يفترض المشترعون الشرائع العادلة وقال ايضاً قد اعطيت كل سلطة في السماء وعلى الارض • الخ فكتب يوستيانس هذه هي اس لكل شريعة وجدت بعدها وعليها مبني كل نظام الا ما اقتضته حالة بعض الممالك او ظروف الايام والكنيسة تعتمد الى الان على ما ادخلته منها في شرائعها البيعية وتستشهد بمواد الديجستا او البندكتس والكود والانستيتس وله شرائع اخرى سماها السنن الحديثة

ان يوستيانس صرف مدة ملكه في الحروب محارب الفرس لتأمين مملكة المشرق اولاً من سنة ٥٢٨ الى سنة ٥٣١ فانتصر بالبصار قائد جيشه عليهم في دارا وتقهقر في غيرها ثم حاصر الفرس الرها سنة ٥٢٩ فوقع كسرى خليفة قباد ملكهم ويوستينيانس على عهدة سموها الصلح الدائم سنة ٥٣١ الا ان الحرب

تسعرت ثانية بين المملكتين من سنة ٥٤٠ الى سنة ٥٤٢ واستحوذ الفرس في هذه الحرب على قسم من سورية وردهم باليصار عنها وسنفرد لذكر اخبار هذه المحاربة الفصل الاتي وعاد الفرس ثالثاً الى محاربة يوستنيانس من سنة ٥٦٠ الى سنة ٥٦٢ لانتصاره للازيين (قبيلة في نواحي قوهقاف) الى ان وقع كسرى على عهدة الصلح مشترطاً دفع جزية له مدة خمسين سنة . وكان ليوستنيانس حروب عديدة في ايطاليا مع الغطط اسفرت عن استحواذه على هذه البلاد وجعلها اقليماً بزنطيا وتوليته نرسيس احد قادة جيشه عليها سنة ٥٥٤ ولكن انتزعها الامبرديون من يد ملوك قسطنطينية سنة ٥٦٨ وكانت له حروب ايضا مع البندالة في افريقيا حيث انتصر باليصار قائد جيشه على جالمر ملك البندالة واسترد قرطاجنة منه سنة ٥٣٣ وحروب اخرى مع البلغار واليونان وثار الهونيون ووثبوا على قسطنطينية فردهم عنها باليصار سنة ٥٥٩

وشكا باليصار حساده الى يوستنيانس بانه خان المملكة والملك فانتزع املاكه وحطه عن مقامه واودعه السجن في ٥ كانون الاول سنة ٥٦٣ واستمر فيه الى تموز سنة ٥٦٤ فتحقق الملك براءته وخلى سبيله ورد عليه ماله وكرامته لكن ما جرى عليه من القسوة انحله وادركته المنية في شهر اذار سنة ٥٦٥ فضبط الملك امواله على ان يوستنيانس لم يعش بعده طويلاً لانه توفي في شهر تشرين الثاني سنة ٥٦٥ بعد ان اصدر منشوراً يدافع به عن ضلاله المار ذكره واراد اكراه بعض الاساقفة على المصادقة عليه فانكروها فعزل بعضهم ونفى بعضهم منهم افتيشيوس بطريرك قسطنطينية وانسطاس بطريرك انطاكية وهكذا ترك هذا العاهل الشهير هذه الدنيا ملطخاً شرفه بتحرشه في المسائل اللاهوتية والدينية وهو ليس ابن بجدتها وبتسامحه لامرأته العاهرة الى غير ذلك من المعائب التي ذكرها بروكوب في كتابه الموسوم بالتاريخ السري حيث يندد بهذا الملك والملكة

زوجه وبعض حاشيته

عد ٦٤٧

حملة كسرى ملك الفرس على سوريه في ايام يوستنيانس

ان كسرى ملك الفرس كان واجساً من استفحال امر يوستنيانس وظفره بالبندالة في افريقية وتعقبه الغطط في اوروبا فكاشفه فيتبجس ملك الغطط في ايطاليا ان يوائقه على مناوأة يوستنيانس فلبى كسرى دعوته وكان حينئذٍ ان الارمن ثاروا على الرومانيين فانتصر كسرى للعصاة واخذ يعد العدد والرجال للحرب ثم زحف الى سورية سنة ٥٤٠ فحاصر اولاً صورة (المسماة رصافه وسرجيوبولي اي مدينة سرجيوس لانه يقال ان القديس سرجيوس منها) على عدوة الفرات ولما كان اهلها قليلي العدد ارسلوا اسقفهم كنديدس ليكاشفه بامر الصلح على ان يدفعوا للغازي كل ما ملكت ايديهم فدية فوعد كسرى الاسقف باجابة سؤله بعد ان يستطلع رأي رجال مشورته واصحبه عند عوده بكتيبة من احسن جنوده مظهراً الاجلال له ففرح الاهلون وفتحوا ابواب المدينة ولم يشأ الجنود ان يدخلوها بل لما اراد الاهلون اغلاقها عارضوهم والقوا صخرة في وسطها وتبع كسرى آثارهم فدخل المدينة وانتهب البيوت وقتل كثيرين من سكانها واخذ الباقين اسرى واحرق المدينة وكانت بين الاسرى امرأة جميلة فتزوجها واراد ان يبدي كرمه على مواطنيها الاسرى وكانوا نحو اثني عشر الفاً فطلب الى كنديدس الاسقف ان يشتريهم منه بمئتي ليرا ذهباً فاعتذر بان لا مال له فقال الملك يكفينا ان تعد وتقسم على دفع هذا المبلغ بعد سنة ففعل وخلى الملك سبيل الاسرى ولكن مات اكثرهم من الجراح وسوء المعاملة التي حلت بهم وانقضت السنة فعاد الاسقف صاغراً الى الملك يسأله عفواً اذ اعجزته الحال عن اداء المبلغ فنلاه الملك وجلده وسأله الاسقف ان يرسل الى المدينة نيأخذ كل ما في الكنيسة فارسل من احضر اليه كل ما وجد

فيها وابقى الاسقف مكبلا في السجن ثم يمّ غير هذه المدن واجتاز في جانب منبج ولم يشأ ان يحاصرها لانها كانت حصينة فتميقه واجتزأ من اهلها بالفي ليرا فضة فدية وبلغ الى حلب فغرّم اهلها بما شاء وارسل يطلب من اهل انطاكية الف ليرا ذهباً ليعفو عنها ولم يكن هذا المبلغ يذكر في جانب وقاية مدينتهم من الخراب واحب الاهلون دفعه لكن اعوان الملك حسبوا هذا الافتداء عاراً في جانب المملكة والملك فجعلوهم يرغبون عن الاداء وزحف كسرى بجيشه من حلب الى انطاكية وخيم على عدوة العاصي واستأنف طلب الالف ليرا لينصرف عنهم فاجابه الشعب باهانة رسله ورجمهم بالحجارة فاستشاط كسرى وامر فريقاً من جيشه بضرب المدينة من جهة النهر وسار بفريق آخر الى اعلى المدينة حيث كانت صخور يتيسر الوصول منها الى اسوار المدينة ولو كان على هذه الصخور ثلث مئة رجل لصدوا الوقاً عن مهاجمة المدينة ولكن لم يكن في انطاكية احد من رجال الحرب المحنكين ليعلم ان يتخذ وسيلة للدفاع فتسلق كسرى مع جنوده على تلك الصخور ودنا من الاسوار ونضد بجانبها منصات من خشب ليرمي عنها الجنود فتحطمت لتراكم الرجال عليها وكان لسقوطها دوي هائل في المدينة حتى ظن ان الاسوار هدمت ففر المدافعون وانتشر الخبر لساعته في المدينة وتولى الرعب سكانها وغصت الشوارع بالفارين حتى كان بعضهم يطأ بعضاً فمات كثيرون وتسلق الفرس على الاسوار ولم يتوغلوا اولاً في المدينة خيفة الوقوع في مكمن بل صبروا على الفارين واخلوا لهم الطريق المؤدي الى دفنه فازدحموا في الخروج منه ثم دخل جنود الفرس في المدينة وكانت عصابة من الشبان تألبوا في احدى ساحاتها مستبسلين فوثبوا على اولئك الجنود وثبة الاسود وابدوا آيات الحماسة والصولة فظهروا على اولئك الجنود وكان كسرى يشرف على المعركة من اعلى برج فدهش ببسالة هولاء الصناديد وهم ان يأمر بكف القتال عنهم واسترضائهم لولا ان

يصرفه احد رجال حاشيته عن هذا الهوس الى الامر بارسال نجدة من نخبة جيشه لجنوده المتقهقرين فقضى اولئك الابطال وسلاحهم بيدهم وانتشر الفرس في المدينة فقتلوا كل من لم يفر وانتهبوا كل ما وجدوا فكانت لهم غنيمة عظيمة وحفظ لنفسه اسلاب الكنيسة الكبرى وكانت نفيسة جدًا من ذهب وفضة وجواهر كريمة وامر بحرق المدينة الا الكنيسة التي غنم منها بتلك النفائس

وكان يوستينيانس قد ارسل مفوضين الى كسرى يكاشفانه بامر الصلح فلم يشأ كسرى ان يقابلهما قبل ان يتشفى بخراب انطاكية ولدن المقابلة طلب ان يؤديه الملك كل سنة مبلغاً لا على سبيل الجزية اذ لا يريد ان يذل ملكاً رومانياً بل على سبيل الجعل كما يؤدي الهونيين والعرب للمحافظة على تخوم المملكة ورضي المفوضان ان يدفع له يوستينيانس تلك السنة خمسة الاف ليرا ذهباً وفي كل سنة بعدها خمس مئة ليرا فوعد كسرى بان ينصرف عن المملكة متى وقع يوستينيانس على هذا الشرط وقدم الضمانات اللازمة على دفع هذه الغرامة وقد شاء كسرى ان يزور بعض مدن سورية قبل انصرافه فمضى الى سلوقية (السويدية) ولم يمسها بضر والى دفنه وعجب بموقعها البهج وغاباتها وجناتها الغناء وينابيعها المتدفقة والى اباميا (قلعة المضيق) وطلب من اهليها عشرة الاف ليرة فضة وابتز من كنيستها كل ما كان فيها من النفائس واخذ من قنسرين مئتي ليرا ذهباً ودفع له اهل الرها مثل هذا المبلغ وبينما كان هناك بلغه ان يوستينيانس وقع على العهدة وسلم الرهائن الى مفوضيه واراد حينئذٍ ان يبيع الاسرى الذين اخذهم من انطاكية فابدى اهل الرها وقتئذٍ من النخوة والمرؤة والمعروف ما يحق ان يخلد ذكره والشكر لهم عليه فقد تضافروا على جمع مبلغ يفتدون به هولاء الاسرى وجاء كل منهم بما وصلت يده اليه حتى قدم بعض الفقراء نعجة او خروفاً لم يكن لهم سواهما وافتدوا هولاء الاسرى جميعاً اما بوزاس والي الرها الذي كان اميرًا لبخله فامسك مبلغ الفدية لنفسه محتجاً بانه

يستبدله في مهام اهم من افتداء اسرى انطاكيين فاخذ كسرى الاسرى وانصرف الى بلاده وعاملهم فيها باكثر مما كانوا يرجون من الرفق والاعزاز وبنى على مسافة مرحلة من قطيسفون مدينة سماها انطاكية كسرى وبينما كان كسرى ينشئ انطاكية الحديثة كان يوستنيانس يجدد بناء القديمة ويحصنها ويقتلع الصخور التي توسل بها كسرى لفتح المدينة وينظم شوارعها ودام في هذا الاصلاح اثنتي عشرة سنة فعادت المدينة الى رونقها وعظمتها . (ملخص عن المؤرخين المذكورين في العدد السابق)

عد ٦٤٨

(ثورة السامرين وخراب مدن سوريه بالزلزال في ايام يوستنيانس)

قد اصدر يوستنيانس الملك منشوراً سنة ٥٣٠ امر به الوثنيين واولي البدع ان يرعوا عن ضلالهم ويدينوا بالدين المسيحي الصحيح فامتثل كثيرون امره حقيقة واخرون مراياةً على ان السامريين سكان القرى جاهروا بالعصاوة وثاروا وسموا رجلاً اسمه يوليانس ملكاً وكان عددهم نحواً من خمسة الاف رجل ووثبوا على مدينة باسان واحرقوا كنايسها واستحوذوا على نابلس وابسلوا كثيرين من اهلها وقتلوا اسقفها وكهنتها واخربوا القرى المجاورة لها فارسل توادورس امير الجيش في فلسطين حينئذٍ سعاة الى قسطنطينية يخبر الملك بما كان وجمع جنوده وزحف بهم الى نابلس فانهزم يوليانس من وجهه فتعقبه وظفر به وشتت شمل جنوده وقبض عليه وقطع رأسه وارسله الى الملك مع تاجه واهلك من السامريين نحواً من عشرين الفاً ومن بقي منهم فرّ الى الجبال فبلغت اخبار الثورة وتخميد جذوتها الى قسطنطينية في وقت واحد وسخط الملك على باسوس والي فلسطين لعدم تداركه هذه الشؤون فعزله عن منصبه وامر بقتله وولى على فلسطين ايريناوس فتتبع آثار السامريين في الجبال وامات كثيرين منهم وحكم على الباقين باعذبة

اليمة وثاروا اهل باسان لانفسهم فقتلوا سيلقيان احد شرفاء بلدتهم وكان عدوًا الد للمسيحيين فمضى ابنه الكنت ارسان الى قسطنطينية يشكو الى الملك ما حل باسرته من الجور واخذ معه امرأته وكانت تعتمد على صداقة الملكة تاودورا فزينا للملكة ان النصارى انما هم المعتدون والمتسببون بما اصابهم من الضر فحملت الملكة يوستيأنس على الانتقام من نصارى فلسطين واشعر النصارى بذلك فارسل بطرس بطريرك اورشليم القديس سابا الناسك الشهير الى الملك فاجله الملك كثيرًا وادخله الى قاعة الملكة تاودورا فسألته ان يضرع الى الله ليرزقها ابنًا فاجابها « اسأل الله المجد ان يحفظ مملكتكم بالتقوى والمجد » فحزنت لانه لم يجب سؤلها ولما سأل القديس بعض مرافقيه لِمَ لم يجب سؤلها فقال اخشى ان يخرج من هذا البطن من يرتضع لبن المدافعة عن ساويرس فيكون اشبه بانسطاس الملك واجاب يوستيانس القديس سابا الى كل ما سأل وامر ان لا يبني السامريون فيما بعد مجامع وان يحظر عليهم نيل شيء من المناصب واراد ان يمن على اديار باحسانه فقال لا حاجة لنا الى شيء لان الرب نصيبنا وسأله ان يترك الخراج عن النصارى وان يبني الكنائس التي احرقها السامريون ويعوض بكرمة النصارى مما نهب من بيوتهم ويتم بناء كنيسة العذراء التي شرع في بنائها البطريرك ايليا في اورشليم ويبني مستشفى للغرباء في اورشليم وقلعة قرب ديره لصد وثبات السراكسة عنهم فاجابه الملك الى كل ما سأل (عن ترجمة القديس سابا)

وقد جاء في تاريخ يوحنا اسقف اسيا (عن العلامة السمعاني في مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٨٩) انه « في سنة ٨٦٤ يونانية (توافق سنة ٥٥٣ م) في شهر حزيران خرب زلزال مدن فونيقي بيروت واطرابلس وصور وصيدا وصرفند وجبيل وانطرطس وغيرها » وجاء في هذا التاريخ بعد ذلك « في سنة ٨٦٨ يونانية (توافق سنة ٥٥٦ م) زلزلت مدن فونيقي وسقط في البترون من الراس المعروف

بوجه الحجر قسم كبير في البحر فكوّن منه مرفأً ترسى به السفن ولم يكن لهذه المدينة قبلاً مرفأ . قال السمعاني روى توافان ذلك بحروفه لكنه قال ان هذا حدث في ٩ من شهر تموز في السنة ٢٤ ليوستينيانس (وهي سنة ٥٥٢) ورواه باجيوس في تاريخ سنة ٥٥١ وفي التاريخ المذكور ايضاً . سنة ٨٧٠ (يونانية توافق سنة ٥٥٩ م) سقطت ابنية بيروت مدينة فونيقي بزلزال مع غيرها من مدن الجليل وفلسطين والعربية وفونيقي وتقهقر البحر الى الوراء الفي خطوة .... وسنة ٨٧٦ (سنة ٥٦٥) خربت مدن فونيقي وفلسطين والعربية بزلزال في شهر حزيران . (١) فيظهر من ذلك ان الزلازل تواترت تلك السنين في سورية وما جاورها واليك ما قاله اغانيا محامي الدعاوي (في تاريخه ك ٢ عد ١٥ عن كتابه في مكتبة الاباء اليونان) . في هذه الاثناء (في منتصف القرن السادس) في فصل الصيف حدث زلزال في البيزنطية وغيرها من مملكة الرومانيين واخرب مدناً كثيرة في الجزر واليابسة واهلك سكانها وبيروت تلك المدينة الجميلة قد شوّه جمالها وسقطت فيها تلك الابنية الباذخة البديعة الصناعة وهلك فيها كثيرون من سكانها والغرباء المتقاطرين اليها وجم غفير من الشبان الشرفاء والفقهاء الذين كانوا يأمونها لتعلم شرائع الرومانيين اذ كان لها هذا الانعام المشرف وانتقل معلمو الشريعة الى صيدا لقربها منها ريثما يتجدد بناء بيروت لكنها لم تعد الى ما كانت

(١) انتهى ما رويناه عن يوحنا اسقف اسيا الذي كان معاصراً ليوستينيانس ومما يلزم الانتباه اليه وقد صرح به العلامة السمعاني (في المحل المذكور صفحة ٨٠) ان يوحنا هذا يخالف غيره من علماء السريان في حساب سني السلوقيين المعروفة بالتاريخ اليوناني فهم يحسبون هذا التاريخ متقدماً على التاريخ المسيحي بثلاث مئة سنة وتسع سنين او احدى عشرة او اثنتي عشرة سنة وهو يخالفهم في ذلك اذ جعل موت يوستنيانس سنة ٨٨٠ الموافقة لسنة ٥٧٥ او سنة ٥٧٤ مع ان عامتهم تصرح بان وفاته كانت سنة ٥٦٠ ومثل ذلك في باقي ما ذكره في ايام يوستنيانس

عليه من قبل بل الى ما يشبهه . وعن توافان ان هذا الخراب عم اللاذقية والسويدية فقد دمر الزلزال من كل مدينة نصفها ومات في كل منها تحت الردم سبعة الاف وخمس مئة نفس وبلغت هذه الاخبار قسطنطينية فاحزنت الجمهور ولجأوا الى الصلوات العامة وارسل الملك مبالغ من المال لترميم هذه المدن وعفا اهلها من الخراج ثلث سنين وبدل اسم انطاكية بتسميتها تيوبولي اي مدينة الله برأي القديس سمعان الملقب بالعجبي فسر الاهلون بهذا الاسم واخذوا يسمون مدينتهم به . ان كل ما مرَّ في هذه الفصول الثلاثة ملخص اكثره عن كتب بروكوب في حرب الفرس والغطط والبندالة وفي ابنية يوستنيانس وتاريخه السري وكان بروكوب هذا كاتب بانيصاد قائد جيش يوستنيانس ثم عضواً في الندوة ثم والياً في القسطنطينية . فهو ثقة وشاهد عيان لما كتبه

عد ٦٤٩

في يوستينس الثاني

لم يكن للملك يوستنيانس ابن فاوصى ان يخلفه يوستينس ابن اخته فيجيلانس وكان وقتئذٍ رئيس البلاط الملكي وكان قد تزوج بصوفية ابنة اخت الملكة تاودورا وبعد وفاة يوستنيانس نودي به ملكاً سنة ٥٦٥ فلم يكن له منازع ولا معترض وقد توَّجه والملكة يوحنا بطريرك قسطنطينية وخطب في الاعيان والشعب على انه لم يفرغ من خطابه الا احدق به حشد من النساء يصرخنَ اليه ان يخلي سبيل السجنى فضج الحشد بهتاف المسرة والحبور يتخلله انين وشكوى فان يوستنيانس كان قد استنزف ثروة العامة ليقوم بنفقة ابنيته واقترض مبالغ جسيمة من الخاصة ودفع الى الدائنين سفاتج وصكوكاً ممهورة باسمه فاخذ حينئذٍ كثيرون يرفعون الى الملك صكوكهم طالبين وفاء دينهم فامر الملك ان يسكتوا وخطب فيهم مستعذراً عما كان من سوء التصرف في شيخوخة سالفه وامر بوفاء القيم المبينة في تلك الصكوك

فرد على كل حقه واجار كل من اصابه جور وهم بتوطيد السلم في الكنيسة فاستدعى الاساقفة المنفيين من منفاهم واصدر منشورًا الى جميع المسيحيين يحضهم به على الاتحاد بالكنيسة ويصرح بمعتقده الصحيح ومخالفته للمبدعين فتقبل الكاثوليكيون هذا المنشور بمعظم المسرة وقد ساعد كثيرًا على الاتحاد واوفد فوتينس نسيب باليصار الى مصر ليؤمن كنايسها

على ان هذه البواكير الحسنة لم يعقبها الا كبائر فظيمة فان يوستينس عكف بعد ذلك على الملاذ متهتكاً واباح مذ السنة الاولى لملكه الطلاق وكان يوستينيانس قد نهى عنه مفترضاً غرامة مالية على الزوج الذي يطلق امرأته ويتزوج بغيرها وامسى يوستينس بخيلاً جائرًا يزري الفقراء ويسلب الاغنياء اموالهم يبيع كل شيء حتى المناصب البيعية متجرًا بها تجارة نفاقية وكان له نسيب اسمه يوستينس ايضاً اتفق معه قبل ملكه على ان ايهما صار ملكاً اولى الاخر المنصب الثاني بعده فابدى له اولاً الصداقة ثم انف منه بسعاية زوجته صوفيا به فولاه على مصر ودست الملكة من قتله وارسل اليها رأسه فتشفى يوستينس وامرأته به اذ كانا يدوسانه وكان نرسيس احد قادة جيش يوستينيانس اخضع ايطاليا واستمر فيها مروعاً كل ثائر وعدو وكان له اعداء في القصر بعثو الملكة على ان تجعل الملك يأمره بان يرسل الى قسطنطينية ما يجمعه من خراج ايطاليا فاجابه نرسيس انه مستعد لتنفيذ امره على انه يخطر على باله انه اذا لم يبقَ في ايطاليا مال كافٍ لنفقة الجنود والمحافظة على الحصون فيفسح مجال الى البرارة الذين حولها ليطمعوا في استردادها فلم يحفل الملك بمشورته الصالحة بل توهم انه يريد ان يستقل في ايطاليا . وكتبت اليه صوفيا « هلمَّ الى قسطنطينية عاجلاً فانصبك عاملاً على نساءي العاملات فلا تصلح لغير ذلك » وارسلت اليه مع رسولها عرناساً ومغزلاً ولما فض الرسالة وقرأها حملق في الرسول وقال « قل لمولاتك ساغزل لها كبة لا تقدر ان تحلها »

واخذ فيه احتدام صدره كل مأخذ وامسى يتنازعه عاملان سورة غضبه للانتقام ومناخس ضميره ان خان مولاه والمملكة ولم يتمالك عن ان يكتب الى البوان ملك اللومبرديين ان يحمل على ايطاليا فيتيسر له فتحها واعتزل في نابولي يتخالجه الهم والغم والندم وبينما هو على هذه الحال اتاه البابا يوحنا الثالث فارجعه الى رومة وكتب الى البوان ان يرغب عن جملته الى ايطاليا وكان قد جيش جيشه فلم يقتلع عن عزمه ومات نرسيس بعد ايام متنغصاً ولا جرم انه اساء لكن من جملته على هذا المنكر كانت اكثر اساءة واخذ ملك اللومبرديين حينئذٍ اكثر ايطاليا

ومن مظالم يوستينس انه طرد القديس انسطاس بطريرك انطاكية من كرسيه بحجة انه يبذر مال كنيسته وقد وشى به ان لما سئل لِمَ هذا الاسراف اجاب خيفة ان يختلسه يوستينس وباء النوع البشري (رواه افاغريوس ك ٥ فصل ١ الى ٥)

وعقد يوستينس مع خان التتر عهدة تجارية في جملة موادها الاتجار بالحرير الذي كان الى حينئذٍ قليلاً في المملكة الرومانية فساءت هذه العهدة كسرى ملك الفرس وارسل مفوضاً من قبله الى يوستينس يطالبه بالثلاثين الف دينار التي كان يوستنيانس قد تعهد بدفعها كل سنة الى ملك الفرس فاجابه يوستينس ان في عزمه ان لا يدفع شيئاً واذا اراد الفرس اشعال نار الحرب فهو مستعد ان ينجي بلاد فارس من ملك ظلوم متشامخ فاحتدم صدر كسرى غيظاً واخذ يتأهب للحرب وارسل يوستينس مرقيان القائد لكنه لم يصحبه بجيش ولا عدد بل اب اليه في طريقه عسكراً من الاهلين واجتاز بهم الفرات على حين غفلة واخذ ينكل بالفرس ويخرب ويحرق قراهم التي على التخوم ولما اكمل كسرى معدات حربه زحف من قطيسفون بمئة الف من الجنود واما يوستينس فبدلاً من ان ينجد قائد جيشه استدعاه الى قسطنطينية وامر مكانه رجلاً فظاً متشامخاً قاسياً اسخط الجنود وقادتهم فازدروه وغادروه ولم يجد كسرى في طريقه معارضاً ففرق جنوده في

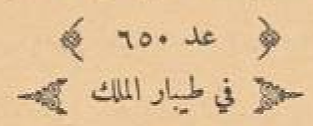
الاعمال التي على عدوة الفرات ينهبون ويحرقون حتى بلغوا انطاكية ولو عرفوا ما حاق من الرعب بقلوب سكانها وما كانت عليها حصونها من الوهن لاستحوذوا عليها ولكنهم توهموا ان اسوارها حصينة واهليها اشداء فانصرفوا عنها الى اباميا (قلعة المضيق) ففتحوها واحرقوها واسروا كثيرين من اهليها وعاد كسرى يحاصر دارا في ما بين النهرين وكانت قصبة الرومانيين حينئذٍ ففتحها بعد ستة اشهر من حصارها بعد ان قتل اكثر سكانها في المدافعة وترك فيها حامية وعاد الى مملكته

ولما اتصلت هذه الاخبار بالملك يوستينس اعتراه نوع من البله اعجزه عن تدبير الملك فقبضت صوفيا الملكة على ازمة سياسة المملكة وشرت من كسرى بخمسة واربعين الف دينار ذهباً الهدنة سنة وزينت للملك ان يختار له معاوناً اهلاً لتحمل اعباء المملكة ووقايتها من الانخذال فاختار طيبار وكان مؤسراً عزيزاً على الملك ورئيساً لحرسه ومجملاً بالفضائل والخلال الحسنة وكانت الملكة ايضاً تحبه ووقع في قلبها ان تشترك معه في الملك بعد ان يتوفى الله الملك وعرف طيبار ما كنه ضميرها فاخفى عليها زواجه وتبناه الملك وسماه قيصر فاوجبت هذه التسمية مسرة الجمهور واصلح بها يوستينس بعض ما اضر به فصرف طيبار عنايته للمحافظة على ما بقي للمملكة في ايطاليا ولم يطمع باسترددها لوجسه مما يدبره كسرى في المشرق وجل ما تمكن منه ان يجعل كسرى يطيل مدة الهدنة الى ثلث سنين بالغ فيها بلم شعث المملكة والاستعداد للحرب الى ان تسعرت نارها بين الفرس والرومانيين في ارمينيا وكان جيش الرومانيين نحو مئة وخمسين الفاً من الرجالة عدا الفرسان وامر عليه طيبار رجلاً اسمه يوستنيانس فظهر على كسرى وشتت شمل جيشه وغنم خزائنه واخذ منه ثمانين فيلاً ارسلها مقلة خزائن كسرى الى قسطنطينية وتوغل يوستنيانس في بلاد فارس ظافراً فاخرب واحرق واسر كثيرين حتى كان يبيع

الاسير بدينار (يساوي ١٣ او ١٤ فرنكاً) واضطر كسرى ان يذل له طالباً الصلح واستمر طيبار يدبر شؤون المملكة بحكمة وسداد وحلم اربع سنين في حياة يوستينس ولما شعر هذا الملك بدنو المنية جمع البطريرك واكليرس قسطنطينية ورجال الندوة وكبراء الدولة واقام طيبار ملكاً خلفاً له وتوفي بعد ثمانية ايام وملك ثلث عشرة سنة فكانت وفاته سنة ٥٧٨ والظاهر من كلام توافان ان اذلال الفرس في هذه الوقعة كان بعد ان تبوأ طيبار منصة الملك

ان بعض المؤرخين يعزون ما كان من الجور والاعتساف على الرعية في ايام يوستينس الى ضعف جسمه وسوء تصرف عماله واعوانه ويمتدحون حسن نيته وسلامة طويته ومن هولاء المؤرخين شدرانس في موجز تاريخه فانه في كلامه على هذا الملك قال ما ملخصه انه كان نحيف البنية كثير الامراض قل ما يتمكن من الخروج من بلاطه وكان اعوانه يهضمون حقوق الرعية ويبتلع الاقوياء مال الضعفاء وخرج يوماً الى الكنيسة فاحاط به جم من المظلومين يصيحون به ليرحمهم فجمع عماله وخطب فيهم قائلاً كنت اظنكم جميعاً تخافون الله وتقنعون بالرزق الذي يجري عليكم ولا تجورون على احد الفقراء ويظهر لي انكم تسخطون الله وتظلمون عباده وتضرون بالمملكة فنشدتكم الله ان تكفوا عن الحيف والاضرار بالناس ولا سيما الفقراء فلم ينجع هذا الكلام بالكبراء واستمروا باغين وخرج الملك ثانية فضج البائسون سائلين انقاذهم من الظلم فجمع الندوة وقال ان كنتم توقنون ان الله اولاني الملك فطيعوا اوامري وتنكبوا المضرة بالفقراء فانما الاسماك وحدها ياكل كبيرها صغيرها فان لم تمتثلوا اوامري اختاروا لكم ملكاً آخر يتساهل لكم بظلم رعيته فلا اريد ان ابقى ملكاً على بغاة فاجابه احد الوجهاء واني على المدينة واجبني الى ما اسأل وان بقي شاك فمر بقطع رأسي فولاه على العاصمة وفي الغد اتت ارملة تشكو من ان احد الحكام اختلس اموالها فامر الوالي ذلك

الحاكم ان يحضر للمحاكمة معها فازدرى امره وارسل اليـه احد سعاته ولم يلبِّ دعوته وعلم ان ذلك الحاكم دعاه الملك الى مأدبة تحضر اليها الوالي ايضاً وقال للملك مولاي ان كنت ثابتاً في ما وعدتني من انفاذ كلمتي في من يظلمون الفقراء فانا مقيم على عهدي وان اخلفت وعدك ودعوت الى مأدبتك احد هولاء البغاة فلا اواخذ انا بنقض عهدي وقص عليه الامر فسخط الملك على الحاكم فاخذه الوالى وامر بضربه ثم اركبه حماراً عرياناً وطوفه في شوارع المدينة واسترد منه كل ما اختلسه من الارملة فلم يعد احد يجسر ان يلحق اهانة باحد او يمس غيره بضر



عد ٦٥٠

في طيار الملك

لم يكن طيار من اسرة حسيبة لكنه ترقى في المناصب بذكائه وخلاله الحسنة حتى صار رئيساً للحرس الملكي ثم اختاره يوستينس الثاني معاوناً وسماه قيصر كما رأيت سنة ٥٧٤ فاحسن القيام باعباء المملكة اربع سنين الى ان توّجه يوستينس ملكاً سنة ٥٧٨ وكان طيار طويل القامة جميل المنظر حتى يعد اجمل رجال جيله لطيفاً وديعاً حليماً لا بكلامه ومعاملته الناس فقط بل في خلقه وقلبه ايضاً يحب شعبه كاب ويعتد سعادة رعيته كنزاً له وقد اعفاهم من اداء الخراج السنة الاولى لملكه وكان يجزل عطاياه للفقراء وقد اجمع القدماء والحدثاء على الاعتراف له بهذه السجايا المشرفة واتى يوماً يشهد الملاعب فضج الحشد بالدعاء له والترحيب به وسألوه ان يريهم الملكة فحضرت تصحبها بنتاه قسطنطية وشريتون وكانت صوفيا ارملة يوستينس هنالك ولم تكن تعلم انه مزوج بل كانت متهمة في ان يتزوجها فدهشت لذهول ووله وافرط طيار في تكريمها وتعزيتها وبنى لها قصراً في اجمل محل في المدينة وزادها على ما كانت عليه من الاجلال والحرمة الملكية فلم يكن ما ينسيها ولهها وحزنها هذا ما رواه المؤرخون اليونانيون توافان وشدرانس

وزوناداس (في كلامهم على هذا الملك) لكن القديس غريغوريوس اسقف تور ابأنا (في ك ٥ من تاريخه فصل ٣١) ان هذه الملكة لم تكتفِ بغيظها بل عمدت الى الانتقام من طيبار وتآمرت مع بعض الاعيان ورؤساء الجيش على ان تثل عرش الملك وتقيم يوستنيانس احد قادة الجيش ملكاً ودرى طيبار بالمكيدة وهو في ضواحي المدينة وعاد الى الكنيسة توًا يشكر الله لافتضاح سرّ المؤامرة وجمع البطريرك والندوة واعلمهم بما كان ولم يجزِ صوفيا الملكة الا بانتزاع شيء من خزائنها التي كانت وسيلة لمكرها والا بتغيير خدامها واما يوستنيانس فانطرح على قدمي الملك صاغرًا مستغفرًا فعفا عنه وبعد ان ونبه ابقاه على منصبه وكرامته

لم يكن من الاحداث التي تستحق ذكرًا في ايام طيبار الا محاربته للفرس واذلالهم فان كسرى ملك الفرس كان قد توفي سنة ٥٧٩ وخلفه ابنه هرمزدا وكان جائرًا قاسياً سفاكاً للدم وهم ان يسعر نار الحرب بينه وبين الرومانيين فارسل اليه طيبار وفدًا يكاشفه بامر الصلح فلم يشأ هرمزدا ان يقابلهم بل طردهم من بلاده فاوفد اليه طيبار مفوضين اخرين ومعهم هدايا نفيسة وجماً غفيرًا من الاسرى الفرس فسر اهليهم ومواطنوهم بتخلية سبيلهم وزاد هرمزدا فظاظة واهماً ان ذلك دليل على ضعف خصمه واوقف المفوضين شهرين الى ان صرفهم واصحبهم بمن يضلهم الطريق فلم يتحمل طيبار هذه الاهانات فامرّ على جيشه موديق وارسله الى ما بين النهرين فشتت الفرس وطردهم من هذه البلاد واستمر هرمزدا يبغي الحرب فكانت وقعة هائلة بين موديق وعساكر الفرس في بلادهم فذهب هولاء شذر مذر والتقى قائدهم نفسه بين صفوف الرومانيين فكان الساعي على حتفه بظلفه فتوغل الرومانيون في فارس ثم عاد موديق الى قسطنطينية ظافرًا واجرى طيبار حفلات الظفر ليمحو آثار انخذال الرومانيين في ايام اسلافه وكان طيبار على شبابه معتلاً برئته واتصل سقمه الى درجة لا يرجى شفاؤه وكان يلم ما يخف

بالمملكة من الاخطار والمصاعب وما تكون غوائل وفاته فعمد بعد ان تروى ملياً على ان يسمي موريق قيصر وخطب له ابنته قسطنطية في ٥ آب سنة ٥٨٢ وشعر بعد ذلك بدنو المنون فاستدعى روساء بلاطه والندوة والقضاة والبطريرك وعلية الاكليرس واعيان الشعب فتلا يوحنا كاتبه خطبة باسمه اقام بها موريق عاهلاً وخلفاً له في الملك واطال في الوصايا والنصائح له ليتقي الله ويعلم انه تلقى الملك منه وانه مطالب له بكل ما يعمل وان يتشبث باهداب العدل ويسوي بين الرعية في الحقوق ولولا خشية ملل المطالعين لاثبتنا هذه الخطبة التي يجدر ان تكتب بالتبر لا بالمداد ولم يبق احد ممن سمعوها الا وفاضت عيناه بالدموع لهفاً واسفاً على فقد هذا الملك الصالح المغرم بخير رعاياه وسعادتهم في حياته وبعد مماته وتناول التاج وبداه ترتجفان لنحوله فتوج به راس موريق واخذ البرفير فوشحه به تجاه هذا الحشد الحافل ثم حمل بسريره الى بلاطه حيث لقي في الغد ربه في ١٤ آب سنة ٥٨٢ فاسف عليه كل من عرفه (افاغريوس وتوافان وشدرانس في كلامهم على هذا الملك)

عد ٦٥١

في موريق الملك

موريق (او موريس) ولد في الكبادوك سنة ٥٣٩ وترقى في المناصب الجندية الى ان امره طيبار على جيشه لمحاربة القرس ثم سماه قيصر وخطب له ابنته وجعله خليفة له في الملك قبيل وفاته في ١٣ آب سنة ٥٨٢ وقد تزوج بخطيبته بعيد تتويجه بحفلات دعا اليها كبراء مملكته كما يدعى الانسباء والاصدقاء فاكثر الشعب فيها مظاهر البهجة والسرور على انه لم يوفق في بواكير حروبه فان القائد الذي ارسله لمواصلة الحرب مع الفرس ظهروا عليه وتصدوا للسطو على بلاد ما بين النهرين فعزله وامر مكانه فيليبك وزوجه اخته فكسر الفرس جيشه اولاً ثم

استظهر عليهم في وقعة حتى كاد يظن انها القاضية الفاصلة لكن الفرس لموا شعث جيشهم واستعانوا بالاهلين فتقووا على الرومانيين واضطر فيليبيك ان ينهزم مذعورًا فاستدعاه الملك اليه وامر غيره ولم ينهِ هذه الحرب الا ثورة فارام او بارام قائد جيش هرمزدا ملك الفرس عليه وثل عرشه والقائه في السجن وتمليك اعيان مملكته ابنه كسرى عوضه على ان فارام ارغم كسرى هذا ايضاً ان يفر ويلجأ الى موريق الملك سائلاً اياه ان ينجده على عدوه فتقبل الملك لجأته مسرورًا متفاخرًا واطلق حباً به من كان عنده من اسرى الفرس ووعده بان ينجده واقرضه مالاً يستعين به على خصمه فاران الذي كان قد سمي ملكاً ولكنه قد اثار عليه قومه لفظاظة اخلاقه وشراسة طبعه فتيسر لكسرى بهذا وبنجدة موريق له بجنوده ايضاً ان يعود الى ملكه وان يتعقب الثائر ويظفر به ببسالة جنود موريق وقائدهم نرسيس حتى لم يعد يعرف مقر لفارام وعاد كسرى من ملاحقته فكتب الى موريق رسالة يبين بها امتنانه له ومحافظته على صداقته طول حياته ويسأله ان يبقى عنده الف جندي من الرومانيين فاجابه موريق الى كل ما سأله وقد ذكر شدرانس هذه الاحداث في تاريخ السنة الثامنة لموريق وعليه فيكون وقوعها في سنة ٥٩٠

وكانت لموريق حروب متوارة مع الافارين وهم شعب من التتر سطا عليهم الصينيون فاخرجوهم من بلادهم سنة ٥٥٢ فحلوا على شواطي الدانوب فحاربوا موريق واستحوذوا على بعض املاكه وانتشروا في جرمانيا حتى ايطاليا وكان موريق قد اعتاد الترف بعد ملكه فلم يخرج لحربهم ولا تيسر له ان يختبر قواد جيشه ليولي من كان منهم اكثر اهلية ومهارة فازداد هولاء الاعداء جرأة وارغموه ان يؤديهم كل سنة جعلاً وافرًا وكلما رأوه متضايقاً طالبوه بالزيادة عليه وهددوه بفتح عاصمته وقد فتكوا بجنودهِ نحو سنة ٦٠٠ واخذوا منهم اثني عشر الف اسير

فاكره موريق ان يطلب الصلح من ملكهم فاباه اولاً ثم اخذ يتساهل حتى عرض بتخلية سبيل الاسرى على شريطة ان يفتدي كل منهم بمبلغ زهيد لا يتجاوز الفرنكين في نقود ايامنا فابى موريق دفع هذه الفدية اما لبخله اما لحنقه من وغادة جنوده فاحتدم ملك الافاريين وقتل الاسرى جميعاً فبعث سؤ تصرف موريق هذا شعبه وجنوده على الثورة عليه ولا سيما بعد ان علموا انه دفع الى الافاريين زيادة في جعلهم عشرين الف دينار ذهباً وافضت هذه الثورة بعد سنتين الى ثل عرشه على ان موريق لم يصبر طويلاً على الذل وتحيَّن اول فرصة فامر بريسكس على جيشه فانتصر على الافاريين في خمس وقائع واهلك نخبة شبانهم وانتهب اموالهم ولسبب يعلمه الله استدعى موريق بريسكس وعزله وولى مكانه على جيشه اخاه بطرس وكان الجنود يزدرونه لجهله قيادة الجيش فخلعوا نير طاعته وعصوا اوامره وهددوه فخاف وانهزم واقام الجنود فوقا قائدًا لهم وكان فوقا من اصغر رؤساء الجند لكنه كان جسورًا شرساً وكان قبل سنتين تطاول على الملك نفسه مؤنباً اياه على سؤ واتصلت اخبار ثورة الجنود الى العاصمة فكان لها صدى شديد وجاهر مبغضو الملك بالعداوة وزحف فوقا بجنوده الى القسطنطينية فارسل موريق بعض روساء قصره ينذرونهم بالطاعة فازداد فوقا جرأة واراد الملك ان يمنعهم من الدخول الى المدينة واقام بعض الجنود والاهلين على اسوارها ولكن انتشرت الثورة في احياء المدينة وتقدم الثائرون من الخارج فتنكر موريق والقى نفسه في سفينة مع امرأته واولاده وما تيسر له اخذه من خزائنه لكنه لم يصل الى البر من جهة اسيا الا واعتراه مرض منعه من المسير وارسل ابنه توادوسيوس الى كسرى ملك الفرس يستنجده في ضيقته كما نجده هو من قبل ولكن بعد المزار ولما علم الشعب فرار موريق خرجوا الى لقاء فوقا بالبهجة والاحتفاء واقرت الندوة والاعيان والبطريرك نفسه لفوقا بالملك وارسل هو فقبض على موريق واسرته

وقتل ابناءه امامه ليزيده عذاباً ثم قتله وكان ذلك في ٢٧ تشرين الاخر سنة٦٠٢ وكان عمر موريق حينئذٍ ثلثاً وستين سنة وقد ملك عشرين سنة وطرحت جثته وجثث بنيه في البحر واوتي بروسهم الى فوقا وكان موريق طلب ابنه تاودوسيوس فعاد من طريقه فابسل مع اخوته على رواية وعلى رواية اخرى وهي اظهر من الاولى ان جنود فوقا التقوا به فقتلوه بمعزل عن اخوته • هذه خلاصة اخذت عن تواريخ توافان وشدرانس وزوناراس في كلامهم على موريق

الفصل الثاني

في المشاهير الدنيويين في سورية ومن عاصرهم في غيرها في القرن السادس

عد ٦٥٢

(في المشاهير الدنيويين في سورية في هذا القرن)

قل من كان من المشاهير الدنيويين في سورية في هذا القرن ايضاً فقد عرفنا منهم الربي هرون ابن اشير كان في اوائل هذا القرن او آخر القرن السالف في فلسطين وقد عاون على استنباط وضع النقط والحركات في اللغة العبرانية وقد ذكرناه في تاريخ القرن الخامس • وعرفنا ايضاً دوروتاوس احد معلمي مدرسة الشريعة في بيروت كان في جملة العلماء الذين استدعاهم الملك يوستيانس لتنقيح الشرائع وضمها الى مؤلف واحد فعنى مع تريبونيان رئيس هذه اللجنة في وضع

كتاب الشريعة المنسوب الى لهذا الملك والمعروف بالديجستا DICESTAE وهي كلمة لاتينية معناها الشرائع المنظمة او نظام الشريعة وقد اثبته هذا الملك في ١٦ كانون الاول سنة ٥٣٣ وقد اختاره يوستنيانس لوضع كتاب في القواعد والضوابط الاولى لهذا العلم تيسيرًا لتعلمه فاتم هذا المؤلف مع تريبونيان المذكور وتوافيلس احد معلمي مدرسة الشريعة في القسطنطينية وهو الكتاب المسمى باللاتينية INSTITUTOS انستيتيتس اي الرسوم او المراسيم واثبته هذا الملك بمنشوره المؤرخ في ٢١ تشرين الثاني سنة ٥٣٣ وعلمنا ايضاً انه كان مع دوروتاوس عالم آخر من معلمي الشريعة في بيروت في تأليف كتاب الديجستا المذكور ولكننا لم نعثر على اسمه في كتب المؤرخين التي لدينا مع انهم اجمعوا على ان من وضعوا هذا الكتاب كانوا تريبونيان ومعلمين من معلمي مدرسة قسطنطينية ومعلمين من معلمي مدرسة بيروت مع احد عشر عالمًا من محامي الدعاوي

على ان من فاق هولاء شهرة انما هو افاغريوس المؤرخ الشهير الذي استشهدنا بكلامه متواترًا في هذا الكتاب فقد ولد سنة ٥٣٦ في حماه التي سماها القدماء ايفانيا نسبة الى الملك انطيوكس ايفان واقام مدة في انطاكية يتعاطى محاماة الدعاوي ثم انطلق الى قسطنطينية وكان مكرماً معززًا لدن الملكين طيبار وخليفته موريق ورقياه الى مناصب رفيعة ولم تكن هذه المناصب لتشغله عن خدمة العلم ونفع الناس به فقد الف تاريخاً دينياً دنيوياً مقسوماً الى ستة كتب ابتدأ فيه من حيث انتهى تاوادوريطس وسقراط من تاريخهما اي من سنة ٤٣١ وانتهى به الى سنة ٥٩٤ وقد صرح فوتيوس (في ك ٢٩ من مكتبته) بانه فاق غيره من المؤرخين في ايراد الحقائق وقد ترجم تاريخه من اليونانية الى اللاتينية العالمان مسكولس كريستفورس وادر دي فالوا وطبع مع تأليف اوسابيوس وسقراط وسوزومانس وتوادوريطس سنة ١٥٤٤ في باريس وترجه الى الافرنسية العالم

كوزان المعروف بالرئيس وطبع الاب مين تاريخه في جملة مكتبة الاباء الذين كتبوا في اليونانية سنة ١٨٦٠ في باريس

وقد روى اغاثيا (ك ٢ عد ٣٠ من تاريخه) الذي كان في ايام الملك يوستنيانس وكتب تاريخه من سنة ٥٥٣ الى سنة ٥٥٩ في خمسة كتب انه كان في ايامه في سورية من العلماء هرميا وديوجان الفونيقيان وديسيدورس الغزي ووصفهم بأنهم كانوا ازهارًا في ايامه ولم نطلع في كتب غيره على شيء من تراجم هولاء وذكر ايضاً (في ك ٢ عد ٢٩ من تاريخه المذكور) اورانيوس الصوري فقال انه اتى بيزنطية (اي قسطنطينية) يتعاطى صناعة الطب وكان يدعي انه فيلسوف افلاطوني ويماحك في الجدال وهذا ايضاً لم نطلع في ما لدينا من الكتب على شيء من ترجمته فاجتزأنا بهذه الاشارة . لعل احدًا يأتي بعدنا فينقب في حطام القدماء عن هولاء العلماء فيبعثهم للحياة في عالم العلم

عد ٦٥٣

في بعض من عاصر هولاء خارجاً عن سوريه

نعرف من مشاهير العلماء الدنيويين في هذا القرن خارجاً عن سورية اولاً بروكوب وهو مؤرخ يوناني ولد في قيصرية بالكبادوك نحو سنة ٥٠٠ وقد افتتح مدرسة يعلم فيها الفصاحة بقسطنطينية ثم صحب بليصار قائد جيش يوستنيانس في حروبه في اسيا وافريقيا وايطاليا اذ كان كاتباً له الى ان جعله يوستنيانس من رجال الندوة ثم نصبه والياً في قسطنطينية سنة ٥٦٢ الى ان ادركته الوفاة نحو سنة ٥٦٥ ويظن انه كان مسيحياً ومن مصنفاته كتاب في الحروب مع الغطط والفرس والبندالة يقدر يوستنيانس وحاشيته فيه حق قدرهم من الحرمة والاجلال ولكن له كتاب عنونه انكودُت (اي السري) اكثر فيه من الغيبة والطعن بيوستنيانس وببليصار ولا سيما بالملكة تاودورا حتى رأى بعض المحققين ان يعزو هذا الكتاب

الى غير بروكوب وله ايضاً كتاب حوى ست مقالات في الابنية التي احدثها يوستنيانس الملك تنطوي على فوائد عديدة جغرافية وصناعية قد طبعت تآليفه هذه باليونانية مع ترجمتها الى اللاتينية بعناية الاب ملترا في المجموعة الموسومة بالمكتبة البيزنطية سنة ١٦٦٢ ثم طبعها دندرف في مدينة بون سنة ١٨٣٣ وقد ترجم العالم مرتينس فوما كتابيه في التاريخ والابنية الى الافرنسية وطبعهما في باريس سنة ١٥٨٧ وترجم العالم ايزمبر تاريخه السري وطبعه سنة ١٨٥٦ وعلق عليه حواشي مفيدة

ومن هولاء اغاثيا المار ذكره آنفاً وهو مؤرخ يوناني ولد في ميرينا باسيا الصغرى وكتب تاريخ الملك يوستنيانس من سنة ٥٥٣ الى سنة ٥٥٩ في خمسة كتب تكملة لتاريخ بروكوب وطبع في جملة الكتب التي اشتملت عليها المجموعة البيزنطية سنة ١٦٦٢ وقد ترجمه من اليونانية الى الافرنسية العالم كوزان المعروف بالرئيس وله قصائد شعرية وقد طبع مؤلفاته كلها برونك سنة ١٧٧٩ ويعقوب سنة ١٧١٣ في لبسيك وطبع تاريخه الاب مين في جملة كتب العلماء الذين كتبوا في اليونانية نحو سنة ١٨٦٠

وكان من علماء السريان الدنيويين في هذا القرن سرجيوس او سركيس الرشعيني (نسبة الى بلدة اسمها رشعين او راس العين) ببلاد ما بين النهرين واشتهر بانه كان اول من ترجم الكتب الفلسفية والطبية من اللغة اليونانية الى السريانية وقد ذكره ابو الفرج ابن العبري في تاريخه فقال « وكان من السريان اطباء ماهرون منهم سركيس الرشعيني وهو اول من ترجم الكتب الفلسفية والطبية من اليونانية الى السريانية واثناسيوس الآمدي وفيلاغريوس » (عن السمعاني مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٣١٥) وقال فيه ابن العبري ايضاً « انه في ايام افرام الآمدي (بطريرك انطاكية) مضى سركيس الرشعيني الى انطاكية ليشكو اسكوليوس

اسقف محله الى افرام وكان سركيس رجلاً فصيحاً ضليعاً في علوم السريان واليونان وطبيباً حاذقاً جدًا وكان قد خصى نفسه طائعاً على ما شهد فرولوغس لكنه كان ذا سيرة سيئة نهتكاً منهماً بمحبة المال فوعده افرام بان يدفع له كل ما يسأل اذا اراد ان يمضي الى رومة برسالة الى اغابيطس الحبر الروماني فارتضى سركيس وسار الى رومة واتى باغابيطس الى قسطنطينية (عن السمعاني في المحل المذكور صفحة ٣٢٣) وكان غرض اغابيطس من قدومه الى قسطنطينية ان يصلح ما بين يوستنيانس وتيوداتس ملك الغطط . وقال السمعاني (مجلد ٣ من المكتبة الشرقية صفحة ٨٧) « لا يمكنني ان اقطع بكون سركيس هذا هو سركيس المترجم نفسه الذي كان في ايام كسرى ملك الفرس ويوستنيانس الملك واشتهر بترجمته الى اليونانية سلسلة ملوك الفرس واعمالهم بطلب اغاثيا (المار ذكره) على ان العصر الذي كانا فيه واحد والمكان واحد وكل منهما كان عالماً وضليعاً بمعرفة اللغات » وعليه فيرجح انهما سركيس واحد لا سركيسان وقد ذكر سركيس هذا عبد يشوع الصوباوي في قصيدته (فصل ٦٤) وقال ان له شروحاً في المنطق والبيان

ذيل

في مشاهير شعراء العرب النصارى في هذا القرن السادس

رأينا ان نطرف قراء كتابنا بشيء ولو قليلاً من اخبار شعراء العرب في هذا القرن جرياً على ذكرنا بعض المشاهير من غير سورية فشعراء العرب اولى بهذا الذكر من اوجه وقد اعتمدنا في ما نلخصه من تراجمهم على مجموعة الاب لويس شيخو اليسوعي في شعراء النصرانية التي جمعها بتعب جزيل من اشهر كتبهم

واصحها وطبعها في بيروت سنة ١٨٩٠

فمن هولاء الشعراء امرؤ القيس وهو ابن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور من قبيلة كندة وامه اخت كليب والمهلهل التغلبيين ولد لنحو سنة ٥٢٠ م وكان ذكياً متوقد الفهم ولما ترعرع اخذ يقول الشعر وقيل ان خاله المهلهل لقنه هذا الفن حتى قدم على سائر شعراء عصره وغضب عليه ابوه لقوله الشعر لانه كان امير قبيلته وكان الملوك يأنفون من ذلك فطرده فكان امرؤ القيس يسير في احياء العرب ومعه اخلاط منهم وقال حينئذٍ معلقته المشهورة ومطلعها

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

وما برح مع صعاليك العرب حتى بلغه مقتل ابيه حجر فآلى ان لا ياكل لحماً ولا يشرب خمرًا ولا يدهن بدهن ولا يلهو بلهو حتى يدرك بثار ابيه وكانت له حروب شديدة مع بني اسد قاتلي ابيه وقتل منهم كثيرين ولم ينكف عن القتال حتى خذله العرب الذين كان استنجدهم فنجدوه فمضى يحرش غيرهم على بني اسد وخاصمه المنذر (ابن ماء السماء على مذهب المؤرخين العرب) احد ملوك الحيرة ولجأ لما ضاق ذرعه عن مناواة كل من اثارهم عليه الى قيصر الروم وكان حينئذٍ يوستنيانس (على مذهب المؤرخين العرب) ويقال انه قلده امرة فلسطين ولم ينجده لاعادة ملكه فضجر وعاد الى بلده فمات في طريقه سنة ٥٦٥ ولامرئ القيس في كل هذه المواقع قصائد رنانة يمكن مطالعتها في ديوانه او في الكتاب المار ذكره وكان مسيحياً وقد مر لنا كلام فيه وفي الاسهم التي استودعها السموءل (في عد ٦١٠)

انا نرى خلافاً بين المؤرخين العرب وغيرهم في زمان ماوية ماء السماء فقد ذكرها سوزومانس وتاودوريطس في اواخر القرن الرابع وملك بعدها ابنها المنذر بن ماء السماء في اوائل القرن الخامس والمؤرخون العرب يقولون ان المنذر هذا

كان يناوئ امرؤ القيس حتى اضطره الى الفرار وجعلوا المنذر هذا في ايام كسرى انوشروان الذي ملك من نحو سنة ٥٣٠ الى سنة ٥٧٧ في القرن السادس واتبعهم في ذلك صاحب المجموعة الذي لخصنا هنا ما كتبه في ترجمة امرئ القيس وهو يخالف ما ذكرناه في عد ٦١٠ فاتبعنا هنالك رأيهما اذ ذكرا قصة ماء السماء وابنها في القرن الخامس وتاريخهما لا يمتد الا الى اواسط القرن الخامس وروينا هنا ما جاء في المجموعة المذكورة نقلاً عن المؤرخين العرب والذي نراه الان ان رواية تاودوريطس وسوزومانس ان ماء السماء وابنها المنذر كانا في اخر القرن الرابع واول الخامس هي احق بالاتباع لانهما ثقة وكانا معاصرين لهذه الملكة وابنها واما امرئ القيس والمنذر الذي ناصبه فكانا في القرن السادس ولم يكن المنذر هذا ابن ماء السماء بل من ذريتها وقد غرتنا تسمية المؤرخين له ابن ماء السماء حتى تكلمنا على امرئ القيس والسموئل في تاريخ القرن الخامس في عد ٦١٠

ومن مشاهيرهم حنظلة الطائي وهو ابن عفراء بن النعمان بن حبة الى الغوث بن طي ورووا انه بسببه تنصر المنذر بن ماء السماء وذلك ان المنذر جعل له يومين يوم نعيم ويوم بؤس فاول من يطلع عليه يوم بؤسه يقتله ومن جاءه يوم نعيمه اغناه وكان حنظلة قد آوى المنذر يوم خرج الى الصيد وضل طريقه وقراه بحليب ناقته ولحمها وقال له المنذر عند انصرافه يا اخا طي انا المنذر فاطلب ثوابك واصابت حنظلة مصيبة وساءت حاله فمضى الى المنذر وكان يوم بؤسه فقال له ابشر بقتلك فسأله ان يؤجله سنة ليرجع الى اهله ثم يصير اليه في الاجل وطلب كفيلاً فكفله رجلاً اسمه شريك بن عمر وحل الاجل ولم يأتِ حنظلة فامر المنذر بقتل شريك فتهيأ للقتل ووقف السياف بجانبه فلم يشعر الا براكب قد ظهر فاذا هو حنظلة فقال له المنذر ما الذي جاء بك وقد افلتّ من القتل قال الوفاء قال وما دعاك الى الوفاء قال ان لي ديناً يمنعني من الغدر قال وما دينك قال النصرانية قال

فاعرضها عليَّ فاعرضها فتنصر المنذر قال الميداني وتنصر معه اهل الحيرة اجمعون قال الاب شيخو ان هذه القصة تعزى للنعمان بن المنذر لكنه استخار رواية كتاب الاغاني فعزاها الى المنذر قلت وقد تكون القصة من الاقاصيص المدخلة فلا يمكن القطع بصحتها لان ماوية المسماة ماء السماء وابنها المنذر كانا قبل حنظلة بنحو قرن كامل كما مر وكانا مسيحيين ويشتم من الرواية رائحة الاستنباط والحكايات ومهما يكن من امرها فحنظلة باع ما ملك وبنى ديرًا قريباً من شاطي الفرات وترهب فيه ويسمى دير حنظلة وقال فيه عبدالله بن محمد الامين

الا يا دير حنظلة المفدّى لقد اورثتني سقماً وكدا

وتوفي حنظلة في هذا الدير سنة ٥٩٠ وهو من شعراء الجاهلية ولم يبقَ الا القليل من شعره ومنه ما رواه ابو الفرج ابن الطيب النصراني

مهما يكن من ريب دهرٍ فانني ارى قمر الليل المغذب كالفتى
يهل صغيرًا ثم يعظم ضوؤه وصورته حتى اذا ما تمّ استوى
وقرَّب يخبو ضوءه وشعاعه حتى يستسر فما يرى

ومنهم حاتم الطائي وهو ابن عبدالله بن سعد الى الغوث ابن طي ولهم في كرمه وجوده روايات كثيرة غريبة تلحقها بالاقاصيص واحسبها مبالغات تعمد بها الرواة حث الناس على الكرم وسلكوا فيها مسلك شعراء العرب بالمبالغة والغلو على انها لا تخلو من الحقيقة حتى ضربت الامثال بجود حاتم طي وكان حاتم شاعرًا مجيدًا يكرر في قصائده ذكر الجود والكرم ويتفاخر بهما الناس ويحث الناس عليهما ومن ذلك قوله :

وقد علم الاقوام لو ان حاتماً اراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمال صنيعة فاوله زاد واخره ذخر
يفك به العاني ويوكل طيباً وما ان تعريه القداح ولا الخمر

عنينا زماناً بالتصعلك والغنى كما الدهر في ايامه العسر واليسر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر
فقدماً عصيت العاذلات وسُلّطت على مصطفى مالي انامي العشر

وقال من قصيدة أخرى

ولا اشترى مالاً بغدر علمته ألا كل مال خالط الغدر انكد
اذا كان بعض المال ربًّا لاهله فاني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويوكل طيباً ويعطى اذا منَّ البخيل المطرَّد

ولذلك لهج الشعراء بمدحه فقال احدهم

وحاتم طي ان طوي الموت جسمه فنشر اسمه في الجود عاش مخلدا

وعن المجموعة المذكورة ان وفاة حاتم طي كانت سنة ٦٠٥

ومنهم كليب واخوه المهلهل وهما ابنا ربيعة بن الحدث بن زهير الى تغلب وكليب اسمه وائل والمهلهل اسمه عدي وكانت بين بني ربيعة وملوك اليمن حروب مشهورة وكان كليب رئيس قومه فاذل جموع اليمن وهزمهم وساد بقومه واستطال وبغى وتزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وكان اخوها جساس له خالة اسمها البسوس نزلت عليه وكانت لها ناقة تسمى سراب خرق كليب ضرعها وقتل فصيلها اذ رآها ترعى في مرعاه فغار جساس لخالته وانف من بغي كليب فقتله فهب المهلهل اخوه يثأر بدمه من بني مرة فكانت بين الفريقين الحروب المعروفة بحرب البسوس وكانت هذه الحرب في اواخر القرن الخامس فان كليباً قتل على ما في المجموعة المذكورة سنة ٤٩٤ واخوه عدي وهو المهلهل قتل سنة ٥٣١ ولكليب اشعار قليلة وللمهلهل اشعار كثيرة ولا سيما في رثاء اخيه والادراك بثاره وحروبه وقتله بل له ديوان تتداوله ايدي العامة لكنه قد كثر فيه اللحن والخطأ من جهل النساخ قال صاحب المجموعة المذكورة لا شك ان المهلهل كان يدين بالتصرانية

فان قبيلته كانت قد تنصرت منذ اوائل القرن الرابع وفي شعره ما يدل على ايمانه بالله وبالبعث وفي اسرته كثيرون قد ثبت تنصرهم

وكان منهم السفاح التغلبي وقد توفي سنة ٥٥٥ والاخنس بن شهاب وتوفى سنة ٥٥٦ وجابر بن حنى التغلبي سنة ٥٦٤ وعميرة التغلبي سنة ٥٦٨ وعمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة وتوفي سنة ٦٠٠ وقس بن ساعدة الشهير وتوفي ايضاً سنة ٦٠٠ وعبد المسيح بن عسلة سنة ٥٩٢ والحارث بن عباد سنة ٥٥٠ وطرفة بن العبد سنة ٥٦٤ والمتلمس سنة ٥٨٠ الى غير هولاء

هذه صورة كاليان الملك الروماني عن تمثال له في الكابيتول برومة



القسم الثاني

في تاريخ سورية الديني في القرن السادس

الفصل الاول

في بطاركة انطاكية واورشليم ومن نعرفهم من اساقفة سورية في هذا القرن

عد ٦٥٤

(في بطاركه انطاكيه في القرن السادس)

فرغنا من كلامنا على هولاء البطاركة في القرن الخامس بذكر افلابيانس الثاني الذي توفاه الله سنة ٥١١ وخلفه ساويرس وكان مغوياً بغواية اوطيخا وقد ولد في بلاد فارس وثنياً ودرس العلوم في بيروت وتنصر في اطرابلس بفونيقي وعمده اسقف كاثوليكي واثر السيرة الرهبانية فانضوى الى دير قريب من غزة ثم مضى الى مصر فشايع بطرس الالثغ البطريرك الاسكندري مناصباً تيموتاوس البطريرك الكاثوليكي ولما اذعن الالثغ لمنشور زينون المعنون هنويتيكون اي منشور الاتحاد اعتزل ساويرس عن شركته لان المنشور لم يصرح بنبذ رسوم المجمع الخلكيدوني واتى في مقدمة جمهور من الرهبان الى قسطنطينية مهيجاً بين القوم المخالفة لرسوم هذا المجمع واغضى انسطاس الملك على شره لمناصبته هذا المجمع حتى

اتصل ساويرس الى عزل مكدونيوس البطريرك القسطنطيني واقامة تيموتاوس خازن الملكة بطريركاً مكانه وقد عاون تيموتاوس ساويرس لدى الملك انسطاس على طرد افلابيانس بطريرك انطاكية من كرسيه وانتخاب ساويرس مكانه فرقى الى هذا الكرسي ٥١٢ وفي يوم ارتقائه اليه حرم المجمع الخلكيدوني ورسالة القديس لاون البابا واوفد رسائله الى كل من كانوا متشبثين براسيم المجمع الخلكيدوني وابي ايليا بطريرك اورشليم ان يشترك معه وظل ساويرس يدبر مهام البطريركية الانطاكية بالعنف والاعتساف خمس سنين وبعض اشهر الى ان عاجلت المنية انسطاس الملك وخلفه يوستينس الصالح سنة ٥١٧ فامر بعقد مجمع في قسطنطينية واجمع الاساقفة الملتأمون فيه على تأييد مراسيم المجمع الخلكيدوني وحرموا ساويرس وامر الملك يوستينس بالقبض عليه وقطع لسانه ففر من انطاكية (روى ذلك لكويان في المشرق المسيحي في كلامه على ساويرس عن افاغريوس ك ٤ من تاريخه فصل ٤) وخلاصة ما رواه افاغريوس في المحل المذكور وفي محل آخر (ك ٣ من تاريخه فصل ٣٧) ان ساويرس رقي الى البطريركية في شهر تشرين الثاني سنة ٥٦١ للتاريخ الانطاكي الموافقة سنة ٥١٢ للتاريخ المسيحي العامي وفر من انطاكية في شهر ايلول سنة ٥٦٧ للتاريخ الانطاكي الموافقة لسنة ٥١٨ فيكون استمر في البطريركية خمس سنين وعشرة اشهر وكذلك روى توافان ان فرار ساويرس كان لسنة ٥١١ على مذهبه في تاريخ السنين وهي سنة ٥١٨ على مذهب عامة المؤرخين

قال لكويان (في المشرق المسيحي في كلامه على ساويرس) ان ساويرس بقي حياً الى سنة ٥٣٦ التي فيها عقد المجمع القسطنطيني فقد ذكر افاغريوس (في ك ٤ فصل ١١) انه كتب رسائل الى الملك يوستنيانس وتوادورا الملكة وتوادوسيوس البطريرك الاسكندري قال فيها انه يجب ان يأتي الى قسطنطينية ويجمل بطريركها

انثيمس يرعوي عن مخالفته المجمع الخلكيدوني وانثيمس هذا كان بطريركاً سنة ٥٣٦ وروى السمعاني في المكتبة الشرقية (مجلد ٢ صفحة ٣٢١) عن ابن العبري في تاريخه ان ساويرس • في السنة السابعة لاسقفيته ترك انطاكية وفر الى اسكندرية فاقيم مكانه بولس واستمر سنة واحدة واوفراسيوس وبقي سبع سنين وافرام الآمدي واستمر اثنتين وعشرين سنة واتى ساويرس من مصر الى قسطنطينية معتمداً على حماية تاودورا الملكة •••• وطرد منها بامر اغابيطس البابا فعاد الى مصر بزي راهب الى ان قضى نحبه في المحل المدعو سخا في الاسكندرية في ٢٨ شباط سنة ٨٥٠ يونانية • الموافقة لسنة ٥٣٩م انتهى كلام ابن العبري وعقبه السمعاني بقوله في المحل المذكور انه جاء في تاريخ بطاركة اسكندرية لرينودوسيوس (صفحة ١٣٨) ان ساويرس صرف بعد ان نال بطريركية انطاكية ثلثين سنة مقاوماً التعليم الكاثوليكي ان في المسيح طبيعتين وقد ادخله الملك انسطاس على بطريركية انطاكية سنة ٥١٢ على ما حقق الكردينال نوريسيوس وباجيوس التعلامتان وعليه فتكون وفاته سنة ٥٤٢ لا سنة ٥٣٩ كما قال ابن العبري على ان السمعاني روى (في المجلد ٢ المذكور صفحة ٥٤) عن يوحنا بن افتونيوس رئيس دير قنسرين المعاصر لساويرس انه توفي في ٨ شباط سنة ٨٤٩ الموافقة لسنة ٥٣٨ م انتهى والذي نعرفه من كتب ساويرس هو ما ذكره العلامة السمعاني (المكتبة الشرقية مجلد صفحة ٤٦) حيث قال ما ملخصه • ان بولس اسقف قلينيقية (ما بين النهرين) لما طرده الملك يوستينس من كرسيه لنبذه المجمع الخلكيدوني اتى الى الرها وترجم كتب ساويرس من اليونانية الى السريانية كما يظهر من الذيل المعلق على الكتاب ٢٩ من الكتب المأتي بها من الصعيد الى المكتبة الواتيكانية وهو • كان الفراغ من هذا الكتاب في شهر نيسان سنة ٨٣٠ يونانية (توافق سنة ٥١٩م) في مدينة الرها بلاد ما بين النهرين بعناية ماري بولس اسقف قلينيقية الذي ترجم من اليونانية

الى السريانية هذه الكتب التي الفها الطوباوي الورع مار ساويرس البطريرك وهي الكتاب الكبير ردًا على مزاعم يوليانس (الاليكرناسي) والرد على الزيادات وعلى المانويين وفيلالاتيس . وله ايضاً مئتان وخمس وتسعون قصيدة في الاوزان الثمانية قد ترجمها بولس الاسقف المذكور الى السريانية ونقحها كما يظهر من الكتاب المخطوط السرياني في عد ١٥ في المكتبة الواتيكانية حيث قال فيه « ان مئتين وخمساً وتسعين قصيدة من القصائد المشتمل عليها هذا الكتاب هي للقديس مار ساويرس» وذكر له السمعاني ايضاً (في المجلد المذكور صفحة ٨٠) بعض كتب ورسائل نقلاً عن بطرس القصار البطريرك الانطاكي وقال فيه ابن العبري (في بطاركة انطاكية) انه الف كتاباً عنونه محب الحق (وربما كان الكتاب الموسوم بفيلالاتيس) شرح فيه مباحث الطبيعتين في المسيح وفسر منشور زينون الملك

وخلف بولس ساويرس في بطريركية انطاكية ولكنه لم يرق الى المقام البطريركي على فور انهزام ساويرس سنة ٥١٨ بل مضى بعد ذلك سنة فرقي في سنة ٥١٩ وامر البابا هرمزدا ان لا يرقى في قسطنطينية بل في انطاكية فرقي فيها ومذ تبوأ كرسيه اخذ يعظ مؤيدًا رسوم المجمع الخلكيدوني بل روى ابن العبري (في تاريخ بطاركة انطاكية) انه جمع الاساقفة واكرههم على بث الرسوم المذكورة فمن اعتراهم الفشل وطاعوه لبثوا في كراسيهم ومن خالفوه عزلوا وسمى ابن العبري بولس هذا يهودياً واناء الغضب لانه كان مخالفاً لبدعته . وكذا سماه يوحنا اسقف اسيا لانه كان من اصحاب الطبيعة الواحدة على ان هذا البطريرك لم يستمر على كرسيه الا نحوًا من ثلث سنين واعتزل كما يظهر من ذكر توافان ترقيته سنة ٥١٢ وخلافة اوفراسيوس له سنة ٥١٥ (لا تسهَ عن ان توافان يخالف رأي عامة المؤرخين بسبع سنين فعلى رأيهم ان ترقيته كانت سنة ٥١٩ واعتزاله سنة ٥٢١) وذكر يوحنا ملالا علة هذا الاعتزال فقال قد امر بولس ان تكتب اسماء الست

مئة وثلاثين اسقفاً الذين شهدوا المجمع الخلكيدوني في التذكارات في الكنائس فلم يطاوعه جميع اساقفته فآثر العزلة على البقاء في البطريركية مع هذا الخلاف وعن ديوانيسيوس بطريرك اليعاقبة انه استمر في البطريركية سنة واحدة ومات ولكن تعقبه العلامة السمعاني (في مجلد ١ من مكتبته صفحة ٢٩٩) بان قوله هذا منقوض بقوله في محل آخر ان بولس صار بطريركاً سنة ٨٣١ يونانية (سنة ٥٢٠م) وان يعقوب السروجي توفي سنة ٨٣٣ (سنة ٥٢٢) وان بولس رقى خليفته موسى في سروج بعد وفاته فان كان قام في البطريركية سنة ٥٢٠ واستمر سنة واحدة فكيف يرقي موسى سنة ٥٢٢ بعد وفاته بسنة

وخلف اوفراسيوس بولس سنة ٥٢١ وكان من اورشليم وقال فيه توافان في تاريخ سنة ٥١٣ (على مذهبه) انه محا اولاً من التذكارات في الكنائس اسماء اباء المجمع الخلكيدوني والحبر الروماني لكنه ندم بعد ذلك واذاع اعمال المجامع المسكونية الاربعة وقسا على مخالفي المجمع الخلكيدوني وسماه ابن العبري ابن الملاح وقال انه في ايامه امر الملك يوستينس بانه يلزم المؤمنين جميعاً ان يذعنوا لما رسمه المجمع الخلكيدوني ومن لا يذعنون يحسم رزقهم ويحطون عن مناصبهم وان الملك قتل حينئذٍ بعض اعوانه لانهم لم يذعنوا لامره وقد توفي اوفراسيوس تحت انقاض داره في انطاكية بالزلزال الذي اصاب هذه المدينة سنة ٥٢٦ روى ذلك افاغريوس عن يوحنا دكتور (الخطيب او الفصيح) الذي كان شاهد عيان لهذا الحدث وقد ذكرناه آنفاً نقلاً عن الكرونيكون (تاريخ السنين) الرهاوي

وخلف افرام الآمدي اوفراسيوس سنة ٥٢٧ وكان والياً في انطاكية لما دمرتها الزلازل وما ابداه حينئذٍ من الشفقة على المصابين والعناية بهم والسخاء عليهم حمل اهل انطاكية على انتخابه بطريركاً كما مرَّ وكان شديد التمسك بعرى الايمان الكاثوليكي وكتب مقالات شتى دافع بها عن المجمع الخلكيدوني واتى

سنة ٥٣٧ الى فلسطين حيث عقد مجمع حرمت فيه تعاليم اوريجانس التي كان بعض رهبان فلسطين يدافعون عن صحتها (لكويان في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية) وقال ابن العبري (في بطاركة انطاكية) انه كان حكيماً ورعاً لكنه كان مغوياً بضلال اصحاب الطبيعتين وازل بخصمائه مضار كثيرة بحيلهِ واستمالة الملك اليه فاخرب اديارًا كثيرة ونقض مذابح شتى واضطهد المؤمنين ثماني عشرة سنة ولا يخفى ما حمل ابن العبري على هذا الكلام انما هو تشيعه لاولي بدعته وروى فوتيوس في مكتبته (ك ٢٢٨) ان افرام هذا كتب رسالة الى من شذوا عن الايمان في قلينيقية محضاً اياهم ان يصطلحوا مع الكنيسة ومبينا لهم انها براء من كل وصمة بدعة (رواه السمعاني مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ١٩) وجاء ذكر افرام هذا في كرونيكون الرها حيث قيل • انه بعد اوفرسيوس (يسميه الكرونيكون اوفرس) صار اسقفاً على انطاكيـة افرام الآمدي الذي كان والي المشرق • ويؤخذ عن تاريخ نيكوفور وجداول توافان انه استمر في البطريركيـة ثماني عشرة سنة وتوفاه الله سنة ٥٤٥ وعن تاريخ ابن العبري انه اقام سنة ٥٢٢ (على ما روى السمعاني مجلد ٢ صفحة ٣٢١) ومن بعد افرام هذا رغب ابن العبري عن ذكر البطاركة الكاثوليكين الى ذكر البطاركة اليعقوبين فذكر بعد افرام سرجيوس الذي اقامه اليعاقبة بعد موت ساويرس واستقرى الكلام في خلفائه

اما الكاثوليكيون فاقاموا بعد وفاة افرام دمنس الثاني ويسمى دومنيس ايضاً في اخر سنة ٥٤٥ او بدئ سنة ٥٤٦ وكان كاثوليكياً رشحه يوستنيانس الملك على ما جاء في ترجمة القديس سمعان العمودي الصغير وشهد المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣ ووقع عليه مع سائر الاساقفة وعن تاريخ نيكوفور وجداول توافان انه استمر على منصة البطريركية اربع عشرة سنة اي الى سنة ٥٦٠

وخلف انسطاس دمنس وكان راهباً من اديار فلسطين واطرأ افاغريوس (ك ٤ فصل ٣٩) فضائله ومنها شجاعته في مقاومة يوستنيانس الملك في متابعته بدعة من زعموا ان جسد المسيح لم يكن قبل قيامته ايضاً محلاً للفساد او للتأثرات الجسدية كالجوع والعطش ولما فشا هذا الضلال في قسطنطينية توقع القوم ان يبدي انسطاس رأيه فيه لانه كان علامة عصره فنبذ هذه الغواية وفندها فامر الملك بنفيه مع كهنته ولكن عاجلته المنية سنة ٥٦٥ فلم ينفذ حكمه على ان يوستينس الثاني الذي خلفه لم يكن ارفق منه بالبطريرك فانه عزله بمكيدة كادها حساده اذ سعوا به لدى الملك بانه بذر خزينة كنيسته وانه لما سئل عن هذا التبذير اجاب اني عمدت الى ذلك لئلا يبتزّ يوستينس آفة الدنيا مال كنيستي والصحيح ان علة عزله ما رواه توافان في تاريخ سنة ٥٦٢ (على مذهبه وهي سنة ٥٦٩) وهو ان يوحنا بطريرك قسطنطينية رقي الى الاسقفية يوحنا بطريرك اسكندرية ولا سلطة له على ذلك فانب انسطاس من رقى ومن ارتقى في رسالة مجمعية فبعثا الملك على عزله وهو ظاهر ايضاً من رسالة القديس غريغوريوس الحبر الروماني الى بطاركة المشرق والى انسطاس هذا وكان عزله في اخر سنة ٥٦٩ على ما روى نيكوفور في تاريخه وتوافان في جداوله (عن لكويان في المشرق المسيحي في بطاركة انطاكية). وجاء في تاريخ يوحنا اسقف اسيا (الذي اوصله الينا ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة) عداد مشاهير المونوفيزتيين ومشاهير الخلكيدونيين اي الكاثوليكيين سنة ٨٨٢ يونانية الموافقة لسنة ٥٧١ للميلاد فكان في مقدمة الكاثوليكيين فيجيليوس الحبر الروماني وانسطاس البطريرك الانطاكي (المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٩٠) وان كان فيجيليوس توفاه الله قبل ست عشرة سنة من التاريخ المذكور كما لاحظ العلامة السمعاني في المحل المذكور

وبعد عزل انسطاس عن كرسيه امر الملك يوستينس الثاني ان يرقي اليه

غريغوريوس وقد اثنى افاغريوس (ك ٥ من تاريخه فصل ٦) على غريغوريوس هذا ومما قاله فيه انه كان شهيرًا بصناعة الشعر وقد امتاز عمن سواهُ بثلث فضائل الصدقة والصفح عن المساوئ والدموع وكان شفوقاً على الخطاة وقد شكاه رجل عالمي الى الحاكم الدنيوي بجرائم كبيرة فعقد عليه مجمع في قسطنطينية شهده البطريركان الاسكندري والاورشليمي وكثيرون من الاساقفة وبعد البحث الدقيق حكموا ببراءته فامر الملك بجلد الشاكي ونفيه وبعد اربعة اشهر من عود غريغوريوس الى انطاكية حدث فيها سنة ٥٧٩ زلزال اخر دمر جانباً من بيوتها وبعد خمس سنين ادركته المنية سنة ٥٨٤ حققه باجيوس اعتمادًا على كتاب مخطوط باليونانية عُثر عليه في مكتبة قيصرية ولا يقرب من الصدق ما جاء في موجز تاريخ نيكوفور وجداول توافان ان غريغوريوس استمر في البطريركية اربعاً وعشرين سنة لتكون وفاته سنة ٥٩٣ (لكويان في المحل المذكور من المشرق المسيحي)

ولما توفي غريغوريوس عاد انسطاس الى بطريركية انطاكية سنة ٥٨٤ وعند بعضهم سنة ٥٩٠ وكتب اليه البابا غريغوريوس الكبير رسالة يحضه فيها على ان يقاوم دعوى البطريرك القسطنطيني بان يسمي نفسه بطريركاً مسكونياً فتعاطى الامر بحكمة متذكرًا ما جرى عليه قبلاً اذ وثب يوحنا البطريرك القسطنطيني على ترقيه البطريرك الاسكندري ثم توفاه الله سنة ٥٩٨ او سنة ٥٩٩ وبعضهم لم يميز بينه وبين انسطاس السينسوي كاتب المحاورات ردًا على المونوفيزتيين مع ان هذا كان راهباً لا بطريركاً وعاش بعد ظهور الاسلام اي بعد انسطاس البطريرك بسنين (لكويان في المحل المذكور من المشرق المسيحي)

وقام بعد انسطاس الاول انسطاس الثاني سنة ٥٩٩ او سنة ٦٠٠ ومذ تبوأ الكرسي البطريركي انفذ رسائل الى البابا غريغوريوس (والجواب له مثبت في

اعمال هذا البابا) والى البطاركة الشرقيين . وقد دبر كنيسته في اوقات صعبة ايام الحروب بين فوقا ملك الرومانيين وكسرى ملك الفرس وناصب اليهود الذين هاجوا على النصارى في انطاكية فقبضوا عليه وجروه في المدينة حتى لتي ربه فارسل فوقا فنكل بهم وقتل كثيرين منهم وروى توافان هذا الخبر في تاريخ السنة السابعة لفوقا وهي سنة ٦٠٩ وعن التاريخ الاسكندري ان ذلك كان في ايام هرقل خليفة فوقا سنة ٦١٠ وكان انسطاس هذا ضليعاً في اللغتين اللاتينية واليونانية وله ترجمة كتاب للبابا غريغوريوس من اللاتينية الى اليونانية . وقد فرغ كرسي انطاكية بعد وفاته من بطريرك مدة اثنين وعشرين سنة وعلى رواية اخرى ثماني وعشرين او ثلاثين سنة لتواتر سطو الفرس على سورية (لكويان في المحل المذكور من المشرق المسيحي)

عدد ٦٥٥

في بطاركة اورشليم في القرن السادس

كان ختام كلامنا في تاريخ بطاركة اورشليم في القرن الخامس ان الملك انسطاس نفى ايليا البطريرك الى ايله على شاطىء البحر الاحمر واقام مكانه سنة ٥١٣ يوحنا بن مرقيان الذي كان كاهناً في كنيسة القيامة ولما ماتت امرأته رقاه ايليا الى اسقفية سبسطية (وهي السامرة) ورقي ابنه انطونيوس الى اسقفية عسقلان وجعل ابنه الاخر يوحنا هذا شماساً في كنيسة القيامة فبعد نفي ايليا صير يوحنا هذا اسقفاً على اورشليم وشرط عليه الوالي ان يشترك مع ساويرس بطريرك انطاكية وينبذ المجمع الخلكيدوني وعرف القديس سابا وغيره من النساك ان الوالي شرط على البطريرك هذا الشرط فاجتمعوا ورفعوا الى البطريرك عريضة يعلنون بها انهم لا يشتركون البتة مع ساويرس وان في عزمهم ان يبذلوا نفوسهم في جانب تأييد المجمع الخلكيدوني فلم يعمل البطريرك بما شرطه عليه الوالي وبلغ الملك

انسطاس ما كان فاستشاط غيظاً وعزل اولميوس الوالي وولى مكانه بنفيليوس على فلسطين وامره ان يكره يوحنا على متابعة ساويرس وعلى نبذ المجمع الخلكيدوني وان ابى عزله فباغت الوالي البطريرك والقاه في السجن ودخل عليه خفية رجل اسمه زكريا من قضاة قيصرية واشار عليه ان يرسل رسولاً يقول للوالي ان كل ما يعمله مكرهاً لا يعتد به فليخرجه من السجن ويمهله يومين ليتدبر ما يعمل فاخرجه واستدعى البطريرك ليلاً جميع الرهبان فاتاه جم غفير منهم حتى لم تسعهم كنيسته فاجتمعوا في كنيسة القديس اسطفانس اول الشهداء وازدحم الشعب هناك واتى الوالي وزكريا فصعد البطريرك على المنبر ومعه توادوسيوس وسابا رئيسا الاديار فهتف الرهبان والشعب طويلاً قائلين احرموا اولي البدع ايدوا المجمع الخلكيدوني فصاح البطريرك والرئيسان نحرم نسطور نحرم اوطيخا نحرم ساويرس وكل من لا يقبلون رسوم المجمع الخلكيدوني وعند نزولهم من على المنبر قال توادوسيوس الرئيس كل من لا يقبل المجامع الاربعة كالاناجيل الاربعة فليكن محروماً فارتاع الوالي مما رآه وفر الى قيصرية وكان ذلك سنة ٥١٤ وعرف انسطاس الملك ما كان في اورشليم فاحتدم صدره وعزم ان ينفي البطريرك والرئيسين فاجتمع الرهبان في اورشليم وانفذوا رسالة الى الملك يسألونه ان يعدل عن عزمه والا فهم يؤثرون الموت على الانفصال عن روسائهم ورأى انسطاس شدة عزم الرهبان وسكان اورشليم فرغب عن عزمه ولزم الصمت

وقد خرمت المنية انسطاس سنة ٥١٨ وخلفه الملك يوستينس الاول وكان من بواكير اعماله انه امر ان يرجع من المنفى كل من ابعدهم انسطاس وان يكتب اسم المجمع الخلكيدوني كباقي المجامع في التذكارات التي تتلى في الكنائس فاجتمع في اورشليم جم غفير من الرهبان والشعب واقاموا عيدًا لذلك في السادس من شهر آب واذاعوا امر الملك بالابتهاج واوعز البطريرك الى القديس سابا ان يطوف في

البلاد ناشرًا امر الملك فقمل مسرورًا وقد استمر يوحنا على كرسي اورشليم الى سنة ٥٢٤ ورقد بالرب (روى ذلك لكويان في المشرق المسيحي في كلامه على بطاركة اورشليم عن كيرلس اسقف باسان في ترجمة القديس سابا) ورواه ايضاً توافان في تواريخ سنة ٥٠٥ وما بعدها وغيرها

وخلف بطرس يوحنا المذكور كما روى كيرلس اسقف باسان وكان بطرس من بيت جبرين وكان في ايامه قلق كبير ونزاع شديد بين رهبان فلسطين لان بعضهم كان يصوب تعاليم اوريجانس وبعضهم يعتدها ضلالاً مخالفاً للايمان ولم يخلُ البطريرك من شائبة الجنوح الى رأي الاولين والى محاماة انتيموس الدخيل على البطريركية القسطنطينية والمتشبث بغواية اوطيخا فكتب اليه البابا اغابيطس سنة ٥٣٦ رسالة يلومه وينصحه بها ان يستمسك بتعليم الكنيسة وتقليدها القديم ويظهر انه انتصح لانه عقد مجمعاً في اورشليم دعا اليه اساقفة فلسطين في ١٩ ايلول سنة ٥٣٦ ووقع مع الاساقفة المجتمعين على رذل انتيمس البطريرك القسطنطيني وساويرس البطريرك الانطاكي وغيرهما من اولي البدع وذكر لباي هذا المجمع وقال انه كان فيه ثمانية واربعون اسقفاً واستمر بطرس على كرسي اورشليم الى سنة ٥٤٤ فكانت مدة رئاسته عشرين سنة (لكويان في بطاركة اورشليم في المشرق المسيحي) وروى توافان ان السنة الاولى لبطريركية بطرس هذا كانت سنة ٥٣٨ والسنة الاولى لخليفته مكاريوس كانت سنة ٥٤٨ واظن ذلك من جملة ما يعاب به في تعيين سني تاريخه مع الاقرار له بصحة روايته

وخلف بطرس بعد وفاته مكاريوس سنة ٥٤٤ لكنه لم يلبث ان عزل عن الكرسي الاورشليمي لمقاومة الملك يوستنيانس له وللمظنة بانه متشبث بضلال اوريجانس ورقى بعد عزله اسطوكيوس على ما روى افاغريوس (ك ٤ من تاريخه فصل ٣٧) حيث قال ايضاً ان اسطوكيوس طرد كثيرين من رهبان اديار فلسطين

لمدافعتهم عن غوايات اوريجانس فتشتتوا في اماكن كثيرة وحازبهم غيرهم وانتصر لهم توادورس اسقف قيصرية بالكبادوك وكان يوستينيانس الملك يثق به ويسمع مشوراته فاسخطه على اسطوكيوس فارسل هذا البطريرك الى الملك بعض رؤساء الرهبان وعلية الاكليرس وبينا هم يكلمون الملك في امر اوريجانس وافاغريوس وديديمس سأله توادورس الكبادوكي النظر ايضاً في امر توادوريطس اسقف قورش وتوادورس المصيصي وايهيبا الرهاوي . وعن كيرلس اسقف باسان (في ترجمة القديس سابا) ان يوستينيانس الملك امر حينئذٍ بعقد المجمع الخامس في قسطنطينية وارسل اليه اسطوكيوس ثلاثة اساقفة ينوبون عنه فحرم آباء المجمع تعاليم اوريجانس الفاسدة ومقالات توادورس المصيصي وافاغريوس (غير افاغريوس المؤرخ) وديديمس وارسل الملك اعمال هذا المجمع الى اورشليم فاثبتها اسطوكيوس ووقع عليها وتابعه على ذلك اساقفة فلسطين ما خلا اسكندر اسقف ابلا (سوق وادي بردا) فعزل لذلك عن كرسيه وارسل الى قسطنطينية حيث توفي بزلزال وبذل اسطاكيوس قصارى جده ليرعوي الرهبان المارقون عن غيهم ومن لبثوا مصرين طردهم من اديارهم وادخل غيرهم من الرهبان الافاضل وكان ذلك لسنة ٥٥٥

قال لكوبان (في المشرق المسيحي) هذا ما رواه افاغريوس وكيرلس الباساني على ان ما يؤخذ من قوليهما من ان المجمع الخامس حرم غوايات اوريجانس وافاغريوس وديديمس فيه نظر لان اعمال هذا المجمع اللاتينية لا ذكر فيها لاوريجانس وديديمس بل لتحريم مقالات توادوريطس القورشي وتوادورس المصيصي وايهيبا الرهاوي والاوجه ان تحريم غوايات اوريجانس وديديمس كان في مجمع عقد في قسطنطينية سنة ٥٣٨ قبل المجمع الخامس المسكوني الذي عقد سنة ٥٥٣ وربما ارسلت اعمال المجمعين معاً الى فلسطين ووقع عليها اسطوكيوس

واساقفة فلسطين في وقت واحد فاجمل افاغريوس وكيرلس الباساني كلامهما ولم يفصلا واستمر اسطوكيوس تسع عشرة سنة في بطريركية انطاكية على الاظهر وعزل عنها سنة ٥٦٣ ولا يعلم سبب عزله ولا كيف او متى كانت وفاته

وعاد مكاريوس الى بطريركية اورشليم بعد ان عزل اسطوكيوس على ما يظهر من رواية كيرلس الباساني في ترجمة القديس سابا وقد برأ مكاريوس ساحته من المظنة به بحرمه اوريجانس وافاغريوس وديديمس وجاء في كتاب تراجم القديسين في ٢٣ من تشرين الثاني ان مكاريوس لقي ربه سنة ٥٧٠ وانه كان قديساً على ان الترجمة المذكورة لا يركن اليها كل الاركان والاظهر ما رواه افاغريوس (ك ٥ من تاريخه فصل ١٦) انه لم يتوفه الله قبل سنة ٥٧٤

وخلف يوحنا الرابع مكاريوس المذكور سنة ٥٧٤ وكان راهباً على ما روى افاغريوس (في المحل المار ذكره) وعن نيكوفورس انه استمر في البطريركية اثنتين وعشرين سنة والاوجه ما جاء في جداول توافان انه بقي عشرين سنة فقط من سنة ٥٧٤ الى ٥٩٤ وخلفه عاموص وكان راهباً ورئيس دير ويظهر من رسالة انفذها البابا غريغوريوس الى اسحق خليفته في كرسي اورشليم انه توفي سنة ٦٠٠ او سنة ٦٠١ وهذا يطابق ما جاء في جداول توافان وتاريخ نيكوفورس (ملخص عن لكويان في المشرق المسيحي عن كلامه في بطاركة اورشليم)

عد ٦٥٦

في من نعرفهم من اساقفة سورية في القرن السادس

نعرف من اساقفة حلب في هذا القرن انطونيس وقد ذكره ديونسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه وعده في جملة الاساقفة الذين لم يذعنوا لمراسيم المجمع الخلكيدوني فنفاهم الملك يوستينس سنة ٥٢٨ وقد ذكره السمعاني (في مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٢٧) نقلاً عن تاريخ ابن العبري في بطاركة اليعاقبة ثم

ميكاس وقد كان في جملة الاساقفة الذين شهدوا المجمع الذي عقد في قسطنطينية سنة٥٣٦ في ايام منّا بطريركها وكان قد وقع على الرسالة التي رفعها أساقفة المشرق الى البابا اغابيطس تشكياً اليه من ساويرس البطريرك الانطاكي وبطرس اسقف اباميا

ونعلم من اساقفة سلوقية وهي السويدية نونس وكان اسقفاً على آمد فاضطهده توما الذي خلفه في هذه الاسقفية فاضطر ان يترك آمد فنقله افلايانس البطريرك الانطاكي الى السويدية في اوائل هذا القرن على انه مالأ ساويرس متابعاً له على التسليم بضلال اوطيخا فعزل بامر الملك يوستينس سنة ٥١٩ وعاد الى آمد مدينته ولما توفي توما الذي كان قد خلفه في كرسي آمد عاد نونس الى كرسيه لكنه لم يبقَ عليه الا مدة وجيزة وتوفاه الله (ملخص عن لكويان في المشرق المسيحي وعن السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٤٨ و٤٩ و٥١ نقلاً عن يوحنا اسقف اسيا)

ومنهم قسطنطين وكان اوطاخياً كتب رسالة الى الملك انسطاس يدعى ان يفند بها المجمع الخلكيدوني ثم ديونيسيوس وهو الذي رقى سمعان العمودي الصغير الى درجة الكهنوت وشهد المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣ ثم انطونيوس الذي يظهر من ترجمة القديس سمعان المذكور انه كان تلميذاً له ثم راهباً وقساً ثم رئيساً ثم اسقفاً على سلوقية هذه (عن لكويان في اساقفة سلوقية بسورية في المشرق المسيحي)

ومن اساقفة اللاذقية عرفنا قسطنطين وكان اوطاخياً وقد حرمه البابا فيجيليوس في رسالتيه الرابعة والخامسة الى يوستنيانس الملك ومنّا البطريرك القسطنطيني وعدّه ديونيسوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون وابن العبري في تاريخه في جملة زعماء بدعتهم وقد عزله يوستينس الاول الملك عن كرسيه سنة

٥١٨ ويعيد له اليعاقبة في ٢٦ حزيران وقد نبذ مؤلفاته المجمع اللاتراني الذي عقد في ايام البابا مرتينس الاول في اواسط القرن السابع وقد روى السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ٣٢٧) ان ابن العبري عده في تاريخ بطاركة اليعاقبة في جملة الاساقفة الذين اقاموا في قسطنطينيـة يتزلفون الى الملك ويحضون الملكة على الرفق والحماية لاصحاب بدعتهم وكان في هذا القرن في اللاذقيـة اسطفانس الثاني شهد المجمع المسكوني الخامس سنة ٥٥٣ ويرى توقيعه في اعماله اسطفانس اسقف اللاذقية (عن لكويان في المحل المذكور)

ومن اساقفة جبلة عرفنا يوحنا شهد المجمع الذي عقد في قسطنطينية في ايام منا سنة ٥٣٦ وكان قد وقع على الرسالة التي رفعها الاساقفة الشرقيون الى البابا اغابيطس شكاية من ساويرس بطريرك انطاكية وبطرس اسقف اباميا وغيرهما ويرى توقيعه بالسريانية وعزا اليه لكويان كتاباً في ترجمة ساويرس المذكور ورجوعه وكان ايضاً في جبلة في هذا القرن رومانس يرى توقيعه في اعمال المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣

ومن اساقفة ارواد عرفنا توادورس اسقف انترواد (وهي طرطس وكان لها ولارواد غالباً اسقف واحد) قد ادركته الوفاة سنة ٥١٨ وكان كاثوليكياً مقاوماً لساويرس بطريرك انطاكية شديد المقاومة وعرفنا ايضاً افرنكراتيوس اسقف ارواد شهد المجمع الخامس المسكوني ووقع على اعماله

ومن اساقفة ارتوسيا (وكان موقعها في جانب النهر البارد) عرفنا اسطفانس وكان اراتيكياً مشايعاً لساويرس الانطاكي وهو رقاه الى اسقفية هذه المدينة وتوادوسيوس اسقفها الشرعي حي فشكا اساقفة فونيقى من هـذا التجني الى البطريرك القسطنطيني وتليت رسالتهم في المجلس الخامس من المجمع الذي عقد في ايام منا في قسطنطينية سنة ٥٣٦ .وقد علمنا انه كان في عرقا في هـذا القرن

اسقف شديد الاستمساك بعرى الايمان الكاثوليكي وان ساويرس بطريرك انطاكية افرغ جهده ليقتاده الى بدعته فلم يقضِ وطرًا منه لكنه استمال اليه بعض كهنته بعد ان ناصبوه مدة طويلة كل هذا انبأنا به ايفان اسقف صور في رسالة كتبها من مجمعه الى توافيلس اسقف هرقلية ومجمعه وقد تليت هذه الرسالة في المجلس الخامس من المجمع الذي عقد في قسطنطينية سنة ٥٣٦ في ايام منا بطريركها ولم يذكر في الرسالة اسم هذا الاسقف

واما في طرابلس فقال لكويان اننا وجدنا في بعض الآثار القديمة انه كان اسقف يسمى ارسانيوس اسقف اطرابلس ولم نتحقق افي طرابلس فونيقي ام في غيرها كان اسقفا وقد عرفنا من اساقفة البترون في هذا القرن الياس وكان مغوياً ببدعة اوطيخا مشايعاً لساويرس الانطاكي ولهذا حُرم في مجمع صور الذي عقده ايفان اسقفها كما يتبين من الرسالة التي انفذها هذا المجمع الى توافيلس اسقف هرقلية وقد تليت في المجلس الخامس من المجمع الذي عقد في قسطنطينية سنة ٥٣٦ وقام بعده اسطفانس وكان كاثوليكياً وشهد المجمع الخامس سنة ٥٥٣ ويرى توقيعه على اعماله

ومن اساقفة جبيل في هذا القرن عرفنا توادوسيوس وقد شهد المجمع الخامس المسكوني ويرى توقيعه على اعماله توادوسيوس اسقف جبيل • وعرفنا من اساقفة بيروت في هذا القرن مارينس وكان مستمسكاً بعرى الايمان الكاثوليكي لكنه اضطر مكرهاً او خائفاً ان يقبل رسائل انفذها اليه ساويرس بطريرك انطاكية المضل وكانت هذه الرسائل تشتمل على نبذ المجمع الخلكيدوني وحرم من يقول بطبيعتين في المسيح (رواه لكويان عن افاغريوس ك ٣ فصل ٣٣) وعرفنا ايضاً تلاسيوس اذ رأينا توقيعه على كتاب ارسله اساقفة المشرق الى البابا اغابيطس شكاية من ساويرس بطريرك انطاكية وبطرس اسقف اباميا وزعورا

(هو ناسك اقلق الكنيسة في ايام يوستيانس وحرم في مجمع قسطنطينية سنة ٥٣٦ في ايام منا) وتلى هذا الكتاب في المجمع الذي عقد في ايام منا وشهد تلاسيوس هذا المجمع ووقع عليه في المجلس الخامس هكذا . تلاسيوس اسقف بيروت اثبت ما رسم هنا واحرم اولي البدع ساويرس وكتبه وبطرس اسقف اباميا وزعورا ومحازبيهم المصرين على ضلالهم .

ومن اساقفة صيدا عرفنا اندراوس ونرى توقيعه على رسالة المجمع الذي عقده ايفان اسقف صور لمناصبة ساويرس الانطاكي ومشايعيه المار ذكرهم وقد تليت هذه الرسالة في مجمع منا المذكور مرارًا وعرفنا من اساقفة صور في هذا القرن ايفان الذي كرنا ذكره فانه كان شديد الغيرة على الايمان الكاثوليكي فلم يذعن لساويرس الانطاكي ونبذ رسائله المجمعية ولما امّن يوستينس الملك الكنيسة جمع ايفان الاساقفة وكتبوا رسالة ضمنوها بيان كل ما صنعه ساويرس من الشرور وانفذوها الى المجمع القسطنطيني في ايام منا البطريرك فتليت في المجلس الخامس من هذا المجمع موقعاً عليها من اساقفة فونيقي . وعرفنا ايضاً اوسابيوس اذ نرى توقيعه على اعمال المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣ وكان من الاساقفة الذين استدعوا البابا فيجيليوس الى هذا المجمع

ومن اساقفة عكا في هذا القرن عرفنا يوحنا كان في جملة من وقعوا على الرسالة المجمعية التي انفذها ايفان اسقف صور الى المجمع القسطنطيني سنة ٥٣٦ للشكوى من ساويرس ومحازبيه كما ذكرنا مرارًا وقام بعده جيورجيوس نرى توقيعه على اعمال المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣

ومن اساقفة دمشق في هذا القرن بطرس الاول وكان في ايام انسطاس الملك شديد الغيرة على الايمان الكاثوليكي ولما عظم جور ساويرس الانطاكي على الكاثوليكيين فر الى فلسطين كما يتبين من رسالة كتبها لرهبان فلسطين الى

الشيلسيون اسقف نيكوبولي (عمواص) اثبتها افاغريوس (ك ٣ من تاريخه ف ٣٣)
ولا نعلم ما كان له بعدئذٍ واقام ساويرس بعد فراره توما وكان شديد الاستمساك
ببدعة اوطيخا فنفاه الملك يوستينس من دمشق سنة ٥١٨ لانه ابى الاذعان لرسوم
المجمع الخلكيدوني وقد ذكره السمعاني (في مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٢٧
نقلاً عن ابن العبري في تاريخ بطاركة اليعاقبة)

ومن اساقفة الابلية (سوق وادي بردى) اسكندر روى ديونيسوس
بطريرك اليعاقبة ان الملك يوستينس نفاه من كرسيه سنة ٥١٨ لمشايعته ساويرس
الانطاكي ومن اساقفة يبرود توما وهذا ايضاً ابعده يوستينس الملك في السنة
المذكورة عن كرسيه لمتابعته ساويرس ايضاً ومثله يوحنا الثاني اسقف تدمر ذكر
كل هولاء وابعاد يوستينس لهم عن كراسيهم السمعاني في مقالته في
المونوفيزيين نقلاً عن ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون

ومن اساقفة اباميا (قلعة المضيق) بطرس وقد ذكرنا انه كان مشايعاً
لساويرس بل معاوناً له في اضطهاده الكاثوليكيين

ومن اساقفة مرعش توما وكان اوطاخياً وكان في جملة الاساقفة الذين نفاهم
يوستينس الملك كما يظهر من تاريخ ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة حيث قال « اسماء
الاساقفة الذين طردوا من كراسيهم في ايام يوستينس الكبير سنة ٨٢٩ يونانية
(توافق سنة ٥١٨ للميلاد) توما اسقف مرعش ومات في سميساط » وقال السمعاني
(مجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٩٢) انه بقي حياً الى سنة ٥٣٣ واسند ذلك
الى ما رواه في صفحة ٨٩ من المجلد المذكور عن امينوشنسيوس اسقف مارونيا
في كلامه على مباحثة كانت بين الكاثوليكيين والساويريين في قسطنطينية في ايام
يوستنيانس الملك سنة ٥٣٣ وكان فيها من الساويريين ستة اساقفة منهم سرجيوس
اسقف قورش وتوما اسقف مرعش وفيلوكسينس اسقف دلوك (قال السمعاني

مجلد ٢ في مقالته في المونوفيزتيين انها مدينة في سورية تبعد عن سميساط واحد واربعين ميلاً) وهذا الاخير قد رجع بهذه المباحثة الى الايمان الكاثوليكي كما صرح بذلك امينوشنسيوس المذكور وقد شكا من ذلك ابن العبري في تاريخ بطاركة اليعاقبة حيث قال . وبعضهم اذعنوا لبدعة القائلين بطبيعتين كفيلوكسينس الصغير ابن اخت فيلوكسينس المنبجي فانه بعد ان توفي خاله بكنكرة اذعن للمجمع (الخلكيدوني) لعلة اصمت عن ذكرها وعاش بعدئذٍ في قبرس (طالع المجلد ٢ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٢٦)

الفصل الثاني

﴿ في من نعرفهم من مشاهير سورية الدينيين غير البطاركة والاساقفة ﴾

﴿ عد ٦٥٧ ﴾

﴿ في يوحنا الابامي وتلميذه يعقوب ﴾

ولد يوحنا هذا في اباميا على العاصي واخذ السيرة الرهبانية في احد الاديار التي كانت كثيرة هناك ولم يذكره توادوريطس في ترجمات النساك والرهبان في القرن الخامس فتبين من ذلك انه كان بعده في القرن السادس ولا سيما لان يوحنا هذا ذكر خوستس الذي يصفه علماء السريان بانه بابا رومة وهو صاحب النافور المطبوع في كتاب قداسا سنة ١٤٩٥ وخوستس كان في القرن الخامس وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي يوحنا الابامي في قصيدته في المؤلفين (فصل ٤٧)

، فقال يوحنا الابامي الف ثلثة كتب كتاباً ضمنه رسائل في التدبير الروحي وكتاباً في اميال النفس وكتاباً في الكمال ، وقد حرم تيموتاوس بطريرك النساطرة تلاوة كتبه على ما أثبت السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ٣ صفحة ٥٠ و٨١) وقال (في مج٢ صفحة ٤٣١) انه يظهر من نفسه ونسق عباراته انه كتب بالسريانية لا باليونانية وذكر له عنوان سبع خطب اشتمل عليها الكتاب التاسع عشر من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية وعنوان عشرين فصلاً من فصول التعليم وخمس رسائل الاولى في التثليت والتجسد والثانية في التوبة والثالثة والرابعة في الايمان والخامسة منفذة الى رجل اسمه لاونتيوس في الاشتراك الروحي الذي سيكون لنا مع الله في بلاد الاحياء وذكر خسوستس ووصفه بالحبر الروماني كما وصفه غيره من علماء السريان لمشابهته اسمه لاسم كثيرين من الاحبار الرومانيين والذي رجحه السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٣٠) انه احد اساقفة السريان الكاثوليكيين وان نفسه في النافور المعزو اليه مؤذن بان المؤلف سرياني

واما يعقوب تلميذه فذكره الصوباوي بعد معلمه يوحنا الابامي وهذا مؤذن انه كان في القرن السادس ايضاً وقال ان له من التأليف تفسيرات لبشارة متى ولرسائل بولس الرسول ونبوة ارميا النبي وتفسيره مسهب

عد ٦٥٨

في بروكوب الغزي ولاتيوس البيزنطي الاورشليمي ودوتاوس الرئيس

ولد بروكوب في غزه بفلسطين في اواخر القرن الخامس وعكف على درس العلوم ولا سيما الدينية واشتهر بها في ايام الملك يوستينس الاول وقال فيه فبريشيوس احد طابعي كتبه ، لم يكن بروكوب خطيباً مصقعاً بل كان علامة في العلوم اللاهوتية وضليعاً في معرفة الاسفار المقدسة حتى يعد عجيباً في هذه العلوم وفي فصاحته وكان مجملاً بالخلال الحميدة والخصال الصالحة حتى لم يكن ينقصه الا

الثوب ليكون كاهناً صالحاً بل قد رد بصلاته كثيرين الى السراط المستقيم . ولم نعثر على ما ينبئنا في اية سنة توفاه الله وقد ذكره فوتيوس (في مكتبته كتاب ١٦٠ و٢٠٦ و٢٠٧) والمشهور من تآليفه تفسيره اسفار التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع وسفر يشوع بن نون وسفر القضاة واسفار الملوك الاربعة وسفري الايام وسفر امثال سليمان ونشيد الانشاد ونبوة اشعيا وقال في فاتحة كلامه انه كان قد شرع في تفسير هذه الاسفار بذكره اقوال من تقدمه من الآباء والمفسرين كلاً على حدة الا انه رأى ذلك طويل المجال مملاً فعدل عنه الى ان يذكر ما اتفقوا عليه دون ان يعزو الى احدهم وبين اختلاف الاقوال في ما لم يجمعوا عليه وله مئة واربع وسائل طبعها مع باقي تآليفه الاب مين في مكتبة الاباء اليونانية وذكر له فوتيوس (في كتاب ١٦٠) خطباً كثيرة في موضوعات متنوعة وهو غير بروكوب القيصري الكبادوكي المؤرخ الشهير

اما لاونتيوس فقد ولد في بيزنطية (قسطنطينية) وكان فقيهاً يمارس مهنة محاماة الدعاوى ثم ترك العالم وانقطع لخدمة الله فاتى اورشليم وانضم الى رهبان القديس سابا في ديرهم القريب من اورشليم وعكف على اقتباس العلوم الدينية فنبغ والف وصنف كتباً كثيرة والمشهور منها كتاب في البدع والمجمع الخلكدوني وثلثة كتب رد فيها مزاعم الاوطاخيين والنساطرة وكتاب في كشف خداع الابوليناريين وكتاب تفنيد لحجج ساويرس وغيره وكان في ايام يوستينس الصغير وطيبار الملكين

عد ٦٥٩

(في يوحنا الانطاكي البطريرك القسطنطيني والقديس يوحنا الرحوم ويوحنا السلمي)

ان يوحنا الانطاكي ولد في انطاكية في مبادي القرن السادس وعكف على درس العلوم والفنون ومارس اولاً فن محاماة الدعاوى في انطاكية ثم غادر

مشاغل العالم وانصب على درس العلوم الدينية ورقي الى درجة الكهنوت وارسله بطريركه الانطاكي الى قسطنطينية ووكل اليه قضاء مهامه وحاجاته في العاصمة وعني حينئذٍ بتأليف مجموعة للقوانين البيعية تراها مثبتة في التأليف الموسوم بمكتبة الناموس القانوني (مجلد ٢) وبدلاً من ان ينسق قوانين كل مجمع تباعاً قد بوّب لهذه القوانين وضم الى كل باب او مادة كل ما فرض في شأنها وسمى تلك الابواب عنوانات فجمع كل القوانين في خمسين عنواناً وفي العنوان السادس عشر اثبت الحقوق المقررة في مجمع سرديكا (صوفيا بلغاريا) للحبر الروماني بقبول الاستغاثة من جميع الاساقفة واستئناف الاحكام المبرزة منهم ولزوم انتظار حكمه النهائي ثم اوجز يوحنا مؤلفه وسمى موجزه خلاصة القوانين NOMOCANOS واضاف الى كل عنوان ما ينطبق عليه من شرائع يوستنيانس المعروفة بالسنن الحديثة NOVELLOS ولما عزل يوستنيانس الملك القديس افتيشيوس البطريرك القسطنطيني لعدم مطاوعته على بدعته اقام يوحنا بطريركاً سنة ٥٦٤ فلم يطاوع الملك على ضلاله ويعرف بالسكولاستيك اي الفقيه او محامي الدعاوى وبقي يدبر كنيسة القسطنطينية ثلث عشرة سنة وهو الذي توّج الملك يوستينس الصغير الى ان خرمته المنية في ٣١ آب سنة ٥٧٧ فعاد حينئذٍ افتيشيوس الى كرسيه

اما يوحنا الملقب بالرحوم فقد ولد في اماتوث او حماثو اي حماه (مدينة بناها الفونيقيون او الحثيون بقبرس وسموها كذلك باسم مدينتهم حماه وترى اطلالها في الشرق الشمالي من لاميسون) وكان ابوه يسميه بعضهم ابيفان ويقولون انه كان حاكماً في هذه الجزيرة وقد حمله والداه على ان يتزوج على كرهه للزواج ورزق اولاداً لكن الله اراحه منهم ومن امرأته لانه اعده لما هو اعظم من ذلك فعكف على السيرة الروحية والعلم . ولتناهيه في فضيلة الرحمة ومحبة الفقراء لقب بالرحوم ويظهر ان اسقفه رقاه الى درجة الكهنوت نحو سنة ٥٦٠ فتفاضل

باعمال الرحمة الروحية والجسدية وذاع صيت فضائله وصدقاته فتضوعت بارجهِ الارجاء في مصر وسورية ايضاً ولما توفي توادورس بطريرك اسكندرية اجمع الكاثوليكيون في مصر على انتخابه خلفاً له وارسلوا وفداً الى الملك هرقل يسألونه ان يعنى باقامة يوحنا بطريركاً عليهم فاستدعاه الملك فابى وحاول الفرار والتملص من هذا العبء الثقيل لكنه الجئ ان يذعن فرقي الى بطريركية اسكندرية نحو سنة ٦٠٦ وصرف همه اولاً الى اقتلاع اشواك البدع والرذائل من كرم الرب فكلل الله اتعابه بالفوز والنجاح حتى يقال انه دخل الاسكندرية وفيها سبع كنائس وغادرها ماضياً الى ربه وفيها سبعون كنيسة ومعبداً وكان حريصاً على ان لا يدخل احداً من الكهنة الى كنيسته الا بباب الاستحقاق والاهلية وكما كان ضنيناً بالتسامح مع الائمة كان سمحاً مع الفقراء الاتقياء ومما روي انه كان من عادة بعض الكسالى ان يخرجوا من الكنيسة بعد تلاوة الانجيل في القداس ويقيموا خارجاً يتحدثون فترك ذات يوم المذبح واتى اليهم قائلاً لا تعجبوا يابني من عملي فيلزم الراعي ان يكون حيث تكون خرافه فخجلوا وعادوا الى الكنيسة فنسخت هذه العادة السيئة واخص ما امتاز به انما هو فضيلة الرحمة وكان يسمي الفقراء اسياده لانهم هم الذين ينولونه الملكوت السموي وليس لسيد غيرهم ان ينوله مثل ذلك وبنى مستشفيات للنساء والرجال والكهنة واغاث رعيته بكل ما ملكت يده في عام قاحط وفي سنة فشا فيها وباء في مصر حتى قيل عنه انه لم يصرف في زمانه فقيراً خائباً وكان الله يعوضه مما يبذله باضعاف من منه وكرمه ولم يكن اشتغاله بالفقراء يقعده عن شيء من فروضه الاسقفية من وعظ وتعليم ومناضلة اولي البدع وبناء كنائس وتهذيب كهنة ولا كل هذا ينقص شيئاً من تورعه وتقشفاته وامر ان يؤخذ في بناء مدفن له وهو حي وامر احد خدامه ان يذكره في اوقات الطعام والراحة بان قبره لم يكمل بعد لكنه لم يدفن به لان الملك هرقل استقدمه

الى قسطنطينية ليباركه ويدعو له قبل ذهابه لحرب الفرس فمر بقبرس وشعر بدنو منيته فعرج الى موطنه وكتب وصيته ومما قاله فيها مخاطباً الله : « اشكرك اللهمّ لانك جعلتني اهلاً لان اقدم لك ما مننت عليَّ به ولم يبقَ لي الان من مال الدنيا الا ثلث دينار فاريد ان يعطى لاخوتي الفقراء ولما دعتني عنايتك الى اسقفية اسكندرية وجدت فيها نحوًا من ثمانية الاف دينار وكثيرًا من تقادم اهل الميرات وحشدت مالاً اوفر منها كثيرًا واذ كان ذلك كله ملكاً لابنك يسوع المسيح فقد دفعته لوجهك الكريم والان اسلم اليك نفسي » قال هذا وفاضت روحه القدوسة سنة ٦١٩ على رواية بارونيوس وسنة ٦١٦ على رواية غيره والكنيسة اللاتينية تعيد لذكره في ٢٣ من كانون الثاني وكنيستنا المارونية في ١٢ تشرين الثاني ويقال في ترجمته في سنكسارنا انه رقد بالرب سنة ٦٢٠

اما القديس يوحنا السلمي فولد في فلسطين نحو سنة ٥٢٥ واعتزل العالم ناسكاً في برية سينا تسعاً وخمسين سنة الى ان رقد بالرب سنة ٦٠٥ وقد الف كتباً روحية اخصها الكتاب الذي عنونه بسلم الفضائل وقسمه الى ثلثين درجة وهو عجيب في معانيه حتى نسب اليه فيسمى يوحنا السلمي وقد ترجم الى لغات كثيرة وتعيد له كنيستنا المارونية في ٣٠ اذار لكنه يقال في ترجمته انه لا يعرف من اي بلد هو وانه رقد بالرب سنة ٦٠٠

عد ٦٦٠

في القديس يعقوب السروجي

نعتمد في ترجمة القديس يعقوب هذا ما دونه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٢٨٣ وما يليها) نقلاً عن ترجمة سريانية له عثر عليها في الكتاب ١٥ من الكتب السريانية التي اتى بها الى المكتبة الواتيكانية وهي مطابقة لخطبة التأبين التي القاها جيورجيوس تلميذ هذا القديس عند وفاته وهي مثبتة

في الكتاب ٥ (صفحة ١٤٠) من الكتب المأتي بها من برية الاسقيط الى المكتبة المذكورة قال ولد القديس يعقوب في قرية قرتم على ضفة الفرات من والدين مسيحيين وكانت امه عاقرًا قد رزقته بعد نذر نذرته لله وكان ميلاده سنة ٤٥٢ فدرس العلوم ومذ سنة ٤٧٢ اخذ يؤلف خطبه ويذيع مؤلفاته ورقى في سنة ٥٠٣ الى درجة الكهنوت وفي سنة ٥١٩ رقي الى اسقفية بطنه بسروج وبعد ان انار المؤمنين بتعاليمه الخلاصية وانتشرت مؤلفاته وتفسيراته للاسفار المقدسة في البسيطة رقد بالرب ودفن باحتفاء عظيم في سروج مدينته الاسقفية سنة ٨٣٣ يونانيه الموافقة لسنة ٥٢٢ م وله من العمر سبعون سنة وستة اشهر قبل الاسقفيه وسنتان وستة اشهر بعدها ويلقبه علماء السريان بالملفان والعلامة ويطرأون كثيرًا فضائله ويثنون على قداسته بل يعيد لذكره السريان الكاثوليكيون واليعاقبة فقد روى السمعاني (في المحل المذكور) ان الموارنه يعيدون له في ٥ نيسان واليعاقبة في ٢٩ تشرين الاول و٢٩ حزيران و٢٩ تموز ويذكرونه في صلواتهم الفرضية وفي رتبة القداس ففي صلوة الصبح يوم السبت من فرضنا الاسبوعي يذكر الاباء القديسون والرعاة الصادقون الذين قوضوا اركان البدع باسيليوس وغريغوريوس واثناسيوس ... وفم الذهب والقديس افرام المختار والقديس يعقوب والقديس مارون ܘܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܓܒܝܐ ܘܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܥܡ ܡܪܝ ܡܪܘܢ، وليس المراد يعقوب النصيبيني والا لذكره المؤلف قبل افرام لان افرام تلميذ يعقوب فضلاً عن ان السمعاني انكر ان يكون النصيبيني كتب شيئًا يؤهله ان يحصى بين ملافنة البيعة الذين قوضوا اركان البدع كباسيليوس واثناسيوس وفم الذهب وافرام واما القديس مارون فالمراد به يوحنا مارون البطريرك لا القديس مارون الناسك الذي لاتحصيه الكنيسة في جمله علمائها المناضلين عن الايمان بل في جملة قديسيها النساك الافاضل وكذلك يقال في مقدمة الباعوت اليعقوبي في

صلوة المسا في كل يوم ܘܕܟܪܢܗܘܢ ܕܢܒܝܐ ܘܕܟܪܢܗܘܢ ܕܫܠܝܚܐ ܘܕܟܪܢܗܘܢ ܕܣܗܕܐ ܘܕܟܪܢ ܠܡܢ ܕܦܠܚ ܒܟܪܡܗ ܕܡܪܝܐ ܠܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܘܕܟܪܢ ܡܪܝ ܡܪܘܢ ܘܕܟܪܢ ܡܪܝ ܡܪܘܢ ܘܕܟܪܢܗܘܢ ܕܚܒܪܘܗܝ ܥܡ ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܗܘ ܟܢܪܐ ܕܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ اي نذكر الانبياء نذكر الرسل نذكر الشهداء نذكر من جاهد بفلاحة كرم الرب نذكر مار يعقوب نذكر مار مارون نذكر رفقاءه مع مار افرام كنارة روح القدس فالمراد بيعقوب هنا ايضاً يعقوب السروجي وبمارون يوحنا مارون وفي رتبة قداس اليعاقبة ܘܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܘܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܦܘܡܐ ܡܡܠܠܐ ܘܥܡܘܕܐ ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ومار يعقوب ومار افرام الافواه الناطقة واعمدة بيعتنا المقدسة

زعم بعضهم ان القديس يعقوب السروجي لم يكن صحيح المعتقد بل كان من القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح وتلك بدعة اوطيخا واليعاقبة على ان العلامة السمعاني اثبت (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية من صفحة ٢٩٠ الى ٢٩٩) بينات قاطعة دامغة صحة معتقده وبراءته من كل ضلالة وفند زعم خصومه ونقض كل حجة اوردوها على زيغانه عن جادة الايمان القويم ويجدر بنا ان نلخص كلامه قال ان صحة معتقد السروجي ثابتة بادلة كثيرة اولها يؤخذ عما كتبه السروجي في خطبته في اقامة العازر وقد استشهد القديس يوحنا مارون بهذه الخطبة في مقالته ردًا على النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة في المسيح كما هو بين من الكتاب الرابع عشر (صفحة ٤٣) من كتب الحاقلي الموجودة في المكتبة الواتيكانية حيث يقول السروجي بلسان مريم اخت العازر ما ترجمته «ومن يارب ان فيك طبيعتين احداهما من العلى والاخرى من جنس البشر ففيك طبيعة الاب الروحانية وطبيعة بنت داود الجسمانية طبع من الآب وطبع من مريم بلا تقسم طبع من الروح وطبع

من الجسد بغير مشاحنة اومن ايضاً ان الاب ليس باقدم منك وانا موقنة بانك اقدم من والدتك . ايتحمل هذا الكلام تأويلاً يخرجه عن معتقد الكنيسة الكاثوليكية وقال السروجي ايضاً في قصيدته المفتحة ܥܠܬ ܥܕܬܐ ܥܡ ܡܪܕܘܬܐ ܠܒܝܬ ܕܝܢܐ اي دخلت الكنيسة العذراء الى المحاكمة مع المنددين ما ترجمته . اني مثبت بان في عمنوئيل خاصتين اعني انه اله حقيقي وانسان حقيقي فان كلمة عمن (اي معنا) تدلنا على الطبيعة التي اخذت منا . وكلمة ايل (الله) تدلنا حقاً على اللاهوت دون تقسم فقولك عمنوئيل كقولك البشر اله لا لانه اختلط او امتزج كلا بل هو كامل في خواص الطبيعتين . فمن كان كلامه هذا كيف يصدق عليه انه يقول بطبيعة واحدة ومثل هذه الاقوال مستفاض في كلام السروجي في خطبه في التجسد والفداء وصوم المخلص

ومن الحجج القاطعة لصحة معتقد السروجي شهادة القدماء له فيشوع العمودي المعاصر للسروجي دعاه مبجلا واثنى عليه كثيراً (طالع المكتبة الشرقية مج ١ في يشوع هذا صفحة ٢٧٥) واسحق الذي كان اسقفاً على نينوى ثم اعتزل العالم وانفرد للنسك في برية الاسقيط في اواخر القرن السادس يطرأ يعقوب هذا بمنزلة مؤلف كاثوليكي كما هو ظاهر في كتابه في بطلان العالم (قسم ٢ خطبة ١١ من الكتاب ٢٠ من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية) وتيموتاوس القس القسطنطيني الذي كان في القرن السادس ايضاً صرح (في كتابه في قبول المراطقة رواه كوتيلاريوس في آثار الكنيسة اليونانية مج ٣ صفحة ٣٩٦) بان السروجي كاثوليكي قائلاً . الاوطاخيون وزعيهم ديوسقورس وساويرس ويعقوب لا ذاك السروجي الذي هو ارتودكسي (اي مستقيم الايمان) بل يعقوب آخر وغيرهم . والقديس يوحنا مارون في مقالته في رد مزاعم النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة استشهد بفقرة من كلام السروجي لاثبات عقيدة

الطبيعتين في المسيح والموارنة على عداوتهم المستمرة لليعاقبة اعتقدوا دائماً ان السروجي كاثوليكي بل قديس

ومن هذه الحجج ما يؤخذ من العصر والاماكن والحال التي كان فيها السروجي فهو قد كان في ما بين النهرين قبل ان يضل يعقوب البردعي اهل هذه البلاد وكان كاهناً اذ كان في انطاكية افلابيانس الكاثوليكي بطريركها واذ كان الاساقفة في تلك الاعمال كاثوليكيين الا فيلوكسينس اسقف منبج وربما قليلين غيره وقد رقي السروجي الى الاسقفية اذ طرد الملك يوستينس ساويرس من انطاكية وفيلوكسينس من منبج وغيرهما من الهراطقة من سورية وما بين النهرين وقد ذكر ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة اسماءهم (في تاريخ سنة ٨٢٩ يونانية الموافقة سنة ٥١٨م) ولو كان السروجي من اولي البدعة كما كانوا لناله ما نالهم ولا نجد اثراً لشيء من ذلك ومن هذه الحجج ايضاً صمت جميع الآباء والعلماء الذين كتبوا في ذلك العصر عن ذكر السروجي بين الهراطقة الذين ذكروهم وفندوا مزاعمهم ومن هؤلاء العلماء ليباراتس الشماس ويوحنا اسقف قيصرية وانسطاس السينوي وغيرهم ولو عيب السروجي بضلال لما غفلوا عن ذكره او عن رد ضلاله ولم يكن هو غفلاً ليختفى عليهم بل كان مشتهراً بمؤلفاته ومصنفاته الكثيرة وقد نشرت اعمال المجامع ورسائل الاساقفة والرهبان وكتب علماء ذلك العصر اسماء ساويرس واكسنيا وبطرس الابامي وزعورا السرياني وموسى الفارسي وغير هؤلاء ممن لم تكن لهم شهرة السروجي فما الذي اغفلهم ذكره مع انبساط شهرته ولم نرَ احداً من الكاثوليكيين في القرون الخامس والسادس والسابع شان السروجي بضلال او عابه بعيب الى ان اتى في هذه الاعصر ديونوسيوس (مجلد ٢ من الليتورجيات الشرقية صفحة ٣٦٧) يشكوه اولاً بان اليعاقبة يحصونه بين علمائهم في دستور الايمان الذي يتلوه المتقدمون الى الدرجات المقدسة . ثانياً

انهم يستشهدون بفقرات منه في المقالة الموسومة بايمان الاباء . ثالثاً ان علماء النساطرة ينزلونه منزلة اكاشيوس احد جثالقتهم وانه كان في مدرسة الرها التي كانت اولاً تدافع عن تعليم نسطور ثم اخذت تدافع عن تعليم ساويرس وقد رد السمعاني (صفحة ٢٩٣ من المجلد المذكور) زعم دينودوسيوس هذا وبين بطلان ادلته فنلخص كلامه هذا ايضاً فقال في الرد على الاول اذا كان اليعاقبة يذكرون السروجي في جملة العلماء في دستور الايمان فهم يذكرون ايضاً في هذا الدستور أثناسيوس وكيرلس وافرام وغريغوريوس النزينزي وباسيليوس وتوافيلس وايفان وفم الذهب ايعتد دينودوسيوس هولاء جميعاً يعقوبيين وفي رومة نسختان من كتاب رسامات اليعاقبة احداهما في المكتبة الواتيكانية والثانية في مكتبة مجمع نشر الايمان فليطالعهما من شاء واذا حقق ما قلنا انجلى له بطلان زعم المعترض وقال في الرد على الثاني ان نسخ المقالة في ايمان الاباء قلما تخلو منها مكتبة من المكاتب العامة فليطالع دينودوسيوس هذه المقالة التي يحجنا بها فيرى اليعاقبة قد استشهدوا فيها باقوال كيرلس واثناسيوس والنزينزي وغيرهم من الاباء الكاثوليكيين فلا يبقى لاعتراضه شيء من القوة وقال في الرد على الثالث ان مارى بن سليمان وعمرًا بن متى اللذين نزلا السروجي منزلة احد جثالقتهم لا يحفل بقولهما لانهما نسطوريان وكتبا تاريخ النساطرة بعد القرن العاشر ولم يسندا زعمهما الى شاهد يعتمد على شهادته من الكاثوليكيين او اصحاب الطبيعة الواحدة او النساطرة الذين كتبوا في ايام يعقوب او بعد عهده بزمان وجيز فلا يبنى على شهادتهما حكم على السروجي بالضلال خلافاً لكل ما اوردناه من الحجج الراهنة ثم انه لم تكن في الرها مدرسة واحدة بل كان فيها مدارس منها كاثوليكية ومنها غير كاثوليكية كما يعلم كل ضليع في التاريخ فيعقوب كان في مدرسة كاثوليكية لا في مدرسة نسطورية او مونوفيزيتية

وقد اورد السمعاني اعتراضات اخرى على صحة معتقد السروجي اولها انه وجدت قصيدة في الكتاب الخامس من الكتب المأتي بها من الصعيد الى المكتبة الواتيكانية علق عليها هذا العنوان « قصيدة القديس مار يعقوب في المجمع الخلكيدوني الشرير يجدر ان تتلى في تذكار القديس مار ساويرس عمود البيعة الذي ناصب اصحاب الطبيعتين » ومطلعها ܓܢܒܪܐ ܕܥܠܡܐ ܕܦܪܩܬ ܠܥܠܡܐ ܒܥܘܫܢܐ ܕܚܝܠܟ ܦܪܘܩ ܥܕܬܟ ܡܢ ܥܒܕܘܬܐ ܕܟܦܘܪ̈ܐ ܒܫܡܟ اي يا جبار العالمين الذي خلصت العالم بشدة بأسك نجِّ بيعتك من عبودية الكافرين باسمك . الى ان يقول في المجمع الخلكيدوني ܗܢܐ ܐܝܬܘܗܝ ܟܢܘܫܝܐ ܕܚܠܩܝܕܘܢ ܕܟܢܫܘܗܝ ܣܛ̈ܢܐ • ܘܒܥܠܝ ܡܠܟܐ ܗܘܘ ܒܗ ܫܐܕ̈ܐ اي هذا هو المجمع الخلكيدوني الذي جمعه المتشيطنون وكان الابالس اصحاب المشورة فيه وثانيها انه وجدت للسروجي رسالة منفذة الى رئيس دير القديس اسحق في جبلة وهي مثبتة في الكتاب الحادي عشر من الكتب التي اتى بها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية ومما قاله السروجي فيها متكلماً في نسطور « انه جسر ان يقول ان في المسيح بعد الاتحاد طبيعتين منفصلتين ولكل طبيعة اقنوم يقوم بها منفصلة عن الاخرى » وانه ورد مثل ذلك في قصيدته الثانية في العذراء والدة الله المثبتة في الكتاب الخامس من الكتب السريانية المأتي بها من الصعيد الى المكتبة الواتيكانية

وقد رد السمعاني هذين الاعتراضين مثبتاً اولاً ان القائلين بالطبيعة الواحدة قد اخذوا مذ عهد المجمع الخلكيدوني يحرفون ويصحفون الكتب واورد لذلك امثلة واستشهد له افاغريوس (ك ٣ فصل ٣١ من تاريخه) الذي كان قريباً من عصر السروجي ورد الاعتراض الاول بان نسبته هذه القصيدة الى يعقوب السروجي غير صحيحة لانه ذكر في العنوان اسم يعقوب مجردًا عن الوصف بالسروجي فلا

ثبت نسبتها اليه ولان نفس هذه القصيدة سافل منحط كثيراً عن فصاحة السروجي كما يظهر لمن يعارض هذه القصيدة بشيء من اقواله ولان قوله في مطلعها . نجّ يعتك من عبودية الكافرين باسمك . دليل واضح على انها الفت بعد السروجي فان اليعاقبة كانوا يسمون الملوك الكاثوليكيين المناصبين لهم هراطقة لا كفرة ولا مراء في ان كاتب الكتاب المثبتة القصيدة فيه يعقوبي لانه ذيله بحاشية قال فيها انه كتبه في دير السريان بالاسقيط وصرح بان سكانه يعاقبة وقد اثبت فيه ايضاً قصيدة السروجي في العازر واسقط منها عمداً الابيات التي استشهدنا بها آنفاً وقال ابن القلاعي في هذا الشأن . اتهموا الملفان مار يعقوب وهو من قول آخر مكتوب . من قول ساويرا المغضوب والبرادعي والنصيباني .

ورد الاعتراض الثاني بقوله ان السروجي لم ينكر في تلك الرسالة وجود الطبيعتين في المسيح انكاراً مطلقاً بل انكر ان فيه طبيعتين تقوم كل منهما باقنوم خاص بها منفصلة عن الطبيعة الاخرى وهذا بيّن من كلامه ومن شرحه له في كلامه التالي في هذه الرسالة نفسها حيث قال . ان من خواص الطبيعة الالهية ان لا ترى ولا يحبل بها ولا تحل بامرأة ولا تولد كالناس . . . ولا ترضع ولا تأتي لتعتمد ولا تصلب على خشبة بل هي محتجبة ومنزهة عن كل ما عمله الخاص بنوع يفوق المدارك البشرية ولو حفظت خواص الطبيعة البشرية على ما هي عليه لم يكن لها ان يُحبل بها دون زواج ولا ان تستدعي المجوس بظهور النجم ليسجدوا لها ولا ان تحيل الماء خمراً ولا ان تمشي على الامواج ولا ان تقيم الميت بعد ان انتن فيلزم ان يخص بالله ما هو لله وبالانسان ما هو للانسان ليظهر جلياً من هذا التعليم ان الله واحد منزه عما كان في الجسد وان الانسان واحد مولود من ابنة البشر لا شركة له بطبعه في الآيات والمعجزات التي صنعها وحيد الله في العالم . اقول ان السروجي يفند بهذه الرسالة زعم نسطور ان في المسيح طبيعتين

تقوم كل منهما باقنوم منفصلة ومستقلة عن الاخرى توسلاً لضلاله ان في المسيح اقنومين وكلام السروجي لا ينفي الطبيعتين كما تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بل يثبتهما مبيناً خواص كل طبيعة منهما كما رأيت ليثبت لزوم وحدة الاقنوم في المخلص وان هذا الاقنوم هو اقنوم ابن الله الوحيد وهو مصدر تلك الاعمال الالهية والبشرية والجامع بين تلك الاعمال المتناقضة وعليه فما يحجنا به الخصوم هو حجة لنا عليهم لا لهم علينا ومثل هذا كلامه في القصيدة الثانية في العذراء والدة الله

وبقي من هذه الاعتراضات ان ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة روى في تاريخه ان بولس بطريرك انطاكية استدعي اليه يعقوب السروجي ليسأله عن صحة ايمانه فمضى اليه ولكن اوحى اليه في طريقه ان البطريرك يعتقد بالطبيعتين في المسيح فابى يعقوب الاشتراك معه في الروحيات وسأل الله ان يميته او يعصمه عن الضلال فعاد الى مدينته ومات بعد وصوله اليها بيومين على ان ديونيسيوس ينقض روايته هذه بغيرها من اقواله فقد قال في تاريخ سنة ٨٣١ يونانية (الموافقة سنة ٥٢٠م) ان بولس صير بطريركاً على انطاكية سنة ٨٣١ ولبثت انطاكية بعد خروج ساويرس منها سنة واحدة خالية من بطريرك وبعد ذلك انتخب بولس وارسل اليها. فساويرس طرد من انطاكية في السنة الاولى ليوستينس الكبير اي في آخر سنة ٨٢٩ (اي في اخر سنة ٥١٨ م) كما صرح بذلك ديونيسيوس نفسه وفرغ كرسيها سنة واحدة اي سنة ٨٣٠ كلها وانتخب بولس في بدء سنة ٨٣١ وقد صرح ديونيسيوس ان بولس مات بعد سنة اي في آخر سنة ٨٣١ او بدء سنة ٨٣٢ بان يعقوب السروجي توفاه الله سنة ٨٣٣ بعد عوده من انطاكية الى كرسيه بيومين وعليه فكيف كان ممكناً ان يستدعي بولس السروجي اليه سنة ٨٣٣ وبولس كان قد توفي سنة ٨٣١ او بدء سنة ٨٣٢ وكيف امكن بولس ان يرقي الى اسقفية سروج موسى بعد موت يعقوب وهو قد مات قبل ذلك بسنتين فيظهر ان ديونيسيوس

انخدع باخبار احد اليعاقبة ان السروجي ابى الاشتراك مع بطريركه لتعليمه بالطبيعتين فادخل في تاريخه هذه القصة الملفقة • وقد اذاع العلامة المونسنيور ابالوس استاذ كلية لوفان (بالبلجيك) كتاباً عنوانه • ترجمة القديس يعقوب السروجي اسقف بطنان بسروج • وتآليفه وطبعه في لوفان سنة ١٨٦٧ اثبت فيه صحة معتقد السروجي مؤيداً رأي السمعاني على ان الاب مرتينس كاهن كنيسة القديسة جنيفاف في باريس نشر فصلاً في المجلة الموسومة بمجلة العلوم الكنسية في نشرتيها ٢٠١ و٢٠٢ سنة ١٨٧٩ ادعى فيه ان يثبت ان السروجي كان يعقوبياً معتمداً على ما ذكرنا تفنيد العلامة السمعاني له وعلى رسالتين قال انه عثر عليهما في المتحف البريطاني في عد ١٤١٣٣ منفذتين الى اليعازار رئيس دير مار باسوس فاولاى منهما لا تخالف التعليم الكاثوليكي بشيء كما اقر الاب مرتينس نفسه بل تثبته نصاً

واما الثانية فلا تصلح ان تكون حجة على يعقوب السروجي لانها غير مذيلة بتوقيعه كما اقر مرتينس نفسه ولانها مخالفة لرسالته الاولى ظاهراً وكل من طالعهما قضى انه لا يمكن ان يكون كاتب الرسالتين واحداً لان الاولى كاثوليكية والثانية يعقوبية مع ان موضوعهما واحد وهما منفذتان الى شخص واحد وفي وقتين متقاربين ولم يطرأ على كاتبهما ما بعثه على تغيير معتقده وقد استوفينا الكلام على ذلك في المقدمات التي علقناها على كتاب فرضنا الكبير (صفحة ١٥) الذي طبعناه في مطبعتنا العمومية في بيروت سنة ١٨٩٠

وقد طالعنا الكتاب الذي اذاعه هذه السنة ١٨٩٩ الاب نو الكاهن البرديي العلامة متضمناً ايضاح الايمان للقديس يوحنا مارون فوجدناه يقول فيه (صفحة ٩) ان السمعاني كان يظن يعقوب السروجي كاثوليكياً لكنه عرف بعد ذلك (مجلد ٢ من المكتبة الشرقية ولم يعين الصفحة) انه ليس كذلك فقد طالعنا كل الصفحات التي ذكر السمعاني في الفهرست انه جاء فيها ذكر السروجي فلم

نجد اثرًا لتغيير السمعاني رأيه في ارتودكسيته بل وجدناه يفند في المجلد الثالث (صفحة ٣٨٧) قول عمر بن متى ورينودسيوس انه كان كاثوليكيًا ثم انحاز الى ضلال انسطاس شديد التفنيد ويصفه بالكلي القداسة واظن الاب نو ومن قالوا قوله خصوا بالسروجي سهوًا ما قاله السمعاني في يعقوب الرهاوي (في مجلد ٢ صفحة٣٣٧) وهو ان ما يظهر من كلام ابن العبري في تردد الرهاوي بين اليعاقبة وسكناه في اديارهم ان صح فيكون مخالفًا لما اثبته في المجلد الاول من المكتبة الشرقية (صفحة ٤٧٠) من انه ارتودكسي اي مستقيم الايمان

واما مؤلفات السروجي فقد ذكر منها كاتب ترجمته وتلميذه جيورجيوس تفسيره اسفار العهدين القديم والجديد ثم قصائده وهي سبع مئة وثلث وستون قصيدة في موضوعات شتى وله ايضًا تآليف اخرى غير شعرية ذكرها السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٠٠ وما يليها) اولها نافور فاتحته ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܗܘ ܕܫܠܡܐ ܡܫܒܚܐ اي ايها الاله الاب الذي انت السلام وهو مثبت في الكتاب الثالث من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية صفحة ١٦٠ وفي الكتاب الخامس من كتب الحاقلي صفحة٨٠ وقد ترجمه رينودوسيوس الى اللاتينية (مجلد٢ من الليتورجيات الشرقية صفحة ٣٥٦) وذكره ايوب لودلفوس في جملة النوافير الحبشية ولا بدع لانه كان للاحباش منزل في اورشليم من اقدم الايام كما حقق كثير من الجوالة وكان لهم ديران في لبنان احدهما على اسم القديس يعقوب في اهدن والثاني على اسم القديس جيورجيوس في وادي قنوبين على مقربة من حدشيت كما حقق ذلك البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٨ وكل منهما يسمى الى الان دير الاحباش وعزا هذا البطريرك الى السروجي نافور اخر بدؤه ܐܠܗܐ ܒܪܘܝ ܕܟܠ ايها الاله الصانع كل شيء ولكن رجح السمعاني ان هذا النافور الثاني ليس للسروجي بل

لساويرس الانطاكي ولا سيما لان الدويهي ذكر لساويرس نافوراً في جملة نافورات الهراطقة مطلعه كمطلع النافور الذي يعزو الى السروجي في النوافير الكاثوليكية

وثانيها رتبة المعمودية المقدسة قال السمعاني (في المحل المذكور) انها مثبتة في كتاب رتب كنيسة الموارنة معنونة . رتبة المعمودية المقدسة الفها مار يعقوب اسقف بطنان في سروج العلامة. بدؤها . ايها الرب الهنا الذي اتيت الى الهيكل مع مريم امك لتكمل سنة الاربعين يوماً . وقال ان الموارنة يستعملون هذه الرتبة والرتبة المعزوة الى القديس يعقوب الرسول ورتبتين اخريين لباسيليوس الكبير وليعقوب الرهاوي والثالث رسالة مسهبة الى صموئيل رئيس دير القديس اسحق في جبلة في الثالوث الاقدس وتجسد الكلمة وهى مثبتة في الكتاب الحادي عشر من الكتب التي جمعها السمعاني في المكتبة الواتيكانية صفحة ٩٣ ومنها فقر في الكتاب ١٥ من الكتب السريانية في هذه المكتبة والرابع رسالة انفذها الى اسطفانس بن طواريلي الرهاوي ضمنها البرهان من الاسفار المقدسة والادلة العقلية على ابدية الفردوس وجهنم وهى مثبتة في الكتاب ١٥ السرياني في المكتبة الواتيكانية والخامس رسالة الى يعقوب رئيس دير الرها المسمى دير النفوس وهى مثبتة في الكتاب ٦ من الكتب السريانية التي جمعها السمعاني في المكتبة الواتيكانية صفحة ٣٨٧ وفي الكتاب العاشر منها صفحة ٥٥ حاوية تفسير بعض آيات من الاسفار المقدسة والسادس رسالة روحية في التواضع والحب الالهى مثبتة في الكتاب ٦ من الكتب السريانية في المكتبة الواتيكانية صفحة ٣٨٤ والسابع رسالة روحية الى رجل شريف مثبتة في الكتاب المذكور يرثي بها الطبيعة بعد سقطتها اذ تحب الفضيلة وتنقاد الى الرذيلة والثامن حوى مقالة في مولد المخلص مثبتة في الكتاب العاشر من كتب السمعاني مع خمس مقالات اخرى في الابيفانيا اي ظهور المخلص للتبشير وفى صومه واحد الشمانين والامه وقيامته. واما قصائده فذكر منها السمعاني مئتين واحدى وثلاثين

قصيدة مبيناً مطلع كل قصيدة منها وموضوعها وما حوت من التعاليم الخطيرة ومن هذه القصائد في كتاب فرضنا الباعوث (اي الصلوة او الطلبة) الذي في آخر صلوة الساعة الثالثة من يوم الاربعاء المفتتح ܒܥܐ ܐܢܐ ܡܢܟ ܐܠܗܐ ܕܠܐ ܐܬܟܠܐ ܡܢ ܡܘܗܒܬܟ اي اسألك اللهم ان لا اقصى عن دعيتك والباعوث الذي في ختام صلوة الستار يوم السبت المبتدي ܠܚܘܣܝܟ ܡܪܝ ܡܣܟܐ ܐܢܐ ܕܢܕܪܟܢܝ اي اني لتائق ربي ان يتداركني غفرانك وجميع الباعوثات التي من النغم اليعقوبي في الوقفة الاولى من صلوة الليل في كل يوم

واختتم السمعاني كلامه بقوله كل هذه القصائد اخذت عن الكتب الواتيكانية وترى باسمه قصائد اخرى كثيرة في كتب الطقوس والصلوات السريانية لم نتعرض لذكرها مفصلاً لانها مقاطيع غير كاملة او لانها على النغم اليعقوبي وهي لغيره وقد ذكر له العلامة الدويهي (في ك ٣ من مدافعته عن الموارنة) مقالة في منفعة ذبيحة القداس للموتى الذين يقدمها الاحياء لراحة نفوسهم وذكر له ايضاً مقالات اخرى في كتاب مدافعته وفي كتابه المنائر العشر

اطلنا الكلام في القديس يعقوب السروجي وان لم يكن سورياً لانه من آباء كنيستنا السريانية ولان المبحث في صحة عقيدته من المباحث العصرية وكان ليعقوب تلميذ اسمه جيورجيوس بقي من تآليفه تقريظ لمعلمه استند السمعاني اليه في ترجمة السروجي ولم يحقق من اين كان ولا اي مقام كان له

عد ٦٦٢

في سمعان الفارسي اسقف بيت ارشم ويوحنا سابا واسحق النينوي

اما سمعان فكان من بلاد فارس وقد صير اسقفاً على المدينة التي يسميها السريان بيت ارشم اي مدينة ارسم وهو احد ملوك الفرس ابو دارا الذي سمى هذه المدينة باسمه وقد دبر سمعان كنيستها من سنة ٥١٠ الى سنة ٥٢٥ على ما

روى ديونسيوس بطريرك اليعاقبة (صفحة ٩٠ و١٢٠ من النسخة الواتيكانية)
وكان مناضلاً باسلاً عن الايمان الكاثوليكي ورد اليه كثيرين من الفرس عن
عبادة الاوثان وقاوم انتشار بدعة نسطور في تلك الاصقاع على انه اضطر ان يقبل
منشور الملك زينون المعروف بهنوتيكون اي مرسوم الاتحاد فعابه بعضهم بالجنوح
الى بدعة اوطيخا لكن السمعاني برّأ ساحته من الزيغان عن الايمان القويم بادلة
قاطعة ولا سيما لان المنشور المذكور لم يحوِ ضلالاً بيناً وجل ما فيه الصمت
عن ذكر المجمع الخلكيدوني ورسالة القديس لاون البابا وكان افلايانس بطريرك
انطاكية وايليا بطريرك اورشليم قد قبلاه ايضاً والمشهور من تآليفه نافور ذكره
له البطريرك اسطفانس الدويهي في جملة النوافير الكاثوليكية فاتحته ܐܠܗܐ ܐܢܬ
ܚܝܐ ܕܟܠ ܡܕܡ ܘܢܘܗܪܐ اي الاله حياة كل شيء ونوره ورسالة في برصوما اسقف
نصيبين وبدعة النساطرة ذكرها السمعاني برمتها (في مجلد ١ من المكتبة
الشرقية صفحة ٣٤٦) ثم رسالة الى سمعان رئيس دير جبلة في القديس حارث
ورفقائه الشهداء الحميريين وهي مثبتة في الكتاب ٢٤ من الكتب السريانية في
المكتبة الواتيكانية (صفحة ٩١) ومعلقة في كرونيكون ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة
وقد اثبتها السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٦٤) مقدماً عليها
ثلثة فصول اخذها ديونيسيوس عن يوحنا اسقف اسيا في احوال مملكة الحبشة وحمير
قبل الاضطهاد الذي اجراه دونان اليهودي ملك الحميريين على النصارى وقد
لحصنا نحوى هذه الرسالة الحاوية فوائد كثيرة وما جاء فيها عن القديس حارث
ورفقائه الشهداء الحميريين وعن حالة كنيسة حمير والحبشة في تلك الايام في عـد
٦٤٤ فطالعه

اما يوحنا سابا فقد ذكر السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٣٣)
ترجمته فقال انه ولد في نينوى نحو اواسط القرن السادس لكنه رجع في المجلد

٣ من المكتبة المذكورة (صفحة ١٠٣) انه ولد في قرية في غربي الفرات تسمى الداليه ولذا يسموه الدالي واخذ الطريقة الرهبانيـة وسماه السريان سابا اي الشيخ بلغتهم ويعيد لذكره السريان في ١٥ من شهر اذار على ما في الكتاب ٢٦ من الكتب السريانية الواتيكانية وقد ذكره ابن العبري في ادياته وذكره عبد يشوع الصوباوي في جملة المؤلفين الذين ذكرهم وقال انه كتب كتابين ورسائل خشوعية في طريقة الرهبانية وعن السمعاني (في المحل المذكور) ان مؤلفاته هذه مثبتة في كتابين قديمين في مكتبة كنيسة القديس بطرس في جبل الذهب برومة بالعربية وهي في السريانية مثبتة في الكتابين ٢١و٢٢ من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية ويظهر من المقدمة المعلقة على الكتاب ٢٢ المذكوران هذه المؤلفات جمعها اخو يوحنا المذكور اذ كان يكتب بعضها اليه ليعزيه وبعضها كان اخوه يقترحها عليه ولم يكن يوحنا يعلم او يريد ان يشهر اخوه ما يكتبه فرارًا من المجد الباطل وذكر السمعاني (مجلد ١ من مكتبته الشرقية صفحة ٤٣٥ وما يليها) له ثلاثين خطبة ماخوذة عن كتبه السريانية في المكتبة الواتيكانية وعن كتبه العربية في مكتبة كنيسة القديس بطرس في جبل الذهب ثم ذكر له (صفحة ٤٤١ وما يليها) ثماني واربعين رسالة وما كان منها باللغة العربية هو مترجم اليها من السريانية وقد حرم تيموثاوس بطريرك النساطرة تلاوة كتب يوحنا سابا مدعياً انها تشف عن ضلال سابيليوس ولكن قال السمعاني (مجلد ٣ صفحة ١٠٤) قد قلبت كتبه العربية والسريانيـة فلم اعثر على شيء يخالف التعليم الكاثوليكي في سر الثالوث الاقدس بل لقيته يصرح متواترًا باعتقاده بالآب والابن والروح القدس كما يعتقد الكاثوليكيون فثبت عندي ان تيموثاوس اتهمه ببدعة سابيليوس لانه لم يكن نسطورياً

اما اسحق التينوي فقد اتحفنا السمعاني ايضاً (مجلد ١ من المكتبة الشرقيـة صفحة ٤٤٤ ومجلد ٣ صفحة ١٠٤) بترجمته فلخصها عنه قال انه كان سريانياً وترهب

مع اخ له في دير القديس متى في ضواحي نينوى فاختير اخوه لرياسة الدير واعتزل اسحق في صومعة بعيدة عن الدير ولزم الصمت والاختلاء ولما اشتهرت فضائله رقي الى اسقفية نينوى فاتى اليه رجلان يتحاكمان فادعى احدهما على الاخر ديناً وطلب ان يوفيه اياه فاقر المدعى عليه بالدين وسأل المدعي ان يمهله فابى وقال ان لم تفني ديني الان شكوتك الى الحاكم فقال له اسحق قد جاء في الانجيل من طلب رداءك فلا تمنعه منه فلا اقل من ان تصبر عليه فاجابه المدعي دع عنك كلام الانجيل ومره يقضني ديني فقال له اسحق ان كنتم لا تسمعون ما يقول الانجيل فما انا صانع بينكم ونبذ الاسقفية وفر الى برية الاسقيط فقضى حياته ناسكاً مجاهداً وبلغ قمة الكمال ووضع اربع كتب على غاية البلاغة في طريقة الرهبانية وقال كاتب ترجمته في المقدمة المعلقة على كتبه باللغة العربية والحروف السريانية انه كان في اول الالف السابع من سني العالم قال السمعاني ان هذه السنة توافق سنة ٥٠٠ للميلاد لان اليونان والسريان يجعلون ميلاد المخلص في نحو سنة خمسة الاف وخمس مئة لخلق الانسان فبدء الالف السابع يكون في سنة ٥٠٠ للميلاد لكنه صحح ان اسحق اشتهر في اواخر القرن السادس سنداً الى حجج راهنة ولا سيما لانه وجد في كتبه رسالة الى القديس سمعان العمودي الصغير الملقب بالعجيب لانه نسك على عمود في الجبل العجيب القريب من انطاكية وسمعان هذا كان في ايام الملكين يوستينانس ويوستينس الصغير وانتقل الى ربه في ٢٤ ايار سنة ٥٩٣ على عهد الملك موريق كما حقق افاغريوس (ك ٦ من تاريخه فصل ٢٣)

وقد ذكر عبد يشوع الصوباوي اسحق هذا في قصيدته (فصل ٧٠) في جملة المؤلفين . فقال اسحق النينوي وضع سبعة مجلدات في التدبير الروحي والاسرار الالهية والاحكام والسياسة الروحية . وقد ترجمت كتبه من السريانية الى العربية بل ترجمت خطبه الى اليونانية ايضاً وفي المكتبة الواتيكانية منها كتاب

واحد في السريانية واربعة كتب في العربية والكتاب الاول منها علق عليه كاتبه هذه الحاشية ، كتب هذا الكتاب الراهب ايوانيس من قرية المنصورية سنة ١٨٢٧ يونانية ، الموافقة سنة ١٥١٦ م والكتب الستة الباقية علق عليها كاتبها حاشية في السريانية قال فيها ، قد كتبت هذه السطور سنة ١٨١٢ (سنة ١٥٠١ م) في برية الاسقيط كتبها رجل شر من جميع الخطاة يسمى باسم من نجى بني اسرائيل من عبودية مصر ، اي موسى

وذكر السمعاني له الكتاب الاول بالعربية في الافراز (اي الفطنة) الطبيعي متضمناً ثماني وعشرين خطبة والكتاب الثاني بالسريانية في التهذيب الرباني وفيه خمس واربعون خطبة والكتاب الثالث في محبة الله بالسريانية حاوياً اربعاً واربعين خطبة والكتاب الرابع في المعارف والعلوم في العربية والسريانية مشتملاً على احدى وعشرين خطبة وقال السمعاني (مجلد ١ صفحة ٤٦١) انه كان في مكتبة مدرسة الموارنة في رومة كتاب سرياني مخطوط مقسم الى تسع مقالات عنوانه كتاب عام لجميع الامم في علة كل العلل قد نسخه في رومة عن نسخة قديمة يوسف بن داود الماروني من قرية بسلوقيت في جبل لبنان سنة ١٦٢٨ واثبت مرهج بن نمرون الباني في كتابه في افوبليا (سلاح) الايمان (قسم ثالث صفحة ٣٦٥ و٣٦٨) انه من مؤلفات اسحق النينوي لكنه وصف اسحق هذا بانه تلميذ القديس افرام وهذا غير صحيح لان افرام كان في القرن الرابع واسحق هذا كان في القرن السادس كما مر وقال اعلم ايضاً ان كثيرين عزوا كتاب علة جميع العلل الى اسحق لكنهم لم يبينوا اهو اسحق النينوي ام غيره ولا استطيع القطع في مسألة غامضة كهذه الى ان رجح اخيراً ان هذا الكتاب ليس للنينوي

عد ٦٦٢

في يعقوب البردعي

كان يعقوب هذا راهباً في دير بالرها ورقي الى اسقفيتها بعد وفاة اداي اسقفها سنة ٨٥٢ يونانية (سنة ٥٤١م) كما يتبين من سلسلة اساقفة الرها المأخوذة عن تاريخ هذه المدينة وقد اثبتها السمعاني في المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ٤٢٤) وكان شديد الغيرة على الدفاع عن بدعة اصحاب الطبيعة الواحدة وكانوا قد انقسموا الى فرق شتى فلمّ شعثهم وضمهم الى امة واحدة فسموا يعاقبة باسمه وكان حينئذ في مقدمة الكاثوليكيين افرام الآمدي بطريرك انطاكية وفي راس اصحاب الطبيعة الواحدة سرجيوس الذي انتخبوه بطريركاً على انطاكية بعد وفاة ساويرس ولما مات سرجيوس ٥٥٠ اجتمعوا ورأس مجمعهم يعقوب البردعي وحملهم على انتخاب بولس بطريركاً لهم لان السريان الذين انفصلوا عن البطريرك الانطاكي الشرعي جعلوا كرسي الرها اول كراسي ما بين النهرين وقد روى عنه ماري بن سليمان وعمرو بن متى من علماء النساطرة ما هو اولى ان يعد من الاقاصيص فقالا انه رقى جيورجيوس وغريغوريوس رفيقيه الى الاسقفية فرقياه هما الى البطريركية وكان يكثر من ترقية الاكليريكيين اين ارتحل او حلّ حتى قيل انه رقى ثمانين الف كاهن وشماس في مدى حياته التي كانت ثلث وسبعين سنة ومما يحمل على العجب ان رينودوسيوس اخذ عنهما هذه الاخبار الكاذبة واثبتها في كتابه في الليتورجيات الشرقية (مجلد ٢ صفحة ٣٤٢) واغرب من ذلك ما ورد في كتاب عربي كان في مدرسة الموارنة برومه عنوانه مدح اليعاقبة وايمان السريان وهو بحروفه . ان يعقوب سار في الدنيا كلها ودخل الى بلاد الشرق وكرز فيها قسوس كثير وشمامسة ومضى ايضاً الى بلاد الشام وكرز لهم مطران على السواحل كلها وكان المطران يسمى في كرازته ديوسقورس ... وايضاً دخل الى بلاد القبط

وكرز لهم قسوس كثير وشمامسة وبطرك لاسكندرية وبطرك لانطاكيـة ودخل ايضاً بلاد النوبة والى بلاد الحبشة وجملة ما كرز من الكهنـة والشمامسة ماية الف قسيس وشماس وعشرين اسقف ومطران وبطركين وبعد ذلك تنيح في برية الاسقيط بين القديسين « الى غير ذلك من احاديث خرافة فمن يصدق ان رجلاً سريانياً لم يكن قط بطريركاً جال كل هذه البلاد ورقى كل هذا العدد الكثير الى درجات الكهنوت والاسقفية والبطريركية

وقد ادركته الوفاة سنة ٥٧٨ بعد ان استمر على اسقفية الرها سبعاً وثلاثين سنة على ما روى ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه ويعيد له اليعاقبة في ٢٨ تشرين ٢ و٢١ اذار و٣١ تموز ويذكرونه في رتبة القداس وفي دستور الايمان الذي يتلوه المتقدمون الى الدرجات المقدسـة ويحصونه في مصاف الاباء وعلماء الكنيسة ويتفاخرون بانه ابو ملتهم وانهم سموا يعاقبة نسبة اليه كما ترى في الكتاب الثالث السرياني من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية (صفحه ١٥٣) وفي الكتاب القديم السرياني الذي هو السادس والعشرون من الكتب السريانية في المكتبة المذكورة حيث يقال « يعقوب البردعي الذي سمينا باسمه » وكذلك قال كثيرون من العلماء القدماء والحدثاء غير اليعاقبة ولا يحفل بقول بعض اليعاقبة انهم سموا بهذا الاسم نسبة الى يعقوب الرسول اخي الرب كما روى مرهج بن نمرون الباني في كتابه الموسوم بافوبليا (سلاح) الايمان (صفحه ٤٠) على ان جيورجيوس ابن العميد قال « انهم سمّوا يعاقبة لان ديوسقورس كان اسمه يعقوب في العلمانيين فكان يكتب الى المؤمنين وهو في المنفى ويوصيهم ان يثبتوا على امانة المسكين المنفيّ يعقوب وقيل انما كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان وهو في المنفى يرسله الى الشعب ليثبتهم على الامانة فنسبوا اليه وقيل ان يعقوب كان تلميذاً لساويرس بطريرك انطاكية وكانت امانته موافقة لامانة ديوسقورس

فكان الاب ساويرس يرسل يعقوب تلميذه الى المؤمنين ويثبتهم على امانة ديوسقورس فنسبوا اليه ، وقد اورد ابن العميد قول سعيد بن بطريق البطريرك الاسكندري ورده حيث قال (صفحه ٣٩١ من كتابه ، قال سعيد بن بطريق وكان لساويرس تلميذ اسمه يعقوب البرادعي فكان يطوف البلاد ويرد الناس الى مقالة ديوسقورس وساويرس وقال ان اليعاقبة منسوبون الى يعقوب هذا وليس الامر كما قال لان اليعاقبة سُمُّوا يعاقبة من عهد ديوسقورس وقد شرحنا ذلك متقدماً ، وكل ذلك خطأ لانك لا ترى أثراً في كتب المونوفيزتيين او كتب الكاثوليكيين لتسمية اصحاب الطبيعة الواحدة يعاقبة قبل يعقوب البردعي

وقد سماه العلماء اليونان زلزل كما روى نيكوفورس (ك ١٨ فصل ٥٢) وقال ان الكلمة بمعنى ضعيف او ذليل او حقير وسماه السريان ܒܪܕܥܝܐ اي البردعي لانه كان يلبس بردعة وهي في الاصل العربي الحلس يلقى تحت الرحل على دواب الحمل فتوسعوا بها الى رداء يلبسه الرجل وقال ابن العبري في تاريخ بطاركة اليعاقبة ، انما سمي البرادعي لملبسه الساذج وعدم تأنقه فيه ، وقال داود الاسقف الماروني في كتاب الفرائض وهو في جملة الكتب العربية التي في المكتبة الواتيكانية (فصل١) ، ثم اليعقوبية وهي المنسوبة الى يعقوب الذي كان من مدينة تدعى البردعة ولذلك يقال له يعقوب البرادعي ، ولكن قال السمعاني (مجلد٢ من المكتبة الشرقية صفحه ٦٧٠) ان مدينة بردعة بنيت بعد يعقوب بمدة طويله نحو سنه ٧٠٥ في ايام عبد الملك ابن مروان كما روى جلال الدين الاسيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء وهو في جملة الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية عد ٤٦ صفحة ٨٠ حيث يقول ، وفي سنة خمس وثمانين (للهجرة) بنيت مدينة اردبيل ومدينة بردعة بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

ومن مؤلفات البردعي نافور ذكره الدويهي (في كتاب المنائر العشر فصل

٧ عد ٩) حيث قال « يعقوب البردعي استف الرها ومنه نسمت الملة اليعقوبية له نافور بدؤه ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܕܫܠܡܐ ܘܟܠܗ ܩܕܝܫܘܬܐ ايها الاله ابا السلام الكلي القداسة » وهو مثبت في الكتاب الثالث من الكتب المأتي بها من الاسقيط الى المكتبة الواتيكانية (صفحة ١٥٣) وقد ترجمه رينودوسيوس الى اللاتينية (مجلد ٢ في الليتورجيات الشرقية صفحة ٣٣٣) وقد عزا ابرهيم الحاقلي ومرهج ابن نمرون الباني المادونيان الى يعقوب البردعي كتاب تعليم اليعاقبة الذي هو دستور معتقد ملتهم واسه واورد كلاهما في مصنفاتهما فقرًا من هذا الكتاب الذي كان في مكتبة مدرسة الموارنة برومة مكتوبًا بالخط الكرشوني وعنوانه « هذه امانة اليعاقبة الذين يسمون السريان » وفاتحته « قال القديس مار يعقوب البرادعي راس اساقفة اليعاقبة السريان والقبط والحبش بعد ما وقعت الاختلافات بين النصارى » ويلحق بهذا الكتاب (صفحة ٣٦) تقريظ لليعاقبة عنوانه « ميمر على الامانة السريانية » وفاتحته بديت اشرح امانة اليأقبة » وفي هذا الكتاب ايضاً (صفحة٣٧٠) خطبة عربية في بشارة مريم العذراء عنوانها « ميمر من القديس مار يعقوب البرادعي صاحب الملة اليعقوبية قاله على البشارة المجيدة .. وارسله الى انطاكية كرسي الرسول العظيم بطرس » ومطلعها « بسم الاب البسيط والابن وهو الوسيط وباسم الروح القدس الفارقليط الاله الواحد » على ان العلامة السمعاني انكر ان هذا الكتاب بما اشتمل عليه من مؤلفات البردعي وايد رأيه ان الخطبة في العذراء ليست له بحجج منها ان هذه الخطبة مدبجة بعربية فصيحة وعبارات بليغة منظومة على وزن شعري حتى لا يصح القول انها مترجمة من السريانية الى العربية ويعقوب رجل سرياني عاش في وسط بلاد السريان اي في الرها وانما كتب بالسريانية لا العربية التي لم يتكلم بها اهل سورية وما بين النهرين الا بعدة بمدة مديدة وناهيك من انها مفتتحة بالدعاء بسم

الله وذكر صفاته وهذا دأب العرب بعد ظهور الاسلام ولا نرى له مثالاً في كتب علماء السريان القدماء ثم انه قال في مقدمة كلامه انه يتضمن توحيد الطبيعة (في المسيح) ولا نرى في الخطبة اثرًا او كلمة مؤذنة بهذه البدعة بل نراها تضمنت الاعتراف بعقيدتي الثالوث والتجسد كما تعلم الكنيسة الكاثوليكية دون زيغان وهذا بيّنة قاطعة على ان هذه الخطبة لعالم كاثوليكي وليست ليعقوب البردعي

وكذلك اثبت السمعاني ان تقريظ اليعاقبة آي الميمر في ايمان السريان ليس للبردعي بدليل انه كتب بالعربية الفصيحة وانه جاء فيه في صفحه ١١٦ مباحث تتعلق بمارون والموارنة وفي صفحة ٤٥ ثناء على يعقوب البردعي وشيء من ترجمته وفي صفحة ٥١ ذكر يوحنا بن شوشان بطريرك اليعاقبة الذي كان في اواخر القرن الحادي عشر وعليه فمؤلف هذا التقريظ كان في القرن الثاني عشر وليس للبردعي ومثل ذلك في كتاب تعليم اليعاقبة فانه ليس للبردعي لانه جاء فيه في صفحة ٢٥ ذكر يعقوب الرهاوي وهو قد كان بعد البردعي بقرن كامل وقيل فيه في صفحة ٣٣ ان غزة واشدود وعسقلان وغيرها من مدن فلسطين تخص بطريركية انطاكية وهذا انما احدثه اليعاقبة المتأخرون خلافاً لقوانين الكنيسة القديمة التي كانت بمقتضاها هذه المدن مختصة ببطريركية اورشليم وذكر هذا التعليم توما البياتيني في مؤلفه في الاهتمام برجوع جميع الامم (ك ٧ فصل ١٥) فقال « اني مورد بايجاز جميع الاضاليل التي تسنى لي جمعها من كتاب تعليم اليعاقبة الذي عثرت على نسخة منه برومه في مكتبة كردينال كنيسة القديسة ساوورينا مخطوطة بالعربية واللاتينية » وجملة الاضاليل التي اخذها عنه ستة وثلاثون ضلالاً تشتمل عليها ايضاً نسخته التي في مكتبة مدرسة الموارنة قال السمعاني ذكرت هذا ليعلم دينودوسيوس ان هذا الكتاب لم يستنبطه الموارنة اذ يظهر من كلامه في المجلد

الثاني من كتابه في الليتورجيات الشرقية (صفحة ٢٣) انه يتهم مرهج بن نمرون الباني الماروني انه اخترع هذا الكتاب فانه قال في يوحنا بن شوشان ، أثبت نمرون ان يوحنا هذا كان يعقوبياً سنداً الى كتاب تعليم لليعاقبة مع ان هذا الكتاب لا وجود له الا في مكتبة الموارنة ولا يركن البتة الى صدقه ، انتهى ملخصاً عن مجلد ٢ من المكتبة الشرقية من صفحة ٦٢ الى ٦٩

عد ٦٦٣

في يوحنا اسقف اسيا

قد استشهدنا متواتراً باقوال يوحنا هذا وهو كان في هذا القرن فيجدر بنا ان نذكر هنا شيئاً من ترجمته فقد قال عن نفسه انه كان من مدينة آمد وروى قوله ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه (صفحة ١١٩) وهو ، قد حان لنا الان ان نتكلم في الرزيئة التي حلت بمدينة آمد التي ربينا فيها مع غيرها من المدن المجاورة لها ، وكانت تلك الرزيئة الطاعون ، وكان مغوياً ببدعة اصحاب الطبيعة الواحدة في المسيح وهذا ظاهر من تنديده بالمجمع الخلكيدوني ومن اقواله ولا سيما قوله في تاريخ سنة ٨٧٤ يونانية الموافقة (لسنة ٥٦٣م) اذ كلفه الملك يوستيانس ان يستدعي رهبان اديار سورية ليأتوا الى قسطنطينية لايجاد السلم في الكنائس فقال ، وقد اخذ (هذا الملك) يحض حقارتي انا يوحنا اسقف اسيا ان استدعي الرهبان من جميع اديار سورية فابيت ان اكون وسيطاً في هذا الامر وخادماً له خيفة من لعنة هولاء الرجال الافاضل ودعواتهم عليَّ ،

ولم ينبئنا ديونيسيوس لِمَ سمي اسقف اسيا ولا اية كنيسة رأس والظاهر انه لم يكن اسقف مدينة مخصوصة بل كان اسقف المونوفيزيتيين في اسيا الصغرى كلها فقد اعتاد اصحاب البدع متى كان عددهم قليلاً ان يقيموا اسقفاً واحداً في اقليم او مملكة بكمالها فقد انبأنا يوحنا هذا نفسه ان اوترويوس كان اسقفاً

لليوليانيين في اسيا وسرجيوس اسقفاً في مملكة الحميريين وقد كتب يوحنا تاريخاً ابتدأ فيه من ايام توادوسيوس الصغير الى ايام يوستنيانس الملك وقال فيه ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في تاريخه (صفحه١٢٢) . ان القديس يوحنا اسقف اسيا كتب تاريخاً من ايام توادوسيوس الصغير الى ايام يوستنيانس الملك اعني الى سنة ٨٨٥ يونانية ، توافق سنة ٥٧٤م وقد اشتمل تاريخه على امور كان غيره قد كتبها او اشار اليها قبله وقد اعتمد فيه على تاريخ الاسكندريين كما يظهر من نصه على ان يوستنيانس توفاه الله سنة ٨٨٥ يونانية (سنة ٥٧٤م) ولو اتبع رأي العلماء السريان في ان تاريخ اسكندر يتقدم على التاريخ المسيحي العامي بثلث مئة وتسع او احدى عشرة او اثنتي عشرة سنة لقال ان وفاة يوستنيانس كانت سنة ٨٧٥ يونانية (سنة ٥٦٤ او سنة ٥٦٥م) وكذلك تراه ارخ كل اعمال يوستنيانس بعد عشر سنين من السنة التي عينها غيره من المؤرخين السريان وقد اورد السمعاني امثالاً من تواريخه في ايام يوستنيانس من سنة ٨٥٣ الى سنة ٨٨٥ يونانية سلك بتاريخه فيها على مقتضى مذهبه المذكور وقد استشهدنا ببعض اقواله في تاريخ هذه السنين ولا سيما عند ذكرنا الزلازل التي اخربت بيروت وغيرها من مدن فونيقي في هذا القرن فيلزم الانتباه الى الفرق الذي بينه وبين غيره من المؤرخين في تعيين السنين . انتهى ملخصاً عن المكتبة الشرقية (مجلد ٢ صفحة ٨٣ وما يليها)

الفصل الثالث

في المجمع الخامس المسكوني وما كان في سورية من المجامع والبدع في هذا القرن

لما كان الغرض من عقد المجمع الخامس المسكوني وهو القسطنطيني الثاني النظر في ما سموه الفصول الثلاثة وهو ما كتبه تاودورس اسقف المصيصة معلم نسطور مما يؤيد ضلال تلميذه وما كتبه تاودوريطس اسقف قورش ردًا على حروم القديس كيرلس الاسكندري ورسالة ايهيبا اسقف الرها الى ماري الفارسي تحتم علينا ان نفتتح هذا الفصل بذكر هذه الفصول الثلاثة او المقالات الثلث وما كان في الكنيسة بسببها لا في سورية فقط بل في المشرق والمغرب ايضاً من القلق الذي دعا الى عقد هذا المجمع

عد ٦٦٤

في الفصول الثلاثة

كثر البحث في هذا القرن عن تعاليم اوريجانس فلم يخلُ بعد مماته من مندد ومؤيد كما كان له في حياته وقد حرم مجمع عقد في قسطنطينية ما وجد في كتبه من الضلال فحمل بعض المنتصرين له على ان يطلبوا تحريم مقالات تاودوريطس وايهيبا وتاودورس المذكورة فقد كان تاودورس اسقف قيصرية بالكبادوك ودومطيانس اسقف انكورة وغيرهما يدافعون شديد المدافعة عن صحة تعاليم اوريجانس فهيجوا رهبان دير القديس سابا في فلسطين وغيرهم من الرهبان

والاكليريكيين العلماء على الانتصار لاوريجانس وخالفوم غيرهم وعظم الخلاف والقلق ررفع هولاء عريضة الى الملك يوستنيانس يبينون فيها غوايات اوريجانس ويشكون مَن يدافعون عنه وعاونهم على نيل ما رغبوا بلاجيوس الشماس سفير الحبر الروماني في قسطنطينية ومنّا بطريركها وكان يوستنيانس يلذ له التحرش في الامور الدينية فاصدر منشورًا نبذ فيه اوريجانس واضاليله واثبت منشوره بلاجيوس سفير الحبر الروماني ومنّا البطريرك وكل من كان في العاصمة من الاساقفة وكتب الملك الى البابا فيجيليوس والى سائر البطاركة فصوبوا عمله وقد كان ذلك سنة ٥٤٤ على ما روى ليبارتس (فصل ٢٣) او سنة ٥٤٨ على ما روى بارونيوس

فاستاء توادورس اسقف قيصرية من هذا التحريم وكان يصرف اكثر اوقاته في قسطنطينية تاركاً رعيته ومتزلفاً الى الملك فمضى اليه مع بعض مشايعيه وقال مولاي عبثاً تعنى نفسك بمشاق كتب المناشير ولك وسيلة سهلة ترضي بها كل فريق هي ان تنبذ مع تعاليم اوريجانس الفصول الثلاثة وكان توادورس ينوي في ذلك تخديش المجمع الخلكيدوني لان هذا المجمع قبل ايهيبا مكتفياً منه بان يحرم نسطور ورد توادوريطس اسقف قورش الى كرسيه واغضى على مدح توادورس المصيصي ولم يصرح بحرم مقالاتهم فانقاد الملك لمشورته طامعاً بحصول السلم والوفاق واصدر منشورًا نبذ فيه الفصول الثلاثة المذكورة وارسله الى البطاركة ليوقعوا عليه فوقع عليه منّا البطريرك القسطنطيني مشترطاً اثبات الحبر الروماني لهذا البند واثبته زويلس البطريرك الاسكندري وافرام البطريرك الانطاكي وبطرس البطريرك الاورشليمي خوفاً من الملك وتردد بعض الاساقفة في ان يصوبوا رأي الملك الى ان يثبته الحبر الروماني وخالفه اساقفة المغرب وافريقيا وامتنع البابا فيجيليوس من تصويب منشور الملك لئلا يتذرع به الهراطقة لمقاومة

المجمع الخلكيدوني فعزم الملك ان يأمر بعقد مجمع في العاصمة واستدعى اليه البطاركة الشرقيين بل فيجيليوس الحبر الروماني ايضاً فزايل البابا رومة واتى الى صقلية واقام فيها نحوًا من سنة يكاشف الملك في عقد المجمع في هذه الجزيرة لتيسر سفر الاساقفة اليها من المشرق والمغرب وافريقيا ولما لم يذعن الملك لمشورته اتى الى قسطنطينية سنة ٥٤٧ على الراجح فقبله الملك بالتجلة والاحتفاء واذاع هنالك منشورًا نبذ فيه تعليم الاشافليين (اي من لا رئيس لهم وهم هراطقة كانوا يخطئون المجمع الخلكيدوني ولا يصوبون تعليم اوطيخا وديوسقورس) مع علمه بان الملكة تاودورا مؤيدة لهم (كما يظهر من رسالة البابا غريغوريوس الكبير الـ ٣٦ الى اساقفة استريا) وتمنع عن مخالطة مناً البطريرك القسطنطيني في الروحيات لانه اكره بعض الاساقفة على قبول منشور الملك ثم قبله في شركته لالحاح الملكة تاودورا بذلك

والحّ الملك على البابا ان يعقد مجمعاً مع نحو من سبعين اسقفاً كانوا حينئذٍ في قسطنطينية للبحث في الفصول الثلاثة فاجاب البابا سؤله لكنه رأى ما سيكون من الخلاف بين الاساقفة لدن اجتماعهم فآثر ان يستطلع رأي كل منهم على انفراد مخطوطاً فابرز حكماً باسمه في ١١ نيسان سنة ٥٤٨ اثبت فيه تحريم الفصول الثلاثة مصرحاً بان هذا التحريم لا يمس المجمع الخلكيدوني ولا يضاده بشيء ونهى الجميع عن التحرش بهذا المبحث قولاً او خطاً آملاً ان هذا التسامح القانوني يأول لحفظ السلم مع الاساقفة الشرقيين ولا سيما لان المبحث لم يكن دينياً لاتفاق الجميع على المعتقد بنفسه وحصر الاختلاف على اشخاص اصحاب الفصول الثلاثة وعلى معاني كلامهم على ان اساقفة افريقيا وايليريا ودلماسيا ابوا الاذعان لحكمه بل انقطعوا عن شركته وغادره شماسان كان شديد الثقة بهما والاركان اليهما يسمى احدهما روستيك والثاني سبسطيان وبعد ان كانا قد اغرياه سنة ٥٤٨

بابراز حكمه خالفاه به سنة ٥٤٩ واذاعا انه لم يرعَ حرمة المجمع الخلكيدوني وكتبا الى كثيرين من الاساقفة يشكونه بذلك حتى اضطر ان يثبت لكثيرين منهم انه لم يمس حرمة المجمع الخلكيدوني وعزل شماسيه عن مقاميهما وصورة حكمه عليهما معلقة على اعمال المجمع الخامس (مجلس ٧) ورأى البابا والملك انه لا يطفي جذوة القلق الا عقد مجمع مسكوني فعولا عليه لكنهما اختلفا في مكانه فاحب البابا ان يعقد في ايطاليا او صقلية استرضاءً وتيسيرًا لاساقفة المغرب وتشبث الملك بعقده في قسطنطينية واسترجع البابا حينئذٍ حكمه السابق بحرم الفصول الثلاثة واوقفه ناهياً تحت طائلة الحرم عن الجدال في شأنها الى ان يبث المجمع المقبل هذا المبحث وكتب الملك يستدعي الاساقفة الى الاجتماع في عاصمة ملكه فلم يمتثل امره الاساقفة الغربيون ولم يشأ البابا ان يقضي امرًا دون رضاهم واذاع الملك منشوره بتحريم الفصول الثلاثة معلقاً اياه في كنائس قسطنطينية وغيرها فساء هذا الصنيع البابا وجمع الاساقفة الشرقيين ومن وجد منهم من الغربيين وحضهم ان يسألوا الملك لينكف عن اذاعة منشوره ويلزم ما جرى الاتفاق عليه من انتظار حكم المجمع وان لم ينثنِ هو عن عزمه واذعنوا هم لامره فيفصلهم من شركته فمضى تاودورس اسقف قيصرية مع الاساقفة محازبيه في الغد الى احدى الكنائس المعلق المنشور فيها فاقام القداس غير مبالٍ بل محا اسم زويلس البطريرك الاسكندري من سجل التذكارات البيعية وادخل مكانه اسم ابوليناري الدخيل على الكرسي الانطاكي فامتنع الحبر الروماني عن الاشتراك مع الاساقفة الشرقيين بل عن مقابلتهم ايضاً

قد احتدم الملك غيظاً من مناصبة البابا منشوره وامر بالخفر عليه في منزله فلجأ الى كنيسة القديس بطرس في قسطنطينية وارسل الملك بعض اعوانه مع الجنود للقبض عليه فدخلوا الكنيسة مجردين سيوفهم وحاولوا اخراج البابا منها

مكرهاً فاعترضهم الجم الغفير الذي ازدحم هناك ولما لم ينكف الملك عن اضطهاد البابا فر الى خلكيدونية واقام في منزل كنيسة القديسة اوفيميا وبلغت هذه الاخبار ايطاليا واساقفة المغرب فاحدثت قلقاً كبيراً اما الملك فارسل الى البابا في ٢٨ كانون الثاني سنة ٥٥٢ باليصار وغيره من حاشيته يسألونه ان يعود الى قسطنطينية فاجابهم البابا اني لم اعتزل الا لتدارك العثار الحاصل في الكنيسة فان اراد الملك ان يعيد الوفاق والسلم الى الكنيسة عدت للحال الى العاصمة وان لم يجب سؤالي فاعتزالي اولى بي فلا اخرج من هذا المقام وقص عليهم ما كان بعد ان علق الملك منشوره في الكنائس وختم كلامه مستحلفاً وفد الملك ان يبلغوه من قبله انه يأثم اثماً ثقيلاً اذا اشترك مع من حرمهم ولا سيما تواودورس اسقف قيصرية . وفي الرابع من شباط ارسل اليه الملك بطرس احد اعوانه يسأله متى يريد ان يحضر الى قسطنطينية ويضمن له الملك راحته فيها فاجابه البابا ان يبلغ الملك انه لم يشخص الى القسطنطينية مذ سبع سنوات الا لايقاع السلم في الكنيسة ولا يريد سواه وانه يأمل ان لا يسمح الملك لاي كان ان يشوشه ولا سيما تواودورس علة كل هذه الشرور الذي حرمه وحطه عن مقامه مذ ستة اشهر ولم يتوقف عن اشهار حكمه الا رعاية لخاطر الملك وطمعاً بارعواء تواودورس عن سوء صنيعه وارسل الى الملك مع مفوضه داسيوس اسقف ميلان وبعضاً من بطانته ليكاشفوه بايجاد السلم في الكنيسة وانه اذا بقي متلوماً في بت الامر قضى به البابا بسلطانه المطلق وفي اليوم التالي اذاع البابا منشوراً مبيناً فيه ما قاساه حباً بخير الكنيسة ومفنداً التهم التي كان خصومه يفتابونه بها كما هو بيّن في رسالته الخامسة عشرة

وكانت نتيجة ثبات البابا فيجيليوس ان الملك نقض منشوره وارتضى ان يطاق للمجمع المقبل ان يبحث في الفصول الثلاثة بطواعيته التامة وان الاساقفة المثنين رفعوا الى البابا عريضة صرحوا فيها بأنهم يعتقدون كل ما رسم في المجامع الاربعة

المسكونية وفي رسائل الاحبار الرومانيين ووعدوا بانهم يسلكون دون زيغان بمقتضى كل ما رسم فيها بالاتفاق مع قصاد الكرسي الرسولي ونوابه الذين تراسوا على تلك المجامع نيابة عن احبار رومة (هذه هي عبارات اساقفة الروم انفسهم كما رواها لباي مجلد ٣ صفحة ٣٣٧) واستماحوا اخيرًا الغفران من البابا عما كان منهم في ما مضى واختتموا عريضتهم بقولهم ولما كنا مجمعين على كل ما ذكر جئنا نلتمس ان تنعطف قداستكم على ان ترأسنا لنبحث في امر الفصول الثلاثة امام الانجيل ومتى انتهى المبحث توطد السلم في الكنيسة وقدم للبابا هذه العريضة بطاركة قسطنطينية واسكندرية وانطاكية وغيرهم من الاساقفة في ٦ كانون الثاني سنة ٥٥٣ (لباي في المحل المذكور) وعاد البابا الى العاصمة واثنى على الاساقفة لما تضمنته رسالتهم اليه وابت العزم على عقد مجمع قانوني مع باقي الاساقفة المتحدين معه للبحث في الفصول الثلاثة وسأل البابا الملك ان يعقد المجمع في ايطاليا او صقلية وان يستدعى اليه اساقفة افريقيا والاساقفة اللاتينيين اذ جل غرض البابا في هذا التصرف المحكم انما هو ان يجانب الانقسام بين الاساقفة الغربيين والشرقيين فلم يرضَ الملك وجل ما جرى الاتفاق عليه ان البابا يعين للملك اسماء الاساقفة اللاتينيين الذين يحدثونه وان عدد الاساقفة الذين يبحثون في المسألة يكون سوياً بين اليونان واللاتينيين على ان الملك لم يقف عند هذا الاتفاق بل اسرع للحال الى اذاعة منشور يستدعي به البطاركة والاساقفة الذين كانوا في العاصمة وحدهم الى عقد المجمع الذي التئم في قسطنطينية كما سترى في العدد التالي (كل ما مر في هذا الفصل مقتطف عن رسائل البابا فيجيليوس وعن كتب بعض المعاصرين وعن مجموعة المجامع للباي)

عد ٦٦٥

في المجمع المسكوني الخامس

قد افتتح هذا المجمع في ٤ ايار سنة ٥٥٣ وكان الاسافقة المجتمعون فيه مئة وواحد وخمسون اسقفاً في جملتهم خمسة اساقفة من افريقيا اختارهم الملك وفي المجلس الاول تلي منشور الملك المتضمن الدعوة الى المجمع ثم العريضة التي رفعها الاساقفة الى البابا فيجيليوس كما مرّ وجوابه عليها المؤذن بعقد المجمع وارسل الاساقفة وفداً الى البابا بطاركة قسطنطينية واسكندرية وانطاكية الثلثة وستة عشر اسقفاً يسألونه باسم المجمع ان يأتي فيبحث معهم في مسألة الفصول الثلاثة كما كان قد وعد افتشيوس بطريرك قسطنطينية (خليفة منا الذي توفي في تلك المدة) برسالته اليه فاجابهم البابا انه لا يستطيع ان يصرح للحال بعزمه لتشوش صحته وانه سيصرح به في الغد فارفض الاساقفة في ذلك اليوم ولا جرم ان البابا فيجيليوس انما هو الذي رغب في عقد المجمع تداركاً لمرضاة الاساقفة الغربيين الذين ساءهم تسامحه برذل الفصول الثلاثة ارضاء للاساقفة الشرقيين فلو تسامح بان يرأس المجمع غير مبالٍ بغيبوبتهم لتسبب بشقاق بين الكنيسة الغربية والشرقية والغرض من المجمع حصول الاتفاق ولهذا اجاب الاساقفة في الغد مصرحاً بانه لا يستطيع الآتيان الى مجمعهم الذي يحسب شرقياً لوفرة عدد الاساقفة الشرقيين لا عاماً لقلة عدد الاساقفة الغربيين فيه خلافاً للاتفاق مع الملك ان يكون عدد الاساقفة من الفريقين سوياً لكنه سيبين رأيه مكتوباً ويرفعه الى الملك فلم يكن في المجلس الثاني الا سماع الاساقفة جواب البابا وارجاء البحث الى مجلس اخر ثم الح الاساقفة مرة اخرى على البابا واوفد الملك اليه بعض بطانته يسأله ان يأتي الى المجمع فوعد انه سيبلغ الملك بعد مدة وجيزة ما يراه في هذا الشأن وفي التاسع من ايار عقد الاساقفة المجلس الثالث واقتصروا فيه على ان يعلنوا استمساكهم بكل ما رسم

في المجامع الاربعة المسكونية ورذلهم كل ما يضادها او يخل بحرمتها وانهم مقتفون آثار الآباء القديسين وارجأوا الكلام في الفصول الثلاثة الى يوم آخر

وفي اليوم الثاني عشر من ايار عقدوا المجلس الرابع واخذوا في الفحص عن اقوال توادورس اسقف المصيصة وتلوا احدى وسبعين فقرة مأخوذة عن مؤلفاته ومشعرة بالضلال وفي السابع عشر من ايار تلوا في المجلس الخامس ما كتبه الاباء في شأن توادورس هذا وما جاء في التواريخ عنه وبحثوا في ما اذا كان الحكم على الاموات جائزًا وأثبت بعضهم ذلك سندًا الى اقوال بعض الآباء والى مثال تحريم كتب اوريجانس من عهد قريب وانتقلوا الى البحث عن اقوال توادوريطس اسقف قورش فتلوا فقرًا من كتبه تبين انه قاوم القديس كيرلس ودافع عن توادورس المصيصي ونسطور وتلوا في المجلس السادس الذي كان في ١٩ ايار رسالة ايهيبا اسقف الرها الى ماري الفارسي

وكان في الفترة التي بين المجلس السادس والسابع ان الملك يوستينانس اكثر من الالحاح على البابا فيجيليوس ان يشهد المجمع ويباحث الاساقفة في الفصول الثلاثة او يصرح بمدافعته عن ضلال كاتبيها فابرز البابا براءة انفذها الى الملك ضمنها شرح كل ما كان في هذا المبحث والحكم فيه واليك ملخصها . قد استهل الحبر الروماني كلامه بذكره دستوري الايمان اللذين رفعهما اليه البطريركان القسطنطينيان مَنَا وافتيشيوس خليفته وقال قد سألنا جلالتكم ايها الملك المبجل ان يعقد في ايطاليا او صقلية المجمع الذي طاب عقده البطاركة والاساقفة في دستوري ايمانهما وان يدعى اليه اساقفة افريقيا والاقاليم اللاتينية فلم ترضَ جلالتكم هذا وطلبتم ان نقدم لعظمتكم اسماء الاساقفة من هذه الاقاليم الذين نرغب في ان يذاكروكم وانكم تستقدمونهم فرضينا هذا الاتفاق كفأً بايجاد السلم في الكنائس ثم امرتم بالاتفاق مع الاساقفة المقيمين الان في هذه العاصمة ان يكون عدد الاساقفة من

الشرقيين والغربيين متساوياً وانا نتباحث حينئذٍ في الفصول الثلاثة بمقتضى دستوري الايمان المشار اليهما آنفاً وبينما كنا مهتمين باعداد كل ما يلزم لنهاية هذا المجمع بما يأول لخير الكنيسة والسلم فيها ارسلت جلالتكم الينا توادورس رئيس بلاطها يلح علينا ان نرفع الجواب اليكم في شأن الفصول الثلاثة وضايقنا كبراء دولتكم لنقدم الجواب للحال ودون مهلة فلم ننكف عن اجابة مسئولكم لكننا طلبنا مهلة عشرين يوماً لنبلّ من مرضنا الذي عرفه الجميع لنتمكن من ابراز حكمنا بعد التروي اللازم وسألتمونا ان نبلغ اخوتنا الاساقفة مثل هذا الجواب فبلغناهم اياه بلسان ولدنا بلاجيوس الشماس وامرناهم ان لا يحدثوا شيئاً قبل ابراز حكمنا بعد ابلالنا من مرضنا لئلا يكون ذلك وسيلة لتجديد العثار بينما نحن عاملون على ازالته ، ويظهر ان البابا لم يشأ مطلقاً ان يذكر الملك هنا بتهاتته على اذاعة منشوره وبعد هذا البيان الشافي اخذ البابا في الكلام على المبحث بنفسه فقال ، قد تدبرنا اقوال المجامع ومراسيم اسلافنا في الكرسي الرسولي وما قاله الآباء الموثوق بهم في هذا المبحث وقد طالعنا ايضاً الكتاب الذي رفعه الينا اخونا بآينيوس اسقف هرقلية من قبلكم فاذا هو مفعم بالتجاديف والمزاعم المناقضة للايمان الكاثوليكي فحرمناه ، ثم اورد البابا ستين فقرة مأخوذة عن مؤلفات توادورس المصيصي وهي من الفقرات نفسها التي كان المجمع قد اخذ سبعين فقرة منها وبيَّن البابا خطاء الكاتب في كل فقرة منها وحرمها ونهى تحت طائلة الحرم عن ان يتذرع احد بذلك لاهانة احد آباء الكنيسة او علمائها اذ لم يكن الكرسي الرسولي اصدر حكمه عليها الى ان قال (ثم تفحصنا ما قاله الاباء في توادورس هذا فوجدنا القديس كيرلس كتب الى يوحنا بطريرك انطاكية ان المجمع الافسسي نبذ دستور الايمان المعزو الى توادورس ولم يأتِ بذكر شخصه تحوطاً ومما قاله ايضاً انه يلزم التحاشي عن اهانة الموتى والفينا بروكلس بطريرك قسطنطينية صنع كذلك حرم

اغلاط توادورس ولم يأتِ بذكر اسمه ولم نجد في المجمع الخلكيدوني ذكرًا لتوادورس المصيصي الا في رسالة يوحنا الانطاكي الى الملك تاودوسيوس حيث قيل انه لا يلزم حرم توادورس بعد موته ثم بحثنا عما اذا كان أسلافنا في الكرسي الرسولي حكموا على الاموات بشيء لم يحكموا عليهم به في مدة حياتهم فوجدنا ان الحبرين لاون وجيلاجيوس شهدا بما يخالف ذلك ، وذكر امثلة اخرى الى ان قال ، فنحن اذًا لا نجسر ان نحرم توادورس بنفسه ولا نسمح لاحد ان يحرمه ،

واما توادوريطس اسقف قورش فنرى انه لا يمكن الحكم عليه بل نتعجب ممن يدعون ان يحكموا على اسقف شهد المجمع الخلكيدوني مذ نيف ومئة سنة ووقع دون تردد على اعماله وعلى رسالة البابا لاون وان قال حينئذٍ ديوسقورس والاساقفة المصريون انه اراتيكي فآباء ذلك المجمع قد تفحصوا امره بالدقة ولم يطالبوه الا ان يحرم نسطور وتعليمه فاتم ذلك لساعته بحضرة آباء المجمع كلهم فلا يمكن الحكم بعد ذلك بانه نسطوري خلوًا من ان يحكم على آباء المجمع الخلكيدوني بالكذب والرياء ولا يظن ان هولاء الآباء جهلوا تنديده بحروم القديس كيرلس بل لا مراء في انهم اقتفوا آثاره اذا صفح حبًا بالسلم عن كل ما كتبه الاساقفة الشرقيون ردًا عليه ولا سيما ان توادوريطس اقر في رسالته التي تليت في المجمع الخلكيدونى بان كيرلس اصاب في ما كتب واثنى على من كان يظنه منخدعاً وعليه فنحن نمهي كل احد ايًا كان عن ان يحكم على توادوريطس وعلى هذا النحو نرعى حرمة شخصه ونحرم كل ما عزي اليه من الاقوال المؤيدة ضلال نسطور او اي مبتدع كان ، ثم اطلق خمسة حروم للخمسة اغلاط المأخوذة عن مؤلفات توادوريطس ثم اخذ بعد ذلك في الكلام على ايهيبا اسقف الرهال فقال :

، واما رسالة ايهيبا اسقف الرها فنرى المجمع الخلكيدوني بعد تلاوتها برّأ كاتبها وحكم بانه صحيح المعتقد بل اعلن ان الرسالة بنفسها لا تحوى ما يخالف

الايمان لانها تشتمل على ما اتفق عليه القديس كيرلس ويوحنا البطريرك الانطاكي بالعقائد وجلّ ما رأوه فيها انها لا تخلو من عبارات حاطة من قدر القديس كيرلس فما ان ايهيبا المجمع نقضه كلامه السابق معترفاً بانه كان يفهم كلام كيرلس بغير المعنى المراد منه وصرح باعتقاده واذعانه لحكم مجمع افسس وبانه اذا كان نبذ حروم القديس كيرلس الاثني عشر فلسوء فهمه لها لانه كان يظنها ناقضة لعقيدة الطبيعتين في المسيح ولما انجلى له معناها الصحيح اذعن لها وكان اوطيخا وديوسقورس يثنيان على القديس كيرلس لظنهما ان كلامه مؤيد لبدعتهما التي كان ايهيبا يخالفهما بها في مجمع افسس اللصي ولذلك عزلاه في هذا المجمع عن كرسيه ورده اليه المجمع الخلكيدوني ولهذا نأمر ان يستمر حكم المجمع الخلكيدوني على قوته بكمالها بالنظر الى رسالة ايهيبا وكل ما سواها . واختتم البابا كلامه ناهياً ايّاً كان وفي اي مقام كان عن ان يحكم بما يخالف ذلك فهذه خلاصة براءة البابا فيجيليوس في شأن الفصول الثلاثة وهي مؤرخة في ١٤ ايار سنة ٥٥٣ (عن لباي في مجموعة المجامع مجلد ٥ صفحة ٣٣٧ وما يليها)

وفي الخامس والعشرين من ايار استدعى البابا بعض حاشية الملك وثلاثة من الاساقفة واطلعهم على براءته ورغب اليهم ان يبلغوها الى الملك فطالعوها واعتذروا عن رفعها الى الملك قبل ان يرخص لهم بذلك وبعد عودهم لقنهم الملك ان يجيبوا البابا من قبله انا دعوناك لتشهد مجمع الاساقفة فابيت والان تقول انك كتبت شيئاً في شأن الفصول الثلاثة فان كان لتحرمها فلا حاجة لنا الى ذلك اذ لدينا منك ما هو كافٍ لتحريمها وان كان لتبدي ما يخالف ذلك فلا نقبل ما تنقض به كلامك الاول وتحكم به على نفسك وبهذا الطيش ابى يوستنيانس الملك قبول براءة البابا بعد ان الح بطلبها مرات وفي اليوم التالي ٢٦ ايار ارسل الى المجمع مفوضاً من قبله وبيده بعض رسائل كان البابا قد كتبها اليه او الى بعض الاساقفة يعد

فيها بتحريم الفصول الثلاثة او يحرمها وكان غرضه من اطلاعهم عليها ألاّ يتوقفوا عن تحريم الفصول الثلاثة ولو لم يشهد البابا المجمع واصح الاقوال في تمنع الملك من قبول براءة البابا انما هو ان يبقى اخلاف وعده مرات مكتوماً وان لا يذاع بين الجمهور حنثه فتلا الاساقفة في مجلسهم هذا السابع تلك الرسائل واثنوا على الملك وارجأوا اصدار حكمهم على الفصول الثلاثة الى المجلس المقبل وقد روى بعض المؤرخين ان مفوض الملك بلّغ الاساقفة في هذا المجلس رسالة من الملك بها يأمرهم ان يرفعوا من التذكارات البيعية اسم البابا فيجيليوس وقد وجدت نسخة من هذه الرسالة معلقة على بعض نسخ من اعمال المجمع لكنها مؤرخة في ١٤ تموز والمجمع كان قد انتهى مذ ٢ حزيران فتبين من ذلك ان هذه الرسالة لم تكن صحيحة

وفي الثاني من حزيران سنة ٥٥٣ عقد المجلس الثامن الاخير ولم تؤخذ اصوات الاساقفة منفردين بل تلا قارئ المجمع الحكم الذي كانت خلاصته ايراد ما اجراه الاساقفة من البحث في الفصول الثلاثة ودحض موجز لما يقال في المدافعة عنها ويلي ذلك قول الاساقفة انا نقبل ونجل المجامع الاربعة المسكونية المنعقدة في نيقية وقسطنطينية وافسس وخلكيدونية ونعلم ما علمته ونعتد من لا يقبلونها منفصلين عن الكنيسة الكاثوليكية ونحرم تاودورس المصيصي وما كتبه مما يخالف الايمان والاغلاط التي دونها تاودوريطس اسقف قورش مخالفاً حروم القديس كيرلس محاماة عن تاودورس ونسطور ورسالة ايهيبا اسقف الرها وعليه فنحرم الفصول الثلاثة ومن يدافع عنها من الان وصاعداً وصرحوا بان البابا فيجيليوس قد حرم هذه الفصول مرات قولاً وخطاً والحقوا بهذا الحكم اربعة عشر حرماً مؤيدة للايمان الكاثوليكي ومناقضة لاضاليل الناسطرة والاوطاخيين وكان عدد الاساقفة الذين وقعوا على هذا الحكم مئة وخمسة وخمسين اسقفاً (لاباي في مجموعة المجامع

مجلد ٥ صفحة ٥٦٢ وغيره) وعن بعضهم مئة وستين او مئة وخمسة وستين

وقد روى انسطاس المكتبي (يوصف بهذا الوصف لانه كان ناظرًا على المكتبة الواتيكانية في القرن التاسع) في ترجمة البابا فيجيليوس والكونت مرسلين وفيكتور دي تونون ان الملك يوستينانس نفى البابا فيجيليوس مع حاشيته بعد هذا المجمع ثم ارجعهم من المنفى بطلب نرسيس والي رومة وتابعهم على ذلك كثيرون من المؤرخين اللاتينيين على ان المحققين من اولي النقد لم يثبتوا هذه الرواية بل الثابت هو ان البابا فيجيليوس ابرز في ٨ ك ١ سنة ٥٥٣ منشورًا انفذه الى افتيشيوس بطريرك قسطنطينية اثبت به اعمال المجمع الخامس وتحريمه للفصول الثلاثة ونهى تحت طائلة الحرم عن المدافعة عنها فيما بعد ثم اصدر في ٢٣ شباط سنة ٥٥٤ براءة اخرى مثبتاً فيها تحريم هذه الفصول ومبيناً ان تحريمها في المجمع الخامس لم يمس حرمة المجمع الخلكيدوني ومما قاله فيها ان الرسالة المنسوبة الى ايبيا اسقف الرها ليست له حقيقة بل زورها النسطوريون باسمه وقد حرمت في المجمع الخلكيدوني وتبرأ ايبيا منها فاثبات البابا فيجيليوس حكم المجمع الخامس بهذا المنشور وهذه البراءة جعلاه يحسب من المجامع المسكونية مع انه لم يكن كذلك في بدئه اذ لم يدعُ الحبر الروماني اليه ولا رأسه بنفسه ولا بنوا به ولم يكن فيه اساقفة المغرب وبعد اثبات الحبر الروماني له اخذ اساقفة المغرب يذعنون لحكمه على التعاقب لحكمة البابا فيجيليوس وتمت الكنيسة حينئذٍ من شقاق بين الغربيين والشرقيين ولو مهما قال عذاله والمنددون به وقد توفاه الله في صقلية عائدًا الى رومة سنة ٥٥٥

وبين العلماء خلاف في ما اذا كان المجمع الخامس حرم غوايات اوريجانس او حرمت قبله فمن قائل انه حرمها ويعزو اليه خمسة عشر قانوناً وجدت معلقة على اعمال هذا المجمع في اليونانية تحرم اضاليل اوريجانس ولم توجد اعمال هذا

المجمع عند اللاتينيين في اصلها اليوناني بل وجدت ترجمة لاتينية قديمة لها ربما كانت الترجمة التي قدمت الى البابا فيجيليوس ولا وجود لهذه القوانين فيها ولا ذكر لاضاليل اوريجانس الا كلمة واحدة في الحرم الحادي عشر وربما زادتها يد حديثة على اعمال هذا المجمع ولذلك رأى اكثر المحققين ان المجمع الخامس لم يتعرض لتحريم اضاليل اوريجانس اذ كانت حرِّمت قبله اما في مجمع عُقد في القسطنطينية سنة ٥٤٣ في ايام منا بطريركها كما قال كثيرون او في سنة ٥٤٤ على رواية ليباراتس او سنة ٥٤٨ على رواية بارونيوس كما مر في عد ٦٦٤ انتهى ملخصاً عن نطاليس اسكندر وروهربخر ومعجم المجامع للاب بلتيا في طبعة مين

عد ٦٦٦

في المجامع التي عقدت في سورية في القرن السادس

روى ابن العبري (في تاريخ بطاركة انطاكية) ان بولس بطريرك انطاكية عقد مجمعاً فيها نحو سنة ٥٢٠ أثبت فيه رسوم المجمع الخلكيدوني وامر اساقفته بثها وشدد عليهم برعايته ومن خالف واصر منهم عزله عن كرسيه . ثم عقد في انطاكية ايضاً سنة ٥٤٢ مجمع آخر رأسه افرام الآمدي بطريرك انطاكيه للنظر في غوايات اوريجانس التي اشتد الخلاف فيها حينئذٍ ولا سيما بين رهبان فلسطين كما اشرنا الى ذلك آنفاً وحرم افرام والاساقفة الذين اجتمعوا معه غوايات اوريجانس التي اخذت عن كتبه وقد مر ذكرها في الكلام عليه

وعقد في اورشليم سنة ٥١٨ مجمع اجتمع فيه ثلثة وثلاثون اسقفاً من اعمال فلسطين الثلاثة فحرموا فيه تباع ساويرس واوطيخا وايدوا رسوم المجمع الخلكيدوني وكل ما كان قد تقرر في مجمع عقد في قسطنطينية في ١٥ تموز تلك السنة من اثبات تذكارات المجامع الاربعة المسكونية في التذكارات البيعية وحرم ساويرس البطريرك الانطاكي ثم عقد مجمع آخر في اورشليم سنة ٥٣٦ بداعي ان منا

البطريرك القسطنطيني ارسل الى بطرس بطريرك اورشليم اعمال المجمع الذي عقده في قسطنطينية تلك السنة فجمع بطرس اساقفته في اورشليم في ١٩ ايلول فايدوا ما كان قد حكم به مجمع منا من حرم انتيمس الدخيل على بطريركية قسطنطينية وساويرس البطريرك الانطاكي وبطرس اسقف اباميا وزعورا الراهب السرياني وعقد في اورشليم ايضاً مجمع آخر سنة ٥٥٣ لاثبات ما حكم به المجمع الخامس المسكوني من تحريم الفصول الثلاثة كما مرَّ فان البطريرك الاورشليمي لم يتيسر له ان يشهد هذا المجمع بنفسه فارسل اليه نوابه كما مرَّ فعند عودهم اليه دعا اساقفته واثبت بالاتفاق معهم ما حكم به في هذا المجمع من تحريم الفصول الثلثة وقد قيل في مجمع اورشليم انهم اثبتوا ايضاً تحريم تعاليم اوريجانس المضلة وقد رأيت ان الاظهر ان المجمع الخامس لم يحرم غوايات اوريجانس وعليه فيظهر ان نواب البطريرك اتوا ايضاً باعمال مجمع منا سنة ٥٤٣ الذي حرمت فيه غوايات اوريجانس فاثبت مجمع البطريرك الاورشليمي تحريم هذه الاضاليل ايضاً

وعقد في صور مجمع سنة ٥١٨ عقده ايفان رئيس اساقفتها دعا اليه اساقفة فونيقي وقد ذكرنا في عد ٦٥٦ اسماء كل من عرفناهم من اساقفة فونيقي الذين وقعوا على اعمال هذا المجمع وعلى الرسالة التي انفذوها الى بطريرك قسطنطينية وقد تليت رسالتهم هذه في المجلس الخامس من المجمع الذي عقده منا بطريرك قسطنطينية سنة ٥٣٦ وقد ذكر لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٥) مفصلاً ما كان في صور حينئذٍ ونقله عنه روهربخر (ك٤٣ من تاريخه) قال ان المجمع الذي عقد في قسطنطينية سنة ٥١٨ كتب الى ايفان اسقف صور ينبئه ما كان فيه من حرم المبدعين وتأييد المجمع الخلكيدوني فمضى ايفان يوم الاحد في ١٦ ايلول سنة ٥١٨ الى الكنيسة وتليت الرسائل المنفذة من العاصمة فضج الشعب متهللاً بالدعاء للملك يوستينس ولرئيس اساقفتهم ايفان وصاحوا انما الله هو الذي دبر

الله واحد الايمان واحد اصنعوا ما صنع مجمع قسطنطينية احرموا ساويرس احرموا اعوانه اطردوا الاساقفة المراطقة فرقي ايفان الى المنبر وقال اننا لا نعلم الا التعليم الذي بشر به الرسل واخذه اباؤنا عنهم واثبتوه لنا في مجامع نيقية وقسطنطينية وافسس وخلكيدونية فحرم اولي جميع البدع وصرح باسماء كل من خالفوا عقيدة التجسد ونحرم ساويرس الشرير فصاح الشعب هذا هو الايمان الحق نحرم يوحنا (كاهن من اعوان ساويرس سلم الى تباعه كنيسة العذراء في صور) الجاحد تلميذ ساويرس وجميع اصحاب البدع فليحل عليهم حرم الآب والابن والروح القدس امين فصاح الشعب امين امين امين وتلاه يوحنا اسقف عكا حارماً ساويرس والباقين كما حرمهم ايفان وطلب الشعب ان يقيموا الصلوة في كنيسة العذراء التي كان المراطقة قد استحوذوا عليها فارجأ ايفان ذلك الى يوم آخر وعين له الاحد المقبل ثم دون الاساقفة رسالة الجواب الى المجمع القسطنطيني التي ذكرناها آنفاً

وروى بياجيوس مؤلف الكتاب الموسوم بسورية المقدسة ان الملك انسطاس امر بعقد مجمع في صيدا سنة ٥١٢ جمع فيه ثمانين اسقفاً آملاً ان يحملهم بتحريضاته على حرم المجمع الخلكيدوني فناصبه في ذلك افلابيانس بطريرك اورشليم ويوحنا اسقف بالتو (يظنها المؤلف مدينة ساحلية في شمالي سورية) فنفاهما انسطاس الى العربية حيث توفي افلابيانس وعاد يوحنا بعد وفاة انسطاس الى كرسيه

عد ٦٦٧

في البدع بسورية في القرن السادس

ان اكثر اولي البدع بالشرق في هذا القرن كانوا اوطاخيين او فروعاً منهم واشهر هذه الفروع الاشافلين فهولاء كانوا مشايعين لاوطيخا بزعمهم ان في المسيح طبيعة واحدة لكنهم اختصموا مع بطرس الملقب الالثغ الذي كان غصب الكرسي الاسكندري فانفصلوا عنه ولم يشأوا ان يوافقوا الكاثوليكيين فسموا اشافلي اي

لا راس لهم وكان اشهرهم ساويرس بطريرك انطاكية وبطرس اسقف اباميا وزعورا الراهب السرياني وتوادورس اسقف قيصرية بالكبادوك وانقسم هولاء الى فروع عديدة شأن الغصون المنفصلة من اصلها يقلبها الهواء كلَّ منقلب ومنهم اليعاقبة الذين نسبوا الى يعقوب البردعي الذي مرَّ ذكره وكانوا يزيدون على ضلال اوطيخا اضاليل اخرى فكانوا يعيدون للفصح يوم تعييد اليهود له ولم يكونوا يسجدون للصليب ان لم يعمدوه اولاً كالناس. ويرسمون اشارة الصليب باصبع واحدة للدلالة على الطبيعة الواحدة ولا يستعملون مزج الماء بالخمر في الكاس للتقديس ويدوفون ملحاً وزيتاً في خبز التقديس الى غير ذلك من عوائدهم المخالفة عادات الكاثوليكيين ومنهم البراصمة وهم الارمن الذين اتبعوا برصوم الارشمندريت في ضلال اوطاخي وزادوا عليه ضلالاً آخر هو انهم انكروا ان كلمة الله اخذ جسدًا من مريم العذراء وزعموا انه استحال الى جسد واجتاز في بطن العذراء اجتيازًا فقط (كوتي في الدين الحقيقي مجلد ٢ فصل ٧٦ جزء ٦)

ومن الاوطاخيين ايضاً فرقة يسمون الانيوتيين اي الجهليين وكان رئيسهم ثاميستيوس الشماس الاسكندري الذي كان اوطاخياً وزاد على ضلاله زعمه ان المسيح بما انه ذو طبيعة واحدة كان يجهل امورًا منها جهله يوم الدينونة اذ قال « اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما احد ولا ملائكة السماء ولا الابن الا الآب » وكان يقول ان هذا الجهل يليق به كما لاق به الجوع والعطش والآلام (رواه فلوري مجلده ك ٣٣ ونطاليس اسكندر في تاريخ هذا القرن فصل ٣) وقد تدأى عن وجه يهتدى به الى تفسير هذه الآية من الوجوه الكثيرة التي ذكرها الآباء والمفسرون منها انه لم يعرف يوم الدينونة بقوة ناسوته وان عرفه به بقوة لاهوته ومنها انه عرفه بنفسه ولم يعرفه ليعرِّف الناس به ليكونوا دائماً متيقظين

للموت كما صرح بذلك في كلامه الثاني وكان من الاوطاخيين فرقة اخرى يسمون الثلاثيين وكان رئيسهم يوحنا النرامطيقي الاسكندري الملقب فيلوبونس (اي الكثير التعب) وكان يحاج الكاثوليكيين بان اعتقادهم بطبيعتين في المسيح يدعوهم الى الاعتقاد باقنومين فيه ولما افحموه بان الطبيعة شيء والاقنوم شيء آخر تسكع بضلال آخر فزعم ان في الثالوث الاقدس ثلث طبائع لان فيه ثلاثة اقانيم فاعتقد بثلاثة الهة ولذا سمى تباع بدعته الثلاثيين (فلوري ونطاليس اسكندر في المواضع المذكورة)

ونشأ عن بدعة اوطيخا بدعتان اخريان متناقضتان دعيت الاولى بدعة الفساديين لزعم تباعها ان المسيح لم يتحمل الجوع والعطش والآلام باختياره لانه اراد بل تحملها مكرهاً لان جسده فاسد كجسدنا ودعيت الثانية بدعة غير الفساديين او التخيليين لزعم تباعها ان جسد المسيح كان غير قابل الفساد ومعصوماً من الآلام بنوع انه لم يتحمل تعباً او عطشاً او جوعاً او آلاماً الا تخيلاً فقط وكان رئيس الفساديين توادوسيوس الراهب ورئيس التخيليين يوليانس اسقف اليكارنسو باسيا الصغرى وعظم الخلاف في الاسكندرية بين اولي البدعتين اذ كتب علماء كل فريق ما يؤيد بدعته به واتصل الخلاف الى عامة الشعب وادى الى قتال وقتل وحريق منازل (روى ذلك نطاليس اسكندر في تاريخ القرن السادس فصل ٣ جزء ٣ وكوتي مجلد ٢ فصل ٧٦ جزء ٦ وغيرها) وقد تسكع يوستنيانس الملك ببدعة التخيليين في آخر حياته كما مر في آخر الكلام عليه

ملحق
في
تاريخ الموارنة

اقتصرنا في تاريخ الموارنة في القرن الخامس على ذكر القديس مارون وتلامذته الابرار ونبين في تاريخهم في هذا القرن السادس توافر عدد رهبان القديس مارون وانتشارهم في اديار كثيرة ومناضلتهم عن الايمان الكاثوليكي المقدس ودفاعهم عن المجمع الخلكيدوني وتسمية متابعيهم موارنة نسبة اليهم وما عانوه لذلك من الاضطهاد والتعنيف حتى استشهاد كثيرين منهم حباً بالايمان الكاثوليكي

عد ٦٦٨

في انتشار رهبان القديس مارون في سورية وتسمية متابعيهم موارنة نسبة اليهم

قد مرَّ قبلاً ذكر توافر عدد تلاميذ القديس مارون والاديار التي بنيت على اسمه فاولئك النساك المتوحدون في حياة القديس مارون قد انضوا بعده الى رهبانية واحدة يضمها قانون واحد واقاموا لهم اديارًا كثيرة يعيشون فيها العيشة المشتركة ومحابس للمتوحدين ومدارس لاقتباس العلوم ومنازل يأوي اليها الغرباء والفقراء واقتنوا حقولاً ومزارع لتقوم باود الرهبان والمتنسكين والمتعلمين والزائرين حتى يظهر انه كان لهم دير في قسطنطينية عاصمة الملك نفسها فان الرسائل التي رفعها مريان رئيس دير القديس دلماتيوس وغيره من روساء دير قسطنطينية الى الملك يوستنيانس ومنا البطريرك القسطنطيني سنة ٥٣٦ تشفعاً بالرهبان الذين قدموا من سورية للتشكي على ساويرس بطريرك انطاكية يتبين منها انه كان في

ضواحي قسطنطينية دير على اسم القديس مارون ونعلم ان رئيس هذا الدير شهد المجمع الخامس المسكوني وقد دون توقيعه في الرسائل المذكورة ، توادورس القس برحمة الله رئيس دير القديس مارون وقعت وتضرعت (رواه البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة) وقد ذكرنا قبلاً ان ديرهم الاكبر كان على ضفة العاصي بين حمص وحماه وانه كان فيه نحو من ثماني مئة راهب وانه كانت له الرياسة على اديار سورية الشمالية كلها وانهم كان لهم دير عند منبع العاصي وآخر في جوار دمشق ويظهر من رسالتهم الاتي ذكرها انهم اخذوا دير القديس سمعان العمودي ووسعوا مبانيه حتى كان يسع مئات من الرهبان كما يدل ما بقي من اطلاله التي ذكرها دي فوكواي في كتابه في آثار سورية (مجلد ١) ولا مراء في انه كان لهم اديار اخرى نجهل مواقعها ولا نشك في وجودها اذ نرى في رسالتهم المذكورة توقيع خمسة وعشرين رئيساً

ان رهبان دير القديس مارون لم يكونوا يقتصرون على النسك والتكامل بالفضيلة وتخليص نفوسهم فقط بل كانوا يباشرون الرسالة والاهتمام بخلاص الاخرين ايضاً فيطوفون المدن والقرى منادين بكلام الله ومحرضين الشعب على اقتفاء الفضائل والتحاشي عن الرذائل ولاسيما الكفر بالدين ويناصبون اصحاب البدع والاراء الفاسدة ولا سيما النساطرة والساويريين والاوطاخيين بخطبهم ومكاتباتهم وجدالهم فكان رؤساؤهم كقادة جيش يدافع عن الدين القويم ورهبانه جنوده الباسلون وكماته الظافرون واديارهم كقلاع حصينة يلجأ اليها كل من ضايقه المارقون ويؤمها كل من عازه سلاح العلم الصحيح لمناوأة الجاحدين يستعين بهم الاساقفة والرعاة على حفظ خرافهم في حظيرة الدين القويم ويستنجدهم الكهنة واولو الغيرة لارشاد الضالين وتقوية الضعفاء وقد كان في المشرق من اقدم الايام ما نراه الى اليوم ان عامة الشعب يتبعون آثار رؤسائهم الروحيين ويتمون اليهم ويسترشدونهم

ويكلون اليهم امورهم الدينية والدنيوية وكانه رسخ في طبعهم الميل الى الشيواكرسي اي الانقياد الى السلطة الروحية وعلى هذا النحو كان جميع المتشبثين بالدين الكاثوليكي في ذلك العصر ينقادون الى رهبان القديس مارون ويصغون لتعليمهم وينتمون اليهم وهم يقيمون بناصرهم ويدافعون عنهم وما جرى عليهم من الاضطهاد بحرق اديارهم وقتل جم غفير منهم كما سترى زاد الشعب علاقة بحبهم واجلالاً لهم ذلك حظ كل مضطهد ظلماً فاخذ خصومهم ازدراء بهم يسمونهم مارونيين او موارنة نسبة الى هولاء الرهبان والى القديس مارون ايهم على نحو ما يسمي بعض السفهاء والمارقين في هذا العصر يسوعيين من ينقادون الى ارشاد الآباء اليسوعيين الافاضل فهذا كان اصل هذه التسمية وبداءتها وهم لم يكونوا يأنفون منها وتمكنت فيهم وجعلوها شعاراً لهم بعد ان انفصلوا عن اولي البدع واقيم لهم القديس يوحنا مارون من رهبان القديس مارون بطريركاً عليهم

ولنا على قولنا هذا الاخير ادلة جلية قاطعة اولها ان كثيرين من الاحبار الرومانيين سموا القديس مارون الرئيس ابا الطائفة المارونية منهم بناديكتس الرابع عشر في براءته في ١٢ آب سنة ١٧٤٤ التي بها منح غفراناً كاملاً لكل من يزور كنيسة من كنائس الطائفة المارونية في اليوم التاسع من شهر شباط الذي يحتفل فيه الموارنة كل عام لعيد القديس مارون ابي طائفتهم الخصوصي من مساء مدخل العيد الى مغرب الشمس يوم العيد ، وقال هذا الحبر العلامة في رسالته الى البطريرك سمعان عواد في ١٢ اذار سنة ١٧٥٥ « لا نشك في ان قاصدنا الاب ايسيدورس حقق لاخوتك كم لنا من الغيرة والمحبة لك ايها الاخ المحترم وللاخوان المطارين الموقرين وسائر الابناء الاعزاء بني ملتك الجليلة والطائفة المارونية كلها التي تفتخر باقرارها بانها اخذت عن القديس مارون بالخصوص الايمان الكاثوليكي وان ثباتها فيه ونموه فيها من نتائج تشفعه بهم » وقد سمى القديس

مارون ابا الطائفة المارونية في رسالته ايضاً الى نيقولاوس لركادي في ١٨ ايلول سنة ١٧٥٣ ونرى مثل ذلك في براءات غيره من الاحبار الرومانيين . ثم ان المحققين من العلماء اثبتوا ان الموارنة سموا بهذا الاسم نسبة الى القديس مارون نقتصر منهم على ذكر لكويان في كتابه الموسوم بالمشرق المسيحي في الفهرست الملحق بالمجلد الثالث حيث قال . ان الموارنة سموا بهذا الاسم في القرنين الرابع والخامس نسبة الى مارون الكلي القداسة ومن البعيد عن الصواب ان يكون هذا الاسم مشعراً ببدعة بل انه دال على المعتقد الكاثوليكي خلافاً لبدعتي نسطور واولي الطبيعة الواحدة في المسيح اذ كان كل من يهمهم حفظ الايمان الكاثوليكي يتقاطرون الى دير القديس مارون فيرشدهم رهبانه الى الايمان الصحيح والثبات فيه وعليه فكانوا يسمون موارنة كانهم تابعون اخصاء لايمان رهبان القديس مارون . ونذكر ايضاً شهادة الاب بريسيوس الكبوشي في مختصر تاريخ بارونيوس في الحاشية على تاريخ سنة ٤٠٧ حيث قال . وقد سمي باسم هذا القديس مارون لا ابناؤه الرهبان فقط بل جمهور وافر العدد ايضاً قد اتبعوا في تلك الاصقاع دين الحق وتشبثوا بقوانين المجامع الستة التي انتصر لها تلاميذه الرهبان . وتحرير هذا المبحث ان اسم موارنة اطلق اولاً على الرهبان الذين تتلمذوا للقديس مارون او طرقوا طريقته كما سمي انطونيين من تتلمذوا للقديس انطونيوس او عملوا بدستوره الى غيرهم من الرهبانيات التي تنسب الى واضعي طريقتها ثم اطلق خصوم رهبان القديس مارون هذا الاسم على من رأى رأي هولاء الرهبان في الايمان الصحيح من عامة الناس فسموهم موارنة نسبة الى هولاء الرهبان والى ابيهم القديس مارون وهم لم يأنفوا من هذا الاسم بل تمكن ورسخ فيهم عند ما انفصلوا عن اولي البدع واختار اساقفتهم بطريركاً على ملتهم يوحنا مارون الذي اتخذ اسم مارون لانه كان من رهبان القديس مارون فرجع

هذه التسمية اذاً الى القديس مارون لا الى مارون اراتيكي كما وهم افتيشيوس المعروف بسعيد بن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري عن حسد وضغينة وانتحل كلامه غوليلمس اسقف صور اللاتيني وتابعهما على وهمهما جمهور من العلماء مغترين بشهادتهما وخالفهم كثيرون من العلماء المحققين المدققين بل كثيرون من الاحبار الرومانيين الاعظمين ونكتفي الان لرد هذا الوهم بقول سعيد بن بطريق نفسه فهو قال «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون قال ان لسيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وافسد مقالة الناس ... فسمي التابعون لدينه مارونيين نسبة الى مارون ولما مات مارون بنى اهل حماه ديراً سموه دير مارون ... وقورش بطريرك الاسكندرية وسرجيوس وبيرس اسقفا قسطنطينية ومكدونيوس ومكاريوس اسقفا انطاكية وانوريوس بابا رومية وهرقل الملك كانوا مارونيين» فكل من له اقل المام بالتاريخ يهيجه هذا الكلام للضحك ويزدريه فمما لا يمترى فيه احد المؤرخين ان القديس مارون الذي بنى اهل حماه الدير على اسمه كان في عهد تاودوسيوس الكبير واركاديوس ابنه الذي رقي سدة الملك سنة ٣٩٥ وتوفى سنة ٤٠٨ وان موريق استوى على اريكة الملك سنة ٥٨٢ وتوفي سنة ٦٠٢ فبين موريق ومارون نحو من قرنين ومما اجمع عليه المؤرخون ايضاً ان بدعة المشيئة الواحدة في المسيح نشأت في قسطنطينية سنة ٦٢٨ فكيف ابتدعها مارون وقد مضى الى ربه قبل ظهورها بنيف وقرنين وان قال انه عني يوحنا مارون فيكذبه قوله ان اهل حماة بنوا ديراً على اسمه ولا جرم ان الذي بني الدير على اسمه هو القديس مارون لا القديس يوحنا مارون فضلاً عن ان يوحنا مارون لم يكن ولد عند ظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨ او كان حدثاً ليس في مقدوره ان يبدع بدعة فقد اجمعوا على انه رقي الى اسقفية البترون نحو سنة ٦٧٥ والى بطركية انطاكية سنة ٦٨٥ وتوفي سنة ٧٠٧ فان كان قد بلغ

الثمانين من عمره فيكون مولده سنة ٦٢٧ او سنة ٦٢٨ سنة ظهور هذه البدعة ولا خلاف في ان قورش وسرجيوس وبيرس ومكدونيوس ومكاريوس هم مبدعو هذه البدعة وانصارها ولم ينسبها الى مارون الا ابن البطريق ومَن لا يسخر من قوله ان انوريوس بابا رومة وهرقل الملك كانا مارونيين وهو لم يسند قوله الى احد ولا ترى خطة تشير اليه في كل ما كتب مدة ثلثة قرون (اي مذ نشأة هذه البدعة الى ايامه) ولا في المجامع التي عقدت لتحريمها ولا في كتب العلماء الذين ناصبوها او دافعوا عنها ولا في آثار المؤرخين الذين تقدموه فزعمه اذًا مردود بنفسه ويقضي كل عالم انه هذيان واما قول غوليلمس الصوري فيفنده قوله نفسه في مقدمة تاريخه ، وقد اعتمدنا خاصة على شهادة الرجل المحترم سعيد بن بطريق البطريرك الاسكندري ، فقوله مبني اذًا على باطل وكل مبني على باطل فهو باطل وكذا قل في كل من تابعهما على قولهما

وسنعود الى رد هذه التهمة في ما بعد باكثر اسهاب فنكتفي الان ببرهان اخر هو اننا اذا سلمنا بقول ابن البطريق وغوليلمس ومن تابعهما وردت علينا معضلة اكثر اشكالاً من هذا التسليم فالاحبار الرومانيون اثبتوا ان مارون قديس وقد افرد بناديكتس الرابع عشر رسالته الى نيقولاوس ليركادي المار ذكرها لاثبات قداسته ومنح البابا اكليمنضس الثاني عشر غفرانًا كاملاً لمن يزور كنيسة من كنائس رهبان الموارنة يوم عيده في ٩ شباط ثم عمم بناديكتس الرابع عشر هذا الغفران الى زيارة جميع كنائس الموارنة وقد ترك الاحبار الرومانيون كافهم الموارنة يسمون بهذا الاسم بل هم سموهم به كلما اتوا بذكرهم فهل سموهم باسم مبتدع وتراهم لم يتركوا السريان الكاثوليكيين يسمون يعاقبة ولا الكلدان ليسموا نساطرة ولا الارمن ليسموا براصمة فاذًا تسليمنا بقول ابن بطريق يضطرنا الى احد امرين اما ان نقول ان الاحبار الرومانيين ضلوا او غلطوا واما ان ابن البطريق

ضل وغلط واي عالم منصف يؤثر ان يصم بالضلال الاحبار الاعظمين على أن يصم به ابن البطريق الذي شحن تاريخه بالاقاصيص والخرافات وتعقبه بها كثير من العلماء الاعلام وسوف نبين بعضها وليت كتّاب هذا العصر عصر الانتقاد ولا سيما الاورباويين منهم يتدبرون هذين البرهانين اللذين اقتصرنا الان عليهما كيلا يتهافتوا الى رشق الموارنة باسهم الاتهام مفترين بما كتبه سعيد بن بطريق او غوليلمس اسقف صور او غيرهما من المتابعين لهما كبرجياه في معجمه اللاهوتي وكايتانس موروني في معجمه التاريخي ويوليا في معجمه التاريخي الجغرافي وغيرهم ولو اكثروا من المطالعة كما يلزم كتّاب التاريخ خاصة لوجدوا كثيرين من المحققين الاوربا ويين انفسهم منهم يوحنا منسي ويوخذا بلما ورنكاليا وباجيوس اثبتوا ما يخالف زعمهم ولوقوا انفسهم من الخطأ والموارنة من الاتهام

﴿ عد ٦٦٩ ﴾

(في مناضلة الرهبان الموارنة عن الايمان الكاثوليكي وما عانوه من الاضطهاد لذلك)

لا نرى اجدر بهذا المقام من ايراد الرسالة التي رفعها هولاء الرهبان الى الحبر الروماني البابا هرمزدا الذي تبوأ السدة الرسولية من سنة ٥١٤ الى سنة ٥٢٣ وانفذوها اليه مع يوحنا وسرجيوس من اخوتهم وقد اثبتها لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٤) ونقلها عنه روهربخر في تاريخه (ك ٤٣) ورواها البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني في تاريخ الموارنة (صفحة ٤١) وهذه هي الرسالة مترجمة عن ترجمتها الافرنسية

• الى بطريرك المسكونة كلها الحبر هرمزدا الكلي القداسة والطوبى الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل تضرع وخشوع يرفعهما اليه احقر روساء الاديار في سورية الثانية وغيرهم من رهبانها • اما بعد فلما كانت نعمة الله مخلص جميعنا يدعونا ان نلجأ الى طوباويتكم كما يلجأ الى مرفأ لدن مهاب العواصف فاتيناكم

موقنين انا ننجو مما يحف بنا من المخاطر فانا وان قاسينا الاضطهاد فنتحمله مسرورين ولما كان المسيح الهنا قد اقامك رئيساً للرعاة ومعلماً للنفوس وطبيباً لها انت وملكك الصالح كان لازماً ان نرفع اليك شرح ما حل بنا من الاضطهاد ونعلمك بالذئاب التي تفترس رعية المسيح لتقصيهم عن الحظيرة بعصا سلطانك وتبرئ النفوس بكلمة تعليمك وتضمد جراحها ببلسم صلواتك فهولاء المضطهدون الموقوفون اسهمهم علينا انما هم ساويرس وبطرس اللذان لا يعدان في عداد المسيحيين لانهما يحرمان كل يوم علانية المجمع الخلكيدوني المقدس وابانا لاون الحبر الاقدس غير مبالين بدينونة الله المرهبة بل قد وطئا قوانين الاباء ورقيا الى الاسقفية بسطوة الملك واذاقانا اعذبة مبرحة ليكرهانا على الاحتقار للمجمع المقدس المنوه به فبعض الناس ماتوا بتعذيبهم لهم وقد قتلوا جماً غفيرًا منا لاننا بينما كنا ذاهبين الى دير القديس سمعان (العمودي) قد اكمن لنا في طريقنا بعض الخبثاء الاشرار ووثبوا علينا وقتلوا منا ثلث مئة وخمسين راهباً واثخنوا الجراح في كثيرين وابسلوا في جانب المذبح من لجأوا اليه واحرقوا اديارنا وارسلوا ليلاً جماعة من الاشرار ورشوهم بدراهم فنهبوا ما بقي ولم يبقَ الا شيء يسير ويتيسر لطوباويتكم ان تقف على تفصيل هذه الامور بمطالعة المذكرة التي يرفعها اليكم اخوانا المحترمان يوحنا وسرجيوس اللذان كنا قد ارسلناهما الى قسطنطينية آملين انصافنا ومنع هذا الجور عنا فلم يتنازل الملك الى سماع شكواهما بل امر بطردهما فعلمنا ما كان يلزمنا ان نعلمه من ذي قبل انه هو علة كل هذه الشؤون والآمر بها

فنبتهل اليك ايها الاب الاقدس ان تأخذك الشفقة على كلوم الجسد فانك ابو الجميع وان تثأر للايمان والقوانين والآباء والمجمع فقد اولاك الله سلطان الربط والحل فهلمّ ايها الاب الاقدس لخلاصنا واقتدِ بربنا الذي نزل من السماء الى الارض ناشدًا الخروف الضال وتأمل بطرس زعيم الرسل الذي تشرف كرسيه

وبولس الاناء المختار فقد طافا المسكونة لينيراها والكلوم الكبيرة تحتاج الى ادوية عظيمة . ان المستاجرين اذا رأوا الذئاب مقبلة تركوا الخراف لكنك انت الراعي الحقيقي الذي سلمت اليه الخراف فاذا نجت الخراف من الوحوش الضارية مشت قدامك وعرفت راعيها واتبعت صوته كما قال ربنا ان خرافي تعرف صوتي وانا اعرفها وهي تتبعني فلا تهملنا اذاً ايها الاب الاقدس نحن الذين تسطو علينا الوحوش الضارية في كل يوم وبارشاد ملكك القدوس نحرم باستغاثتنا هذه منزلينها منزلة دستور للايمان كل من ينبذهم كرسيك الرسولي ونحرمهم اي نسطور واوطيخا وديوسقورس وبطرس الالثغ وبطرس القصار واكاشيوس وكل من يدافع عن احد من هولاء الهراطقة ، وقد ذكر البطريرك اسطفانس الدويهي في ذيل هذه الرسالة تواقيع من وقعوا عليها بخط ايديهم كما يلي

١ انا اسكندر برحمة الله قسيس ورئيس دير القديس مارون اتضرع

٢ شمعون برحمة الله قسيس ورئيس

٣ يوحنا برحمة الله قسيس ووكيل

٤ بروكوب برحمة الله قسيس ورئيس

٥ بطرس برحمة الله قسيس

٦ اوجان برحمة الله قسيس

٧ جيلاد برحمة الله قسيس

٨ بسوس برحمة الله قسيس

٩ دامولس برحمة الله قسيس

١٠ اورشال برحمة الله قسيس

١١ ملخس برحمة الله قسيس

وبعد هولاء تواقيع كثيرين وجملتهم مئتان وعشرة منهم مئة واثنان وخمسون

قسيساً وثلاثة وثلاثون شماساً وخمسة وعشرون رئيساً وهولاء الروساء ستة قسوس وثمانية شمامسة والباقون دونهم درجة

فلما وقف البابا هرمزدا على رسالتهم هذه اجابهم في ١٠ شباط سنة ٥١٨ برسالة ذكر روهربخر ملخصها في تاريخه (ك٤٣) وذكره ايضاً البطريرك اسطفانس الدويهي (في تاريخ الموارنة صفحة ٤٤) عن لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٥) وكلامه في هذه الرسالة المنفذة اليهم شامل جميع الكاثوليكيين في المشرق فيشجعهم على الثبات في الايمان القويم قائلاً ان هلاك الابدان في سبيل الايمان لا يعد خسراناً بل ربحاً وافراً بالنظر الى الثواب الابدي والى ان المسيح يزيدهم في هذه الحياة ايضاً ايداً بنعمته ويذكرهم بمثل المكابيين قائلاً ان كانوا قاسوا ما قاسوه حباً بظل الحقيقة فكم يكون اولى بنا ان نتحمل الاضطهاد حباً بالحقيقة نفسها وانه يلزمهم ان يتجنبوا مخالطة ذوي الضلال ويرعوا اوامر المجمع الخلكيدوني ورسائل القديس لاون البابا وان ينبذوا لامبدعي البدع فقط بل متابعيهم عليها ايضاً واشار الى الملك انسطاس فقال ان سلطة الناس شيء وخدمة الاحبار شيء آخر فلو اقتصر عوزيا على تدبير المملكة لما اصابه البرص الذي اعتراه لانه اراد ان يجمع بين الملك والكهنوت خلافاً لارادة خادمي الهيكل فخسر الملك والكهنوت معاً . ولم نغفل نحن عن شيء مما هو لازم في هذه المحن فارسلنا وفدين واستخدمنا التضرعات الذليلة وايراد البراهين المعقولة والتصريح بالاوامر الخلاصية ولا يوقفنا الاصرار عن السلوك في جادة العدل فمن لا يرعوون عن طريق الأثم سوف يهلكون دون ان يمسونا بضرر

وبعد ان قضى الله على انسطاس الملك سنة ٥١٨ وخلفه الملك يوستينس وامر بان يرجع الاساقفة المنفيون الى كراسيهم واستمر بطرس اسقف اباميا على غيه واضطهاده الكاثوليكيين اخذ روساؤهم في انطاكية ورهبان القديس مارون

يرفعون الرسائل اليه والى يوحنا بطريرك قسطنطينية متشكين من بطرس المذكور وتباع ساويرس فعقد البطريرك القسطنطيني مجمعاً في هذه المدينة شهده ثلاثة واربعون اسقفاً فحرموا ساويرس وبطرس المذكورين وارسلوا رسالة مجمعية الى بطريركيتي انطاكية واورشليم فعقد في اورشليم وصور المجمعين اللذين ذكرناهما في كلامنا على المجامع وارسل اكليرس انطاكية وصور الى يوحنا البطريرك القسطنطيني ومجمعه رسالة مسهبة ذكرها البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة (صفحة ٤٥) وقد اشتملت على عبارات كثيرة من العبارات الواردة في رسالة رهبان القديس مارون السالف ذكرها الى البابا هرمزدا . وفي جملة تواقيعها تواقيع كثيرين من رهبان القديس مارون وذكر الدويهي منهم يوحنا راهب دير القديس مارون . يعقوب راهب دير الرجل الصالح . قسطنطين راهب وقاصد دير استيرس ذي الذكر الصالح . تونيس شماس دير القديس بولس . سليمان راهب دير القديس اغابيطس . سرجيوس راهب دير القديس سمعان . حلفى راهب دير القديس يعقوب . سعيد راهب دير القديس يوحنا . سمعان راهب دير القديس بولس . بولس راهب دير القديس ايسيكس . عبد الاحد راهب دير القديس دوروثاوس . فلما علم الملك يوستينس بهذه الرسالة القى بطرس اسقف اباميا واخسنيا اسقف منبج في السجن وسمع ساويرس بذلك فولى هارباً كما مرَّ في كلامنا عليه

وتوجد رسائل معلقة في ذيل المجمع الخامس من رهبان القديس مارون وهي ناطقة بما كان لهم من الحمية والغيرة على الايمان الكاثوليكي والمجمع الخلكيدوني وما كان لهم من الاجلال للبابا لاون القديس الذي امر بعقد هذا المجمع ويتبين منها ايضاً انه لما قدم البابا اغابيطس الى قسطنطينية انفذوا اليه وفداً من اخوتهم ليرفعوا اليه فروض الطاعة والشكر لعزله انثيمس بطريرك قسطنطينية

عن كرسيه لزيغانه عن الايمان الصحيح ولما عقد منا خليفة انتيمس المذكور مجمعاً سنة ٥٣٦ كتب اليه رهبان القديس مارون رسالة وانفذوها مع يوحنا القس سفيرهم وترى توقيعه هكذا . يوحنا برحمة الله القسيس الراهب سفير دير القديس مارون المترئس على جميع الاديار والرهبان في سورية الثانية والمتكلم عن جميع رؤساء الاديار والرهبان الذين في سورية هذا كتبت . ورفعوا رسالة اخرى الى الملك يوستنيانس واوفدوا اليه بها بولس الشماس وتوقيعه . بولس الشماس برحمة الله سفير دير القديس مارون المقدم على جميع الاديار الموقرة في سورية الثانية والمتكلم عن جميع رؤساء الاديار التي في سورية المذكورة تضرعت وقدمت . (عن تاريخ البطريرك اسطفانس الدويهي صفحة ٤٩)

ان دير القديس مارون على العاصي الذي اشار رهبانه في رسائلهم المثبتة آنفاً الى حرقه في ايام الملك انسطاس ودك اسواره قد جدده الملك يوستنيانس الكبير كما انبأنا بروكوب القيصري الكبادوكي (في مؤلفه في ابنية يوستنيانس ك ه فصل ٩) وكان بروكوب في دولة يوستنيانس وكاتباً لباليصار قائد جيشه ثم والياً في العاصمة كما رأيت آنفاً فهو شاهد عيان فعاد هذا الدير مزهراً برهبانه ومناضلتهم عن الايمان والمجمع الخلكيدوني الى سنة ٦٩٤ التي فيها دخلت جنود يوستنيانس الثاني الملقب بالاخرم الى سورية فدكوه دكاً وجعلوه قاعاً صفصفاً انتقاماً من رهبانه الذين لم ينقادوا اليه في الاعتقاد بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح (طالع الدر المنظوم للمثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٣١)

الباب السابع

في تاريخ سورية في القرن السابع

القسم الاول

في تاريخها الدنيوي في هذا القرن

فصل

في الملوك الرومانيين في هذا القرن وما كان بسورية في ايامهم

عد ٦٧٠

في فوقا الملك وما كان في ايامه بسوريه

قد مرَّ ان فوقا كان قائدًا لفريق من الجيش في ايام موريق فنادى به ملكاً سنة ٦٠٢ وزحف الى قسطنطينية فقتل موريق وابناءه الاربعة وتبوأ اريكة الملك ولم يكن فيه ما يأهله له الا جسارته وقحته وميل امثاله اليه فانه كان جاهلاً خلاء من الشجاعة وعزة النفس سكيرًا غضوباً متهتكاً وكان منظره سويا لخصاله ولم تكن ايام ملكه الا سلسلة رزايا منعقدة على الجور والاعتساف وعرف كسرى الثاني ملك الفرس بسوء حال المملكة الرومانية فانتهز الفرصة ليتخطى عهدة الصلح التي كانت بين المملكتين وشاع ان تاودوسيوس بن موريق لم يقتل فاذاع كسرى

انه لديه وزحف الى املاك الرومانيين متذرعاً بان يرد الملك الى وريثه الشرعي وفوقا منغمس بملاذه لاهٍ بحفلات تمليكه وفي فصل الربيع سنة ٦٠٣ غشت جيوش كسرى بلاد ما بين النهرين فشتتوا جنود الرومانيين شذر مذر واستحوذوا على تلك البلاد وانتهبوها فاستفاق فوقا وحشد على عجل جيشاً امر عليه رجلاً لم يشهد حرباً فانتصر كسرى عليه واهلك فريقاً من جيشه ثم ابسل كل من وقعوا في يده فكانت هذه الحرب على الرومانيين اشأم الحروب بينهم وبين الفرس ودامت اربعاً وعشرين سنة فالثماني عشرة سنة الاولى منها لم تكن الا سلسلة رزايا متتابعة متواصلة فان كسرى رأى الرومانيين خلاء من القادة المحنكين فواظب على الفتح والقتل وحرق المدن والقرى فلم تكن اسيا الصغرى من دجلة الى البصفر الا مشهداً للفتك والتدمير والحريق حتى اصبح الفرس يحسبون جنود الرومانيين خرافاً وهم الجزارون

وقد كان حينئذٍ من القادة الماهرين نرسيس وكان قد عاون كسرى كثيراً على ارتقائه سدة الملك على انه كان قد ابدى استياءه من الغدر بموريق فاستقدمه فوقا اليه واعداً وقاسماً ان يقربه اليه ولما صار في حوزته احرقه حياً وقد ائتمر عليه بعضهم سنة ٦٠٦ وكان لامرأة موريق وبناتها ضلع من المؤتمرين فافتضح الامر وفرت قسطنطينة ارملة موريق وبناتها الى كنيسة اجيا صوفيا وحاول فوقا اخراجهن رغماً من الكنيسة فعارضه البطريرك سيرياك ولم يسمح باخراجهن الا بعد ان اقسم الملك على ان لا ينزل بهن سوءاً وخرجن فحشرهن في دير وامات كثيرين ممن وقعت له ظنة بالاشتراك معهن واكره فيلبس صهر موريق على ان يصير راهباً وجرمانس احد قادته ان يصير كاهناً على انه تولاه الخوف والرعدة بعد ذلك فكان يخال له السيف الذي قتل موريق به معلقاً فوق رأسه ويخشى من ان اقرب المقربين اليه يطعنه يوماً بمدية في حشائه وكان له رجل اسمه كريسبوس

يعتمد عليه ويجله وقد اولاه رتبة بطريق وجعله رئيساً لحرسه وزوجه سنة ٦٠٧ بابنته دومنسيا واحتفل الاهلون بزفافه ووضعوا صورة العروسين في احدى الساحات بعد صورتي الملك والملكة فاستاء فوقا من ذلك واحضر من ارتكبوا هذه الجريمة الكبرى وامر بقطع رؤوسهم فاحتشد جم غفير يجاهرون بالشكوى من هذا الجور ويهددون الملك بالثورة عليه فرغب عن تنفيذ امره لكنه اورث صهره ضغينة لا تمحوها الايام من صفائح قلبه

ونشأت حينئذٍ اي سنة ٦٠٧ ثورة اخرى فان قسطنطينة ارملة موريق كانت تظن ابنها تواودوسيوس حياً وكان جنود فوقا قد قتلوه في طريقه الى كسرى فاخذت تحيك وهي في الدير محشرها احبولة تقنص بها فوقا ومالأها على ذلك كثيرون من كبراء الدولة لحنقهم من اعماله ووفر لفيفهم وانبسطت في اقاليم المملكة محالفتهم ولكن كشفت امرأة أثمارهم فقبض فوقا على كثيرين من المؤتمرين واذاقهم اعذبة مرة فكان يقطع السنتهم وايديهم وارجلهم ويفقئ اعينهم ويطرحهم في اتون واما قسطنطينة وبناتها الثلث فقطع رؤوسهن حيث قطع رأس موريق في خلكيدونية واتبع بهن جرمانس المذكور وضاقت السجون عن ان تسع من كان فوقا يزجهم فيها كل يوم وكان الفرس في كل سنة يجتازون الفرات ويشنون الغارة على املاك الرومانيين الى فونيقي وفلسطين ايضاً بعد ان استحوذوا على كل ما بين النهرين حتى الرها وكان الاهلون يفرون من وجه الفرس فيتراكمون في القلاع والحصون فلا يحاصرهم جنود الفرس بل يطلقون العنان لمطامعهم فينهبون المنازل في المدن والقرى ويحرقون الزروع والغلات ويقبضون على من وقع في يدهم فيأسرونه وحيث لم تكن حرب كانت الرعية فريسة لجور الحكام والقضاة وسطو الاشرار واللصوص وفي سنة ٦٠٩ زحف كسرى الى اسيا الصغرى بعسكر جرار فبدد من لقيه من جنود الرومانيين واجتاز ارمينيا الصغرى وانتهى الى الكبادوك

وكان دومنتيول اخوفوقا يقود الجيش الروماني فيها فروعه اسم الفرس ولم يجسر ان يقف امامهم فانتهبوا هذه البلاد المثرية وتوغلوا في غلاطية وبفلاغونيا وبيتينيا الى ان خيموا على شاطىء البصفر في خلكيدونية وبعد ان شبعوا وترووا من الفتك والغنائم عادوا الى بلادهم غانمين وتوارت في ايام فوقا الرزايا والوباء والقحط والعواصف وموت البهائم ايضاً (ملخص عن توافان وشدرانس وزوناراس في تواريخهم)

عد ٦٧١

ثورة اليهود في سوريا ونهاية ملك فوقا

كان الشعب في انحاء المملكة كلها يئنون من جور فوقا ولم يجسر احد ان يبدي حراكاً الا ان اليهود في انطاكية جاهروا بالعصيان على الحكومة وبدلاً من ان يناصبوا رجالها وثبوا على المسيحيين وقبضوا على انسطاس بطريرك انطاكية فقتلوه وجروا جثته في شوارع المدينة ودخلوا منازل بعض الاعيان فاماتوهم وحرقوا بيوتهم فاخذت الغيرة فوقا على ما كان عليه من التهتك والحيف فاصدر امراً ان يعمد اليهود ولو مكرهين وارسل احد عماله الى اورشليم حيث كثر عدد اليهود فجمع اليهود في اورشليم واطلعهم على امر الملك ولما لم يذعنوا له طائعين عمدهم مكرهين فاندفعوا الى شغب ومعارك في اورشليم وانطاكية واسكندرية فقتل فوقا منهم كثيرين وفر الباقون ولكن لم تطفأ جذوة الثورة بل انتشر لظاها في اعمال المشرق واتصل الى العاصمة حتى اهان بعضهم فيها الملك نفسه لكنهم لقوا منه الامرّين واشربهم امرّ الحين

وضاق ذرع كريسبوس المذكور صهر الملك عن تحمل اعتساف حميه ولم ينسَ ما ازله به من الاهانة يوم زفافه فكاشف هرقل الذي كان بطلاً اشتهر بشجاعته في حروبه مع الفرس في ايام موريق وكان يومئذٍ والياً في افريقية وكان

يخجل من ان يكون عاملاً لملك جائر باغٍ كفوقا وكان قد انكف عن ان يرسل الغلال من افريقية ومصر الى قسطنطينية في السنين الجدباء فعظمت المجاعة واعدت النفوس للثورة لكنه ابى الملك لشيخوخته ورضيه لابنه واخذ يعد العدد والرجال لثل فوقا من عرشه ولما تكاملت معداته سار ابنه المسمى هرقل ايضاً في اسطول بحرًا ميمماً قسطنطينية وزحف ابن اخيه نيقيطا برًا بجيش من الفرسان ولم يكن كريسبوس جسر ان يبوح بسره لكبراء القصر وكانوا جميعاً قد عيل صبرهم على تحمل اعتساف الملك فائتمروا على خلعه واقامة تاودورس رئيس الحرس ملكاً فكشفت مؤامرتهم وذاق المؤتمرون مر العذاب واما هرقل فكان مجاهرًا بالعداوة لا يخشى ثلاباً ولا مغتاباً ولم يدرِ فوقا بحملته عليه الا اذ دنا اسطوله من العاصمة فاخذ يستعد للدفاع وكان كريسبوس صهره والياً في قسطنطينية فكان يظهر مزيد الاهتمام بتنفيذ اوامر الملك ويعرقل خفية على نفوذها وبعد وقعة على مدخل البصفر رسا اسطول هرقل على مقربة من اسوار العاصمة يوم الاحد في ٤ تشرين الاول ٦١٠ فهاج كثيرون في المدينة وكانوا ينادون بهرقل ملكاً وانضم كريسبوس اليهم وفي غد ذلك اليوم خرج بفرقة من الجنود احد رجال الندوة وكان فوقا قد سطا على امرأته وتسارعوا الى القصر فقبضوا على فوقا وكتفوه واجتازوا به المدينة واشخصوه الى هرقل في سفينته فازدجره قائلاً « اهكذا تدبر الملك ايها التعيس » فاجابه فوقا بقحته « اتدبره انت احسن » فاستشاط هرقل ورفسه برجله وقطع يديه ورجليه ودبره ثم رأسه على مشهد جم غفير وامر بوضع ما قطعه من اعضائه على طبق وان يطاف بها في شوارع المدينة فيها وجر ما بقي من جثته وحرقها كلها اخيرًا والحق بفوقا دومنتيول اخاه وكثيرين من المقربين اليه نسباً او صداقة (ملخص عن توافان وشدرانس وزوناراس في تواريخهم)

عد ٦٧٢

في هرقل الملك وحملة الفرس في ايامه على سورية

قد نزل هرقل بعد حرقه جثة فوقا من سفينته يصحبه كريسبوس والشعب يضج بالتهليل والترحيب فسار توًا الى القصر الملكي والح على كريسبوس ان يقبل البرفير قائلاً انه لم يأتِ الا ليثأر من فوقا بدم موديق وابنائه وعياله ولما ابى كريسبوس الملك توَّج سرجيوس البطريك القسطنطيني هرقل في ٥ تشرين الاول سنة ٦١٠ واقام كريسبوس والياً على الكبادوك لكنه لم يكن اميناً لمولاه كما لم يكن اميناً لحميه « لكل امرئ من دهره ما تعود» فالجىء ان يترك الولاية وان يقضي ما بقي من عمره في المنفى وقام القوم يترجون ان يصلح هرقل احوال المملكة ويلم شعثها ويكبت اعداها فتقاعد معتكفاً على ترفه لاهياً بملاذه حتى كان يخال انه موافق للفرس على خراب المملكة لانهم ظلوا عشر سنين يجتاحون المملكة ويخربون مدنها وقراها وليس من دفاع يذكر ففي سنة ٦١١ اخذوا الرها ثانية وانتهبوا واخربوا اباميا وكل ما كان منها الى انطاكية واعترض مسيرهم بعض الجنود ولكن على غير انتظام ولا قوة كافية فبدد الفرس شملهم وتملكوا انطاكية وكل ما يليها من المدن حتى بلغوا دمشق ونهبوها واسروا كثيرين من اهلها ولم يستفق هرقل من غفلته وثار اليهود في صور وحاولوا ان يتولوا على هذه المدينة لكثرة عددهم فيها ويخرجوها عن الطاعة لهرقل وارسلوا خفية سعاة الى قبرس ودمشق وارشليم يدعون بني ملتهم لحمل السلاح والخروج وافتضح ائتمارهم ونالهم شر الجزاء لفعلتهم على غير تروٍ في عاقبة شرهم

وفي سنة ٦١٥ حمل جيش عرمرم يقوده سرباد الى فلسطين فغشوا الجليل وضفتي الاردن الى بحيرة لوط فدمروا واحرقوا ونهبوا فولى الاهلون هاربين ولم تبقَ الا بعض الرهبان والنساك العجز فقتلهم الفرس عن اخرهم وحمل سرباد

على اورشليم فدخلها كانها مدينة في فارس اذ ترك الحرس المدينة وانهزموا وقبض سربار على سكان المدينة الرجال والنساء والاطفال واستاقهم مكبلين ليأخذهم الى ما وراء دجلة ولم يضرر باليهود بل اسرَّهم بان يروا خصومهم النصارى على هذه الحال وقد افتدوا كل من تيسر لهم ان يفتدوهم لا شفقة عليهم بل ليتشفوا بذبحهم ويقال انهم ذبحوا منهم ثمانين او تسعين الف نفس وكان اثمن ما سلبوه ما كان في اورشليم من خشبة الصليب المقدس فاخذها سربار معه الى فارس واخذ البطريرك زكريا اسيرًا وحرق كنيسة القبر المقدس وغيرها من الكنائس وسلب الآنية المقدسة وكل ما كان فيها ثميناً من التقادم المتراكمة هناك منذ ثلثة قرون وعثر نيقيطا ابن اخي هرقل على الاسفنجة التي اداها اليهود من فم المخلص على الصليب وعلى الحربة التي طعنوا جنبه بها فشراهما بمبلغ جسيم من احد جنود الفرس وارسلهما الى قسطنطينية

ووثب العرب قبل اخذ اورشليم بثمانية ايام على دير القديس سابا فهرب رهبانه وبقي منهم اربعة واربعون راهباً اقعدتهم الشيخوخة والتقشف عن الفرار وكان بعضهم لم يخرج من الدير من نحو خمسين او ستين سنة فلم يشأوا او لم يقدروا ان يغادروا ديرهم فقبض المعتدون عليهم واذاقوهم اعذبة متنوعة آملين ان يهدوهم الى خزينة او كنز ولما خاب املهم ذبحوهم جميعاً فتحملوا الاستشهاد فرحين شاكرين لله لانه اهلهم له وبقيت جثثهم اياماً لم يأوها احد التراب الى ان عاد الرهبان المتشتتون بعد انصراف العرب فجمع مودست رئيس دير القديس توادوسيوس جثث هولاء القديسين بالاجلال وذرف الدموع ودفنها في مدفن اسلافهم بعد ان صلى عليها كالعادة والكنيسة الرومانية تعيد لهولاء القديسين في ١٦ من ايار (كما في تراجم القديسين في ذلك اليوم)

وكان مودست في غياب البطريرك زكريا حينئذٍ يدبر كنيسة اورشليم ويهتم

بالمدينة والابرشية والاديار التي في البرية وقد مر في الكلام على كنيسة القبر المقدس انه اهتم بحرمة هذه الكنيسة وغيرها من الكنائس والاديار وكان يعاونه في النفقة على ذلك يوحنا الرحوم البطريرك الاسكندري الذي مرَّ ذكره وصار مودست بطريركاً على اورشليم بعد وفاة زكريا كما سوف ترى ومن انهزموا من فلسطين مضى السواد الاعظم منهم الى اسكندرية فقبلهم البطريرك يوحنا الرحوم بالترحاب والاكرام وكان ينفق على جميعهم ما يحتاجونه كل يوم من قوت وملبس ومأوى وارسل رجلاً الى اورشليم وزوده مبلغاً من المال والحنطة والملابس ليعاون بها من مكثوا في اوطانهم وبعث ايضاً بمال ورجال ليفتدى بعض من اسروا وشكى اليه بعض من اقامهم على توزيع حسناته ان بعض الموزع عليهم غير فقراء فقال ان كنتم وكلاي او وكلاء المسيح فاعملوا بامره ان نحسن الى كل من سألنا فلا يريد هو ولا اريد انا وكلاء مستبدين فلوكان ما اعطيه ملكاً لي لكان لي الخيار في صرفه ولكن ما اعطيه انما هو لله فيلزم تنفيذ امره في اعطاء ماله

وفي السنة التابعة اي سنة ٦١٦ او سنة ٦١٧ زحف الفرس الى مصر فاخذوا اسكندرية وانتهبوها وتوغلوا في البلاد الى الحبشة مخربين ناهبين وحمل جيش آخر منهم على اسيا الصغرى فاجتازها ناهباً مخرباً دون معارض واتصل الى خلكيدونية (قاضي كوي) ولم يبقَ بينه وبين العاصمة الا البصفر فاستحوذ الرعب واليأس على سكانها ففاق حينئذٍ هرقل من غفلته وارسل وفداً الى الفرس يسألهم الصلح فقبضوا على رسله واودعوهم السجن ثم قتلوهم ولحق بهذه الرزايا مصيبة اخرى فان اجتياح الفرس مصر حال دون نقل المون منها ودون زرع اراضيها فثقل القحط في قسطنطينية وغلت اسعار المؤن وبيت المال فارغ ولزم الحكومة ان تزيد في الخراج والضرائب فوفر التذمر والتشكي ولو لم يكن هرقل محبوباً

لافضى الامر الى ثورة عليه فضاق ذرعه عن تحمل هذه المصائب والمصاعب فعزم على الفرار والعزلة في افريقيا بل شحن كل ما كان نفيساً في سفن وامر ان تمخر الى قرطاجنة فثار عاصف شديد غرق بعض هذه السفن وكسر بعضها وذاع خبر عزم الملك على الاعتزال فاحتشد جم غفير حول القصر وكان بعضهم يصيح اليه بالا يغادرهم وبعضهم يهدده بقتله ان اصرّ على عزمه فرق الملك لهم وكان لما ابدوهُ من التعلق به وقع شديد في قلبه فاستدعى البطريرك اليه وسار معه الى كنيسة القديسة صوفيا فخلف هناك يميناً على انه لا يغادر عاصمة ملكه فجأر الشعب بالدعاء له واكثروا من مظاهر السرور التي انستهم الى وقت تراكم المصائب عليهم (ملخص عن توافان وشدرانس وزوناراس في تواريخهم)

عد ٦٧٣

(في حرب هرقل مع الفرس وانتصاره عليهم واسترداده خشبة الصليب المقدس)

قد استمر هرقل على تقاعده وتوانيه وانغماسه بملاذه عشر سنين بعد ملكه واستفاق اخيرًا من رقاد غفلته وهم ان يقي بلاده غزوات الفرس وتخريبهم لها وكان يخشى ان يثب الافاريون (او الاباريون وهم قبيلة من التركمان قد ظعنت الى المغرب) على قسطنطينية في مدة غيابه واشتغاله في حرب الفرس فراسله ملكهم ان يشافهه لتوطيد علاقات السلم بينهما وفي نيته ان يقبض عليه ويتولى على قسطنطينية فاجابه هرقل الى سؤاله ومضى لملاقاته وشعر في اثناء طريقه بمكيدة عليه ولم ينجه منها الا فراره متنكرًا وفتك الافاريون بعسكره وحاشيته ثم عاد بعد سنة يبدي لهرقل ندامته واسفه مما كان ويعتذر عنه بطمع قومه بالغنائم فلم يركن هرقل الى كلامه ولم يقاطعه بل تخلى عن بعض اعمال ملكه لثلاث قبائل حديثة اعني الصقالبة والخرواطيين والسربيين ليسكنوها ويكونوا فاصلاً بين مملكته والافاريين وفي ٤ نيسان سنة ٦٢٢ صمم على السفر لمحاربة الفرس وروى

شدرانس وزوناراس (في تاريخهما) انه اقترض مالاً من الاديار والكنائس واخذ بعض آنيتها الذهبية والفضية فسكها نقودًا قائلاً ان ضمانته ثمنها خير الكنائس من ان ينتهبها الاعداء واقام ابنه هرقل قسطنطين وكان عمره عشر سنين نائباً للملك يدبره البطريرك سرجيوس والبطريق بونوز وعند سفره مضى الى كنيسة القديسة صوفيا جثا خاشعاً مناجياً الله بقوله « اللهمَّ لا تسلمنا الى اعدائنا جزاءً لآثامنا بل ارفق بنا واولنا الظفر لينكف الاشرار عن الاعتداء على ميراثك » والتفت الى البطريرك وقال « انني ادع عاصمة ملكي وابني لحراسة الله والعذراء القديسة وعنايتك » وتناول بيده صورة قديمة للمخلص وخرج بها الى البصفر فعبر الى اسيا وصرف الاشهر الاولى في تدريب جنده واعادة الحمية والشجاعة الى قلوبهم ومن كلامه لهم « اخوتي وابنائي انكم ترون اعداء الله توطأوا بلادنا وغادروا مدناً خراباً واحرقوا معابدنا ودنسوا مذابحنا وملأوا من الاقذار كنائسنا اذ جعلوها مأوى لجنودهم » واخذ بيده صورة المخلص المذكورة واقسم بها على انه يحارب معهم وكواحد منهم الى مماته وانه يشاطرهم المخاطر التي تحف بهم ويكون متحدًا بهم كاب ببنيه وقد برَّ بيمينه (توافان وشدرانس)

ومضى اولاً الى ارمينيا وظهر على الفرس في مواقع كثيرة واظهر انه يريد ان يصرف فصل الشتاء في بنطس خدعة لاعدائه وسار الى بلاد فارس وتوغل فيها وفتك بجيش كبير واستحوذ على معسكره واحرز جنوده غنائم واستمر يغالب الفرس في بلادهم وجوارها ست سنين وفي سنة ٦٢٦ قسم كسرى رجال حربه من وطنيين ومستأجرين الى ثلثة جيوش فامر سرباد على احدها وارسله الى خلكيدونية يحاصر قسطنطينية واخلف ملك الافارايين وعده وحاصرها من جهة اخرى على ان سكانها والحامية التي كانت فيها ابدوا آيات البسالة والدفاع فارتد الفرس والافاريون على اعقابهم خاسرين وارسل كسرى جيشه الثاني الى ارمينيا

فظهر عليه ثوادورس اخو الملك هرقل وبدد شمله وحمل بالجيش الثالث على نينوى حيث كان هرقل فتأججت نار الوغى من الصباح الى المساء فهلك قائد جيش كسرى الاكبر وثلثة قواد كانوا تحت امرته ونصف جنوده ولم يقتل من جنود هرقل الا قليلون وكثر الجرحى ولكن عناية هرقل بهم جعلت عدد موتاهم يسيرًا فزحف هرقل من نينوى الى قطيسفون وحرق في طريقه اليها كل ما كان من القصور ومنازل الفرس بعد ان غنم جنوده كل ما كان فيها وفر كسرى من مدينة الى اخرى وهرقل يتبعه وقد عرض عليه في مبادي سنة ٦٢٨ الصلح فاباه وعظم حنق الفرس عليه وضاق بالنجاة ذرع كسرى ولم يجد له من وسيلة الا ان يستقدم اليه سرباز الذي كان باقيًا في خلكيدونية فكتب اليه ان يأتي مسرعًا فقبض جنود هرقل على رسوله واتوا به الى هرقل فاخذ رسالة كسرى وكتب الى سرباز غيرها قال له فيها حذار ان تأتي اليَّ الا وبيدك مفاتيح خلكيدونية واستبطأ كسرى سرباز وسخط عليه لتقاعده عن العمل بامره فكتب الى نائبه ان يبطش بسرباز الخؤون ويأتي بالجيش اليه فوقع هذا الرسول بيد الجنود الرومانيين فاتوا به الى قسطنطينية فطلب ابن الملك سرباز ليأتي اليه مسرعًا وامنه فاتى ودفع اليه رسالة كسرى الى نائبه فاستشاط على كسرى واخذ الرسالة وزاد عليها ان يقتل ايضًا اربع مئة رجل من روساء الجيش وعاد الى معسكره واستدعى روساء الجيش وتلا عليهم الرسالة وسأل النائب الموجهة اليه ما يريد ان يصنع فصاح الروسا باجمعهم لا عدو لنا الا كسرى فهلموا بنا نهلك هذا الظالم العاتي ووافق سرباز ابن الملك وقدم له رهينة ابنيه وابني نائبه على حفظهما الامانة لهرقل وسارا بالجيش الى فارس وكان كسرى قتل اباه هرمزدا ليأخذ ملكه فسلط الله عليه ابنه فعامله بما عامل اباه به فقد اصاب كسرى مرض ظنه مميتًا له فاوصى ان يخلفه في الملك ابنه مرداس فخنق ابنه البكر المسمى شيرويه (ويسميه العرب قباذ ايضًا) لتفضيل

ابيه اخاه الاصغر عليه واستمال كبراء البلاد والجنود اليه فسموه ملكاً وقبض على ابيه واتى به الى قطيسفون في ٢٤ شباط سنة ٦٢٨ وطرحه في سجن مظلم مغللاً بالقيود وكانت باكورة اعماله الحكم على ابيه ان يموت جوعاً قائلاً فلياكل الذهب الذي خرب العالم لحشده وامات كثيرين جوعاً من اجله وامر بقتل اخيه مرداس وابنائه بحضرته وانفذ وفداً الى هرقل يبشره بارتقائه الى منصة الملك ويكاشفه بامر الصلح والعهدة بينهما فارسل هرقل رسالته الى قسطنطينية فتليت على منبر الكنيسة فيها يوم العنصرة في ١٥ ايار سنة ٦٢٨

وعقد شيرويه صلحاً محكم العرى مع هرقل ورد اليه جميع النصارى الذين كانوا اسرى في بلاده وفي جملتهم زكريا بطريرك اورشليم وخشبة الصليب المقدس التي كان سرباز اخذها من اورشليم منذ اربع عشرة سنة وعاد هرقل ظافراً غانماً الى قسطنطينية وبالغ الشعب في مظاهر المسرة والاحتفاء بعوده وفي السنة التالية اي سنة ٦٢٩ اتى الى اورشليم ليشكر الله على ما قيض له من النصر ويرد الذخيرة التي لا يعادلها ثمن الى محلها وكانت قد بقيت في صوانها كما أخذت وتفحص البطريرك وكهنته ختومها فاذا هي سالمة لم تفض وفتح الصوان بمفتاحه وبارك الشعب بالخشبة المقدسة فكان مشهد باهر عظمت فيه البهجة وطمت الدموع سروراً والكنيسة الرومانية وكنيستنا المارونية تعيدان لذكر رد خشبة الصليب الى اورشليم في ١٤ ايلول وكانتا تعيدان في هذا اليوم لذكر ظهور الصليب للملك قسطنطين فصارتا الى اليوم تعيدان للذكرين معاً وطرد هرقل اليهود من اورشليم وامر ان يستمروا بعيدين عنها ثلثة اميال ورد الى الكاثوليكين كنيسة الرها التي كان كسرى قد سلمها الى النساطرة وفرض جعلاً لكنيسة قسطنطينية الكبرى يدفع لها كل سنة وفاء لما اقترضه منها ومن الاديار لنفقة الحرب (ملخص عن توافان وشدرانس وزوناراس في تواريخهم للسنين المذكورة)

عد ٦٧٤

تتمة تاريخ هرقل

ان هرقل عاد بعد انتصاره على الفرس الى ترفه وانغماسه بملاذه واتى حمص التي كان يؤمها يومئذٍ محبو الترف وترويح القلوب وكان ذلك في مبادي خلافة ابي بكر الصديق وكان العرب يشنون الغارة على سورية فيزدريهم هرقل ويحسب انهم لا يطمعون بمناوأة من قهر الفرس ورأى ابو بكر فتح سورية متيسرًا فجهز عسكرًا وخطب فيهم عند سفرهم قائلاً « اذا لقيتم العدو فقاتلوه مستبسلين والموت اولى بكم من القهقرى واذا انتصرتم فلا تقتلوا الشيوخ ولا النساء ولا الاطفال ولا تقطعوا النخيل ولا تحرقوا الزرع ولا تذبحوا من الماشية الا ما كنتم في حاجة اليه لقوتكم وامنوا من ذل لكم ورغب في اداء الجزية ولا تخلفوا وعدكم ولو لاعدائكم وسترون في طريقكم رجالاً متوحدين ناسكين فاحتفظوا بهم ولا تمسوا اديارهم بضر واهلكوا اليهود الا ان يسلموا » وامر ابا عبيدة على الجيش وكان عشرين الف مقاتل ولما سمع هرقل اخبار حملة العرب اتى الى دمشق وبعث سرجيوس والي قيصرية بخمسة الاف جندي ليوقف العرب عن المسير ويقاتلهم اذا اضطر الى قتالهم فلم يكن مفر من القتال وسحق العرب جنوده القلائل واخذوه اسيرًا ثم اماتوه واحرزوا غنائم وعادوا

فتهايج العرب برؤية هذه الغنائم لفتح سورية وتألب جم غفير منهم فأمّر ابو بكر عليهم عمرًا بن العاص واستمر ابو عبيدة على جيشه ثم استدعى ابو بكر خالدًا بن الوليد من العراق وامره على الجيشين فكانت وقعة اليرموك الشهيرة التي كانت سبب فتوح الشام على ما قال ابو الفدا ثم قصدوا بصرى في حوران وكانت حاميتها اثني عشر الف فارس فلم يقووا على الدفاع فاستحوذ عليها ابو عبيدة وخالد سنة ٦٣٥ ثم فتحا تدمر وحاصر عمرو غزة فافتتحها وجمع خالد جيشه كله

وكان نحوًا من خمسة واربعين الف مقاتل وحاصر دمشق فخاف هرقل ومضى من حمص الى انطاكية وارسل منها خمسة الاف مقاتل لنجدة دمشق فكانت هذه النجدة معثرة للدمشقيين لان قائد هولاء الجنود نازع والي المدينة الامارة فيها وابى الوالي الاذعان لدعواه فنشأ بينهما مباراة ومعارضة فلم يحكما عملاً وتقدم خالد الى الاسوار فصاح بالدمشقيين ان يبرزوا اليه من يقاتله فبرز القائد المذكور فقتله خالد باول سهم رماه به واخذه اسيرًا وبارزه والي المدينة ولم يكن اسعد حظاً

ورأى هرقل ان فتحهم دمشق منذر بخسارة سورية كلها فجمع كل ما كان له من الحامية في مدن سورية وامر على هذا الجيش اخاه توادورس ليزحف الى دمشق فارسل خالد فريقاً من جيشه ليعارضه بمسيره فقوي الرومانيون عليه واسروا قائده فهبَّ خالد بفريق اخر من الجيش فاوقع بالرومانيين وبدد شملهم وتواثبت كتيبة من فرسان العرب على الجنود الذين كانوا يحرسون قائدهم الاسير فانتزعوه منهم واتوا به الى معسكر خالد وعاد توادورس الى انطاكية مدحورًا خجلاً فعنفه الملك هرقل اخوه وأنبه على سؤ تصرفه وارسله الى قسطنطينية واما الدمشقيون فطلبوا الامان من خالد فلم يعطوه وطلبوا من ابي عبيدة الذي كان على جهة اخرى من المدينة فامنهم على ان يدفعوا الجزية ويتركهم وما يدينون واخذ منهم رهائن ودخل المدينة بمئة رجل وهو لا يعلم ان خالدًا انكر الامان عليهم ودخل خالد المدينة من جهة اخرى عنوة وعتب ابا عبيدة على ما صنع دون علمه وخيرَّ اهل المدينة بين ان يبقوا فيها مسلمين او يؤدون الجزية صاغرين وبين ان يرتحلوا عنها في مدة ثلاثة ايام فارتحل بعض واقام بعض وكان فتح دمشق في خلافة عمر ابن الخطاب

ولما علم هرقل بفتح دمشق علا على نشز من الارض والتفت الى الشام

وقال السلام عليكِ ياسورية سلام لا اجتماع بعده وعزم ان يعود الى قسطنطينية لكنه اراد ان يمضي اولاً الى اورشليم فذهب اليها واخذ منها خشبة الصليب المقدس لئلا تقع في ايدي اعدائه وعاد الى عاصمته برّاً متنكباً ما امكن عن رؤية الناس خجلاً ومضى ابا عبيدة بجيشه فذلت له حمص واداه اهلها الجزية وكذلك حماه وقنسرين وبعلبك وغيرها وكان الغزاة يعاملون الاهلين باللين والحلم حتى خلع اهل بعض الاعمال ولاتهم واستسلموا للظافرين وحاول هرقل مرة اخرى ان يوقف سيرهم في مملكته فجمع جنوده من اوروبا واسيا والف منهم جيشاً كثيفاً امر عليه قائدًا اسمه عمانويل ولقيه امير مسيحي يسمى جبلة انضوى الى لوائه وسار معه رجال هذا الامير يسيرون في طلائع الجيش وخيم جيش المسلمين على شاطي نهر البرموك يقوده ابو عبيدة واستعرت نار الحرب هناك ثلثة ايام وكانت الحرب سجالاً على ان بعض روساء جيش الروم اتوا امرًا فظيعاً عاد عليهم بالهلاك فقد دخل هولاء بيت رجل مسيحي مؤسر في البرموك وسطوا على امرأته ولما صدهم صراخ طفلها عن بغيتهم قطعوا رأسه فاخذت المرأة رأس الطفل الى قائد الجيش تسأله انصافها فلم يسمع لها وعمد زوجها الى اهلاك جيش الروم فخدعهم باخبار كاذبة وكشف لابي عبيدة اسرارًا لهم يسرت له الظفر بهم حتى اخذ عمانويل اسيرًا وقتله وفتك بجيشه الكثير واضطر جبلة ان يسلم ولعله جبلة اخر ملوك غسان الذي ذكرنا خبره في الكلام على هولاء الملوك انه اسلم ثم ارتد وهرب الى قسطنطينية

ومضى جيش المسلمين الى اورشليم سنة ٦٣٦ فحاصروها وعرضوا على اهلها ان يسلموا او يؤدوا الجزية صاغرين فلم يجيبوهم اولاً ودام الحصار نحو من اربعة اشهر ولما لم يرَ الاهلون من منجد عولوا على التسليم وشرطوا ان يكون على يد الخليفة عمر ابن الخطاب فاتى متواضعاً مستصغرًا ورأى كثيرين عليهم ملابس من

حرير كانوا قد غنموها فضربهم بالسوط وامر بتمزيق تلك الثياب وكان بطريرك اورشليم حينئذٍ صفرونيوس اللبناني فاحبه الخليفة وابرم معه شرائط الصلح التي كانت مثالاً لكل صلح جرى بعده واليك نص هذه العهدة مترجماً عن الافرنسية اذ لم نظفر بنسخة من الاصل العربي

« بسم الله الرحمان الرحيم من جانب عمر الى سكان اليا (هو اسم اورشليم سماها به اليوس ادريان بعد ان جدد بناءها) امرنا ان تكون لهم من قبلنا الحماية والصيانة لانفسهم واموالهم ولا تنقض كنائسهم ولهم وحدهم قضاء عباداتهم فيها ولكن ليس لهم ان يمنعوا المسلمين من الدخول اليها نهارًا او ليلاً ولهم ان يفتحوا ابوابها للمارة والمسافرين وليس لهم ان يقيموا فوقها صلباناً او ان يقرعوا اجراساً او ان يبنوا كنائس حديثة في المدينة او خارجاً عنها ولا يجبرون على ان يعلموا ابناءهم القرآن ولا يسوغ لهم ان يغروا المسلمين باتباع دينهم ولا ان يمنعوا اهلهم عن تركه لاتباع دين المسلمين وعليهم حرمة المسلمين وان لا يتزيوا بازيائهم ولا يلبسوا قبعاتهم وعمائمهم ولا يفرقوا شعورهم كما يفرقها المؤمنون ولا يستعملوا اللغة العربية ولا يركبوا الخيل مسرجة ولا يحملوا سلاحاً ولا يبيعوا الخمر ولا يستخدموا من خدم مسلماً ويؤدوا الجزية دون هضم شيء ويكونوا امناء للخليفة اماتهم لحبرهم ولا يبدوا شيئاً مخلاً بخدمته تعمدًا او بوسيلة »

ودخل الخليفة بعد التوقيع على هذه العهدة الى المدينة وبجانبه البطريرك صفرونيوس وطاف في الكنائس وحان وقت الصلوة وهو في كنيسة القبر المقدس فجثا في الرواق وصلى وسأله البطريرك لِمَ لم يصلِ في الكنيسة فقال حباً بكم لئلا يأتي المسلمون بعدي فيصلون حيث صليت واختار محل هيكل سليمان فبنى فيه جامعاً للسلمين وهو المعروف بالجامع الاقصى

وقد قسم عمر سورية الى قسمين فولى ابا عيدة على كل البلاد الكائنة بين

حوران وحلب وامره بتكملة الفتح وولى يزيد على فلسطين وشواطي البحر واعد عمرًا بن العاص لغزوة مصر بعد فتح سورية وعاد عمر الى المدينة فاستحوذ قواده على السامرة ونابلس واللد ويافا وسائر مدن فلسطين ثم جمع يزيد وابا عبيدة جنودهم ومضوا لحصار حلب وكان فيها من الحامية اثنا عشر الف خرجوا لمناوأة العرب فتقهقروا ذلك اليوم وكان سكان المدينة تهمهم تجارتهم اكثر من تأييد ملك الروم ودينهم فراسلوا يزيد وابا عبيدة واستسلموا اليهما ودرى الوالي فقتل كثيرًا من الاهلين وعزم ان يصنع كذلك بجيش المسلمين ووفد حينئذٍ خالد بن الوليد فهاجم المدينة بجيش المسلمين فافتتحها وحصر الوالي والحامية في قلعة حلب فاستمروا فيها اربعة اشهر يدافعون الى ان تسلق المسلمون ليلاً على اسوارها ولم يعد من فتحها مناص فاسلم الوالي وكثيرون من الجنود وكان بين انطاكية وحلب قلعة حصينة في عزاز فسار والي حلب ومعه مئة مسلم بزي جنود الروم ولم يكن اسلامه معروفاً فدخل بهم القلعة وفتحوا ابوابها لغيرهم من جنود المسلمين فقتلوا الحامية الذين كانوا فيها وزحفوا الى انطاكية وكان فيها والٍ شجاع ولكن الرعب كان قد اخذ في قلوب جنده كل مأخذ فخرج للقياهم وتسعرت نار الحرب فظهر جيش المسلمين عليهم وقتلوا منهم كثيرين وتشتت الباقون واستحوذ المسلمون على المدينة ولم يترك يزيد الجيش فيها الا ثلثة ايام لئلا تفسد اخلاقهم باسباب الترف والخلاعة التي كانت متوافرة في هذه المدينة وكان هرقل الملك ارسل ابنه قسطنطين باسطول الى السويدية لينجد انطاكية فلم يقدر ان يصنع شيئاً مذكورًا بل ارسل غادرًا يغتال الخليفة عمر في المدينة ولما رآه وجفت يداه فلم يقدر ان يأتي بضر واقر باثمه فعفا عنه عمر وخلى سبيله فكسب فخرًا يذكر الى اليوم مكان ان يسلبه الغادر الحياة واخذ المسلمون اللاذقية وجبلة وطرطس واطرابلس

ولم يبقَ من مدن سورية الحصينة الا قيصرية فلسطين فسار اليها عمرو بن

العاص بجيش كثيف ومضى قسطنطين بن هرقل باسطوله الى مرفاها واحب ان
يقابل امير جيش المسلمين فاجابه عمرو الى ذلك فسأله قسطنطين باي حق تملكون
سوريا فاجابه عمرو بالحق الذي اولانا اياه الخالق فلارب الارض بكمالها فيولي
عليها من شاء وظفرنا دليل ناطق على ارادته والتفت الى الرومانيين وقال
لكم وسيلتان للنجاة اما ان تسلموا اما ان تخضعوا وتؤدوا الجزية
فقالوا نحن في غنى عنهما فاجابهم الحرب اذًا فاصلة بيننا وقام من
المجلس يستعد للقتال وحمي وطيس الحرب فذعر الرومانيون
وأسلّ قسطنطين الى سفنه واقلع بها الى قسطنطينية
فاستحوذ المسلمون على قيصرية وذل لهم كل من بقي
في سورية فخسر الرومانيون في ست سنين سورية
كلها التي تولوها سبع مئة سنة فابتدأت الحرب
سنة ٦٣٣ وانتهت سنة ٦٣٨ وتوفي هرقل
في ١١ شباط سنة ٦٤١ وانبسط حكم
الخلفاء في زمان وجيز الى مصر وما
يليها والعراق وما بين النهرين
وبلاد فارس كما سنبين في
الجزء الثالث من هذا
التاريخ

م



﴿ عد ٦٧٥ ﴾

﴿ جدول في اسماء الملوك الرومانيين وسني تمليكهم ووفاتهم او عزلهم ﴾

	اسماء الملوك	سنة تمليكهم	سنة وفاتهم او عزلهم
١	اغوسطس قيصر	٢٩ ق م	١٤ للميلاد
٢	طيباريوس	١٤ للميلاد	٣٧
٣	كاليكولا	٣٧	٤١
٤	كلود الاول	٤١	٥٤
٥	نيرون	٥٤	٦٨
٦	غلبا	٦٨	٦٩
٧	اوتون	٦٩	٦٩
٨	ويتاليوس	٦٩	٦٩
٩	فسبسيان	٦٩	٧٩
١٠	طيطس ابنه	٧٩	٨١
١١	دوميسيان	٨١	٩٦
١٢	نرفا	٩٦	٩٨
١٣	ترايان	٩٨	١١٧
١٤	ادريان	١١٨	١٣٨
١٥	انطونينس پيوس	١٣٨	١٦١
١٦	مرقس اورليوس ولوشيوس فاروس	١٦١	١٦٩
١٦	مرقس اورليوس وحده	١٦٩	١٨٠
١٧	كومود ابنه	١٨٠	١٩٣
١٨	برتينكس	١٩٣	١٩٣

	اسماء الملوك	سنة تمليكهم	سنة وفاتهم او عزلهم
١٩	ديديوس يوليانس	١٩٣	١٩٣
٢٠	نيجر	١٩٣	١٩٥
٢١	الينس	١٩٥	١٩٧
٢٢	سبتيمس ساويرس	١٩٧	٢١١
٢٣	كركلا وجيتا ابناه	٢١١	٢١٢
::	كركلا وحده	٢١٢	٢١٧
٢٤	مكرين	٢١٧	٢١٨
٢٥	اليوكبل	٢١٨	٢٢٢
٢٦	اسكندر ساويرس	٢٢٢	٢٣٥
٢٧	مكسيمينس الاول	٢٣٥	٢٣٧
٢٨	كرديان وابنه كرديان	٢٣٧	٢٣٧
٢٩	مكسيمس بوبيان وبلبين	٢٣٧	٢٣٨
٣٠	كرديان الثالث الملقب التقي	٢٣٨	٢٤٤
٣١	فيلبس العربي	٢٤٤	٢٤٩
٣٢	داشيوس او داكيوس	٢٤٩	٢٥١
٣٣	غلوس وفولوسيان	٢٥١	٢٥٣
٣٤	اميليان	٢٥٣	٢٥٣
٣٥	فاليريان	٢٥٣	٢٦٠
٣٦	غاليان	٢٦٠	٢٦٨
٣٧	كلود الثاني	٢٦٨	٢٧٠
٣٨	كوينتلس	٢٧٠	٢٧٥

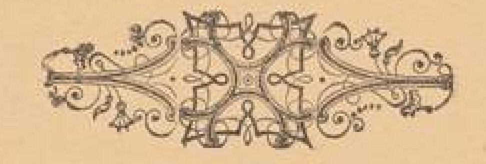
	اسماء الملوك	سنة تمليكهم	سنة وفاتهم او عزلهم
٣٩	اورليان	٢٧٥	٢٧٦
٤٠	تاسيت	٢٧٦	٢٧٦
٤١	فلوريان	٢٧٦	٢٧٦
٤٢	بروبس	٢٧٦	٢٨٢
٤٣	كارس	٢٨٢	٢٨٤
٤٤	كارين ونومريان	٢٨٤	٢٨٤
٤٥	ديوكلتيان	٢٨٤	٣٠٥
٤٦	مكسيميان هرقل	٢٨٦	٣٠٥
٤٧	قسطنس كلور	٣٠٥	٣٠٦
٤٨	كالر	٣٠٥	٣٠٥
٤٩	ساويرس	٣٠٦	٣٠٨
٥٠	مكسيمينس	٣٠٨	٣١٣
٥١	ليشينيوس	٣٠٧	٣٢٣
٥٢	قسطنطين الاول الكبير مع غيره	٣٠٦	٣٢٣
: :	قسطنطين وحده	٣٢٣	٣٣٧
٥٣	قسطنس ابنه في المشرق	٣٣٧	٣٦١
٥٤	يوليانس الجاحد	٣٦١	٣٦٣
٥٥	يوفيان	٣٦٣	٣٦٤
٥٦	والنس	٣٦٤	٣٧٩
٥٧	توادوسيوس الكبير	٣٧٩	٣٩٥
٥٨	اركاديوس	٣٩٥	٤٠٨

	اسماء الملوك	سنة تمليكهم	سنة وفاتهم او عزلهم
٥٩	توادوسيوس الثاني	٤٠٨	٤٥٠
٦٠	بولشارية وحدها	٤٥٠	٤٥٠
٦١	مرقيان مع بولشارية	٤٥٠	٤٥٣
: :	مرقيان وحدهُ	٤٥٣	٤٥٧
٦٢	لاون الاول	٤٥٧	٤٧٤
٦٣	لاون الثاني	٤٧٤	٤٧٤
٦٤	زينون المرة الاولى	٤٧٤	٤٧٥
٦٥	باسيليسكس	٤٧٥	٤٧٧
: :	زينون ثانية	٤٧٧	٤٩١
٦٦	انسطاس	٤٩١	٥١٨
٦٧	يوستينس الاول	٥١٨	٥٢٧
٦٨	يوستنيانس الاول	٥٢٧	٥٦٥
٦٩	يوستينس الثاني	٥٦٥	٥٧٨
٧٠	طيباريوس الثاني	٥٧٨	٥٨٢
٧١	موريق	٥٨٢	٦٠٢
٧٢	فوقا	٦٠٢	٦١٠
٧٣	هرقل	٦١٠	٦٤١

فعدد هولاء الملوك الذين تولوا سورية ثلثة وسبعون ملكاً ومدة ولايتهم فيها من بدء ملك اغوسطس قيصر الى تقلص ولايتهم سنة ٦٣٨ في ايام هرقل ست مئة وسبع وستون سنة وقد كانوا تولوها من فتح بمبايوس لها سنة ٦٤ قبل

قبل الميلاد الى تمليك اغوسطس سنة ٢٩ ق م خمساً وثلاثين سنة فكون كل مدة استحواذهم على سورية سبع مئة سنة وستين . اه

كان الفراغ من كتابة هذا الجزء الثاني والمجلد الرابع من تاريخ سورية
في ٢٩ من شهر حزيران سنة ١٨٩٩ وقد ارجأنا تكملة تاريخ
السابع بقسميه الدنيوي والديني الى الجزء الثالث منه . قدرنا
الله على كتبه ان شاءه وتقبل تعبنا في ما كمل منه
لوجه الكريم بمنه وكرمه



فهرس الفصول والاعداد

عدد صفحة

عدد صفحة

الفصل الرابع

في من عاصر هولاء المشاهير من امثالهم في غير سورية

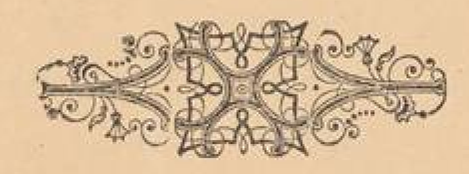
الفصل الخامس

في البدع والمبدعين بسورية فى القرن الخامس

الفصل السادس

فى المجامع التي عقدت فى سورية او شهدها سوريون فى القرن الخامس

ملحق في تاريخ الموارنة



فهرس هجائي

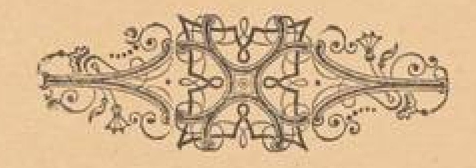
(ا)

(ت)

(ج)

(ف)

(ق)



اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	١	اللجا	الملجا
٢١	١٦	وقاهها	وقاها
٣٧	١٧	١-٣	١٦٣٠
٥٩	١٨	مونيوس	امونيوس
٨٦	٧	تيبانيس	تيبايس
١٠٩	١٦	نسخة	٠٠
١٨٦	٤	انوزا	انتوزا
١٩١	٨	فاعارهم	فاعاراهم
١٩٤	١٣	الكتاب	كتاب
٢١٤	١٢	اتفقووا	اتفقوا
٢٥٣	١٤	تقاة	ثقات
٢٦٠	١	التار	النار
٢٧٢	٤	المصليز	المصلين
٢٨٦	٢٢	ان	انه
٣١٩	١٤	البربرك	البطريرك
٣٢٠	٩	فلسين	فلسطين
٣٢١	٤	اورشليم	انطاكية
٣٣٢	١٤	وصفها	وضعها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣٤	٦	٣٤٣	٤٤٣
٣٣٩	٩	ويوحنا	يوحنا
٣٤٠	١٠	البادة	البارة
٣٥١	٦	الشرفي	الشرقي
٣٦٦	٦	ذعواه	دعواه
٣٧٦	٧	للبتالى	للباي
٣٨٣	٨	معثرة	معذرة
٤٤٦	١	ثأروا	ثأر
٤٥٢	٨	فاران	فارام
٤٩٥	١٨	بان	وان
٥١٢	١٩	البنذ	النبذ
٥٣٥	٧	يوليا	بوليا
٠٠٠	٢٢	يدعونا	تدعونا
٥٤٨	٣	بحرمة	بمرمة

